آثار العــالم العــربي
في العصرين اليونـاني والرومانـي

القسم الآسيوي

الأستاذ الدكتور
عزت زكي حامد قادوس
رئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب ـــ جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية
٢٠٠٠

توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

مقدمة

كان للموقع الجغرافي للشرق الأدنى القديم، ولتوافر الشروط الطبيعية الملائمة دوراً في النمو الاقتصادي، إضافة إلى توافر المواصلات التجارية، مما جعل المنطقة دائماً عرضة للأطماع الأجنبية.

وبقدر انفتاح مصر وسورية على التأثيرات الحضارية الخارجية، بقدر ما استطاعت استيعاب هذه التأثيرات وبالتالي تطويرها، ومن ثم تذويبها في إطار تراثي محلي،[1] أما على الصعيد السياسي فقد كانت لتلك التأثيرات الخارجية أثرها السلبي، مما ساعد على قيام دويلات تتعايش أحياناً وتتطاحن أحياناً أخرى، ولم تصل إلى مشروع وحدوي إلا في حالة مواجهة ضغط أجنبي ما.

وخلال منتصف القرن السادس ق.م أضحت سورية ومصر جزءين من الإمبراطورية الفارسية، ومن أهم ولاياتها.

وفى عام ٣٣٢ ق.م وصل الإسكندر المقدوني إلى مصر[2] في طريقه لفتح الأجزاء المتبقية من الإمبراطورية الفارسية بعد أن سيطر على أطرافها الغربية في آسيا الصغرى وسورية. وخلال سنة ٣٣٣ ق.م دخل الإسكندر المقدوني الأراضي السورية بعد الانتصار الذي حققه في معركة أسوس .. وقد عبر سورية مرتين، الأولى في طريقه إلى مصر والمرة الثانية أثناء زحفه نحو بلاد ما بين النهرين ونحو بلاد فارس، لكن مجرد ما لقي الإسكندر حتفه في بابل سنة ٣٢٣ ق.م، حتى دبت الصراعات والنزاعات

(١) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٨٥، ص ١٥.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦ ص ص ١٨ - ٣٤

بين قواده على السلطة، فاستطاع سلوقس تثبيت حكمة في ســورية، بينمــا اختار بطلميوس مصر، وهكذا أصبحت بلاد الشــام ووادي النيــل ووادي الرافدين، أجزاءاً من العالم الهللينستي، حيث اللقاء الحضــاري، والتفــاعل بين ثقافتين: شرقية وغربية وسوف نتحدث فيما بعد هذا عن هذا الاتصـــال الحضاري، متسائلين: هل كان التأثير الغربي (الإغريقــي) علــى الشــرق (مصر وسورية) ــ تحديداً ــ تأثير يشمل كل النواحي الحضاريـــة؟ أم أن الشرق ــ خلال الفترة الهللينستية كان نسخة للغرب؟ وهل يمكن الحديـــث عن فعل التثاقف (Acculturation) بينهما؟ إذا كان كذلك، فكيف استوعب الشرق ــ من خلال مخططات مدنه ــ التفكير الإغريقي؟ هل هو اســتيعاب من أجل الاستيعاب فقط؟ أم أنه استيعاب حضاري ــ إنساني يبغي إخضــاع الآخر (الإغريقي) إلى قراءة واعية، من أجل تطويـــره وجعلــه يتناســب والشخصية المحلية، ومن ثم تجاوزه؟.

أسئلة أراها ضرورية، كلما تحدثنا عن الفترة الهللينستية، باعتبارهــا فــترة تعكس وجود ثقافتين مختلفتين، على المستوى المرجعي، وعلى المســتوى الأيدلوجي.

قبل ذلك، كان لزاماً عليّ، أن أحدد مفهوم المدينة في الشــرق، وعنــد الإغريق. بمعنى أخر، كيف يتصور التفكير الشرقي المدينة؟ وكيف يراهــا التفكير الإغريقي؟

مفهوم المدينة في الشرق

من المعروف ــ حضارياً وأثرياً ــ أن منطقة الشرق القديم قد شــهدت البوادر الأولى للمدنيات، سواء في وادى النيل أو بلاد الرافديــن، أو بــلاد الشام وفلسطين، فقامت هناك حضارات عظيمة، كان لها الأثر الكبير فـــي تطور الإنسان ثقافياً ودينياً واجتماعية وسياسياً واقتصادياً... لكن نود هنـــا

أن نتساءل: كيف كان يتصور المواطن والسلطة فـــي هــذه الحضــارات "المدنية" كمفهوم؟ وبالتالي إلى أي حد استطاع أهــل الشــرق أن يخلقــوا مفهوماً خاصاً للمدينة، يرتبط وثقافتهم وفكرهـــم؟ يبــدو لــي، أن هذيــن السؤالين.. يحيل المرء إلى قضية أخرى، وهى علاقة الإنسان في الشـــرق بالسياسة والحكم والدين والطبيعة. فمما لاشك فيه، أن الإنســان فــي هــذا العالم القديم، كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بآلهته ومعتقداته، والتي كانت ـــ فـي الوقت نفسه ـــ تحكمه سياسياً، فالسلطة السياسية لم تنفصل عـــن الســلطة الدينية، فظل هناك مستويان متباينان:

مستوى أعلى يمثله الملك أو الحاكم وحاشيته.

ومستوى أدنى يمثله سكان المدينة باختلاف انتماءاتهم الطبقية.

وسنجد هذا واضحاً، على مستوى تخطيط المدينة نفســـها، فــالأكربول أو الزاقورة كمكان مرتفع مقابل المدينة السفلية. إضافة إلى ذلك، فالمؤسســـات الدينية، كانت من أعظم المؤسسات ذات القيمة الأثرية والحضارية، فــالمعبد يشكل المحور في المدينة الشرقية، وهو الركيزة لسن القوانين، وإليه ومـــن أجله تبدع كل المهارات الفنية والجمالية والمعمارية، (فالمدينة) أو المعبــد، يشكل، بكل تأكيد المستوى الفني والجمالي لكل مدينة على حده.

إن المعبد الشرقي، يتسم بالعظمة والضخامة والغموض في البناء، فـــلا يمكن للمتعبد أن يلج إلى غرفة قدس الأقداس المخصصـــة لرجـــال الديـــن "الكهنة" الذين يشكلون طبقة ذات امتياز وأهمية في المجتمع.

فظل تصور الإنسان في بلدان الشرق القديم للمدينة، من خلال المعبد ذاتـــه وليس اعتبار المدينة كفضاء (Space) بكل ما تحمله هذه الكلمة من معـــانٍ متعددة.

وإلى جانب المعبد هناك محور آخر هام في المدينة: يمثله القصـر الـذي يُباشر منه الحاكم سلطته وقد روعي فى تخطيط المدينة: العلاقة بين القصر والمعبد فالشارع الطولي الرئيسى، لم يكن ذا مغزى مدني صرف، بقدر ما كان مرتبطاً بالمعبد أو القصر. فالشارع لابد وأنْ يفضي بالزائر إلى المعبد أثناء دخوله المدينة. ولعل هذا الجانب الديني الخالص الـذي ارتبـط بـه الإنسان في الشرق، هو ما جعل المقدونيين يتأثرون ويتفاعلون مـع هـذه التصورات التي نجدها واضحة في العصر الهللينستى.

إذن يتضح أن هناك اختلاف حول مفهوم المدينة، عند الإغريق ـ كما سنرى في حديثنا عن مفهوم المدينة عندهم ـ وقبلهم عند الشرق اختلافـاً سيصبُح ائتلافا عند دخول الإغريق إلى بلاد مصـر والشـام والرافديـن" فحدث ذلك التمازج العظيم بين ثقافتين[1] من أعظم الثقافات التـي شـهدها التاريخ الحضاري القديم، إلى جانب الثقافة الرومانية والإسلامية فيما بعد.

مفهوم المدينة الإغريقية

إن البحث في مسألة مفهوم المدينة الإغريقية يعتبر من الموضوعـات المعقدة، لاعتبارات عدة، منها ما يعود لمفـهوم الإغريـق عـن المدينـة والسياسة والسلطة، ومنها ما وصلنا عن الإغريـق مـن خلاصـة رؤيـة الفلاسفة الإغريق لهذه المسألة حيث اختلط المفهوم التـاريخي بالمفـهوم النظري والمفهوم الأسطوري.

فالإغريق القدماء، اعتبروا أن وجود المدينة كان حدثاً طبيعياً وليس وليـد العرف والاتفاق، فأرسطو يُعرف الإنسان بأنه "حيوان سياسي أو مدنـي"[2]

(١) نأخذ "الثقافة" هنا بمفهومها الأنثروبولوجي العام.

(٢) راجع نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربى، العدد ٢٩، ١٩٨٢، بيروت، ص ٣٢.

فالإنسان عنده "مدنى" بمعنى أنه ينتمى إلى المدينة، وانتماؤه هـذا طبيعـي وليس مكتسباً، حيث أن الإنسان "ينشأ ويتشكل وينمو في الأسرة ويصل إلـى تكامله ويحقق طبيعته في المدينة".(١)

وهناك نظرية أخرى تربط مفهوم المدينة بعامل جغرافى، باعتبـار أن بلاد اليونان تمثل جغرافياً بقاعاً منخفضة من الأرض تحيط بها جبال عاليـة ليس لها من منفذ إلا الشاطئ، هذه الحتمية الطبيعية فرخت قيام مقاطعـات عديدة نطلق عليها مصطلح دولة المدينة πολis كل واحـدة منـها يمكـن اعتبارها نمطاً لمجتمع صغير. فهذا التقسيم الطبيعى انعكس بـدوره علـى الجانب السياسى، فنشأت المدن اليونانية بسماتها وخصائصها المميزة عـبر التاريخ. وهناك نظرية ثالثة تؤكد على دور العامل الدينى وتفسر مفهومـها للمدينة من خلال التصورات الدينية والمعتقدات الأولية، وقـد تبنـى هـذه النظرية مجموعة من الباحثين الأثريين وخاصـة F. De Coulages(٢) الذى يرجع أسباب قيام النظم الاجتماعية إلى العبادات والشـعائر الدينيـة وتقديس الموتى والنار المقدسة. فتلك كما يقول كولانج "زعيم المدينة" هـو وقبل أى شئ زعيم دينى، وعليه فالسلطة السياسية تجـد مصدرهـا فـي الوظيفة المقدسة".(٣)

إن مدننا كأثينا وإسبرطة وسيراكوز وطيبة وكورنثه، أعطت من خـلال أنظمتها السياسية ونظمها الاجتماعية صورة عن عظمة الفكر الإغريقـي، وفلاسفة اليونان يرجعون تفوقهم على غيرهم من الشعوب إلـى تصورهـم

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٧.

(٢) F.De Coulages, La cite antique IV, 9, p. 337

(٣) Ibidem, p 337

لنموذج المدينة. فقد عرفت المدن اليونانية مختلف أشكال الحكم من ملكـي وأرستقراطي وأوليجركي وديموقراطي واستبدادي.

وبالرغم من هذا التعدد والاختلاف، فهناك خصـائص ثابتـة وعامـة اتسمت بها المدن الإغريقية كلها. كالنظرة إلى العلاقة بين الفرد والدولـة، ومفهوم الحرية والمواطنة، وشرعية الحكم وسيادة القـانون إضافـة إلـى المدينة كتخطيط حضاري، يشمل الجوانب: الاقتصادية والتربوية والدينيـة والرياضية والفكرية وغيرها، من خلال إنشـاء مؤسسـات ترتبطُ بـهذه الجوانب كلها. وهذا ما أعطى للمدينة الإغريقية مكانة رائدة فـي التـاريخ الإنساني سواء أكان على المستوى الفكري النظري أو التخطيطي العملـي.

المدينة الشرقية خلال الفترة الهللينستية:

أ- دخـــول الإسكنـــدر

- بـلاد الشـام (سـورية)

إذا كانت حضارات الشرق الأدنى، تتصف بوجود المراكز الحضاريـة المتعددة التي أفسحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطورات المحليـة الخاصة وبالتالي أعطتنا وأفرزت لنا تعدداً كبـيراً فـي الأشـكال الفنيـة والإبداعية، فإن الفترة الهللينستية قد أعطت لهذه الأشكال إنسجاماً وتماسـكاً أكثر. وكان للقاء الغرب بالشرق على أرض مصر والشام، ثماراً مشـتركة يصعب في كثير من الأحيان تحديد حصة كل منها.[١] لقد جرت العادة، فـي العالم الإغريقي أنه عند التفكير في إنشاء مدينة جديدة كانت تبذل قصـارى الجهود في اختيار الموقع،[٢] من الناحية الصحية، وغيرهـا مـن المزايـا الطبيعية، وكان الفلاسفة الإغريق ومخططوا المدن يدرسـون كـل هـذه

---

(١) راجع، كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) نفس المرجع.

العوامل بعناية فائقة. ولهذا عندما أصبحت سـوريـة جـزءاً مـن العـالم الإغريقي، إثر فتوحات الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م)، فقد غـدت مهيأة كموقع لمدينة إغريقية جديدة ثبت أنه كان من أحسـن المواقـع فـي العالم القديم، وكما يقول داونى:[1] "إن تاريخ أنطاكية بأكمله ومراحل تطـور حضارتها لتنهض، دليلاً على حسن اختيار موقعها ومزاياها الطبيعية ممـا حدا بالقائد سلوقس نيكاتور إلى القيام ببنائها هناك في سـنة ٣٠٠ ق.م". إن طبيعة التكوين الجغرافي لسورية قد هيأت لسهل العمق (Amuk) أن يكون أحد العوامل الأساسية في طرق المواصلات في الجزء الشمالى الغربى مـن ذلك الإقليم، إذ أنه كان يجب أن تمر في هذا السهل جميع حركـة التجـارة والنقل بين الجزء الجنوبى من الأناضول والجزء الساحلي أو الغربى مـن سورية وفلسطين وأيضاً جميع حركة التجارة والنقل من الجـزء الشـمالى لبلاد ما بين النهرين والبحر المتوسط. (شكل ١). كل هذه العوامل، إضافـة إلى عوامل أخرى كانت سبباً في تأسيس مدن سـورية عديـدة، وخاصـة أنطاكية، التي سوف نتحدث عنها لاحقاً، وكان هذا التأسيس نتيجة منطقيـة لمرحلة طويلة من التطور في هذا الإقليم.[2]

ولم تكن مناطق سورية، معزولةً عن العالم الإغريقـى قبـل دخـول الإسكندر الأكبر، بل تعود علاقات سورية مع هذا العالم منذ زمـن بعيـد، وحسب نتائج الحفائر الأثرية في مواقع (ألالاخ) تل العطشـانة، و(الميـنا) و(صابونى) عند مصب نهر العاصى، فإن التجار الإغريق كانوا يعيشـون في (المينا) و(صابونى) منذ عهدٍ مبكر. وقد عـثر فـي (ألالاخ) ومواقـع

(١) جلانفيل داونى، أنطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٣.

(٢) نفس المرجع.

أخرى على كميات هائلة من الفخار الموكينيى (Mycenae) والقبرصي[١] الذي يعود إلى العصر البرونزي، مما يدل دلالة واضحة خلال هذه الحقبة الهامة على وجود علاقات تجارية مع الغرب وقد استمرت منتجات الإغريق والجزر الأخرى التابعة لها تمر عبر هذه الطريق[٢] (شكل ٢). حتى عهد الإسكندر الأكبر فمن المعروف، أن فكرة إنشاء أنطاكية تعود إلى الإسكندر الأكبر في الوقت الذي تؤكد فيه بعض المصادر أن تأسيسها يعود إلى سلوقس الأول، لكن ما يهمنا هو أن أنطاكية كمدينة حظت بقدر كبير من الاهتمام من قبل الإسكندر، فإذا كان الإسكندر قد زار المنطقة ـ فعلاً ـ فإنه يُحتمل أن يكون قد فطن لأهمية الموقع وخصائصه، وأن مشروع تأسيس المدينة قد أثارت فكرته أذهان الإسكندر وقواده.."[٣]

لقد كانت فتوح الإسكندر لبلاد المشرق ـ في آسيا الصغرى إلى بلاد الشام ومصر وأرض الرافدين حدثا هاما في تاريخ هذه البلاد، لكن بعد وفاته (٣٢٣ ق.م) دب الخلاف بين قواده فبعضهم أراد المحافظة على وحدة الإمبراطورية الشاسعة. فقد قبل أنتيجونوس على أن يكون هو الوريث والبعض الآخر قد رغب في تولى شؤون جزء من الإمبراطورية، ومن هؤلاء بطلميوس الذي استقر في مصر حاكما أولا ثم ملكا مؤسسا لأسرة البطالمة هناك.[٤] لهذا ذهبت كل محاولات الاتحاد أدراج الرياح، فأصبح المشرق تحت يد السلوقيين والبطالمة والأنتيجونيين.

---

(١) أحمد عثمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص ٤٤ – ٥٧.

(٢) يقصد بهذه الطريق: وادى العاصى (Oronts)، وسهل العمق.

(٣) داوني، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) زيادة المرجع السابق،

مصر (الإسكندرية)

تأسست الإسكندرية بدخول الإسكندر المقدوني إلى مصر سنة ٣٣٢ ق.م ولعل موقعها الجغرافي ـ الإستراتيجي، كان سبباً من أسباب هذا التأسيس، ولن ندخل في إشكالية السبب الذي حدا بالإسكندر إلى اختيار هذا الموقع.(١) لكن ما يبرر هذا الكلام، هو التراث الحضارى والطبيعي الذي عرفته مصر، بكل ما تضمنه من قيم واتجاهات ورؤية للعالم.(٢) فالإنتاج الزراعي الذى يوفره النيل، والموقع التجاري الوسيط، والرصيد الديني.. كل هذه المعطيات قد هيّأت من مصر عامة، والإسكندرية خاصة أن تكون من أحسن العواصم العالمية إبان الفترة البطلمية، ويصف لنا "محمد عواد حسين"(٣) مميزات الإسكندرية بقوله ".. سهولة وصول مياه الشرب إليها، وقربها من بحيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهها فى البحر، ولا تبعد عن الشاطئ بأكثر من ميل واحد، وهى التى عرفت باسم جزيرة فاروس "هذا بالإضافة إلى جفاف المكان، وارتفاعه عن مستوى الدلتا، وبعده عن الرواسب التي يأتى بها فرع رشيد" من هذا المنطلق قامت الإسكندرية ومدن أخرى. فالمدينة الوحيدة التي أشرف عليها الإسكندر واختطها، هي الإسكندرية ورغم أن البطالمة لم يكونوا بناة مدن،(٤) إلا أنهم قد اهتموا بهذه المدينة اهتماماً "يفوق الوصف" واعتنوا بمدينة نيوقراطس (في غرب الدلتا). كما بنوا مدينة "بطلمية Potlemais " في مصر العليا، حتى تكون نداً لمدينة طيبة الفرعونية القديمة (عاصمة

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ١٩٩٨، ص ١٤.

(٢) لطفي عبد الوهاب، الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٤.

(٣) محمد عواد حسين، تخطيط المدينة، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ص ١٣.

(٤) زيادة المرجع السابق، ص ٧١.

الإمبراطورية المصرية في القرن الخامس عشر ق.م)، لكن المنطقة التى عرفت تنوعا واختلافا بالنسبة للمدن، في العصر الهللينسيتى، فهي آسيا الصغرى، وبلاد الشام، وخاصة المملكة السلوقية.

وقبل تناول مدينتي الإسكندرية وإنطاكية باعتبارهما نموذجين لتخطيط المدينة الهللينستية الشرقية، أرى ـ لزاما ـ على الحديث عن الغايات والأهداف وراء تأسيس المدن الشرقية خلال الفترة الهللينستية، وتحديدا مدينتا الإسكندرية وأنطاكية.

ب: أهداف تأسيس المدن الهللينستية ـ الشرقية

من أهداف بناء وتأسيس هذه المدن خلال الفترة المشار إليها:

أولا: كان الهدف الأول عسكريا حربيا، ولذلك للحفاظ على هذه المدن التى ظلت بأيدي السلوقيين والبطالمة، والسيطرة على الطرق التجارية.

ثانيا: أن يكون سكان هذه المدن (وخاصة بلاد الشام) أغريق ومقدونيين وذلك لسببين:

الأول: اطمئنان السلوقيين إلى مواطنيهم.

والثاني: كى تصبح هذه المدن ركيزة اجتماعية" تدعو إلى التوازن والاستقرار.(١)

ثالثا: كانت تمنح أراضى المستوطنات للمقيمين (المستوطنين) وبالتالى تصبح ملكا شخصيا لهم.(٢)

رابعا: إن أغلب هذه المستوطنات ـ التي أصبحت مدنا ـ يتمتع سكانها بالحريات العامة التي كان الإغريق (لا أهل مقدونيا) يعرفونها في مدنهم الأصلية، وأن تتوافر لها مؤسساتها، على أنه يجب الإشارة إلى أن الملك

(١) نفس المرجع، ص ٧١.

(٢) نفس المرجع، ص ص ٧١ – ٧٢.

السلوقى عندما كان يؤسس "مدينة" أو يرفع مستعمرة إلى درجـة "مدينـة" وأهم ما كان يميز المدينة، من حيث الجرية، عمليا بأن تمنح حـق " سـك النقود".(١)

خامسا: لقد استمر تخطيط المدينة اليونانية في أغلب المسـتعمرات، التـي أنشأت في الدولة البطلمية والسلوقية، لكن المخطط هنا كان يترك مسـاحة لإقامة الأبنية اللازمة للمؤسسات المدنية والتجاريـة والرياضيـة (بعـض الأبنية الرياضة كانت تقام خارج أسوار المدينة).(٢)

سادسا: هدف حضاري، فقد أراد الإسكندر أن تصبح مدينته الجديدة ـ وقد أقامها على أسس الحضارة الإغريقية ـ معينا لهذه الحضارة، ينشر صداهـا في مناطق الشرق بعد فتحها والسيطرة عليها.(٣)

سابعا: هدف تجارى، فالإسكندر كان قد حطم ميناء صور وهو في اتجاهـه إلى مصر، ومن ثم أصبح في حاجة ماسة إلى تأسيس ميناء جديد يعـوض مكانة صور تجاريا، إضافة إلى علاقة مصر بعالم بحر إيجه والتي كـانت في تطور متزايد منذ عدة قرون سابقة على قدوم الإسكندر وهذا ما جعـل الفراعنة يتجهون إلى الدلتا لتأسيس عواصم جديـدة هنـاك فكـان علـى الإسكندر أنه يوثق هذه العلاقة ولتحقيق ذلك فقد أنشأ ميناءا كبـيرا يطـل على بحر إيجه.(٤)

لا يسعنا ـ من خلال عرض غايات وأهداف بناء هذه المستوطنات ـ الحديث عن الدور الذي قام به السلوقيون والبطالمة، لكن الذي نعنيـه مـن

(١) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٣) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٣.

(٤) نفس المرجع، ص ص ١٣ – ١٤.

خلال هذه المقدمة ــ أساسا ــ هو "المدينة" الهللينيستية على المستوى الحضارى، والدور الذى قامت به، مع الإشارة إلى مؤسساتها المختلفة، ومن هذا المنطلق سنحاول أولا معرفة خصائص المدينة الهللينستية الشرقية كتوطئه لمعرفة مخططات كل من أنطاكية والإسكندرية.

ج: خصائص المدن الهللينستية فى الشرق

إن أكبر أثر تركه دخول الإسكندر إلى بلاد المشرق، كان على مستوى " المدينة" الدولة" سواء تعلق الأمر بالمدينة الإغريقية نفسها أو المدينة الشرقية، بالرغم من الاختلاف البين بالنسبة لتخطيط المدينة.

فالتواجد الإسكندري، فتح آفاقا جديدة للإغريق، حتى في عصر توسعها في البحر المتوسط والبحر الأسود، وأيضا بالنسبة للمشرق فالإمكانيات الاقتصادية والتجارية فيها بأسواقها المتعددة، فتحت أمام السكان باختلافهم مجالات رحبة لم تعرفها ــ بهذا الشكل ــ من قبل وقد ظهرت أمام السكان قضايا جديدة واجتماعية ودينية وفكرية،[١] نشأت بفعل الاحتكاك والتواصل بين التجارب الشرقية القديمة والإغريقية الوافدة. وسوف نعرض لأهم مميزات هذه الجوانب من خلال المدن التي نسميها بـ "الهللينستية"[٢] في أواخر القرن السادس ق.م.

ولد هيبوداموس في مدينة ميليتوس في أيونيا (غرب آسيا الصغرى) وهي إحدى المدن الأولي التي أسسها الأغريقيون، الذين فروا بفعل الغزو الدوري لبلادهم، ويعود إنشاء ميليتوس [٣] إلي القرن العاشر ق.م، وتعتبر

---

(١) زيادة، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) E. Frezouls, Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, vol. XXI, Tome 1-2, 1971, p. 231.

(٣) لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحى الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٥٢ (١١).

المدينة الأولى التي خططها هيبوداموس بعد هزيمة الفــرس (٤٧٩ ق.م) إذ تهدمت في كثير في أجزائها، فاعتمد المهندس الخطة التعامدية الدقيقة، فــي قسميها وترك بين البلوكات السكنية مكانا واسعا للأبنيــة العامــة المدنيــة والتجارية والدينية، وقد عني بأن تكـــون هــذه كلــها يســيرة الاتصــال بالميناءين، والسور المحيط بالمدينة لم يكن متصلا عضويا بمخطط المدينــة العام، إضافة إلي الأكروبوليس للدفاع عن المدينة.(1) هنــاك مــدن عمــل هيبوداموس على تخطيطها مثــل بيريــه مينــاء أثينــا (٤٧٥-٤٥٠ ق.م) وتوري في جنوب إيطاليا (٤٤٤-٤٤٣ ق.م) لكــن تعتــبر مدينتــا رودس وكنيدوس في أفضل النماذج علي هندسة هيبودلموس.

والمدينة الهللينستية ــ الشرقية، يعتمــد مخططــها الأساســي علــي المستطيلات المتناسقة، التي تحدها الشوارع المتعامدة، وخير مثال علـــي ذلك مدينة دورا ــ أوروبوس (الصالحية) الواقعة علي الفـــرات، أنشــأت حوالي ٣٠٠ ق.م وخربت سنة ٢٥٦ ق.م لكن مخططها الأصلــي عبــارة عن شبكة ذات تسعة شوارع طوليا واثني عشر شارعا عرضيا، توجد بينها ما بين ستين إلي سبعين قطعة أرض في شكل مســتطيل جــاهزة للبنــاء، مساحة كل منها (٧٠×٣٥م)، وعرض كل شارع، خمسة أمتــار ونصــف المتر، باستثناء شارعين أو ثلاثة، وتقع الأجورا والأبنية الملحقة بها علــي مساحة ثماني قطع (الشكل ١٧)، بينما يشرف الاكروبوليس علي الفـــرات، وكانت أسوار المدينة تتبع خطوط الارتفاع للأرض القائمة عليها.(2)

وثمة مدن أخري عديدة، عاشت التجربة الهللينستية، سواء في الشام أو الرافدين أو في مصر... ورغم أننا سوف نقصر الحديـــث علـــي مدينتـــي

(١) زيادة، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) ممفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

للاحتلال الروماني، علي يد القائد بومسييوس عام (٦٤ ق.م)، الذي حطـم قلعتها، ثم ما لبثت أن استعادت ازدهارها، واستمرت حتى الفترة البيزنطية، لتعيش بعد ذلك تدهورا ملحوظا، بسبب ابتعاد طرق التجارة الدولية عنـها. وكانت النهاية في احتلال الفرس لها عام (٥٤٠م).

مخـطط المـدينة

ترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوي وادي الغاب، ويحيط بـها سور طوله ٦,٤ كم (شكل ٦)، وهناك سبع بوابات ضخمة للدخـول إلـي المدينة والخروج منها. أما داخل المدينة، فمخططها عبارة عن مستطيلات ناتجة عن تقاطع ستة عشر شارعا تتجه من الشمال إلي الجنوب مع سـتة عشر شارعا تتجه من الشرق إلي الغرب.

يمتد الشارع المستقيم الرئيسي مسافة (١٧٧٤م) وعرضه ٣٧ مترا بما فـي ذلك الأورقة التى كانت تحف بجانبيه.

يقطع هذا الشارع الرئيسي شارعان يصل كل منهما بين بـابين مـن أبواب المدينة. وكان الجنوبي منهما بطول ١١٥٠م وتلتصق بأعمدة أروقتـه الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء. وكان متوسط العرض للشـوارع الثانويـة يبلغ حوالي ستة أمتار. بالقرب من الشارع الرئيسي (ديكومـانوس) وفـي مركز المدينة، توجد الأجورا، وبجوارها توجد الحمامات، التي كانت فـي الوقت نفسه مجالس للخاصَة والعامة من الناس.[١] أمـا المسـرح، فكـان خارج أسوار المدينة، حيث كان لانحدار الأرض نحو وادي الغـاب مـيزة خاصة في تأمين الميل اللازم للمسرح المدرج (يبلغ عرض خشبة المسـرح وكواليسه ١٤٥م). [٢]

(١) Frezouls. op.cit., p. 241, Fig. 6

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٩.

دورا ــ اوروبوس (Dura-Europos)

تعود أهمية دورا ــ اوروبوس (الصالحية)، إلي موقعـــها الجغرافـــي المتميز، حيث تقع علي حافة البادية المنحدرة نحو وادي الفـــرات، وكـــانت تتحكم بالتجارة النهرية علي الفرات، وقد أقام سلوقس الأول قلعـــة مهيبـــة، قام نيكاتور ــ وهو أحد قواده ــ ببناء حصن في هذا المكان، أطلـــق عليـــه اسم اوروبوس (شكل٧).

فإذن كان موقعها الجغرافي والإستراتيجي سببا فـــي أســـباب ازدهارهـــا، فأيضا كان أحد أسباب تعرضها للهجمات الأجنبية،انطلاقا مـــن الإغريـــق أنفسهم، ثم البارثيين، والرومان، والساسانيين، والتدمريين.

مخـــطط المـــدينة

أقيم للمدينة سور طويل ذي أبراج، وهـــو الســـور الغربـــي لصـــد المهاجمين القادمين من بادية الشام[1] (شكل٨) ويخترق منتصـــف ذلـــك السور باب ضخم وهو المدخل الوحيد إلي المدينة من هذا الجـــانب، وقـــد عرف هذا الباب بباب تدمر.

يبدأ الشارع الرئيسي (شكل٨) من باب تدمر بعرض ١٤,٣م. ويمـــر بأسواق ظليلة[2] وينتهي عند حافة وادي الفرات، ويتقاطع معـــه شـــارعان رئيسيان لتشكل هذه الشوارع المتقاطعة مخططا شـــبكيا،[3] موزعـــا بيـــن مستطيلات، وتقع الساحة العامة أو الأجورا في وسط المدينـــة (شـــكل٩)، بحيث لا يختلف مخططها عن باقي المدن الهللينستية الأخرى.[4] إلي جانب

---

(١) نفس المرجع، ص ٧٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٣.

(٣) A. Barghouti, City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman times, Diss , Chigago, 1974, p. 411, Fig 102

(٤) Ibidem, p. 413, Fig. 164.

معالم أخري كالمسرح والحمامات وغيرها. إلي جانب الأكروبول، وهو عبارة عن كتلة صخرية محاذية لشاطئ الفرات يطل علي المدينة، بسور طويل تخترقه ثلاثة أبواب معززة بأبراج.[1]

بصرى (Bosra)

تقع بصري في سهل خصيب هو امتداد للمنحدرات الجنوبية الغربية لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحر، وقد تردد اسمها في النصوص المسمارية التي تعود إلي الألف الثاني ق.م، ثم اختفت، لتظهر من جديد بعد فتح الإسكندر المقدوني لبلاد الشام. ثم مع السلوقيين، حيث وصلت هذه المدينة إلي حالة ضعيفة، في أواخر الألف الأول ق.م. واستطاعت بصري أن تعود إلي ازدهارها خلال حكم الأنباط، وظلت ذات مكانة إستراتيجية في المنطقة التابعة للعرب الأنباط إلي أن قضى عليها الإمبراطور ترلجان في عام (١٠٦م)، فأصبحت منذئذ تحمل اسم (بصرى نوفاتراجانا).[2]

وتكتسب بصري الشام أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها علي طريق التجارة العالمية. فكانت محطة تجارية هامة بين الشمال والجنوب ــ بين دمشق والبحر الأحمر ــ وبين الشرق والغرب ــ بين الخليج العربي وسواحل جنوبي بلاد الشام، إضافة إلي امتلاك المدينة كميات وفيرة من المياه بفضل ثلوج جبل العرب.

---

(١) ممفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٩.

مخــطط المــدينة

يأخذ سور المدينة شكلا مستطيلا، ويبلغ سمكه حوالي أربعــة أمتــار، وتعززه دعامات شبيهة بالأبراج، وهناك أربعة أبواب رئيسية تخترق كــل ضلع في أضلاع المستطيل، ويعتبر الباب الغربي في حالة سليمة، ويعـــود تاريخ إنشاءه إلي القرن الثاني الميلادي، وهو يقودنا إلي الشارع الرئيســـي (شكل ١٠) الذي يخترق المدينة باستقامة من الغرب إلي الشرق.

وعند نقطة تقاطع شوارع هامة مع هذا الشارع الرئيسي تقوم أربعة أعمــدة كورنثية هي ما تبقي من معبد آلهة المياه في هذا المكان وينتــهي الشــارع الطولي المستقيم، الذي كانت تحف به الأروقة في الجانبين، فـــي أقصــي الشرق بقوس جميل مؤلف من ثــلاث فتحــات. وهنــاك الســوق العامــة (الأجورا)، وبقايا أطلال القصر الذي كان يقيم فيه حاكم المدينة.(١)

فيليبوبوليس: (شهبا Philippopolis)

تقع شهبا علي أطراف جبل العرب، وترتفع حوالي ١٠٥٠م عن سطح البحر، وهي علي الجانب الشرقي من طريق دمشق ـــ السويداء.

مخــطط المــدينة

يأخذ سور المدينة شكلا مربعا غير منتظم، وهناك باب يخـــترق كــل ضلع في أضلاع السور الأربعة (شكل ١١)، لكن هناك باب ثانوي في كــل من الضلع الجنوبي. ويعتبر الباب الرئيسي في الجنوب في حالـــة ســليمة. كانت الأروقة الظليلة تحف بجانبيي الشارع الرئيسي الذي يتجه باســـتقامة من الباب الجنوبي إلي الباب الشمالي، وما تــزال بقايــا البــلاط البحــري واضحة للعيان حتى يومنا هذا. وعلي مسافة قريبة تطـــل علــي الشــارع

(١) بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، لوحة ٥.

الرئيسي بقايا الحمامات الكبرى في المدينة (شـكل١١). ويوجـد بجـانب المعبد (الذي يعود بناؤه إلي عصر فيليب العربـي) مسـرح صغـير، لا يتجاوز قطر المسرح الأربعين مترا. ويتراوح عدد صفوف المقـاعد بيـن خمسة عشر إلى عشرين صفا. لكن هذا المسرح، يعود تأسيسه إلي الفـترة الرومانية في المدينة.(١)

دمشـق (Damascus)

ذكر اسم دمشق في النصوص المسمارية القديمة المسطرة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت دمشق(٢) في مطلـع الألـف الأول قبـل الميلاد عاصمة. لمملكة آرامية، لكن كيف كانت إبان التواجـد الإغريقـي والهلينستي؟

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٠.

مخطط المدينة

يحيط بالمدينة سور طويل (شكل١٢) ويخترق مخطط المدينة شارع رئيسي طولي من الشرق إلى الغرب،(١) وكانت هناك أروقة تكتنف جانبي هذا الشارع، ينتهي هذا الأخير في الشرق ليصب في الباب الشرقي، وقد احتفظ هذا الباب بمعظم أجزائه، ويتألف من ثلاث فتحات تعلوها الأقواس. وقد احتفظت دمشق ــ في مخططها ــ بالمعالم الحضارية الموجودة في كل المخططات الهللينستية الأخرى (شكل ١٣) مثل الأجورا.(٢)

اللاذقية (LAODICEA)

أسست هذه المدينة، في قبل سلوقس الأول في أواخر القرن الرابع ق.م وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى والدته، وقد أعيد تجديدها في ظل الحكم الروماني في منطقة بلاد الشام.

مخطط المدينة

لا يختلف مخطط اللاذقية عن مخطط مدينة أخرى،(٣) فيكاد يشبه مخطط مدينة دورا ــ أوروبوس، بحيث نجد الشارع الطولي (Decumanus) يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، والآخر (Cardo) يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويتقاطع هذان الشارعان بزوايا قائمة (شكل١٤) ويحيط بالمدينة سور محصن يحتوي على عدة أبراج إلى جانب القلعة (Citadelle) التي تشرف على المدينة، وقد أستنتج Sauvaget(٤) بعد دراسته لمخطط اللاذقية أن الشارع الذي دعاه بالشارع (ب) كانت له

---

(١) Barghouti, op.cit., p. 418 Fig. 109.

(٢) Ibidem, p. 427, Fig. 108.

(٣) Frezouls, op.cit., p 238, Fig. 2.

(٤) J. Sauvaget De plan de LAODICÉ sur mer. p. 64.

أروقة جانبية استقر فيها سوق دائم، إلى جانب هذا، تجد مسرح المدينة، الذي جدد فيما بعد، ويعتبر ميناء اللاذقية من الأماكن التي لعبت دورا هاما في التجارة الإقليمية والدولية، ولعل منطقة الميناء أكسبت أهمية تجارية قوية بالنسبة للاذقية، إلى درجة أنها وصلت إلى أن تكون عاصمة للأقاليم السورية بدلا من أنطاكية.

تدمر (PALMYRA)

تتوسط تدمر[1] الطريق الواصل بين الفرات - الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية - وسواحل بلاد الشام التي تكثر على شواطئها الموانى والبلدان ازدهرت المدينة في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام، إلى حدود سنة ٦٣ ق.م، حيث أصبحت ولاية من الولايات الرومانية، إلا أن ما يميز تدمر عن باقي المدن الأخرى، هو احتفاظها بشخصيتها واستقلالها سواء إزاء الفرس أو إزاء الرومان أنفسهم، لكن ما أن بدأت السنين الأولى بعد الميلاد حتى تمكن الرومان من السيطرة الكاملة على هذه المدينة. وتعتبر تدمر نموذجا فريدا في تخطيط المدن الهللينستية في الشرق.[2]

مخطط المدينة

يحتوي مخطط تدمر على شارعين متعامدين: شارع رئيسي يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة ١١٣٥م،[3] يتقاطع مع شارع أخر يجتاز المدينة من الشمال إلى الجنوب مسافة ٣٧٥م (شكل ١٥). ويحيط بالمدينة سور

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) Frezouls, op.cit., p. 240, Fig. 5.

(٣) بشير زهدي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، دمشق، ص ٥٣.

عرف بـ (سور زنوبيا)[١] يشبه الشكل المستدير في جهته الشمالية، ويبلغ محيطه أثنى عشر كيلو مترا. وكان لهذا السور أبراج مربعة الشكل تدعمه أبراج مستديرة، وكان يفصل بين برجين بمسافة ٣٧ مترا تقريبا.

والأجورا في تدمر، عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها ٨٤ م، وعرضها ٧١ مترا.[٢] وتقع قرب المسرح، جنوب الشارع المعمد المتجه من الشمال إلى الجنوب. وفى الساحة العامة أعمدة تشير إلى وجود أروقة، وكان يزين المساحة ـ غالبا ـ تماثيل لمن خلدتهم المدينة مقابل خدماتهم لها. ويعتقد وجود نحو مأتي تمثال للأعيان في هذه الساحة.[٣]

ويوجد المسرح في الجهة الجنوبية من الشارع الرئيسي بين الساحة العامة والقوس، ويحيط بالمسرح رواق نصف دائري يطابق شكل المسرح ويعتبر معبد (بعل) من معالم تدمر الحضارية الهامة، وهو عبارة عن شكل مربع، طوله ٢٣٥ م[٤] (شكل ١٦) ذو بناء مرتفع، أعمدة ضخمة، وله مساحة ذات أروقة مزينة تعلوها تيجان من الطراز الكورنثي. ومن ضمن المؤسسات العامة التي لم يهملها مهندسو تنظيم المدينة عند تخطيطهم، مدينة تدمر نجد مجلس أعيان له شكل اعوجاج المسرح،[٥] ويجاور السلحة العامة. كما روعي في تخطيط المدينة الشروط اللازمة لحياة سكان هذه المدينة وازدهارها، من خلال تزويد المدينة بالمياه، وذلك ببناء قنوات لتمديد السكان بالمياه، بقي أن نشير أيضا إلى المدافن التي تقع خارج

---

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) Stancky. palmyre, Guide archiologique, without Date.

(٣) الحوليات الأثرية السورية – المرجع السابق، ص ٦٠

(٤) نفس المرجع، ص ٦٠

(٥) نفس المرجع، ص ص ٦١ - ٦٢

المدينة، وتتكون من غرفة تحت الأرض، وكانت هذه المقابر تأخذ شكل أبراج.[١]

مدينة انطاكية (ANTIOCHIA)

أ- انطاكية في الفترة السلوقية

كانت انطاكية، عاصمة المملكة السلوقية، وكانت إحدى أهم المدن الأربعة في المملكة السوقية، وانطاكية، ذات شهرة كبيرة في العصر الهللينستي في آسيا الغربية وبالتالي فهي نموذج للمدن الهللينستية في بلاد الشرق.

دخلت أنطاكية ــ تاريخيا ــ في حضن السيطرة السلوقية، إثر الانتصار الذي حققه سلوقس على حساب انتيجونوس، في موقعة أبسوس في أغسطس في عام ٣٠١ ق.م وقد رويت عدة روايات عن تأسيس أنطاكية لكنها ذات بعد أسطوري لكن ما يستنتج منها هو أن اسم المدينة أقترن بأنطيوخوس، ابن سلوقس. وقد تولي المهندس المعماري زيناريوس إقامة الأسوار وتخطيط الشوارع.[٢] وكانت أنطاكية، تتألف من حيين منفصلين أحدهما للنزلاء الأوروبيين والآخر للأهالي السوريين.

ويعتقد داوني[٣] أن لكل حي من هذين الحيين سوره الخاص وبالتالي فإن الحي الخاص بالأوربيين، كان يشغل حوالي (٢٣٠ فدانا) تقريبا، على حين أن الحي المخصص للأهالي المواطنين، كان أصغر من ذلك في المساحة، إذ كان يبلغ نحو (١٨٥ فدانا).

(١) نفس المرجع، ص ص ٦١ – ٦٢.

(٢) داوني، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩.

ويري سوفاجيت (Sauvaget) أن أسوار المدينة قد بنيت وفق تصميم مستقيم الأضلاع.[١] ومن خلال مخطط المدينة، يتضح أنها بنيت وفقا للتخطيط الشبكي الذي يرتبط باسم هيبوداموس في ميليتوس. وكما أسلفنا في الجزء السابق ــ عند حديثنا عن المدن الهللينستية ــ الشرقية ــ فإن نظام توزيع الشوارع في هذه المدن، لا يختلف عن تخطيط أنطاكية، وخاصة مدن، مثل (أفاميا، دورا، أوروبوس، دمشق، اللاذقية) فنكاد نجد تشابها ملحوظا بين مخطط اللاذقية ومخطط أنطاكية وأيضا بالنسبة لمخطط الإسكندرية كأن مصمم هذه النماذج واحد.[٢]

ب- مخطط انطاكية

تبلغ أبعاد وحدات المباني في أنطاكية (٣٦٧ × ١٩٠) قدما ويبدو أن المدن الأربعة التي أسسها سلوقس شمال غرب سورية، يمكن اعتبارها نموذجا لمدن هللينستية في آسيا في عهد الإسكندر وخلفائه.[٣]

وقد كان سكان أنطاكية ذوي انتماءات عرقية مختلفة، فإلى جانب السكان السوريين الأصليين، الذين يقطنون في حيهم الخاص، كما أعتقد بذلك داوني هناك المقدونيون من جنود سلوقس المتقاعدين، إضافة إلى وجود عنصر بشري هام من عناصر المدينة كان يتألف من أبناء أثينا الذين قدموا من أنتيجونية وأعيد توطينهم في المدينة الجديدة،[٤] وكان يوجد أيضا عدد من اليهود ربما كانوا من "الجنود المرتزقة" الذين تقاعدوا بعد العمل العسكري في جيش سلوقس.

---

(١) J Sauvaget, "ALES" 1941, Paris, p. 43. "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949, pp. 339 – 345, 365.

(٢) قارن بين الشكلين (١٤) و (١٩).

(٣) Barghouti, op.cit., p 128.

(٤) داوني، المرجع السابق، ص ٥٤.

ولهذا فأنطاكية، مدينة متعددة الثقافات، وذات نمط جرت عليه سياسة السلوقيين، وذلك بتوطين المقدونيين والإغريق في أماكن ذات بعد استراتيجي حتى يضمن سلامة نظام حكمهم، مما ولد الاهتمام بالثقافة والشخصية المحلية بالنسبة للسكان السوريين وقد تبنى المهندس الذي نظم مدينة انطاكية المخطط المنتظم الذي ساد في العصر الهللينستي، باعتباره مخططا يختزل تجارب عدة (اتروريه، أغريقية، شرقية).

ومن خلال المخطط (شكل ١٧، ١٨، ١٩) يتضح الشارع الرئيسي الذي يمتد من الشرق إلى الغرب بمحاذاة مجرى نهر العاصي بطول ستة كيلو مترات ونصف(١)، وكان هذا الشارع مرصوفا بالأحجار الجرانيتية المصرية. ويتقاطع هذا الشارع في وسطه مع شارع آخر يمتد من الشمال إلى الجنوب حتى يصل إلى ضفة النهر إضافة إلى شوارع جانبية. وقد لاحظ لافدان(٢) Lavedan أن "الجزيرة" التي يحيط بها نهر العاصي، والتي كانت تشكل حيا من أحياء أنطاكية لها شكل شبه مستدير وتقسم إلى أربعة أقسام متساوية بواسطة شارعين متعامدين. ولاحظ أيضا أن الشوارع تؤدي إلى خارج المدينة، مثل المخطط السلوقي المعروف في مدن سلوقية أخرى(٣) وقد روعي أثناء تخطيط المدينة وضع الشمس وشروقها، بحيث تم توجيه زوايا مخطط المدينة نحو الشمس.(٤)

---

(١) بشير زهدي، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.

(٢) T Laveden, Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956, p. 52. Pl. 5.

(٣) Barghouti, op.cit., p 130.

(٤) بشير زهدي، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.

١- تحصين المدينة

من الأشياء التي تثير الاهتمام الأول من قبل مهندسي تنظيم المدن، هي تحصين هذه المدن. فنظرة إلى سور أنطاكية، يعطينا تصورا واضحا لضخامة هذا المشروع، وأهميته في عملية التخطيط. ويرى Vita Pinto[١] أن سور انطاكية المسمي بسور (تيبريوس) هو السور ذاته الذي بناه ملك سوريا (أنطيوخوس ايبفانيس: ١٧٥ - ١٦٤ ق.م) إلا أنه يحتمل أن يكون قد اتسع في جهة الجنوب من جهة سيليبيوس (جبل أنطاكية) وذلك لحماية المدينة جيدا في هذه الجهة.[٢] وسور المدينة مقوي ومدعم بأعمدة بين كل عمود وآخر مساحة قصيرة، وفي كل زاوية من زواياه، توجد قلعة أو برج للمراقبة وكان للحي الرابع الذي يحيط به نهر العاصي سور خاص به أيضا (أنظر مخطط أنطاكية).

٢- الوحدات السكنية (Blocks)

شهدت المدن السورية توسعا تمثل في ازدياد عدد أحيائها ووحداتها السكنية وخاصة في العصر الهللينستي، وتصل أبعاد الوحدات السكنية في أنطاكية نحو (٥٨ × ١١٢ م)[٣] وهذه الوحدات مستطيلة الشكل تتخللها شوارع طويلة، وكل شارع كبير، تتفرع عنه شوارع صغيرة (جانبيه) ومتقاطعة معه، وهذه الطريقة في التخطيط كانت مقترحة خلال المرحلة السلوقية وكل هذه الوحدات السكنية أو غيرها، متساوية مسافة، فالمساحة

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٥٥.

(٣) Barghouti, op cit , pp. 129 – 131

بين كل بلوك وآخر متساوية مع باقي المسافات بين الوحدات الأخـــرى .. وهكذا.[١]

٣- الأجـــورا

بنيت الأجورا (Agora) بعيدة عن الشارع الرئيسي (شكل ١٩)، وفـي المركز التجاري، ضمن الحي الذي أسسه سلوقس الأول، على مقربة مـــن النهر. لكن في عهد أنطيوخوس أضاف هذا الأخير حيا جديدا، نظرا لزيـادة عدد السكان، أطلق عليه اسم "ابيفانيا" (Epiphania) (شكل ١٩)، وكـــان هذا التوسع على متحدر جبل سيلبيوس بجوار مركز الاســتقرار الأصلـي الذي أنشأه سلوقس على الأرض المستوية بالقرب من النهر.[٢] وقد أضـاف أنطيوخوس سوقا أخري بحيث أصبحت أنطاكية تملك مركزين للأجـــورا، كما هو الشأن بالنسبة لميلتيوس[٣] وبرجامون[٤] وبيريه[٥] ولعل هذا ما كـان قد طرحه أرسطو من ضرورة وجود أجورتين لكل مدينـــة فـي موقعيـن مختلفين تكون إحداهما "أجورا حرة" يحتفظ بها خالية مـــن جميـع السـلع التجارية، وتخصص لألوان النشاط السياسي والتربوي - التعليمي، وتكـون الأخرى "أجورا للتجارة" وتخصص للاحتياجات التجارية، فيحدد مكانها فـي أكثر المواقع ملائمة لهذا الغرض.[٦]

(١) Ibidem

(٢) داوني، انطاكية القديمة، ص ٧٩.

(٣) ممفورد، المرجع السابق، ١٥٢ (١١).

(٤) Frezouls, op.cit, p 243, Fig. 10

(٥) Ibidem, p. 243, Fig. 11.

(٦) دوانى، المرجع السابق، ص ص ٧٩ - ٨٠.

٤- المســـرح

عرفت منطقة الشرق القديم المسارح في العصر الهللينستي، لكن سنجد هذه المسارح ذات صبغة حضارية هامة، خلال العصر الرومـــاني الــذي يعتبر عصر ازدهار المسارح في الشرق ففي كل مدينة ســـورية مســرح تختلف مساحته بحسب أهميته، واســـتنتج فريـــزول (Frezouls)[1] فـــي دراسته أن جميع المسارح السورية الباقية هي مسارح تعود إلـــى العصـــر الروماني، لكننا نود أن نتساءل أين هي المسارح الهللينستية؟ وهل أنطاكيـــة عرفت مسرحا بالفعل؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن ما وصلت إليـــه هــذه المدينة من ازدهار، قد يفيد هذا الاعتقاد، وربما أن المسرح الروماني حــل محل المسرح الهللينستي؟

فمن خلال نتائج الحفريات التي أقيمت في أنطاكية، نخلص أن مسرح هـــذه المدينة بني في عهد يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق.م) ولكن بناءه أعيد في عهد تراجان (٩٨ - ١١٧ م). ولم تشر هذه الدراسات عن مسرح يعود إلى العصر الهللينستي.

٥- المعـــابد والحيـــاة الدينيـــة

عند دخول الإسكندر إلى الشرق، أدخل معه اعتقادات إغريقيـــة، فـــي الوقت الذي ظل فيه السكان المحليون محافظين على اعتقاداتهم، إلى جـــانب الحرية الدينية، التي تبناها الإسكندر وخلفاؤه. فأصبحت الاعتقادات الشـــرقية تؤثر على المقدونيين والإغريق. اســـتطاع انطيوخـــوس الرابـــع إبيفانـــس (١٧٥ -١٦٣ ق.م). أن يقوي مركز الديانة الهللينســـتية وعبـــادة الحـــاكم والقضاء على النزعات الانفصالية التي كانت تشجع عليها ديانة اليهود مـــن

---

(١) Frezouls, E, lea Annales Atchologiques de Syrie, II, 1952, p 49.

رعاياه. وانطلاقا من هذه السياسة ــ كما يعتقد داوني[١] ــ قام أنطيوخـوس الرابع بمصادرة أملاك المعبد التي كان من المحتمل اســـتخدامها لتمويـل حركة المعارضة أو الثورة. ومــن خــلال اســتراتيجية السياســة، أبــدي أنطيوخوس اهتماما كبيرا بعبادة الحاكم، مقارنة بالملوك السلوقيين الســابقين لعصره، وقد قام بنشر عبادة كبيرة الآلهة زيوس، رب الأربـــاب، زيــوس الأولمبي، وهو الذي كان يتشبه به،[٢] وقد تم العثور على عملة فــي عــهد أنطيوخوس تحمل صورة زيوس.[٣] وقد أقام انطيوخوس في ساحة الأجورا الجديدة (بوليوتريون) أو دارا لمجلس الشورى وهو يشبه إلى حــد كبــير، بالبوليوتريون الموجود في مدينة ميلتيوس، ولسنا ندري، هل هذه صـــورة من تلك التي أقيمت في أنطاكية، أم العكس؟ وقد وجدت عبارتان منقوشـتان على إحدى الجدران لقناة مقامة على إحــدى القنــاطر، وتــدل علــى أن "المهندس المعماري الروماني المعروف كوستيوس هو الــذي أسـند أليــه أنطيوخوس أمر إنشاء معبد زيوس الأوليمبي في أثينا" ويعتقــد داونــي[٤] أيضا أن هذا المهندس هو الذي قام كذلك بوضع تصميم معبد أنطيوخـــوس لجوبتير كابيتولينوس في أنطاكية. ويلاحظ أن السلوقيين جريا على العــادة التي استنها الإسكندر الأكبر، أنشأوا لأسرتهم عبادة رسمية فقام انطيوخـوس الأول برفع سلوقس الفاتح إلى مرتبة الآلهة بعد وفاته وقد سار علــى هــذا النهج كل من انطيوخوس الثاني، وأعاد تنظيمه انطيوخوس الثـــالث. ولــم يكن هذا دليلا على تعبير ديني خالص، بقدر ما كــان إعطــاءا للســلوقيين

---

(١) داوني، المرجع السابق ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع، ص ٩٦.

(٤) نفس المرجع، ص ٧٩.

مشروعية حكمهم السياسي، وبالتالي ــ الولاء لهم. لكن مع دخول الرومان إلى أنطاكية. فقد أخذت المسألة الدينية مجرى أخر. ووصلت العلاقات الشرقية ــ الغربية ذروتها عقائديا.

٦- الحمامات

كان بناء الحمامات الإغريقية في سورية والشرق عامة يدخل ضمن التخطيط الأولي لإنشاء أو تحديد مدينة ما. ولم تكن الغاية من بناء هذه "المؤسسة" هي التنظيف أو التدليك أو ما شابه ذلك. بل كانت تحمل أكثر من معني (التربية - التعليم - الجدال السياسي ...) ولم يصلنا عن حمامات هللينستية أي شئ سوى تلك التي أسسها الرومان. ويذكر داوني[١] فضل يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق.م) في تحسين وتجديد حمامات أنطاكية التي قد قام بتوسيع بعضها كل من الإمبراطور كاليجولا (٣٧ - ٤١ م) والإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م).

٧- ملاعب سباق الخيل (السيرك)

لم ينس مهندس تنظيم المدن ملاعب سباق الخيل التي أخذت أهمية خاصة في كل من المدن القديمة (أنطاكية والسويداء) وفى المدن الحديثة (فيليبوبوليس وبصري). وتقع هذه الملاعب غالبا خارج المدينة وتتألف من أرض واسعة، مستطيلة الشكل ولكن من سوء الحظ لم يبق في سورية أي ملعب قديم. ومع ذلك فقد تبين من خلال الحفريات الأثرية في أنطاكية أن أحدث الملاعب فيها يبلغ طوله (٥٠٢ م) وعرضه (٧١ - ٧٢ م)، ويحيط بطولي الملعب مقاعد للمشاهدين.[٢] ويقع السيرك (Circus) شمال المدينة

---

(١) G Downey, The water supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in· AAAS, II, 1952, p. 281.

(٢) Lassus, les Foules d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933, p. 26

(شكل ١٩) إلى جانب القصر، في شبه جزيرة صغيرة، حيث يحيط به نهر العاصي.

٨- القصور

تحدثنا الروايات الإغريقية وغيرها، أن المقدونيين والسلوقيين قد بنوا عددا من القصور في كثير من المدن السورية. وبالنسبة لأنطاكية، لم تكشف الحفائر الأثرية بعد، ما إذا كانت هناك قصور تعود إلى الفترة الهللينستية وما وصلت إليه أنطاكية من ازدهار حضاري، يدل دلالة واضحة على وجود قصور ذات مستوى رفيع.

٩- بوابات المدينة

لقد روعي في تخطيط المدينة الهللينستية في الشرق وجود بوابات للدخول إلى المدينة وللخروج منها، رغم أن ذلك كان معروفا في المدن الشرقية قبل فتوحات الإسكندر. وكانت هذه البوابات توجد في أطراف الشوارع الرئيسية وكان لها وظيفتان: وظيفة دفاعية، لهذا كان يعني بتقويتها عناية كبرى، ووظيفة تجميلية.(١) وأنطاكية لا تخرج على هذا النمط، فهناك عدة بوابات (شكل ١٨): بوابة شرقية (Eastern Gate) التي يتم الولوج عبرها إلى الشارع الرئيسي الطولي لنصل إلى البوابة الوسطى (Middle gate) ثم تستمر الطريق إلى البوابة المسماة (الشاروبيم) (Cherubim gate) في اتجاه منطقة (دفنه) حيث نجد آخر بوابة وهي بوابة (دفنه) التي تؤدي إلى اللاذقية في الجهة الشمالية، وعلى ضفاف نهر العاصي نجد بوابة ذات أربع ممرات، حيث يتم الدخول إلى القصر ومن ثم

---

(١) بشير زهدي، مجلة الحوليات السورية ١٩٥٦، ص ٦٥.

عبر جسر إلى شارع رئيسي عرضي حيث يتقاطع هذا الأخير مع الشارع الطولي الرئيسي.

١٠- الجسور

كان من أهداف مخططي مدينة أنطاكية هو تسهيل حركة المرور مما جعلهم يشيدون جسورا أو قناطر، حتى تساعدهم في تحقيق ما يهدفون إليه وكان في المدينة خمسة جسور (شكل ١٨) تصل المدينة القديمة بالحي الجديد الذي يحيط به نهر العاصي.

١١- تزويد المدينة بالمياه

أعار مهندسو المدينة اهتماما خالصا لأمر تزويدها بالمياه. إذ لا شك أن الماء حاجة ضرورية لا بد منها لاستكمال الشروط اللازمة لحياة المدينة وازدهارها وازدياد سكانها. فكانت المياه تصل إلى أنطاكية، عبر قنوات من (دفنه) ولا أدل على اهتمام الملوك الذين تعاقبوا على الحكم في أنطاكية بتزويد المدينة بالمياه من وصف داوني[1] للأعياد والمناسبات التي يحضرها القادة أنفسهم بمناسبة وصول المياه إلى المدينة. إضافة إلى هذا فأنطاكية تحفل بميزات طبيعية تجعلها قادرة علي تزويد الأرض وسكانها بالمياه.

١٢- النيمفايوم (Nymphaeum)

كان لمأخذ الماء (النيمفايوم) شكلا بنائيا له وظيفتان: الأولي هي سد حاجة الناس من المياه. والثانية: استعماله كعنصر جمالي.[2] وكانت النيمفايوم في أنطاكية، تحتل موقعا هاما، أي وسط الشوارع تقريبا

(١) ج. داوني، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ا، ١٩٥١، ص ٢٨٢

(٢) بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، ص ٦٦.

(الشكل ١٩) ويقع بالتحديد عند بدء الشارع الرئيسي الذي يمتد من الجنـوب إلى الشمال وقد خلد الروائي (ليبانيوس) في خطبه عن أنطاكيـــة بغـــزارة مياهها.

يتضح من خلال مخطط مدينة أنطاكية، أنها لا تختلف بشكل كبير عـن المدن الهللينستية ــ الشرقية لكنها وصلت إلى نهضة عمرانية وتنظيميـــة. وأن اهتمام مخططي هذه المدينة قد انصب على كـــل الجوانـــب المتعلقـــة بالدفاع عن المدينة حيث بنوا الأسوار والقلاع الحصينة كما اهتموا براحـــة السكان فقاموا بتسهيل المرور بشق الشوارع الرئيســـية والثانويـــة وبنـــاء الجسور والقناطر ومن أجل ثقافتهم شيد المسرح والملاعب ... ولأمورهـــم ومشاكلهم وحاجياتهم فأسسوا الأجورا والساحات العامة ومجلـس الأعيـان وأيضا اهتموا بالجانب العقائدي، فبنوا المعابد .. مع احترام العقائد الأخـرى .. كما أبدوا تقديرا كبيرا لمداخل المدينـــة، فأنشـئوا البوابـات والأبـراج وغيرها. وهكذا نرى أن تخطيط المدن الشرقية في العصر الهللينستي، بـات يفوق حتى تخطيط المدن الإغريقية نفسها، وهذا ما سوف نلاحظـــه عنـد حديثنا عن مدينة الإسكندرية. إن هذا العمل، لم يســـاهم فيـه المقدونيـون والسلوقيون فقط وإنما أيضا السكان المحليون بثقافتهم المتراكمة عبر أجيـال .. عرفوا أولي بوادر المدنية في العالم القديم.

ولولا ما تحفل به هذه المدن الشرقية من تكوين جغرافي وطبيعي وتراكـــم تراثي لما وصل المقدونيون والسلوقيون والرومان من جعل هذه المدن آيـــه من الإبداع الحضاري، لازالت آثاره بينة إلى يومنا هذا.

مدينة الإسكنـــدرية

إن الموقع الجغرافي ــ الإستراتيجي الهام الذي تحتله مصـــر جعلـــها عرضة للأطماع، وإذا كانت هذه الأطماع تمكنت من امتلاك مصر سياســيا وعسكريا واقتصاديا، فإنها لـــم تســتطع ذلــك علـــي المســتوي الثقـــافي والحضاري بشكل عام، ذلك أن هذه الأطماع الأجنبية، كانت تجـد أمامـــها إنسانا يحمل تراكما تراثيا معرفيا ودينيا غير قابل للاستلاب، إلا الإغريـــق الذين استطاعوا التأثير على هذا الإنسان المصري دون أن يفقد هذا الأخـير شخصيته وخصوصيته والتي تتضح في سلوكه العقائدي أو فـــي إبداعاتـــه الفنية والجمالية.

ودخول الإغريق إلي بلاد مصر ، كان إعلانا لمرحلة هامـــة فـــي تـــاريخ الإنسان المصري، تلك هي المرحلة الهللينستية التي تعكس التفاعل والتلاقح والتمازج بين حضارتين مختلفتين: حضارة مصريـــة عريقـــة وحضـــارة إغريقية متطورة.

من هذا المنطلق، سيكون حديثنا عن مدينة الإسكندرية، كمدينة شهدت هـــذا التلاقح الحضاري العظيم، وكنموذج جيد لاستقراء "اللحظة الهللينسنية" بكـل خصوصيتها الحضارية.

وسوف نركز هنا علي مخطط مدينة الإسكندرية، والتي قد لا تختلف عــــن النماذج السابقة الذكر في المدن الهللينســتية الشـــرقية إلا أن هـــذه المـــدن احتفظت بميزات لا نجدها حتى في المدن الإغريقية نفسها.

إن انتباه الإسكندر المقدوني إلي هذه المدينة، لم يكن اعتباطا أو محضا للصدفة، بل كانت هناك ظروف أخري ساهمت في ذلك، ولعل أهـــم هـــذه الظروف تلك التي تتعلق بالمدينة ذاتها، قبل دخول الإسكندر إليها فـــالموقع

الجغرافي والأصالة الفرعونية والتراكم الحضاري .. كلها جعلت من هـذه المدينة مكانا مهيئا لأن تكون عاصمة من أحسن العواصم في العالم وقتئذ.

١- الموقع والتأسيس

سبق وأن أشرنا إلي أهمية موقع مدينة الإسكندرية خاصـة، ومصـر عامة، باعتبارها نقطة التقاء تجاري عالمي. ومن ميزات هذا الموقع الـذي تحتله الإسكندرية وأهمها سهولة وصول مياه الشرب إليه، وقربة من بحيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهه في البحر، ولا تبعـد عـن الشاطئ بأكثر من ميل واحد وهي التي عرفت باسم جزيرة "فاروس" هـذا بالإضافة إلي جفاف المكان وارتفاعه عـن مسـتوي الدلتـا وبعـده عـن الرواسب التي يأتي بها فرع رشيد "[1] إضافة إلي هذا فموقع المدينة شـرق البحر المتوسط، جعلها تشرف علي طرق تجارية ملاحية هامة في منطقـة البحر المتوسط، وأيضا كونها نقطة التقاء وإشعاع حضاري بيـن عـالمين متباينين[2]،أحدهما ينتمي إلي العالم الشرقي بنظمه ومعتقدات هـو تراثـه، والآخر غربي مختلف (مقدونية وبلاد اليونان)، هذا الموقع المتميز، لعـب دورا هاما في عملية التلاقح الحضاري، ليس فقط مع الإغريـق كطـرف آخر، بل أيضا مع أطراف أخري، إلي جانب الحضارة الفرعونية العريقـة كانت هناك حضارات أخرى كالفينيقية والفارسية.

إن العلاقات المصرية الإغريقية لم تبدأ مع مجـيء الإسـكندر إلـي الشرق بل كانت هناك إرهاصات قبل قرون عديدة، جسدتها التجارة خاصـة عن طريق تجار ميليتوس الإغريقية الذين يقومون بـدور الوسـاطة بيـن

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٣. ١٣، راجع أيضا: عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية ص ٢٢.

المملكة الليدية وشعوب البحر المتوسط[١]، ومن ثم أسسوا محلة فـي دلتـا النيل، وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد" والتي عرفت فيما بعـد باسـم نقراطيس[٢] "وظلت العلاقات تجارية محضة إلي أن تحولت إلي سياسـية، عرفت أوجها مع دخول الإسكندر" الذي انتصر علي قوات الملك الفارسـي، ووصل بعد ذلك إلي مصر في ٣٣٢ ق.م ليبدأ بذلك عـهدا جديـدا علـي المستوي الحضاري الإنساني، وتكون سنة ٣٣١ ق.م بداية تأسـيس مدينـة الإسكندرية..

ومهما كانت الأهداف من وراء تأسيس هذه المدينـة، سـواء أكـانت أهدافا تجارية أو عسكرية أو حضارية، فقد كـان الاهتمـام الـذي أبـداه الإسكندر وخلفاؤه يفوق الوصف.والدليل علي ذلك مخطط المدينـة ذاتـها والذي يعتبر من النماذج المتميزة ــ إلي جانب أنطاكية ــ ضمن مخططـات المدن الهللينستية (شكل ٢٠).

مخـطط المدينة

يذكر سترابون[٣] أن الإسكندرية تأسست علي نفس المكان الذي كـانت تحتله قرية مصرية تسمي راقودة إلي جانب قري صغري أخري يسـكنها الصيادون وكانت إحدى "الحاميات العسكرية[٤] "تقيم في راقودة بشكل دائـم بقصد رد الأطماع الأجنبية عن النزول بوادي النيل.

إن مخطط الإسكندرية لا يختلف كثيرا عن مخططات مدن بلاد الشام التـي عاشت نفس التجربة الهللينستية وقد أثبتت الحفائر الأثرية المبكـرة التـي

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٩.

(٢) A. Bernard, Alexandrie la grande, Arthaud, Paris, p. 30.

(٣) Strabo, Geogrophika XVII, 6.

(٤) Ibidem.

أجريت في موقع الإسكندرية، أن مخطط المدينة روعي فيه الطريقة التي عرفت في بناء المدن منذ القرن الخامس ق.م. كمدينة(بيرايوس).

وقد اعتمد مهندس المدينة دينوكراتيس[١] في مخططه علي اتساع الشارعين الرئيسين "يزيد علي ثلاثين ياردة"[٢] حيث يمتد الأفقي منهما من بوابة كانوب "أبي قير" في الشرق، إلي باب سدره في الغرب (طريق كانوب)، بينما الطريق الرأسي يمتد من باب الشمس عند بحيرة مريوط في الجنوب الشرقي إلي بوابة القمر قرب بداية الجسر الرابط بين الشاطئ وجزيرة فاروس (شكل ٢١) ويتقاطع الشارعان الرئيسيان:الطولي والعرضي في الساحة الكبيرة (الميدان) للمدينة،في حين كانت هناك شوارع ثانوية موازية للشارعين الرئيسيين[٣] ويعتقد محمد عواد حسين[٤] أن هذه الشوارع كانت تحمل أسماء أفراد الأسرة الحاكمة،معتمدا بذلك علي إحدى الوثائق البردية.

كثيرا ما نعتمد علي الكتابات الكلاسيكية، في انعدام الدليل الأثرى في مسائل تتعلق بتخطيط المدينة، وأن يظل تعاملنا مع هذه المصادر يشوبه الحذر والحيطة، إلا أن هذا لا يمنع الباحثين من تصور شامل لكيفية تخطيط المدينة.

إن هذا الكلام يصدق علي أسوار المدينة، فرغم أن المؤرخين اليونانيين أمدونا بمعلومات جيدة عن هذه الأسوار المحيطة بالمدينة، لكن في قراءتنا للمخططات الهللينستية المنتشرة في مناطق كثيرة في الشرق

---

(١) Arrian Anabasis 1,5

(٢) Strabo, XV, 6

(٣) عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٥.

(٤) محمد عواد حسين، المرجع السابق. ص ١٦.

القديم، نستنتج أن الإسكندرية بكل تأكيد كانت محاطة بعدة أسوار ومحصنة بأبراج، وما يؤكد هذا الاستنتاج أهمية موقع المدينة المطل والمشرف علي المنطقة الشرقية من البحر المتوسط محور التجارة العالمية وقتئذ.
روعي في تخطيط المدينة تناسق المباني السكنية،التي تأخذ شكل بلوكات Blocks تخترقها شوارع فرعية، وهذه الوحدات السكنية، عادة ما تكون مستطيلة، بحيث تكون المسافة متساوية بين كل بلوك وآخر وهذا الشكل من التخطيط كان سائدا في المدن الهللينستية كلها تقريبا.[١]

من المعروف أن مهندسي المدن الهللينستية قد اهتموا كثيرا بتزويد السكان بالمياه وهذا ينطبق كذلك علي تخطيط مدينة الإسكندرية فكانت المياه تصل إلي منازل المدينة، ضمن نظام دقيق "فمدت تحت الأرض قنوات لتوصيل المياه العذبة إلي خزانات المساكن[٢]" وكان مصدر هذه المياه يأتي عن طريق (قناة كبيرة تتفرع من النيل عند شيديا (كوم الجيزة) التي تبعد عن العاصمة بحوالي(٣٧ كم)[٣] وهذه المياه العذبة تتجه وتتوزع علي خزانات في المنازل التي عثر علي عدد منها محمود الفلكي. وقد اهتم البطالمة بالجسور وخاصة جسر"هيبتاستاديوم" الذي يربط الشاطئ بجزيرة فاروس (حوالي ١٣٠٠مترا)[٤] ويكمن دور هذا الجسر في خلقه لميناءين "الميناء الكبير" المتجه إلي الشرق وهو الميناء الكبير Portus Magnus، والآخر "يونوستوس" أي العود الحميد Eunostos إلى الغرب وقد وضع في الجسر ممران قرب طرفيه يصلان بين الميناءين.[٥]

(١) Strabo, XVII, 8.
(٢) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٦.
(٣) Strabo, XVII, 16.
(٤) Strab, XVII, 6
(٥) Strab, XVII, 6

إن موقع الإسكندرية البحري جعلها ذات أهمية من الناحية التجارية، لـــهذا تم إنشاء الموانئ لتخفيف ذلك وقد خصص ميناء خاص "مينـــــاء الملـــوك" الواقع على الشاطئ الجنوبي للميناء الكبير تجاه جزيرة انتيرودوس.(١)

أحتل ميناء الإسكندرية مكانة رائدة في مصر إبان الحكم البطلمي فـــي المنطقة وذلك لعدة عوامل هامة منها منارة الإسكندرية التي أقامها المهندس سوستراتوس بن ديكسيفانيس على جزيرة فاروس في الجـــانب الشـــرقي(٢) وتعتبر هذه المنارة معلما معماريا نادرا في أنحاء المعمورة حيـــث يصـــل ارتفاعها أكثر من ١٣٥مترا وكانت نقطة يهتدي بها الملاحون القادمون من شواطئ البحر المتوسط المختلفة ومن ضمن العوامل أيضا ترعة شـــيديا(٣) المتفرعة من النيل والممتدة إلي ميناء الإسكندرية عبر خليج بحيرة مريـــوط والذي أقيم عليه ميناء فرعي يدعم الميناء الأساسي. وقد سهلت هذه الترعـــة سبل الاتصال التجاري بين الإسكندرية والعالم الإغريقي.

يذكر فيلون (٤) أن الإسكندرية كانت تحتوي علي خمسة أحياء كبـــيرة، أهمها الحي الملكي (شكل٢١) أو حي القصور الملكية وهـــو يطـــل علـــي الميناء الكبير، يمثل أكثر من ربع مساحة المدينة وفـــي هـــذا الحـــي أقـــام البطالمة قصورهم الملكية حتى تصل قبالة جزيـــرة أنتـــيرودوس، فتلتقـــي بالمسرح الكبير، ومن بعده معبد بوسيدون ثم معبد قيصرون(٥) الذي دشـــنته كليوباترا وأكمله الإمبراطور الروماني أوغســـطس (٣٠ ق.م ـــ١٤م) ثـــم

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٠.

(٤) Philon, Flaccus, 55.

(٥) راجع، هنري رياض "آثار الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص١٤٣.

تأتي بعد ذلك السوق الكبيرة (الأجورا) والأرصفة ومستودعات الميناء.[١] ويتضمن الحي الملكي إضافة إلي القصور الملكية، حديقة كبيرة للحيوانات مزينة بالنافورات.وكذلك المتحف (دار الحكمة) إلي جانب «مكتبة الإسكندرية العظيمة التي حج إليها كثير من الفلاسفة والعلماء من أنحاء بلاد اليونان والشرق وغيرها ويوجد في الحي نفسه مجلس القضاء والجيمنازيوم المعروف لدى اليونان. وعلي قمة المدينة، شيد معبد للإله "بان"[٢] في حين شيد معبد السرابيوم في راقودة بالحي الوطني (منطقة عمود السواري) الذي لم يظل منه سوي بقايا تقع في الجنوب الغربي لمنطقة عمود السواري[٣] ويعود تاريخه إلي بطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ق.م)، وقد وضع مهندس المدينة كلا من ميدان سباق الخيل[٤] وميدان الألعاب الرياضية في أطراف المدينة الأول في الجهة الشرقية، والثاني في الجهة الجنوبية الغربية قريبا من معبد السرابيوم.

أما المقابر فقد وضعت في أطراف المدينة شرقا[٥] (الشاطبي ــ الإبراهيمية ــ مصطفي كامل) وغربا[٦] (الأنفوشي، كوم الشقافة، والقباري، الورديان، والمكس) وكانت هناك جبانتان كبيرتان الحجم: الجبانة الشرقية (في الشرق) والجبانة الغربية (إلي الغرب) وخلال الحكم البطلمي كانت الجبانة الشرقية مخصصة لدفن اليونانيين وغيرهم من الأجانب بينما الجبانة الغربية كانت خاصة بالموتى المصريين.

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) Bernard, op,cit., p. 49, p. 91

(٣) هنري رياض، المرجع السابق، ص ص ١٣٩-١٤٣.

(٤) Bernard, op.cit , pp. 147 – 148.

(٥) Ibidem, pp 187 ff

(٦) Ibidem, pp. 166 ff

من خلال هذا الوصف البسيط لتخطيط مدينـــة الإســكندرية، نســتنتج أن مخطط الإسكندرية مخطط علي الطريقة الهللينستية يراعـــي فيــه مفــهوم المدينة اليونانية وأيضا الشرقية فامتزج المفهومان سواء علـــي المســتوي الفكري أو العمراني إلي جانب موقع المدينة المتميز وتراث إنسانها وثقافــة الوافد اليوناني، كل هذه المعطيات جعلت من المدينة نموذجــا لا يضــاهي سوي انطاكية في بلاد الشام.

إن الإسكندرية قد استوعبت التأثيرات الإغريقيــة اســتيعابا ناضجــا، فطورتها ثم تجاوزتها خالقة بذلك شخصيتها "الهللينستية" فأصبحت عاصمــة من اكبر العواصم في العالم خلال الفترة البطلمية في مصر فـــي المجــال العلمي والفكري والحضاري بشكل عام.

وخلاصة القول أنه:

١-في إطار "المدينة" الإغريقية ولدت المدينة وتطورت وانتقلت إلـــي أماكن جديدة واتصلت بغيرها واحتكت مدينـــة المدينـــة الواحـــدة بمدينة أخري. ومن ثم كما يقول نيقولا زيــــادة[1] "فقــد قولبــت" المدينة التفكير السياسي والاجتماعي والاقتصــــادي فضــلا عــن "قولبتها" للتصرف في هذه الأمور في حين أن للشرق القديم وقبــل الإغريق والاتروسكيين والرومان بقرون عديدة تجــارب متعـــددة متنوعة المناحي في المدن وحضاراتها ومدينتــها، لكــن المدينـــة الدولة في المشرق القديم (بلاد الشام، ومصر، وأرض الرافديـــن) كانت لها خصائصها وكياناتها واتجاهاتها وانتهي الأمر بها أخيرا

(١) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٧.

إلي أن تخضع لمملكة أو إمبراطورية فتصبح جزءا من هذا الكل لهذا عند قدوم الإسكندر واعتزامه هو وخلفاؤه إنشاء"المدينة" الإغريقية لتكون "وعاءاً للمدينة الهللينستية"، حيث أن مدن الشرق قد عرفت من قبل ممالك وإمبراطوريات لمدة لا تقل عن عشرين قرناً.

٢- ولما حطت المدينة الإغريقية رحالها في المشرق وأقامها البطالمة والسلوقيون إزاء المدينة القديمة كان ثمة اختلاف بين ما كان يقوله الوافدون (المستعمرون) وما يدركه أهل البلاد (الذين أصبحت بلادهم مستعمرة) فالأولون يريدون حريتهم علي غرار المدن الإغريقية والآخرون يريدون كرامة في بلادهم، ولكن عندما تظهر الصراعات والخصومات لم تكن من سكان المدينة الأصليين ضد مدينة إغريقية (أو مقدونية) أو مستعمرة عسكرية (مقدونية أو إغريقية) وإنما كانت موجهه ضد السلطة نفسها فالثورات التي عرفها العصر الهللينستي كانت ثورات ضد الحاكم.(١)

٣- إنشاء المدن الهللينستية كان سريعا فقد تم بناء أغلبها في مصر وبلاد الشام والرافدين (ما تبقي منها للسلوقيين) في فترة امتدت من(٣٠٠ق.م) إلي حوالي (١٧٠ ق.م) فهذا الزعم القوي كان له الأثر السلبي علي المدن نفسها لولا مجيء الرومان فعملية "الهللينية" Hellenisation والرومانية Romanisation عمليتان متصلتان باشرت الثانية فعلها حيث كانت الأولي قد ثبتت أقدامها.

---

(١) نفس المرجع، ص ٧٩.

ونعود الآن إلي سؤال طرحناه في البداية مؤداه ما هو الدور الذي قامت به المدينة الهللينستية في التاريخ الحضاري لمنطقة الشرق؟

فقد أدى دخول الإسكندر وحملاته علي المنطقة إلي قيام الإمبراطورية الرومانية وعرف العالم اتصالا بين أجزائه لم يعرفه من قبل فالتجارة كانت عنصرا هاما في مجال التطور الاقتصادي، فبضائع الشرق كانت تتجمع في أسواق الإسكندرية وإنطاكية ودمشق وصور وتدمر كي تنقل إلي الغرب، كما كانت بضائع الغرب تصل إلي هذه الأماكن، علي أن هذه المدن لم تكن مجرد أسواق لتبادل البضائع لقد كانت لها صناعاتها الخاصة في بلاد الشام[١] والزجاج في مصر والأصبغة في لبنان، وفي المدن الهللينستية الشرقية كان هناك اختلاف عرقي أنعكس علي الجانب الطبقي والاجتماعي وأيضا علي مستوي اللغة، فالقادمين إلي البلاد كانوا يتحدثون اليونانية أما سكان البلاد فقد احتفظوا بلغاتهم الأصلية ولم تنتشر اليونانية إلا بين فئات من أهل البلاد الأصليين المقيمين في المدن في أغلب الأحياء.

لقد أفادت المدن الهللينستية من سكان منطقة الشرق من خلال جوانب تتعلق بالزراعة، فهناك الاهتمام بمد المناطق بالمياه إضافة إلي تجارب زراعية حملت إلي المنطقة وخاصة (بلاد الشام)[٢] في تلك الفترة فانعكس ذلك علي مستوي الإنتاج، إلي جانب هذا فقد كان دور المدن المصرية والشامية واضحا في الأدب والفن وخاصة بعد ما تم إتقان اللغة اليونانية من قبل أبناء المنطقة ولعل الدور الذي قامت به مدينة الإسكندرية خير دليل علي ذلك باعتبارها مدينة العلم الأولي في ذلك الوقت فالبطالمة جعلوا من تلك المدينة مركزا للعلم في المتحف والمكتبة، فأصبحت كعبة العلماء

(١) نفس المرجع، ص ٨٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٣.

يقصدونها للتعليم والتعلم، من جميع الأنحاء ويجدر بنا هنا أن نشـــير إلـــي بعض رموزها العلمية مثل(إقليدس) (القرن٣ق.م) الذي لم يجد مكانا أصلـح من الإسكندرية لمتابعة دراساته.(١)

وفي الإسكندرية قام (أراتوسثنيس) العالم الريــــاضي القوريـنـــي الأصـــل (٢٧٥-٢٠٠ق.م) بقياس محيط الأرض، فقائمة أسماء علماء الإســـكندرية ومفكريها وأدبائها طويلة، ولا يمكن سردها في هذا المجال.

وأيضا في سورية،(٢) خلال العصر الهللينستي ظـــهر نقـولاوس الأنيـب والمؤرخ الذي ألف كتابا عن تاريخ العالم فـــي ١٤٤ جـزءا، وأرخيـاس الأنطاكي وبوزيدون الأبامي ثم انطيوخوس العســـقلاني الفيلسـوف الـذي وصل إلي درجة رئيسا للأكاديمية في أثينا، فكان العصر الهللينستي بحـــق عصر تمازج وتقارب وتخاصم وتثاقف في أمور الفكـــر وشــؤون الديـن والاقتصاد والمجتمع والسياسة وقد أنعكس هذا كله علي مســـتوي تخطيـط المدينة الهللينستية الشرقية وكذلك علي المستوي الفلسفي الفكـــري، بحيـث تجلي ذلك في المذاهب الفلسفية السائدة والتي كانت مذاهب انتقائية، وهــــذا الانتقاء لم يتعمده مؤسسو هذه المدارس بقدر ما كان لابد لهم مـــن الجمـع والتوفيق بين خيوط الفكر الشرقية والإغريقية.

---

(١) راجع. عبد الوهاب لطفي "الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٣٧.

(٢) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٣.

إذن فالعصر الهللينستي بحضارته العظيمة كان نتاجا لتلاقح ثقـــافتين ذات اختلاف علي مستويات عديدة وضمن تجارب متعددة ومتنوعة.

وإذا كانت حضارة بلاد الشرق وغيرها خلال العصور الشـــرقية القديمـة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التـــي أفســحت مجــالا رحبــا للتأثيرات الغربية (الإغريقية...) فإن هذه التأثيرات بدورها أضفيــت علــى هذه الحضارة طابعا خاصا تكامل في جوانـــب كثـيرة تنظيمـا وعمرانـا وتخطيطا وغيرها.

آثار منطقة سورية

مقدمة تاريخية

اصطلح علماء التاريخ والآثار على إطلاق اسم "شعوب ما قبل الموجات السامية" على السكان الأوائل في سورية، وسرعان ما حلت مكان هؤلاء شعوب سامية. وتذكر النصوص المكتوبة في منتصف الألف الثالثة ق.م أن العنصر السامي كان قوياً في هذه المنطقة، واستقرت القيادة السياسية في أيدي الأموريين الساميين في نهاية الألف الثالثة ق.م. وكان الأموريون إبان تلك الفترة هم العنصر السائد في بلاد ما بين النهرين وفي فلسطين أيضاً.(١)

وهناك قبائل سامية أخرى عرفت في النصوص المسمارية باسم القبائل السوتية والقبائل العيلامية (السوتيون والعيلاميون). أما في نهاية الألف الثانية ق.م فقد عرفت تلك القبائل باسم الآراميين. وكانت آخر موجة سامية كبرى هي موجة القبائل العربية التي ورد ذكرها في نصوص النصف الأول من الألف الأولى ق.م، إذ تغلغل هؤلاء في مختلف أرجاء سوريا واستطاعوا تأسيس دول سياسية ذات شأن في حوران وفي تدمر قبل مجيء الإسلام بوقت طويل. ومع مجيء الإسلام أصبح العرب العنصر السائد في سورية.(٢)

إلى جانب تلك الشعوب والجماعات التي جاءت نتيجة الهجرات البشرية استوطن سورية غرباء آخرون وصلوا إليها كتجار أو موظفين أو

---

(١) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢١.

(٢) J Odenthal, Syrien. Hochkulturen zwishen Mittelmeer und Arabıscher Wüste. 5000 Jahre Geschichte ımspannungsfeld von Orient und Okzident, Du Mont Buchverlag Köln, 1987, pp 18-19

جنود، وكانوا من أصل مصري أو إيجي أو أناضولي أو بـــلاد مـــا وراء النهرين أو فارس أو من العالم اليوناني الرومـــاني فـــي حـــوض البحـــر المتوسط، وأصبحت سورية بوتقة انصهرت فيها شـــعوب مختلفـــة وكـــان الناتج هو ما يمكن تسميته "بالسوريين" الذين أبدعوا في تطويـــر التيـــارات الثقافية المختلفة وأصبحوا من أكثر شـــعوب العـــالم تقدمـــاً فـــي مجـــال الحضارة.(١)

أما فيما يخص الفترة الهللينستية الرومانية فقد امتدت فـــي ســـورية قرابـــة سبعة قرون من الزمن، بدأت بفتوحات الإسكندر المقدونـــي للشـــرق فـــي أواخر القرن الرابع ق.م وانتهت بتقسيم الإمبراطورية الرومانية في نهايـــة القرن الرابع الميلادي.(٢)

وقد بدأ تأثير العالم الإيجي على بلاد الشام قبـــل وصـــول الإســـكندر المقدوني بوقت طويل، حيث كانت حضارة بلاد الشـــام خـــلال العصـــور الشرقية القديمة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التـــي أفســـحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطورات المحليـــة الخاصـــة وبالتـــالي أثمرت تنوعاً كبيراً في الأشكال الفنية.(٣)

وبالرغم من أن الفترة الهللينستية الرومانية أقصر من العصـــور الشـــرقية القديمة، إلا أنها خلفت لنا العديد من الشواهد الأثرية، وكذلـــك فقـــد لجـــأ الصناع خلال تلك الفترة إلى مادة الحجارة في العمارة بصورة لم يسبق لـــها مثيل مما جعل هذه المباني تصمد أمام عوادي الدهر.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمال للنشر، دمشق ١٩٩٣، ص ص ٢٤-٢٦.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

وعندما فتح الإسكندر المقدوني بلاد الشام في أعقاب انتصاره في معركة أسوس عام ٣٣٣ ق.م ترك بلاد الشام موحدة ــ كما كانت أيام الاحتلال الفارسي ــ ولكنه استثنى منطقة الفرات لأنها كانت طيلة تطورها التاريخي تختط سياسة خاصة بها، لذلك لم تتأثر بالتيار الهللينستي كما تأثرت به بلاد الشام الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات.(١)

وكان من بين قواد الإسكندر الأكبر أنطيوخوس مونوفثالموس، وكان أحد من تقاسم إرث الإسكندر وتمكن من بسط سيطرته الكاملة على بلاد الشام ولكنه سرعان ما تخلى عن سلطانه لصالح منافسة سلوقس نيكاتور وكان ذلك في عام ٣٢١ ق.م وكون مملكة أطلق عليها مملكة السلوقيين وقد امتدت هذه المملكة حتى منخفض حمص.(٢) وجدير بالذكر أن البطالمة ــ خلفاء الإسكندر في مصر ــ قد احتفظوا بكافة الأراضي الواقعة إلى الجنوب من النهر الكبير وظل الحال كذلك حتى عام ٢٠٠ق.م حين انتهى الصراع بين السلوقيين والبطالمة ــ فيما سمي بالحروب السورية ــ بضم سورية الجنوبية إلى سلطان السلوقيين.

وقد حرص السلوقيون على توسيع مدن كثيرة في بلاد الشام عن طريق إضافة أحياء جديدة إلى المدن القديمة، واتخذ السلوقيون من مدينة انطاكية عاصمة لدولتهم.(٣) ورغم ذلك اكتسبت مدن أخرى أهمية متزايدة مثل أفاميا واللاذقية ودورا أوروبوس، فنشط الاقتصاد والحياة الفكرية في كل هذه المدن.(٤)

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٢٠-٢٣.

(٢) W W Tarn, Hellenistic civilisation, E.Arnold & co.,London, 1941, pp. 117-120.

(٣) Tarn, op cit , p 138

(٤) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦١

ولم يتمكن السلوقيون من السيطرة الكاملة على هذه المناطق وذلك بسبب الفوضى السياسية الناجمة عن منازعات الملوك مع منافسيهم ومحاولات الاستقلال في المدن وتمرد الأمراء المحليين وتغلغل البارثيين الفرس حتى الفرات. كل هذه الأمور تسببت في زعزعة أركان الدولة السلوقية في بلاد الشام حتى أصبحت البلاد غنيمة في يد تيغران الثاني ملك أرمينيا في عام ٨٣ ق.م، ثم غدت لقمة سائغة في أيدي الرومان عام ٦٤ ق.م.[١]

وفي عام ٦٣ ق.م جعل القائد الروماني بومبيوس من سورية ولاية رومانية، لكن المناطق الجنوبية الشرقية ومنطقة تدمر ظلت بعيدة عن متناول السلطة الرومانية، فالعرب الأنباط، الذين امتد سلطانهم من عاصمتهم البتراء حتى حوران، وصل نفوذهم إلى دمشق لفترة محدودة من الزمن.[٢]

ولكن الرومان استطاعوا القضاء على تلك الأسر المحلية تدريجياً وجردوا مناطقهم من السلاح وجعلوا القبائل البدوية حراساً عليها. وظل الحال كذلك حتى عام ١٠٦ ميلادية حين حول الوالي الروماني على سورية كورنيليوس بالما المناطق الشمالية للأنباط إلى ولاية عربية خاضعة لسلطة روما، وجعل من بصري الشام في جنوب حوران عاصمة للولاية الجديدة. أما الأراضي التي كان الرومان قد سلبوها من البارثيين إلى الشرق من نهر الفرات فكانت تتبع ولاية ما بين النهرين.[٣]

ولم يحدث أي تعديل على نظام الولايات الشرقية إلا في عهد الإمبراطور سبتيميوس سفيروس عام١٩٥ ميلادية حين أراد هذا الإمبراطور تقليص

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٦٢.

(٣) نفس المرجع.

الصلاحيات الواسعة التي منحها أسلافه من الأباطرة إلـى حكـام الولايـة السورية فقسم تلك الولاية إلى ولايتين:

١- ولاية سورية الداخلية (سورية السهلية) وتمتد من جبال لبنان إلى تدمـر التي قضى على استقلالها.

٢- ولاية سورية الفينيقية.

ثم قام الإمبراطور سفيروس بتوسيع الولاية العربية بأن ضـم إليـها كـل فلسطين وأقاصي جنوب بلاد الشام.(١)

وكانت المدن ذات التخطيط الهلينستي قريبة من الشكل المربع ولـها بوابة في منتصف كل ضلع، يخترقها شارع رئيسي على جانبيـه أروقـة مسقوفة ويتقاطع مع هذا الشارع شارع رئيسي آخر وينتصب عنـد نقطـة التقاطع صرح معماري مؤلف من أربعة أعمدة يعـرف باسـم التترابيل Tetrapylon. وتتعامد شوارع فرعية مع الشارعين الرئيسـين وتحصـر فيما بينها مساحات مربعة، ومستطيلة من الأراضـي التـي تقوم عليـها المنازل والمباني الرسمية.

ومن بين المباني العامة كان المعبد الرئيسي للمدينة والمعابد الصغيرة مثـل معبد ربة المياه (نيمفايون) والحمامات العامة والمسرح وقصر الحكم.(٢)

مدينة أفاميا (قلعة المضيق)

تقع مدينة أفاميا القديمة على بعد حوالي ٢٠كم إلى الغرب مـن خـان شيخون، فهي ليست بعيدة عن الطريق العام الذي يصل بين دمشق وحلب.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Barghouti op cit., pp. 10 - 20.

تجثم المدينة على أطراف وادي العـاصي (حاليـاً سـهل الغـاب) وفـي مواجهتها سلسلة جبال اللاذقية، أما تل أفاميا الذي يطل على الغاب فقـامت فوقه قلعة المضيق التي تعود أسوارها إلى القرن الثالث عشـر الميـلادي. ومن خلال النصوص المسمارية نستطيع القول بأن هــذه المدينـة كـانت عامرة في الألف الثاني ق.م.(١)

وقد شهدت أفاميا ذروة مجدها في الفترة الهللينستية الرومانية، فعندمـا وصل الإسكندر الأكبر إلى هذه البقعة كانت هناك بلدة اسمها فارناكه وقـد بدلها باسم بيلا تيمناً باسم مسقط رأس والده في مقدونيـا. وعندمـا انفـرد سلوقس الأول بحكم سورية في عام ٣٠١ ق.م قام بتحصين وتوسيع تلـك المدينة لكنه بدل اسم المدينة من بيلا إلى أفاميا تيمناً باسم الأميرة الفارسـية التي أصبحت زوجته في سوزا منذ أن كان قائداً من قواد الإسكندر الأكـبر أثناء فتوحاته.(٢)

وقد ظل اسم مدينة أفاميا محافظاً على نفسه طوال الفـترة الرومانيـة وكذلك بعد الفتح العربي وأثناء الوجود الصليبي، لكن تراجع أمام اسم قلعـة المضيق منذ القرن السابع عشر وظل اسم قلعـــة المضيـق هـو الأكـثر استخداماً في العصر الحديث.(٣)

وقد أسس سلوقس نيكاتور أربعة مدن نسبهما إلى أفراد عائلتـه وهـم مدينة أنطاكية Antiochia نسبة إلى أبيه، مدينة سلوقية Seleuceia نسبة

---

(١) كليكل، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٣) J C Balty, Guide d'apamee, Brsussel, 1981, p.23

إليه، ومدينة Laodiceia اللاذقية نسبة إلى أمه وأخـــيرا مدينـــة أفاميـــا Apameia نسبة إلى زوجته كما سبق القول.(١)

وقد اشتهرت مدينة أفاميا منذ العصور القديمة بتربية الخيول والفيلـــة حيث جعلها السلوقيون مربطا للقسم الأعظم من خيول وفيلة جيوشهم، وفـي عام ٦٤ ق.م احتل القائد الروماني بومبيوس مدينة أفاميا بعد أن هدم قلعتـها التي كانت في مكان قلعة المضيق الحالية، لكن سرعان ما استعادت المدينـة ازدهارها وتكاثر عدد سكانها إلى حد جعلها حاضرة كبرى في سورية.(٢)

وقد بقيت أفاميا حتى الفتح العربي نقطة عسكرية حصينة ومحطـــة هامـة على الطريق التجاري في العصور القديمة. وقد توقف كل مـن كليوبـاترا والإمبراطور سبتميوس سفيروس والإمبراطور كراكـالا أمـام أسـوارها، وكانت الفرقة البارثية الثانية تتخذ منها مقرا شتويا. وقد كانت مدينة أفاميـا مقرا لبطريركية خلال القرن الرابع الميلادي، وتطورت هذه البطريركيـــة حتى أصبحت مقرا للكنيسة الشرقية.

في القرن الخامس الميلادي، واحتوت على العديـد مـن المبـاني الدينيـة الهامة. وقد ألمت بالمدينة خلال القرنين السادس والسابع عدة كوارث منـها الاحتلال الفارسي فيما بين ٦١٣-٦١٨م، والزلازل التي أدت إلى تـهاوي مبانيها.(٣)

تخطيـط المـدينة

تتكون المدينة من شارعين متقاطعين، الطولي من الشمال إلى الجنـوب والعرضي يتخذ الاتجاه من الشرق إلى الغرب وقد قسـمت المدينـة إلـى

---

(١) Odenthal, op.cit., p 156.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٣) Odenthal, op.cit , p.158

مساحات مربعة منتظمة حول هذين الشارعين بشكل متوازي (شـكل٢٢)، ومساحة كل قطعة أو مساحة ٥٠ × ١٠٠م، هذان الشارعان الرئيسان هما Cardo و decumanus.(١) وترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوى وادي الغاب، ويحيطها سور يبلغ طوله ٦,٣كم، وهناك سبع بوابات فخمة لتأمين الدخول إلى المدينة والخروج منها، وكل بوابة تتصل بطريق عام يتجه إلى أنطاكية واللاذقية ولاريسا وحماه (إيبفانيا) وتدمر وأسريا (سيريانا) وقنسرين (كالسيس). وتنتشر المسافات المستطيلة الناتجة عن تقاطع ١٦ شارعاً تتجه من الشمال إلى الجنوب مع ١٦شارعاً تتجه من الشرق إلى الغرب.(٢) ويمثل الشارع الرئيسي من الشمال إلى الجنوب تحفة معمارية حقيقية حيث يمتد بطول ١٧٧٤م وهو يصل بين باب انطاكية الكبير في الشمال وباب حماه في الجنوب. ويبلغ عرض هذا الشارع ٣٧,٥م بما في ذلك الأروقة التي كانت تمتد على جانبيه. وتلتصق بجذوع الأعمدة قواعد حجرية بارزة كانت تحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينة أو الأشخاص الذين قدموا خدمات للمدينة.

وجدير بالذكر أن هذه الخاصية من أهم ما تتميز به الأعمدة في سورية وكذلك القنوات الحلزونية التي تلتف حول بدن الأعمدة ذات الطراز الكورنثي.(٣)

ويقطع هذا الشارع المستقيم شارعان رئيسيان يصل كل منهما بين بابين من أبواب المدينة وكان الجنوبي منهما بطول ١٥٠م وتلتصق

(١) Ibidem, p. 157.

(٢) Balty, op.cit., p. 28.

(٣) كليكل، المرجع السابق، ص ٦٨.

بأعمدة أروقته الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء، وكان متوسط عرض الشوارع الثانوية يبلغ حوالي ستة أمتار.(١)

البقايا الأثرية في مدينة أفاميا

١- القلعة(٢)

تقع قلعة أفاميا فوق هضبة عالية تنحدر من كل جوانبها نحو السهل وقد ساهمت هذه القلعة في حماية المدينة في عصر السلوقيين. وتقع معظم المباني الهامة للمدينة على المحور الشمالي الجنوبي أو على شوارع الأعمدة التي تمتد من الشرق إلى الغرب (شكل ٢٣).

٢- الشارع الأعظم (شارع الأعمدة)(٣)

يمتد هذا الشارع كما سبق القول قرابة حوالي ٢كم في طوله من الشمال إلى الجنوب ويبلغ عرضه ما يقرب من ٣٧,٥م، ويعتبر هذا الشارع من أضخم الشوارع القديمة في سورية إذا ما قورن بالشوارع الرئيسية في المدن الأخرى حيث يبلغ الشارع الرئيسي في بالميرا (تدمر) ما يقرب من ١١٠٠م طولاً و٢٥ متر عرضاً (وكذلك الشارع الرئيسي في انطاكية يبلغ ٣٦م في عرضه) (شكل ٢٤).

وطبقاً للنصوص والنقوش فقد تم بناء هذا الشارع فيما بين عصر الإمبراطور تراجان وعصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وقد قام تراجان بإعادة بناء هذا الشارع بعد الزلزال الذي هز المدينة في شهر ديسمبر من عام ١١٥م. ويتميز هذا الجزء الشمالي والأوسط من هذا

---

(١) نفس المرجع، ص ٦٩.

(٢) Odental, op cit, 159

(٣) Balty op cit., p 33-35

الشارع بوجود أعمدة ملساء على الطراز الكورنثي تحمل فوقـــها أفـــاريز مكونة من الترجليف والميتوب. أما الجزء الجنوبي فأعمدتــه ذات قنــوات وتحل محل الترجليف والميتوب زخرفة زهرة الأكانتوس (شكل ٢٥).[١]

٣- الحمامات[٢]

تقع الحمامات على جهة الشمال الشرقي من الشارع الرئيسي وتتكــون من الأجزاء المعروفة وهي: حجرة البخار Tepidaruim، حجــرة المــاء الساخن Caldaruim وهما مبنيتان من الحجر الجيري عدا حنية الكلداريـوم فيدخل في بنائها الطوب الأحمر.

٤-البوابات[٣]

تقع هذه البوابات Tetrapylon عند تقاطع الشــوارع الرئيســية مــع الشوارع العرضية ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة ١٤م، وتقف كل أربعة أعمــدة فوق قاعدة مربعة.

وجدير بالذكر أن أعمدة الشارع الرئيسي التي تقع إلى الشمال من الشـــارع العرضي والتي أقيمت بعد عام ١٦٦م تحمل قنوات حلزونية، وكانت ثلاثــة أعمدة منها في واجهتها تحمل تماثيل برونزية للإمـــبراطور أنطونينــوس بيوس، ماركوس أوريليوس، ولوكيوس فيروس.

(١) J.C.& J. Balty/ M.Dewez, Die Ausgrabungen Von Apameia am Osrontos Informationsdienst des Belgischen Aussenministeriums, Bericht No. 49,Bsussel, 1970, p. 35.

(٢) J Balty, op.cit., p.38.

(٣) Odenthal, op cit , p 160

٥- الأجورا أو الفوروم

وهو مكان متسع كان يميز كل المدن اليونانية وتقع ساحة السوق في أفاميا إلى الجنوب من الشارع العرضي وعند تقاطع الشارعين الرئيسيين وهو مركز الحياة في المدينة اليونانية وإلى الغرب من ساحة السوق يقع معبد زيوس Belos والذي دمره الأسقف مارسيليوس عام ٣٨٥/٣٨٤م.(١)

٦- معبد الحوريات Nymphaeum

وهو يقع إلى الشرق من الشارع الرئيسي وبالقرب مباشرة من التقاطع الرئيسي للشارعين الرئيسيين، وهو على هيئة Exedra ويفتح على الشارع الأعظم مباشرة وكان هذا المبنى مزخرفاً بالعديد من صور الآلهة اليونانية والرومانية.(٢)

٧- المبنى الدائري

يقع إلى الجنوب الغربي من التقاطع الرئيسي ويرجع بناؤه إلى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م). يقع المدخل الرئيسي لهذا البناء على الشارع الأعظم ويفتح على فناء تؤدي مداخله إلى الحنية وإلى الرواق المستعرض وكذلك الحجرة الرئيسية المزدوجة.(٣)

٨- الأروقة

إلى الجنوب من التقاطع الرئيسي يوجد جزء من الأروقة ذات الأعمدة الكورنثية ذات البدن الأملس وخلف هذه الأعمدة توجد واجهة ذات طابقين خاصة ببعض المحلات. ومن حسن الحظ لا تزال بقايا رسومات حائط

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٢) Odenthal, op.cit., p.160.

(٣) Balty, op.cit , p 40.

ذات لون أحمر وزخرفة تقليد الرخام. وكذلك توجد أرضية من الموزايكـــو (الفسيفساء) أرخت بعام ٤٦٩م طبقاً لنقش في التقاطع الرئيسي للشـــوارع. هذه الأرضية بها مناظر من قوافل الجمال ومناظر مـــن الصيـد وأوانـــي للشرب وهذه الأرضية موجودة الآن في متحف أفاميا.(١)

٩- المســـرح(٢)

في غرب المدينة وإلى الجنوب من التقاطع العرضي الثاني يقع مسـرح المدينة الذي يأخذ شكل نصف الدائرة ومحيطه ما يقرب مـــن ١٣٥ متراً وهو أكبر المسارح في سورية. ونظراً لقرب المســـرح مـــن القلعـــة فقـد استخدمت أحجار هذا المسرح في بناء القلعة مما أدى إلى تدهوره. ورغـــم ذلك فيمكننا التعرف على الحائط الخلفي لخشبة المسرح حيث يوجد ممــران أحدهما شرقي والآخر غربي هذا فضلاً عن الأجزاء السفلية من مدرجـــات المسرح. وقد كانت مدرجات هذا المسرح مكونة من عدة طوابق تفصلـــها ممرات أفقية Diazoma تصل حتى المداخل الجانبية، وكذلك يوجد ممـــر أفقي للطابق العلوي. وبناء على الجزء المتبقي من المدرجات فـــي الجهـة الشرقية يمكن القول بأن الطابق السفلي من المدرجات كان مكوناً مـــن ١١ درجة ويمكن الوصول إليها عن طريق الأوركسترا أو الممرات. أما واجهة خشبة المسرح فتغلق مساحة الأوركسترا. ويرجح تاريخ هـذا البنـاء فـــي عصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس.

وقد كان لانحدار الأرض نحو وادي الغاب ميزة خاصة فـــي تـأمين الميل اللازم للمسرح المدرج. ويستمتع المشاهد الجالس علـــى الدرجـات

(١) Odenthal, op cit., p 161

(٢) Ibidem, pp. 163-164

العليا للمسرح بمنظر خلاب لوادي الغاب ولقلعة المضيق الواقعة على ارتفاع شاهق.

مدينة دورا أوروبوس Dura - Europos

تدين مدينة دورا أوروبوس فى نشأتها وازدهارها لملاءمة موقعها الجغرافي فهي تتربع على حافة البادية التي تنحدر بانكسار شديد نحو وادي الفرات، وكانت تتحكم بالتجارة النهرية على الفرات الذي يخترق البلاد الواقعة بين الخليج العربي والبحر المتوسط. وتعتبر دورا أوروبوس ــ بوقوعها على طريق المواصلات ــ وريثة لمدينة مارى الواقعة إلى الجنوب منها بمسافة عشرين كيلو متراً.(١)

تنحدر الأرض التي تقوم عليها دورا أوروبوس بانكسار شديد نحو وادي الفرات في جهاتها الشرقية والشمالية والجنوبية مما أكسب المدينة مناعة طبيعية ضد الغزاة ولم يتطلب الأمر إلا بناء جدار عال على طول تلك الجهات. أما الجهة الغربية التي تطل على البادية الواسعة الأرجاء فقد تحصنت بالأسوار والأبراج والخنادق.(٢)

وكانت الكتلة الصخرية الرابضة على شاطئ الفرات مكاناً مناسباً لإقامة قلعة مهيبة ترهب الأعداء.

في هذه البقعة أسس سلوقس نيكاتور Seleukos Nikator قبل عام ٢٨٠ ق.م حصناً هللينستياً واسماه "أوروبوس" تيمناً بمسقط رأسه في مقدونيا. وكان اسم هذه البقعة قبل ذلك هو دورا Dura وهى كلمة آشورية

(١) ازدهرت مدينة مارى بفضل للتجارة العالمية على الفرات لمدة أكثر من ألف عام، ثم دمرها حمورابي في القرن الثامن عشر ق.م ولم تقم لها قائمة منذ ذلك الزمان.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٠.

Duru تعنى الحصن. ويبدو أن المدينة كانت تعرف باسم دورا نيكـاتور أي حصن نيكاتور.(١)

تخطيط المدينة في العصر الهللنيستى

يوضح تخطيط المدينة في العصر الهللنيستي أنها تحمل نفس ملامـــح تخطيط المدن السلوقية. مثل انطاكية وأفاميا واللاذقية: حيث يمتد الشـــارع الرئيسي منتظما من الجنوب إلى الشمال وتتقاطع عليه الشـــوارع الجانبيـــة حيث تبلغ مساحة القطع بين كل شارع جانبي ٧٠ × ٣٥م وهذه الشـــوارع تقع في جانبها الأقل عرضا إلى الشارع الرئيسي (شكل ٢٦).(٢)

أما سور المدينة فيمتد حول مساحة المدينة الكلية ويكون مستقيما فـــي الجانب الغربي فقط وذلك لتسهيل الدفاع عن المدينة من الناحية المفتوحـــة. وتقع القلعة إلي الجهة الشمالية من سور المدينة وكانت هذه القلعـــة نقطـــة دفاعية حصينة تخدم السيطرة السلوقية. وقد كان مخطط المدينة الهللنيسـتية هو الأساس لكل التوسعات التي قامت في المدينة في كل العصور التالية.(٣) ولم تكن أوروبوس في العصر السلوقي مدينة حدودية ولكنها كانت موقعـــا لحراسة الطريق بين المراكز التجارية في كل من بلاد مـــا بيـــن النـــهرين وغرب سوريا هدفها مراقبة القبائل البدوية وتأمين الطريق التجاري القـــادم عبر الفرات (شكل ٢٧).(٤)

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) Odenthal, op.cit., p 288.

(٣) Ibidem, p 291 – 292

(٤) العابد، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

وعندما وقعت سلوقية الواقعة على نهر دجلة عام ١٢٨م في أيدي البـارثيين وفقد السلوقيين مملكتهم الشرقية تحولت مدينة أوروبـوس إلـى السـيطرة البارثية وظلت المدينة تحت السيطرة البارثية حتى عام ١٦٣م.

ومن خلال سياسة السلم التي تبناها الإمبراطور أغسطس فقـد ازدهـرت المدينة وتحولت إلى موقع تجاري هام يقع في نطاق تجارة تدمر.(١)

وكما ذكرنا كان مصير دورا أوروبوس متقلباً، فهي تقع في نطاق الحـدود الفاصلة بين السلوقيين والبارثيين ثم بين الرومان والبارثيين وأخـيراً بيـن الرومان والساسانيين، وكانت علاقات هذه القوى تتبـدل فـي كثـير مـن الأحيان.(٢) ففي نهاية القرن الثاني ق.م استولى البـارثيون علـى القلعـة السلوقية، وكانت ما تزال بأيديهم عندما احتل الرومان بلاد الشام وجعلوهـا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية،ولم يصبح للرومان موطئ قـدم علـى الفرات إلا في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد.(٣)

ومع هذا لم تكن أقدام الرومان ثابتة على طول الفـرات فقـد كـانوا يتعرضون باستمرار لهجمات البارثيين. وفـي منتصـف القـرن الثـالث الميلادى سقطت دورا أوروبوس في يد الساسانيين وسرعان مـا تراجـع الساسانيون أمام التدمريين.

وبدأ التدمريون ينسحبون من دورا أوروبوس للذود عن مدينتهم التي كـانت في مهب الريح، وكانت النتيجة أن سقطت تدمر بأيدي الرومان فـي ٢٧٣م

(١) Odenthal, op cit., p 289

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٣) Odenthal, op cit., p.289.

وعاد الساسانيون على إثر ذلك إلى دورا أوروبوس، لكن المدينة بدأت تتضاءل في أهميتها تدريجيا ويبدو أنها خلت من سكانها تماما.(١)

الفن في دورا أوروبوس

بالرغم من الاحتلال البارثي فقد ظلت الإدارة في دورا أوروبوس هللينستية وكذلك ظلت اللغة الرسمية هي اليونانية. ونظرا للتسامح الذى أظهره البارثيون تجاه أهالي دورا أوروبوس فقد بادلهم سكان دورا أوروبوس نفس الشعور واعتبروهم خلفاء شرعيون للسلوقيين. وهكذا بقيت دورا أوروبوس حتى منتصف القرن الأول ق.م مدينة يونانية في حين كان القصر البارثي فوق القلعة يمثل بناءا غريبا في دورا أوروبوس.(٢)

وقد استطاع Brown أن يعيد تصميم هذا القصر الذي كان يتكون من ثلاثة إيوانات ومع بناء معبد Atargatis فى عام ٥٠ ق.م ومعبد أرتميس بدأت فترة ازدهار للمدينة الهللينستية فى قالب شرقي. فقد انتهجت كل من عمارة المنازل (شكل ٢٩) وعمارة المعابد منهج العمارة في بلاد ما بين النهرين.(٣) وقد تحدث Schlumberger(٤) فى هذا الصدد عن طراز هللينستى شرقي وأعتبره مقدمة للفن البارثي (شكل ٢٨). فكل المعابد توضح طرازا أساسيا عبارة عن فناء رئيسي للمعبد يحاط من كل الجوانب بحجرات وأسوار غير منتظمة ويمكن الدخول لهذا الفناء عن طريق صالة تحوي مذبحا مدرجا. وفى باقي الحجرات كانت تحفظ الأدوات التي

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٢) A. Perins, The Ar of Dura-Europos, 1973, p. 156.

(٣) Odenthal, op.cit , p 289

(٤) D. Schlumberger, Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittleneerraumes 1960, in: F. Altheim und J. Rehork, Der Hellenismus in Mittelasien, 1969, p. 87

تستخدم في الطقوس الدينية. وهناك صالة ذات مقاعد وأماكن للجلوس كانت تستخدم كمكان للتجمع لممارسة الشعائر الدينية.
ويميز الرسومات والمنحوتات في دورا طرازاً فريداً حيث تغلب الصفة الأمامية للأشخاص والتصوير ذات البعدين والسكون الذي يغلب على هذه الأشخاص.(١)

وجدير بالذكر أن كل المناظر التي تحويها رسوم الحائط فى المعابد وأماكن العبادة ذات طابع ديني. وهكذا نجد اختلافاً واضحاً في رسومات الحائط فى معابد بل وزيوس Theos المؤرخين فى القرن الثاني الميلادي وبين رسومات الحائط المتأثرة بالطراز الروماني فى معبد الإله ميثرا Mithra والكنيسة التي ترجع إلي القرن الثالث الميلادي.(٢)

أهم الآثار المتبقية في دورا أوروبوس

سور المدينة

سوف نتحدث هنا عن الجزء الغربي من سور المدينة نظراً لأنه الأكثر حفظاً فهو يتكون من سور ممتد فى خط مستقيم مبنى من الحجر الجيري عن طريق كتل حجرية مستطيلة الشكل، ويحتوى هذا السور على عدد من الأبراج المربعة فى مسافات منتظمة تشرف على المدينة بالكامل.
أما البوابة الرئيسية للسور فتقع فى منتصف السور وهى المدخل الوحيد إلى المدينة من هذا الجانب، ولما كانت هذه البوابة في قبالة تدمر فقد أطلق الأثريون عليها اسم بوابة تدمر. هذه البوابة عبارة عن برجين ضخمين يقع بينهما ممر ضيق وطويل يوصل إلى حجرات الأبراج (شكل ٢٧). ففي الطابق السفلي في البرج الشمالي يوجد معبد صغير للإلهة تيخي Tyche

(١) D. Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, 1969, p. 110.
(٢) Odenthal, op cit., p. 290

إلهة المدينة وحامية البوابة والمدافعة عن الموقع بالكامل. ويؤرخ هذا السور فى العصر الهللينستي ولكنه تم تجديده وتقويته في فترة الاحتلال الساساني.(١)

وبعد أن نتخطى بوابة تدمر يبدأ الشارع الرئيسي لدورا أوروبوس والذي يتجه نحو نهر الفرات ويبلغ عرضه حوالي ٤,٣ ١م على يمين هذا الشارع توجد بقايا حمامات رومانية ذات الطوب الأحمر المحروق.

وإلى يسار الشارع يحتل خان دورا مساحة مستطيلة محاطة بالشوارع الجانبية من ثلاثة اتجاهات ومدخله الرئيسي يقع نحو الشارع الرئيسي في مخطط المدينة الهللينستية.

بعد ذلك إلى اليسار من الشارع توجد مساحة ضخمة تحتلها سوق المدينة Agora وقد بنيت هذه السوق على النمط البارثي.(٢)

وفى مواجهة السوق على يمين الشارع الرئيسي يقع معبد أرتميس الذى مر بناؤه بمرحلتين:

المرحلة الهللينستية في (٤٠ -٣٠ ق.م) ويمكننا أن نتعرف على فناء المعبد من الطراز البارثي. ومدخل هذا المعبد عبارة عن صالة يتبعها مذبح وحجرة ذات ثلاثة أضلاع وهى تكون أساس المبنى، وكذلك نجد حجرة مشابهة لشكل المسرح يتم فيها التجمع لممارسة الطقوس الدينية ومن خلال النصوص نعرف أن سكان دورا قد أقرنوا الآلهه اليونانية أرتميس بالآلهه الشرقية نانايا Nanaia، والإله أبوللو بإله ما بين النهرين حداد Hadad. وإلى الشرق من معبد أرتميس يوجد معبد Atargatis وهذان المعبدان متفقان فى تخطيطهما. وإلى الشمال من معبد أتارجاتيس يوجد معبد لكل

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٢) Odenthal, op cit., p. 292

من جاد Gad حيث عبدت به العديد من الآلهة التدمرية المرتبطـــة بالإلـــه بعلشمين، وفى هذا المعبد بقايا رسومات حائط تؤكد بناء المعبد في القـــرن الثاني الميلادي.(١)

وأما الجزء الشمالي من المدينة فهو منفصل عن باقي المدينة في العصـــر الروماني من خلال سور من الطوب. وفى هذا الجزء يقع قصر القائد الـذي ينقسم إلى فناء الأعمدة وفى جانبه الجنوبي يوجد فناء ثان، أمام فى جانبـــه الشمالي فيوجد تراس يشرف على نهر الفرات.

وإلى الجنوب من هـــذا القصـــر يوجـد معبـد صغـير للإلـه زيـوس Dolichenus كان مخصصا للطقوس الخاصة بالجنود الرومـــان. وفـــى أقصى الطرف الشمالى الغربى يوجد معبد الإله بعل ذات رسوم الحوائـــط الرومانية. وقد تبين أنه معبد خاص بالجالية التدمرية التي كان لها شأن فـــى هذا المكان. وكان المعبد مخصصا لآلهة تدمر الثلاثة، ولا غرابة فى ذلـــك فعبادة هؤلاء الآلهة كانت منتشرة فى منطقة القرن وخاصة الإله التدمـــرى بعل.(٢)

وجدير بالذكر أن الرسوم الجدارية التي اكتشفت فـــى عـــام ١٩٢١ هـــى الرسوم التي تزين المعبد التدمرى. ويتصل هـــذا المعبـد بســـور المدينـــة بواسطة أحد الأبراج، وهو يتألف من فناء كبير مستطيل الشكل يكتنفه عـــدة غرف. يقع المعبد فى الغرب ويتقدمه رواق لم يبق من أعمدته إلا أربعـــة. أما قدس الأقداس فيحتوى فى جانبه الخلفي على حنية نصف مستديرة تطـل نحو المدخل، وفى هذه الحنية كانت تقف تماثيل الآلهة المعبودة.(٣)

---

(١) M Rostovtzeff, Dura-Europpos and its Art, 1938, p 72

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) Odenthal, op.cit., p.291

وقد كانت جدران قدس الأقداس مزينة فـي الداخـل برسـوم ملونـه وأشهرها رسوم الجدار الجنوبى. تمثل هذه الرسوم منظراً لتقديم الأضـاحي حيث نشاهد كونون بن نيكوستراتوس يقوم مع اثنين من الكهنة بتقديم قربان بحضور كافة أفراد عائلته، ويمسك كونون بشـريط زهـرى اللـون ولـه نهايات زرقاء. ويتقدم كونون بخطوة، كاهن يعتمر قبعة عالية بيضاء اللـون ويرتدى ثوباً طويلاً أبيض اللون وأمامه آنية من الخزف يظهر منها غصـن نبات. ويحمل الكاهن بيده اليسرى طبق وجره من الخزف الأزرق، وعلـى الطبق وضع خنجران لابد أنهما كانا مخصصين لذبح الضحية، (شـكل ٣٠) وهناك كاهن ثالث بجوار الأول وهو يقف أمام مذبح البخـور. أمـا بـاقى المنظر فيغطيه أفراد عائلة كونون.[١]

وقد تم الكشف فى دورا أوروبوس عن كثير من التماثيل والمنحوتـات البارزة والمباخر والدمى الطينية والأواني الزجاجية والفخاريـة والخزفيـة وهناك دروع من الجلد وبقايا قطع نسيج وسرج حصان من الـبرنز، كـل هذه المكتشفات الأثرية ما هي إلا شـواهد ماديـة علـى الحيـاة اليوميـة والممارسات الدينية وفنون الحرب، وهى إلى جانب الشـواهد المعماريـة والعمرانية تقدم الدليل الدافع على أن المدينة ظلت شـرقية الطـابع رغـم هيمنة الأساليب الإغريقية والرومانية.[٢]

وفي الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة معبد أفلاد الذي عبده أهـالي دورا أوروبوس بصفته ابناً لإله الطقس العظيم، لكننا نلمس وجود تـأثير بـارثى (فارسي) في طقوس عبادته.

---

(١) Perkins, op.cit., p. 133.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٥.

ومن أشهر اللوحات النحتية لوحة أبعادها ٥١ x ٣١سم وهي محفوظة فـــي المتحف القومي بدمشق، وتكمن أهمية هذه القطعة في أنها تزودنـــا بفكـــرة عن تصورات أهل دورا أوروبوس لهذا الإله، فهو يقـــف فوقـــه حيوانيـــن خرافيين مجنحين كما أنه يرتدي بدلة عسكرية هللنيستية الطراز لكن الرداء الأسفل الذي تظهر أطرافه عند الركبة، بارثى الطراز. هناك كـــاهن يقـــف أمام مذبح وفي حالة تقديم الأضاحي. ويقول النقش بالكتابـــة اليونانيـــة أن المدعو حدد يابوس ابن زبد يبولوس أمر بإنجاز هذه القطعة للإلـــه أفـــلاد طالباً الخير لنفسه ولأولاده وآل بيته. ويرجع تاريخ هـــذه القطعـــة طبقـــاً لطرازها الفني إلى أوائل القرن الأول الميلادي.(١)

مدينة بصرى الشام(٢) Bosra

تقع مدينة بصرى في سهل خصيب هو امتداد للمنحـــدرات الجنوبيـــة الغربية لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحـــر ويظـــهر اسم بصرى في النصوص المسمارية التي ترجع إلى الألـــف الثـــاني ق.م حيث كانت تعرف باسم "بوصرونا" كما كانت عاصمة لإمارة.

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٧٦، الشكل٥٧.

(٢) بصرى بضم الباء وسكون الصاد والألف المكسورة في أحـــرها تمييـــزاً لهـــا عن بصرة جنوب العراق بفتح الباء وسكون الصاد وبتاء التأنيث في أخرهاء وهي تعني الحصن.

وتنقطع أخبار بصرى من المصادر المكتوبة لفترة تزيد عن ألف عـــام ثـــم تعاود الظهور بعد فتح الإسكندر الأكبر لبلاد الشام.(١) وازدهرت بصـــرى في عهد السلوقيين حتى أواخر القرن الأول ق.م، وحينما دب الضعف فـــي الأسرة السلوقية قام العرب الأنباط بتوسيع سلطانهم نحو الشمال واستطاعوا بسط نفوذهم على دمشق واحتلوا بصرى وتحولت المدينـــة إلـــى حصـــن صعب المنال وقد أفادها في ذلك موقعها الإســـتراتيجي الـــهام واقتصادهـــا القوي الناتج عن موقعها في السهل الخصيب الذي يطوقها من كل مكان.(٢) وحينما احتل القائد الروماني بومبيوس بلاد الشام في عـــام ٦٤ق.م ظلـــت بصرى ومنطقة حوران تحت سيطرة الأنباط وكـــانت حدودهـــا الشـــمالية محاذية لولاية سوريا الرومانية.

وبقى الأمر على هذا الحال لفترة امتدت أكثر من ١٧٠ عامـــا حيـــن احتلها عام ١٠٦م القائد الروماني كورنيليوس بالما فى عـــهد الإمـــبراطور تراجان وإقتطع الأطراف الشمالية من دولة الأنباط ومنها دولـــة حـــوران وتكونت الولاية العربية Provincia Arabia التى أصبحت واحدة من أهـــم ولايات بلاد الشام وكانت مقرا للفرقة الثالثة الرومانية وأصبحت تحمل اســـم بصرى نوفا تراجانا Bosra Nova Trajana.(٣) وقد اكتســـبت بصـــرى أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها على طريق التجارة العالميـــة، وكانت بصرى محطة تتوقف فيها القوافل التي تتردد بين الجنوب والشـــمال ــ بين دمشق والبحر الأحمر ــ وبين الشرق والغـــرب ــ بيـــن الخليـــج

(١) أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٨-٧٩.

(٣) Odenthal, op.cit., p.106.

العربى وسواحل بلاد الشام. وقد أفاد المدينة وفرة المياه فيها مـــن خـــلال الينابيع التى تتفجر منها المياه.(١)

وكان لانحطاط شأن البتراء عاصمة الأنباط فى جنوبى البحر الميـــت أثره البالغ فى تعاظم دور مدينة بصرى حيث انتقل القســـم الأعظـــم مـــن تجارة البتراء إلى بصرى. وقد شهدت بصرى نهضة معمارية واضحة فـــى عهد الإمبراطور سبتميوس ســـفيروس والإمـــبراطور الســـوري الأصـــل سفيروس الإسكندر والإمبراطور فيليب العربى فى بدايـــة القـــرن الثـــالث الميلادى حيث رفعها إلى مرتبة حاضرة "ميـــتروبول" (مجمعـــة عمرانيـــة عملاقة) وقد وصلت أهمية بصرى إلى حد أنها اعتمدت تقويماً مستقلاً عـــن التقويم السلوقي ـــ المعتاد فى هذه المنطقة ـــ إذ بدأ تقويمها مع عـــام ١٠٦م وهى نفس السنة التي تحولت فيها المنطقة إلى ولايـــة عربيـــة عاصمتـــها بصرى، كما كانت تسك النقود باسمها مما ساهم فى ازدهارها تجارياً.(٢)

وبعد أن أصبحت بيزنطة عاصمة الشرق الروماني وأفول نجم رومـــا استمرت بصرى فى ازدياد أهميتها حين آمنت بالرســـالة الســـماوية التـــى حملها السيد المسيح، وغدت بصرى مقراً لأسقفية ثم سرعان ما قفزت إلـــى مرتبة رئاسة أسقفية. وقد تجلت تلك المكانة المرموقة بأن قامت فـــى قلـــب بصرى أعظم كاتدرائية فى أي بلد من بلدان المشرق فى القـــرن الســـادس الميلادي.(٣)

وقد كانت قوافل الحجاج تتوقف فى بصري فى الذهاب والإياب ولكـــن عندما انعدم الأمان على طريق بصري بسبب ضعف وتهاون الدولـــة فـــى

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) Odenthal, op.cit., pp.106-107.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨١.

العهود المتأخرة أصبح الحجاج يسلكون طريقاً يبعد إلى الغرب من المدينـة، وهكذا فقدت بصرى كل اتصال بقوافل الحجاج والتجار. وتحولت من مدينة مكتظة بالسكان إلى قرية مقفرة فقيرة الحال.

تخطيط المدينة

يتخذ سور المدينة شكلاً مستطيلاً ويبلغ سمكة ما يقـرب مـن أربعـة أمتار وتعززه دعامات تشبه الأبراج، وهناك أربعة بوابات رئيسية تخـترق كل ضلع من أضلاع المستطيل. وتعتبر البوابة الغربية من أحسن البوابـات الباقية وهى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى.

وهذه البوابة تقود إلى داخل المدينة من ناحية الغرب(شـكل ٣١) وتـؤدى إلى شارع الأعمدة الرئيسي الذي يخترق المدينة من الغرب إلـى الشـرق ليصل فى النهاية إلى بوابة الأنباط التي تقع شرق المدينة. ويظهر فى نهايـة هذا الشارع الرئيسي قوس النصر(شكل ٤٠) المؤلف من ثلاثـة فتحـات (أقواس)، وعند التقاطع الأول لهذا الشارع الرئيسي مـع الشـارع الـذى يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب توجد التترابيل Tetrapylon.(١)

ويسيطر على تخطيط المدينة النمط النبطي(٢) خاصة فيما يخص اتجـاه الشوارع حيث لا تتقاطع شوارع الأعمدة الرئيسية مع الشارع الرئيسي فـى زوايا قائمة متعامدة وإنما زوايا مائلة وغير مستقيمة. كذلك فـإن شـوارع الأعمدة تتفرع من الشارع الرئيسي إما ناحية الجنوب فقط مثلما هو الحـال فى الشارع المؤدى إلى المسرح أو ناحية الشمال فقط مثلما هو الحال فـى الشارع المؤدى إلى السوق الرئيسية بالمدينة. كذلك يؤرخ جزء من سـور المدينة غرب المسرح فى عصر مبكر من عصور الأنباط. أما عن تطـور

---

(١) Odenthal, op cit , p. 107.

(٢) Ibidem p. 108.

المدينة فى الفترة ما قبل الرومانية فهو غير معروف على الإطلاق وكذلك تكمن مشكلة الفترة الرومانية فى استخدام أحجار المباني القديمة الرومانية فى بناء مباني جديدة أيام الفتح العربى للمدينة.(١)

البوابة الغربية

بقيت هذه البوابة الغربية أفضل البوابات التي كانت تطل على المدينة بالنسبة لباقى البوابات، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، ويعلو فتحة الباب قوسان متتاليان. تبرز الوجهتان الجانبيتان إلى الأمام كالأبراج وهما مزينتان بالعضادات والمحاريب. يقود هذا الباب إلى الشارع الأعظم الذي يخترق المدينة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق (شكل ٣٣).(٢)

المسـرح

يعتبر مسرح مدينة بصرى من أهم المسارح الرومانية فى الشرق. وقد استخدم هذا المسرح فى عصر بنى أميه كحصن للدفاع عن المدينة. فقد قام الأمويون بسد مداخله إلى الأوركسترا وإلى المدرجات وإلى خشبة المسرح. وفى القرن الحادي عشر ساهم الفاطميون فى تقوية الركن الشمالى الشرقى للمسرح من خلال أبراج ظلت مكتملة حتى العصر الأيوبي فيما بين ١٢١١ - ١٢٥١م. كما استخدم هذا المسرح كقلعة منيعة فى الحرب ضد الصليبيين لكن دون أن يلحق أدنى أذى بجسم المسرح أو بنيانه.(٣)

ومنذ عام ١٩٤٧ بدأت محاولات رفع هذه الأتربة والأنفاق من داخل جسم المسرح حتى أننا نرى اليوم مسرحا متكاملا بكل أجزائه لا نظير

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٨٢ – ٨٣.

(٢) Odenthal, op cit., p 110.

(٣) Ibidem, pp. 108-109.

لكماله فى أي بلد من بلدان المشرق أو المغرب. ويبلغ قطر المدرج النصف دائري أكثر من ١٠٠م وهو مطوق بعدد من الممرات فى أكثر من طابق. ويوجد فى الجوانب ممرات تؤدى إلى الأوركسترا. أما ساحة المدرجات فهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام أو طوابق يفصلها ممرات أفقية Diazoma وينتهي الطابق العلوي بصالة أعمدة تدور حول المدرجات وهى على الطراز الدوري (شكل ٣٤).(١)

ويؤدى إلى الممر الأول ستة صفوف من السلالم، يتبعه ثمانية صفوف تؤدى إلى الممر الثاني وتنتهي بأحد عشر صفاً من السلالم حتى صالة الأعمدة العلوية.

ويغلق ساحة المدرجات النصف دائرية بناء يمثل خشبة المسرح، التى تتكون من جزء أمامي Proscenuim الذي يحتوى على حجرة الممثلين والذي يأخذ نفس مساحة الممر الأفقي الأول، وينتهي هذا البناء إلى الخلف فى حائط مكون من ثلاثة طوابق وهذا الحائط مزخرف بعدد من الحنايا والأعمدة والكرانيش المعمارية، ومازالت بعض الأجزاء من هذه المعالم واضحة فى الطابق السفلي لهذا الحائط حتى الآن (شكل ٣٥). أما الحوائط المحيطة بجوانب بناء خشبة المسرح فهى ذات زخرفة معمارية ممثلة فى أنصاف أعمدة دورية ومن مساحة الأوركسترا فى الوسط يصل المرء من خلال ممرات إلى مساحة التمثيل المستطيلة الشكل والتي كانت محاطة بعدد من الأعمدة. ويخف بخشبة المسرح من الجانبين مقصورات كانت مخصصة لكبار الشخصيات. وتتجلى ذروة الكمال فى ضبط هندسة الصوت داخل هذا المدرج الفسيح، فالمتكلم على خشبة المسرح يمكن أن يسمعه الجالس فى أعلى المدرجات بكل وضوح ونقاء.

---

(١) Ibidem p 109

أما المساحة الداخلية للمسرح فيصلها المرء عن طريق ممر يؤدى الى خشبة المسرح أو عن طريق سلالم وممرات بين بناء المسرح والقلعة ومن هذا الطريق الأخير يستطيع المرء أن يرى بوضوح جميع مدرجات المسرح والحائط الخارجي القديم لهذا المسرح.

ويرجع تاريخ هذا المسرح طبقا لبعض الكتابات النبطية إلى فترة قصيرة بعد الاحتلال الروماني للمدينة أي فى نهاية القرن الأول ق.م.[١]

الحمامات[٢]

إلى الشمال من المسرح وعلى الجهة اليمنى من شارع الأعمدة تقع الحمامات فى جنوب المدينة وهى تأخذ شكل حرف T. ويتقدم هذا المجمع من الحمامات صالة أمامية ذات أعمدة تؤدى إلى حجرة فخمة مثمنه الأضلاع وهى مغطاة بقبة وبها ركن على هيئة الحنية وهو فيما يبدو مكان لتغيير الملابس Apodyterium. ويتبع هذه الحجرة الرئيسية عدة حجرات هى حجرة الهواء الساخن Tepidarium، حجرة الماء البارد Frigidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium (شكل ٣٩).

معبد آلهة المياه Nymphaeum[٣]

وفى الشارع المقابل للحمامات نرى أربعة أعمدة كورنثية فوق مبنى مثمن الأضلاع وهى ما تبقى من بعد آلهة المياه. هذه الأعمدة يصل ارتفاعها إلى ١٤م وهى لا تزال تحتفظ بتيجانها الكورنثية، وكانت هذه الأعمدة علامة لتقاطع الشارع الأعظم مع شارع فرعى هام (شكل ٣٦). ومن المعتقد أن هذه الأعمدة كانت جزءا من معبد آلهة المياه ولعلها كانت

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

(٢) Odenthal, op.cit., pp. 110-11

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

تحمل سقف الرواق الظليل الذى يتقدم المعبد. ويذكر رحاله القرن التاسع عشر أنهم شاهدوا حنية نصف مستديرة كجزء باق من بنيان المعبد، لكن كل تلك الآثار قد زالت الآن ولم يبق قائما إلا هذه الأعمدة.

البوابة النبطية(١)

كما سبق القول يخترق الشارع الرئيسي المدينة من الغرب إلى الشرق وفى نهايته الشرقية توجد بوابة فى حالة جيدة لها مدخل عميق يأخذ الشكل القبوي من أعلاه ويرتكز على عمودين مربعين. وترتكز حوائط الطابقين اللذين يلتفان حول البوابة فوق قاعدة بسيطة تقف عليها البوابة. فى الطابق السفلي نجد الواجهة مكونه من نصف عمودين بين أعمدة الأركان وبين أنصاف الأعمدة توجد حنية مقببة ذات أعمدة مربعة، أما الطابق الثانى فيحتوى على ثلاث فتحات الوسطى منهم ذات سقف قبوي (شكل ٣٢).

ومن الملاحظ أن كل جزء من البوابة فى الطابق السفلي تكون حجرة على جانبي البوابة. ومن الطراز الفني لهذه البوابة خاصة طراز تيجان الأعمدة التى تصور قرنا فى كل جانب نستطيع القول أن هذا المبنى ذات أصول نبطية ويمكن تأريخه فى بداية القرن الثانى الميلادى.

كاتدرائية بصرى(٢)

من سوء الحظ أن معظم أجزاء الكاتدرائية قد دمرت تماما ما عدا الجزء المتبقي من المحراب وتدلنا بقايا هذا المبنى أنه بنى فى عام ٥١١م وهو عبارة عن مبنى على الطراز المركزي ويتميز هذا المبنى بوجود حنايا كثيرة فى حوائطه الخارجية.

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 111.

(٢) Odenthal, op.cit., pp. 112-113.

أما أساسات هذا المبنى فتأخذ شكلا هندسيا، وهو عبارة عن مبنى دائـــري داخل مساحة مربعة وتقع أبواب هذه الكاتدرائية عند تلامس الجزء الدائـوي مع المساحة المربعة فى الجانب الغربى من المبنى. أما الحجرات التى تقـــع على الأركان الأربعة فقد زينت بالعديد من الحنايا. وتبلغ المساحة المربعـــة لهذا المبنى ٣٦ × ٣٦ مترا (شكل ٣٧). وقد قدم لنا Vogüe فـــى عـــام ١٨٦٥ تصورا لهذا المبنى الذى تكون من قبة فوق المربع الداخلي تســـتند على أعمدة مربعة.(١) ومن أهم الأجزاء المتبقية الجزء الشرقى الذى يقـــابل مدخل الكاتدرائية والذي يحتوى على الحنية الرئيسية ومبنيين ملاصقين لـــها وصالتين صغيرتين.

وتمتد الحنية الرئيسية متعددة الأضلاع وكذلك الصالتـــان الملتصقتـــان بها إلى خارج المبنى (شكل ٣٨) واللتين تتصل بهما حجرتان كانتا تمثـــلان ممرات إلى مركز إقامة الأسقف. وتوجد بعض آثار لرسومات الحائط علـــى الحنية الرئيسية كانت تصور السيدة العذراء.(٢)

مدينة شهبا (فيليبوبوليس)

يرتبط اسم هذه المدينة باسم مؤسسها الإمبراطور الرومـــــاني فيليـــب العربى حيث انتصر أثناء فتره توليه ولاية سورية على جيوش الساســـانيين فى عام ٢٤٣م فى موقعتي Carrhae, Nisibis واستطاع فى عـــام ٢٤٤ أن يتغلب على جورديان الثالث ويحكم الإمبراطورية الرومانية حتى عـــام ٢٤٩م. وفى عام توليه السلطة أسس من جديد مدينة فيليبوبوليـــس مســـقط رأسه فى حوران واعتمد لهذه المدينة تقويما مستقلا، وتحمل هـــذه المدينـــة

---

(١) Ibidem, p 112.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

كل صفات المدينة الرومانية. وقد استمرت هذه المدينـــة مزدهــرة حتــى أصبحت مقرا للأسقفية فى القرن الرابع الميلادي.[١]

تقع شهبا على أطراف جبل العرب، وترتفع ما يقرب من ١٠٥٠ متر فــوق سطح البحر، وهى على الجانب الشرقى من طريق دمشق ــ السويداء.[٢]

تخطيــط المــدينة[٣]

تنحدر المساحة الصخرية المقامة عليها مدينة شهبا من الغــرب الــى الشرق. ويتخذ مخطط المدينة الشكل الجيومتري ويقـــترب مــن تخطيــط المعسكر الروماني ذا التقاطع الرئيسي الذي يتكون مــن شــارع عرضــي Cardo وشارع طولي Decumanus داخل مساحة مربعة غير منتظمــة الأضلاع، ويتقاطع الشارعان الرئيسيان فى زاوية قائمة ويسميان شـــوارع الأعمدة، وهناك باب يخترق كل ضلــع مــن أضــلاع الســور الأربعــة، (شكل ١١) لكن هناك باب ثانوي فى كل من الضلـــع الشــمالى والضلــع الجنوبى. ويعتبر الباب الرئيسي فى الجنوب فى حالة جيدة، فهو ما يـــزال يستخدم مدخلا إلى قلب المدينة من ناحية الجنوب (شكل ٤١). وتخطيط كل بوابة من البوابات عبارة عن برجين فى الوسط يتخللـــهما ثــلاث فتحــات تستخدم كمدخل وهى عبارة عن قوس أعظم فى الوسط (٤,٦٠م) وقوســين جانبيين (٢,٨٠م). ونلاحظ أن الأعمدة الملتصقة بهذا البناء تحمــل تيجانــا تأخذ شكل القرون وكذلك السقف المقبب للبوابة الوسطى، وكلـــها شــواهد تعبر عن الطراز النبطي الذي ظل مستخدما حتى بعـــد عــام ٢٤٤م فـــى سورية. وتقوم فى وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعــة

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 118

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) Odenthal, op cit., p. 118.

سورية. وتقوم فى وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة للنصب المعماري المؤلف من أربعة أعمدة (تترابيل) Tetrapylon. ونصل من هذا النصب المعماري غرباً إلى مركز المدينة.(١)

النصب التذكاري(٢)

يقع هذا النصب التذكاري فى الشارع الواقع إلى الغرب من الشارع الرئيسي ويتكون هذا المبنى من سلالم تصعد بعرض المبنى بالكامل وتضع هذه السلالم على حجرة رئيسية ذات حنية كبرى تأخذ شكل نصف دائرة بين عدد من الحنايا والجدران ذات البوابات. وبالرغم من الاتساع الكبير لهذه الحجرة الرئيسية إلا أن عمارة هذه الحجرة مركزة فقط في الحنية الكبرى والتي تحتوي على عدد من المناظر المنحوتة في وسطها تمثال كبير للإمبراطور فيليب. وحول هذه الحنية الكبرى يوجد بابان يؤديان إلى حنيتين أصغر حجماً من الحنية الرئيسية.

ويعتقد كل من Amer و Gawlikowsky (٣) أن هذا المبنى قد أقيم لتمجيد الإمبراطور فيليب العربي وأفراد أسرته، وأن هذا المبنى كان مخصصاً لعبادة الإمبراطور.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) Odenthal, op.cit , p. 119

(٣) M Gawlikowsky- CH. Amer- DaM2, 1995- 1997, pp.. 1-10.

انظر أيضاً.

MGawlikowsky, Monuments Funeraires de Palmyree,1976, p. 56.

ضريح آل فيليب العربي

إلى الجنوب من النصب التذكاري يوجد مبنى مستطيل الشكل من الأحجار المهذبة، وله مدخل واسع يؤدي إلى حجرة حوائطها مقسمة إلى ثلاث حنايا عميقة (شكل ٤٢). ومن الحنية الجنوبية في الحائط الغربي يؤدي سلم إلى سطح المبنى. وهذا المبنى يشبه المعبد في هيئته.(١) ويتحدث النقش التذكاري عن الإله مارينوس ولابد أن هذا الشخص هو المدعو جوليوس مارينوس والد الإمبراطور فيليب العربي. أما وظيفة هذا المبنى فقد كان مخصصاً لعبادة أفراد العائلة الإمبراطورية وتقديس ذكرى والد الإمبراطور الذي وصل إلى مرتبة الإله.(٢)

مسـرح شهبـا

يشبه هذا المسرح في تفاصيله مسرح بصرى مع اختلاف واحد وهو أن مسرح شهبا تتكون مدرجاته من طابقين فقط في حين كانت ثلاثة في بصرى، ويزودنا مسرح شهبا بفكرة جيدة عن نماذج المسارح الصغيرة في الفترة الرومانية، ويبلغ قطر المدرج ٤١ متر وقد قسمت صفوف المقاعد إلى قسمين بواسطة ممرين أفقيين ولكن لم يبق من القسم العلوي إلا جزء قليل. ويوجد بالجزء السفلي من المدرجات ثلاث صفوف من درجات السلم في حين يوجد خمسة صفوف من الدرجات في الجزء العلوي من المدرجات (شكل ٤٣ ـ ٤٧).(٣)

---

(١) Odenthal, op.cit., p 119.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٠ شكل ٧٧.

(٣) Odenthal, op cit , p 119.

وتكمن أهمية مسرح شهبا في قربه المباشر من المباني الهامة في المدينـــة، ومن الملفت للنظر أن حجم هذا المسرح من الحجم المتواضع، مثله في ذلك مثل مسرح بصرى وهو يكفي فقط حاجة سكان المدينة وليس لــه ارتبــاط بوجوده داخل مدينة إمبراطورية.(١)

أما خلفية خشبة المسرح فهي مكونة من حائط مكون من طابقين وهــي مكونة من ثلاثة أقواس وحنايا صغيرة. ويتبع طراز هذا المســرح الطــرز المستخدمة في منطقة حوران. وتبلغ أبعاد هذا الحائط الخلفي (الكواليـــس) في مسرح شهبا ٤٢ ×١٢م بينما تبلغ أبعاد خشبة التمثيل الملاصقة للجــدار الشمالي للكواليس مقدار ٢٠ ×٤,٣٠ م. وتشــبه واجهــة الحــائط الخلفــي للمسرح شكل بوابات المدن أي قوس أعظم في الوسط وقوســان جانبيــان وعلى جانبي كل قوس توجد محاريب مستديرة ومستطيلة.(٢)

أما أسفل المدرجات في الطابق السفلي فتوجد مداخل مسقوفة بعقود وهـــي تقود إلى الأوركسترا الواقعة بين خشبة المسرح والمدرج وكذلك توجد نفس المداخل على جانبي خشبة المسرح وذلك لدخول الممثليــن. وقــد اســتغل المهندس الذي صمم المسرح ميل الأرض في هذه البقعة من بلدة شهبا كــي يسند عليها جسم المدرج ويبلغ عرض الممرات التي تــؤدي إلــى داخــل المسرح ٢,٨٦م ويمكن الدخول إلى المسرح عبر خمسة مداخل.(٣)

الحمــامات الكبــرى

تقع الحمامات الرئيسية بالمدينة إلى الشرق من الشارع الرئيسي الــذي يمتد من الشمال إلى الجنوب وبالقرب من منطقة المسرح عند نهايــة خــط

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩١ شكل ٨٠.

(٣) نفس المرجع، ص ص ١٩٤-١٩٥ شكل ٨٣ - ٨٤.

للمياه قادم من الجنوب الشرقي إلى مدينة شهبا. وجدران هـــذه الحمامـــات مبنية من صخور بركانية، أما الحنايا فبناؤهـــا مـــن الطـــوب المحـــروق (شكل ٤٨).

ويدخل الزائر إلى الحمامات من الغرب عن طريق ثلاثة مداخـــل مقوســـة تؤدي إلى صالة عرضية. وتمتد أنابيب المياه في المساحة المستطيلة بيـــن المداخل والحنايا. وتظهر أجزاء الحمام الرئيسية متوالية حيث تظـــهر أولاً حجـرات المـــاء البـــارد Frigidaruim وبجوارهـــا حجـــرة جانبيـــة Vestaruim وهي مخصصة لخلع الملابس يتبعها حجرة ذات قبة قطرهـــا ٩متر وهي حجرة الماء الساخن Caldaruim وهـــذه الحجـــرة مرتبطـــة بصالة شمالية ذات حنيتين هي حجرة الهواء الساخن Tepidaruim.(١)

وبالقرب من الحمامات الكبرى كشف الأثريون عن بقايا دار كبيرة احتفظت أرضياتها بروائع الفسيفساء وهي محفوظة الآن بالمتحف الوطني بدمشق:

اللوحة الأولى (شكل ٤٩)

لوحة فسيفساء يبلغ طولها ٣,٣٧م وعرضها ٢,٧٦م وألوانـــها صفـــراء وحمراء وخضراء وسوداء وزرقاء وبرتقالية. هذه اللوحـــة تمثـــل مشـــهداً رمزياً للآلهة وأنصاف آلهة وكل منهم يحمل اسم بحروف يونانية، يتوســـط تلك الجمهرة إلهة الأرض وأطفالها وخلفهم ملائكة الزراعة.

في الجانب الأيسر من اللوحة نشاهد أيون ملاك الزمن الأبدي وإلى جانبـــه نسوة تجسد الفصول الأربعة في السنة. وفي الجانب الأيمـــن نـــرى الإلـــه بروموثيوس وهو منهمك في خلق جسم الإنسان ويقف وراءه الإله الشـــاب

---

(١) Odenthal, op.cit., pp. 119-120.

هرميس حاملاً الصولجان، وتطل من بين الغيوم التـــي تعلــو الجمــهرة رؤوس ترمز إلى الرياح وإلى النوبان.

وترمز هذه اللوحة إلى ثراء وخصب منطقة حوران وترمز إلى نهضة تجارتها من خلال تصوير الإله هرميس. وتعتبر هذه اللوحة من أهم مشاهد الفسيفساء المكتشفة في بلدان المشرق، وترجع هذه اللوحة إلى القرن الثـالث الميلادي.(١)

اللوحة الثانية (شكل ٥٠)

لوحة فسيفساء تحتوي على مشهد رمزي حيث نــرى اوتيكتيــا التــي تجسد السعادة والأطفال، جالسة على العرش في الوسط وإلى يسارها تقــف الفلسفة وأمامها سلة مليئة بلفائف ورق البردي وإلى يمينها تقف دياكوســيف أو العدالة. وتتكون ألوان اللوحة من اللون البنفسجي والأحمـــر والأصفــر والأسود. وترجع هذه اللوحة إلى النصـــف الثــاني مــن القــرن الثــالث الميلادي.(٢)

مدينـــة تدمر (بالميرا)

تقع مدينة تدمر على ارتفاع حوالي ٤٠٠متر فوق سطح البحر وبجوار منحدرات سلسلة من جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشارف الشـــام. وفوق أحد مرتفعات هذه الجبال تقف قلعة ابن معن. وأسفل هذه القلعة تقـــع آثار تدمر على مساحة حوالي ستة كيلو مترات مربعة، ويطــوق الأطـــلال من ناحية الجنوب حزام من أشجار النخيل. وتتوسط تدمر الطريق الواصــل بين الفرات ـــ الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية ــ وســواحل بلاد الشام ذات الموانى الكثيرة. وكان التجار منذ العصور القديمة يســلكون

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٧ شكل٨٧.

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٨، شكل ٨٨.

الطريق القادم من نهر الفرات ولابد من المرور من تدمر إذا كانت وجهتهم موانئ بلاد الشام ومنها إلى أي دولة أخرى عبر البحر، ومن هنا ازدهـرت تدمر سواء في العصر اليوناني أو الروماني وحتى الفتـح العربـي عـام ٦٤١م.(١)

ويقول بلينيوس(٢): "بالميرا مدينة مشهورة من خلال موقعها وكذلك بسـبب خصوبة أراضيها وينابيعها المتعددة. ومساحتها محاطة من كـل الجـهات بحزام من الرمال(شكل ٥١ – ٥٢). ومن خلال طبيعتها فهي منعزلة عـن العالم أجمع وهذه الطبيعة هي التي حددت مصيرها بيـن الإمبراطوريـات الكبرى للرومان والبارثيين".

أصـل التسمية

يرجع أصل تسمية تدمر Tadmor إلى الأصل السامي منـذ الألـف الثاني قبل الميلاد ولكن حرف هذا الاسم في العصر اليوناني إلـى كلمـة بالميرا Palmyra التي تعني مدينة النخيل لكثرة النخيل بـها،(٣) ويطلـق عليها أسم عروس الصحراء.(٤)

بدايـة تدمـر

برهنت الظروف الطبيعية أن موقع تدمر صالح لاستقرار الإنسـان حيـث يوجد بها:(٥)

١– نبع أفقا الذي تتدفق منه المياه وتغذى البساتين في تدمر.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص٩٧.

(٢) Plinius, Historia Naturalis, 26.

(٣) T Wiegand & D. Krencker Palmyra, Band I, 1932, pp. 5-6.

(٤) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٥) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٠–١٠١.

٢- نبع السراي الذي يحمل المياه العذبة إلى المدينة.

لذلك نجد أن الإنسان قد توطن في تدمر منذ العصر البرونزي القديم (٢٠٠٠ ق.م) والعصر البرونزي الحديث (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، ولابد أن جماعات الأموريين قد سكنوا تدمر وهم الذين جاءوا من بادية الشام وتوغلوا في العراق وبلاد الشام.

تدمر في العصر الروماني

توقفت النصوص الكتابية عن ذكر تدمر قرابة ألف عام ولكن استأنفت ذكر المدينة في القرن الأول ق.م. كانت تدمر ذات شأن عظيم حيث بدأ ازدهارها في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام حيث يوجد نقش يذكر وجود معبد للإله بل (بعل).

في عام ٦٣ ق.م دخل القائد الروماني بومبيوس سورية وجعلها ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية ولكن تدمر لم تكن آنذاك جزءاً منها حيث استطاع أهلها الاحتفاظ باستقلالها ضد الفرس والرومان. وفي الأعوام الأولي بعد الميلاد استطاع الرومان فرض سيطرتهم علي تدمر واحتلالها واستطاعت هذه المدينة بحكم موقعها أن تلعب دوراً خطيراً وقد كان لرماة السهام من التدمريين صيت ذائع في صفوف الجيوش الرومانية.(١)

وفي عام ١٢٩م جعل الإمبراطور الروماني هادريان من تدمر مدينة حرة أثناء زيارته لسورية وجعل أهلها من الأحرار وأعطاهم حق المواطنة الرومانية مما جعل التدامرة يطلقون علي المدينة اسم Tadmor Hadriana وقد اعتمدت السلطة في تدمر على نظام مجلس الشيوخ. وكان يوجد في تدمر كتيبة من الجيش الروماني وذلك لتجسيد

(١) Odenthal, op.cit., pp. 299-300

وتأكيد الوجود الأجنبي في المدينة. وكان الوالي الروماني يتبوأ منصباً رفيع المستوى وقد كان يقوم بجبانة الضرائب.(١)

وفى عهد الإمبراطور سبتميوس سفيروس توسعت المدينة، ويعتبر عهد هذا الإمبراطور مرحلة تحول فى تاريخ تدمر حيث رفعها الإمبراطور إلى مستوى مستعمرة في عام ٢١١م وجعلها تابعة لولاية فينيقيا. وقد أدت هذه المرتبة الجديدة إلى زيادة هيبة تدمر حيث أعتقت من دفع الجزية لخزينة الإمبراطورية الرومانية. وقد تجسدت هذه الأهمية لتدمر في الصراع الفارسي الروماني في ذلك الوقت حيث قام عدد من الأباطرة الرومان بزيارتها في هذا الوقت.(٢)

وبعد وفاة الإمبراطور سبتميوس سفيروس تجلت أهمية تدمر بشكل كبير حيث حل الاضطراب إرجاء الإمبراطورية الرومانية وحاول الساسانيون استغلال ذلك في النيل من ممتلكات الإمبراطورية في غرب نهر الفرات. لذلك تعتبر فترة الإمبراطور سبتميوس سفيروس من أهم الفترات التي عاشتها تدمر وقلت أهميتها بعد ذلك وحتى دخول المسيحية.(٣)

أما الفترة التالية فتسمي عصر الملوك التدامرة (٢٣٥ - ٢٧٣م) حيث ظهر شخص يدعي أذينه وقد كان عضواً في مجلس الشيوخ تم ترقي إلى منصب قنصل، وفي عهده بدأ نفوذ تدمر السياسي في التوسع والانتشار. وقد قام أذينه بتلقيب نفسه "ملك الملوك" وذلك كمحاولة منه للاستقلال بالمدينة عن الإمبراطورية واستطاع أن يبنى مملكة في هذه المنطقة.(٤)

---

(١) Ibidem, p. 330

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٣) Odenthal op cit p. 301.

(٤) Wiegand-Krecker, op cit., p. 35

ولكن أذينه أغتيل وكذلك ابنه الأكبر لذلك اعتلى العرش من بعده أخوه الأصغر وهب اللات الذي ورث لقب أبيه ملك الملوك، ولكن وهب اللات كان صغير السن لذلك قامت أمه زنوبيا بالاهتمام بشئون الحكم نيابه عنه واستطاعت هذه الملكة أن تصل بتدمر إلي أوج مجدها وفي الوقت نفسه شهدت مملكة تدمر نهايتها ودمارها في عهد هذه الملكة.(١)

التجـارة

كان التجار منذ العصور الشرقية القديمة يسلكون الطريق القادم من الفرات ويمرون بتدمر إذا كانت وجهتهم بلاد الشام، ومع ازدياد التجارة بين بلاد الشام والهند وغيرها ازدادت عدد الطرق التي تمر بتدمر حتى أصبحت تدمر في العصر الروماني عقدة لشبكة واسعة من طرق المواصلات التي تمتد من شمال الجزيرة العربية وبادية الشام وقد جلبت هذه الطرق التجارية لتدمر الخير والثراء. ويوجد نقش عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحدد الضرائب والرسوم لمن يريد الانتفاع من مياه نبع أفقا ونبع السراي. وتعتبر هذه الوثيقة من أكثر الأدلة علي الدور الهام الذي كانت تلعبه تدمر في الحركة التجارية في هذا الوقت حيث انتعشت التجارة العالمية بشكل خاص عندما ضم الإمبراطور هادريان دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية حيث تولت تدمر جزءاً من التجارة التي كانت بيد الأنباط، وقام التدامرة بممارسة التجارة بأنفسهم وقد كانوا يجلبون الحرير من الصين والتوابل من الهند،(٢) وقد أظهرت الدلائل الأثرية

(١) حسن الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ص ١٥٠-١٥١

(٢) نفس المرجع، ص ص ١٤٦-١٤٧.

والتاريخية علي أنه كان للتدامرة جاليات ومكاتب ووكـلاء فـي مختلـف البلدان.(١)

لذا استغل وهب اللات ثم الملكة زنوبيا هذا الدور الوسيط لتدمر بـأن وسعا نفوذ تدمر السياسي والاقتصادي، ففي عهد الإمبراطور كلاوديـوس Clauduis والإمبراطور كوينتيلوس Quintillus احتلت زنوبيا سـورية وأسيا الصغرى حتى أنقره وكذلك مصر. وفي الفترة من بداية عـام ٢٧٠ وحتى مارس/ إبريل ٢٧١م ضربت فى أنطاكية والإسكندرية عملات تحمل صورة وهب اللات وزنوبيا وأطلقوا علي أنفسهم علـي العمـلات اسـم Augustus وAugusta بذلك أصبح القسم الشرقي مـن الإمبراطوريـة الرومانية يخضع لسلطانها وتحت سلطان تدمر.(٢)

وبسبب هذه الأخطار قام الإمبراطور أورليان في بدايـة عـام ٢٧١م علي رأس جيش بالتوغل فى بلاد الأناضول والشام اسـتطاع أن ينتصـر علي زنوبيا وطاردها حتى أبواب تدمر ولكنها رفضت الاستسلام وحـاولت الخلاص ولكن استطاع جنود الإمبراطور القبض عليها، ودخل الإمبراطور أورليان مدينة تدمر وصادر أموالها وعين الوالي ماركلينوس والياً عليـها. وبعد انسحاب الجيش الروماني انتفضت بالميرا فى عام ٢٧٢م وقامت بقتـل أفراد الكتيبة الرومانية المرابضة بها، فعاد الإمبراطور أورليان مرة أخـري إلى المدنية وأشعل فيها النيران، وبذلك دمرت المدينة ولم تسـتعد مكانتـها بعد ذلك.(٣)

(١) H. J Jones, The cities of the easten Roman Provines, 1971, p. 79

(٢) Odenthal, op.cit., p. 301.

(٣) Ibidem, pp. 301-302

وفى عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٥ - ٣٠٥م) أقام الرومان خطاً دفاعياً من الحصون والثغور عبر بادية الشام وكان هذا الخط يمر بتدمر ونتيجـــة لذلك ابتعدت طرق القوافل عن تدمر مما ترك أثراً سيئاً على السـكان وأدى إلي كثير من الإهمال فيها.(١)

وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) استعادت تدمر بعض الاعتبار حيث جدد أسوارها وزودها بمياه الشرب وجعلها قاعدة عســكرية ولكن المدينة لم تستعد الأهمية التى كانت عليها في الماضى حتــى دخلــها القائد الإسلامى خالد بن الوليد في عام ٦٣٤م.(٢)

الكتابـــة التدمـــرية

كان البيت الحاكم في تدمر من أصل عربـــى حيـث اسـتقر العـرب الناطقون باللسان الآرامي في تدمر منذ وقت طويل وامتزجوا مع الســكان الذين ينحدورن من أصل سامي ولذلك نشأ عن الخط الآرامي القديم شــكل جديد.

وفي عهد الملوك التدامرة وُجِدتْ أعداد كبيرة من النقوش والكتابات بــالخط التدمري الجديد ولغة هذا الخط هي الآرامية ولكنها متأثرة بالعربيـــة فـــى اللفظ.(٣)

كذلك كانت اللغة اليونانية دارجة نطقاً وكتابة فى تدمر أيضـــاً وليـس هناك أدل من التعريفة الجمركية التى نقشت بنودها باليونانية علــي حجــر عرضه ٥ متر محفوظ الآن في متحف ليننجــراد. ويعــود تـاريخ هــذه

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) Wiegand-Krnecker, op cit , p. 80.

الوثيقة[1] إلى عام ١٣٧م فى عصر الإمبراطور هادريان، ويتألف النقش من أكثر من ٤٠٠ سطر وهو عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحدد الضرائب والمكوس كما يحدد مقدار الرسوم لمن يريد الانتفاع من نبع أفقا ونبع السراي وقد عثر علي هذا النقش بالقرب من الأجورا أو السوق العامة.

آلهة تدمر

تتعدد الآلهة فى مدينة تدمر[2]حيث يزيد عددها على ستين إلهاً منها:

١- يتصدر الآلهة فى تدمر الثالوث بل ـ يرحبول (إله الشمس) ـ عجليبول (إله القمر) وقد كان معبد التدامرة فى مدينة دورا أوروبوس مخصصاً لعبادة هذا الثالوث.

٢- الإله بعلشمين سيد السماء ـ وهو يتحكم في المطر الذي يتسبب في خصوبة الأرض.

٣- الإله ملكبيل وهو يعبد فى أغلب الأحيان كإله الشمس وكان يلقب بـ "شمش" إله بابل القديم (شكل ٥٣).

٤- الإله نبو.

بالإضافة إلى هذه الآلهة الرئيسية توجد آلهة أخرى فرعية مثل:

١- آلهة أصلها معروف فى شبه الجزيرة العربية مثل اللات.

٢- بعض آلهة اليونان.

٣- عبادة القيصر الروماني.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) نفس المرجع، ص ص ١١٠ – ١١١.

الشواهد الأثرية فى تدمر

معبد الإله بعل Baal Tempel (شكل ٥٤ - ٦٦)

وهو من أهم معابد مدينة تدمر حيث كان يعبد فيه الثالوث التدمرى بعل ــ يرحبول ــ عجليبول. وهذا المعبد يحاذي بساتين النخيل المنتشرة فى القطاع الجنوبى من المدينة.(١)

ويتربع المعبد فوق تل مرتفع به آثار العصور البرونزية ومخلفات الفترة الهللينستية.

تخطيط المعبد(٢)

- يزين الجدران الخارجية للمعبد أعمدة ملتصقة بالجدار مربعة تعلوها تيجان كورنثية تلتصق بالجدار ويخترق الجدران الأربعة بانتظام نوافذ مستطيلة تعلوها جبهات مثلثة جمالونية الشكل ولكن النوافذ أغلقت بكتل الحجارة لمنع دخول الأعداء إلى القلعة عندما تحول المعبد إلى قلعة أثناء الفترة الأيوبية.
- ويقع المدخل الرئيسي للمعبد فى الجدار الغربى ولكن يحجبه برج أقيم عندما حول الأيوبيون المعبد إلى قلعة.
- وتطوق الساحة المكسوة بالبلاط أروقة تحمل أعمدة كورنثية، وقد كانت ارتفاعات الأعمدة تختلف فى أروقة المعبد. والأعمدة عبارة عن كتل مستديرة فوق بعضها، وكانت هذه الكتل بها ثقوب يوضع بها الرصاص المصهور لربط الفقرات ببعضها لإقامة العمود.

---

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ص ٥٤- ٥٥.

(٢) H Seyrig, R. Amy & E Will, Le temple de Bel a Palmyre, 1975, pp. 32-33

- وهناك ميزة هامة تظهر فى تدمر ولم تظهر فى العصـر الرومـاني وهي وجود طابقين من الأعمدة أي عمود يقف فوق عمود أخر ويبلـغ ارتفاع العمود العلوي ثلث أو ربع طول العمود السفلي وتظـهر فـى تدمر ثلاثة طراز من الأعمدة:(١)

١- أعمدة ملساء بدون قنوات.

٢- أعمدة بها قنوات تشبه الأعمدة الدورية.

٣- أعمدة بها قنوات حلزونية وهى مميزة لمنطقة الشام.

أما تيجان الأعمدة فهي من الطراز الكورنثي الشائع فى العصر الروماني.

- وإلى اليسار من مدخل المعبد يوجد نفق مفتوح يصعـد إلـى مسـتوى ساحة المعبد وينتهي عند مذبح القرابين والأضاحي. وإلى الجنوب مـن المذبح توجد بقايا دار كانت مخصصة للولائم والطعام، وكذلك بركـة كبيرة مخصصة لأغراض الطهارة والاغتسال.(٢) ويقود هذا النفق إلـى مستوى هيكل المعبد (قدس الأقداس)، أما الوصول إلى الـهيكل نفسـه فيتم بواسطة درجات. وعلى الطريق بين النفق والهيكل كـان موكـب المتعبدين والكهنة يتوقف عند المذبح لتقديم الذبائح ثم الدخول إلى داخل دار الأضاحي. (٣)

- الهيكل أو قدس الأقداس ويقابل مدخله مدخل المعبد وهو عبارة عـن حجرة مستطيلة محاطة بأروقة ذات أعمـدة تعلوهـا تيجـان محـلاة بالبرونز ويعلوها إفريز مليء بالزخارف التي تعكس عظمة الفن فـى

(١) Odenthal, op cit., pp. 305-306

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٣) نفس المرجع، ص ٢١٥ شكل ١٢١.

هذه الفترة.[١] هذه الزخارف عبارة عن نحت بارز عند مدخل قدس الأقداس ويمثل هذا النحت فى الجانب الأيسر مشهد قتال بين محارب على عربة وحيوان خرافي على هيئة الأفعى. وفى الجانب الأيمن نشاهد خلف المحارب آلهة تسانده فى هذه المعركة، ويشغل الجزء السفلي إطار من زخرفة البيضة واللسان وهى زخرفة إغريقية يعلوها زخرفة من عناقيد العنب وأغصان الكروم ذات اللون الأحمر وهى زخرفة رومانية وهى من أبدع ما أنتجه الفن التدمرى.[٢]

وداخل قدس الأقداس نجد فى الضلع الجنوبى والشمالي محاريب توجد بداخلها تماثيل الآلهة حيث كانت محاريب الشمال مخصصة لتماثيل الآلهة بل – عجليبول – ويرحيبول فى حين كانت المحاريب الجنوبية مخصصة لتماثيل الإله بعل فقط.[٣]

وتمتلئ محاريب هذه الآلهة بالزخارف الجميلة، فزخارف هذه المحاريب وزخارف المعبد بوجه عام تنم عن ذوق محلى بالرغم من الطابع الهللينستى الروماني فى إطاره العام.

فمن التأثيرات اليونانية نجد زخرفة البيضة واللسان.

وأما التأثيرات الرومانية فتتمثل فى بروز الأفاريز عن مستوى الأعمدة. ونلاحظ العديد من التأثيرات المحلية فى معبد بل ومنها وجود الشرافات المسننة التى تعلو تيجان الأعمدة، فإقامة الشرافات فى قمة البناء هو تقليد شرقي عريق لم يعرفه الإغريق أو الرومان.

---

(١) Odenthal, op.cit , p. 307

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٢٢ شكل ١٢٨، شكل ١٣١.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٦، شكل ١٣٣

كذلك زخرفة عناقيد العنب ــ وإن كانت ذات طابع يوناني ترتبط بالإله ديونيسوس ــ إلا أن عناقيد العنب هنا تظهر بشكل مختلف عن الشكل اليوناني حيث أن شجرة الكروم إلى جانب ارتباطها بالإله ديونيسوس إلا أنها عند التدمريين تعبر عن شيء آخر حيث أنه من المعروف أن العنب ينمو بسرعة لذلك رمز العنب إلى الخصوبة والإكثار في الفن التدمرى مما يسبغ عليه الصيغة المحلية. هذا بالإضافة إلى زخرفة الأعمدة بالقنوات الحلزونية.(١)

ومن التأثيرات الشرقية فى معبد بل إقامة المعبد فوق ربوة مرتفعة ويتم الوصول إلى المعبد عن طريق سلم وهو ما يذكرنا بالزاقورات وهى المعابد الآشورية ــ البابلية التى تقام فوق ربوة مرتفعة ويتم الوصول إليها عن طريق سلم وهى ظاهرة مأخوذة من الحضارة الآشورية والبابلية والفارسية وذلك على عكس المعابد فى العصر الروماني حيث كان المعبد يقام فوق مصطبة Podium.(٢)

وثمة تميز آخر في قدس الأقداس حيث استعاض المعماري عن المباني المنخفضة بأعمدة مسقوفة ومرتفعة كان الغرض منها إعطاء نوع من الرهبة عن طريق الإضاءة القليلة الخافتة. كذلك كانت الأعمدة الكورنثية مزخرفة بتيجان من البرونز لم تعد موجودة الآن استعاض عنه بمبان خرسانية صماء وهذه الأجزاء لا تخص المباني الأصلية.(٣)

---

(١) Michalowski, Palmyra, Seeman Buch-und Kunstvrelag, Leipzig 1968, p. 18.

(٢) Ibidem p. 19

(٣) هزار عمران ــ جورج دبورة، المباني الأثرية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٠، شكل ٥.

أما الزخارف (شكل ٦٧ - ٧٠) فهي تنم عن ذوق فني رفيع حيث نجد أن سقف المحراب الجنوبى المخصص لتمثال الإله بل مزيناً بزهرة متفتحة محاطة بإطار هندسي زخرفي وهى تقترب من الأشكال فى مذبح السلام Ara Pacis فى عهد الإمبراطور أغسطس.(١)

وفى قدس الأقداس كان يوضع تمثال لإله المعبد أو لآلهة المعبد إذا كان ثالوثاً فى مكان ظاهر ومحدد بشكل معين لكي يلفت النظر ويكون متعامداً على المدخل.

أما المنحوتات فى معبد بل فهي تشكل فناً شرقياً خالصاً لم نعهده فى وادي الرافدين أو مصر أو فى الحضارتين الإغريقية أو الرومانية من قبل، فعلى سبيل المثال يوجد نحت بارز على هيكل المعبد (شكل ٧١) عبارة عن موكب من النساء فى طريقهن إلى تقديم الأضاحي خلف جمل يحمل فوق سنامه حجر مقدس (بيت أيل ــ حُرفَ فيما بعد إلى بيت الإله) وترتدى النسوة الخيتون وفوقه عباءة كاملة تغطى الرأس والأذرع حتى الأقدام، ويلفت الناظر إلى هذا النحت الانسيابية التامة فى الخطوط والتكوين الفني الإيقاعي.(٢)

وجدير بالذكر أن معبد بل قد تحول فى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥م) إلى كنيسة مسيحية مزينة برسوم السيد المسيح والعذراء والرسل، ثم تحول المعبد إلى مسجد فى العصر الإسلامي فى القرن السادس عشر الميلادي.

وتذكر النقوش الموجودة على جدران معبد بل أن هذا المعبد قد أقيم النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، حيث تدل النقوش على أنه قد أقيم

(١) Michalowski, op cit , p 22

(٢) كلينكل، المرجع السابق ص ٢٢٧ - شكل ١٣٤

فى عام ٣٢م فى عهد الإمبراطور تيبريوس فى حين أن هناك اتجاه آخر لتأريخ هذا المعبد بعام ١٩م.

وثمة ملاحظة هامة فى طرز البناء فى تدمر وهى وجود البوابات الضخمة Propylae التي تُكون مدخل المنطقة المقدسة أو المعبد نفسه ولكن فى العصر اليوناني تكون البوابات مدخلاً للمنطقة المقدسة بأسرها مثل منطقة الأكروبول فى أثينا. كذلك توجد فى تدمر منطقة أثرية هامة بها العديد من الأماكن الدينية وبها أيضا عدد من أقواس النصر لأباطرة مختلفة، وكانت هذه الأقواس تؤدى إلى المعابد عن طريق مقدس (شكل ٧٢) وهذه الظاهرة ظاهرة مصرية ويونانية حيث نجد فى مصر طريق الكباش الذي يؤدى إلى معبد الإله آمون فى الكرنك بالأقصر ولكن فى اليونان توجد طرق مقدسة توجد على جانبيها الخزائن التى تأخذ شكل وهيئة المعبد.(١)

معبد بعلشمين Baalshamin Tempel

كان هذا المعبد مخصصاً لعبادة الإله بعلشمين سيد السماء ورب المطر والرياح البرق، وقد ظلت عبادة إله الشمس فى هذا المعبد حتى القرن الثاني الميلادي.(٢) وقد تحول هذا المعبد إلى كنيسة فى القرن الخامس الميلادي.(٣)

تخطيط المعبد (شكل ٧٣ – ٧٧)

يسير تخطيط معبد بعلشمين على نفس الطراز اليوناني حيث وجود الخزائن على جانبي الطريق المقدس المؤدى إلى المعبد مثل معبد الإله

---

(١) Michalowski, op.cit , p. 25.

(٢) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٣.

أبوللو فى دلفى ويحيط بساحة هذا المعبد سور يرجـع إلـى القـرن الأول الميلادي، وقد أكدت نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بـها بعثـة أثريـة سويسرية بين ١٩٥٤- ١٩٥٦ أن الهيكل الحالي يقوم فوق أنقاض هيكـل أقدم عهداً ولعله معاصر للسور سالف الذكر.

وينتصب أمام واجهة معبد بعلشمين مذبح عليه كتابة تدمريـة ويونانيـة مؤرخة بعام ١١٥م، أما الرواق الخارجي للمعبد فهو يمثل ردهة مكونة من ستة أعمدة كورنثيه الطراز على الأربعة أعمدة الأمامية فقط قواعد بـارزة تلتصق بجذوعها كانت مخصصة لحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينـة،[1] وتحمل إحدى هذه القواعد نقشاً يقول: أن مالى ابن يرحاي بنى هذا المعبـد فى عام ١٣٠ ميلادية ــ أي فى عصر الإمبراطور هادريـان[2] والمعبـد مكون من بناء مستطيل يخترق كل ضلع من ضلعيه الطوليين نـافذة ذات واجهة مثلثة فى أعلاها. أما مدخل المعبد فهو موجود فى الضلع العرضـي الذي يتقدمه رواق مؤلف من أعمدة تحمـل تيجـان كورنثيـه وتلتصـق بجذوعها قواعد بارزة لحمل التماثيل فى الثلث السفلي من ارتفاع العمـود، ويتميز هذا المعبد بوجود الأعمدة المستديرة فى واجهته الأمامية فقط أمـا فى الجهة الخلفية فتوجد أعمدة مربعة ملتصقة بحائط المعبد وهـى تسـمى بالعضادات وهى ذات تيجان كورنثيه بينها حـائط مرتفـع يعلـق عليـه الستائر.[3]

(١) E. Will, Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23 – 28. / 9/ 1985, p. 23.

(٢) Odenthal, op.cit., p. 311.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١ شكل ١٣٧ – ١٤٠.

ومن خلال عرضنا لهذا المعبد نستطيع القول أن الطراز الأساسي للمعبد في تدمر كان على النحو التالي:(١)

١- المعبد عبارة عن مبنى مستطيل الشكل.

٢- المدخل يقوم في الجانب العرضي الصغير ويتقدمه أعمدة كورنثيه تؤدى إلى صالة مستعرضة تؤدى إلى مدخل المعبد.

٣-جوانب المعبد الطولية عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة يتوسطه نافذة ذات شكل جمالوني في أعلاها.

٤- الحائط الخلفي للمعبد عبارة عن أعمدة مربعة بينها ستائر تصل إلى أعلى المبنى.

٥- في قدس الأقداس لا توجد نوافذ أو أية فتحات وذلك لإضفاء الرهبة والإحساس بهيبة المكان الذي هو محل العبادة في أي معبد.

ومن الغريب أن تظهر في ساحة هذا المعبد أماكن للدفن ترجع إلى القرن الثاني ق.م وبالطبع كانت هذه المقابر في خارج أسوار المدينة السلوقية آنذاك. وهذه المقابر كانت مقابر تحت الأرض عبارة عن ممر أوسط على جانبيه أماكن للدفن. واستخدام الطوب اللبن في هذه المقابر يؤكد طراز ما بين النهرين الذي نجده في أشور البارثية.

ويبدو أن المعبد القديم الذي كان قائماً من قبل قد تم تجديده في عام ٦٠م ومن خلال هذه التجديدات تحول اتجاه المعبد إلى الناحية الشمالية الغربية. وإذا ما قارنا هذا المعبد بمعبد الإلهة سيا Sia في حوران الذي يرجع إلى العصر الهللينستي المتأخر نجد أن معبد بعلمشين قد حافظ على التقاليد الشرقية. فمخطط معبد بعلمشين لا نجده فقط في مناطق التأثير النبطية بل

(١) جان – ماري دنتز، ميشيل غافليكوفسكي، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦، ص ص ٧٧ – ٧٨.

أيضا فى المناطق الفارسية المتأثرة بالهللينية. ويؤكد ذلـــك علـــى ارتبـــاط بالميرا (تدمر) بالفن اليوناني الفارسي حتى القرن الأول الميلادي.(١)

وبداية من عصر الإمبراطور هادريـــان ١١٧-١٣٨م أتخـــذ المعبـــد طراز البناء اليوناني الروماني الذي تكون من أساس مسطح يرتفع لدرجـــة واحدة، يرتكز عليه معبداً مكون من حجرة رئيسية فى الخلف بناؤها بســـيط وهى عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة كورنثيه الطـــراز تســـبقها ردهـــة عرضية ذات ستة أعمدة كورنثيه تحمل قواعد بـــارزة لتمـــاثيل الوجـــهاء. وفوق مدخل باب المعبد وجد نسر حجري ـــ محفـــوظ الآن فـــى متحـــف دمشق الوطني ـــ ذو أجنحة منبسطة تصل بين تماثيل نصفيه لإلـــه القمـــر وإله الشمس وقد اقترح Schlumberger (٢)أن هذا المنظر مـــا هـــو إلا رمز لثلاثي بعلشمين.

ومن المعروف أن بعلشمين كان إلهاً فينقى الأصل وهو سيد الشـــمس والقمر وهو يشابه فى ذلك الإله بعل، وقد تجسدت عبادة هـــذا الإلـــه فـــى بالميرا بداية من العصر الروماني وفى بعض الأحيان يظهر الإله بعلشـــمين فى هيئة نسر إلى جوار الإله عجليبول وملكيبول وهما الإلاهان المصاحبان للإله بعل.(٣)

معبد الإله نبو Nebo Tempel

فى الجنوب الغربى من قوس النصر على الشارع الرئيسي مباشرة يقـــع معبد الإله نبو، ويأخذ المعبد شكل شبه المنحرف الذي يتسع كلمـــا اتجـــهنا شمالاً، ويقع مدخل المعبد إلى ناحية الجنوب والمدخل عبارة عـــن بوابـــة

(١) Michalowski, op.cit., p. 22

(٢) D Schlumberger, La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951, p 87.

(٣) جان – مارى دنتز، المرجع السابق، ص ص ٧٣ – ٧٤.

ضخمة وللمبنى مدخل أخر ضيق من الناحية الشمالية عند الشارع الرئيسي (شكل ٧٨ - ٧٩). ويحيط المعبد ساحة كبرى أقيمت فى جهاتها الشمالية والجنوبية والغربية أروقة أعمدة تلتف حول الساحة، بوابة الساحة تحتوى على ستة أعمدة من الطراز التوسكانى ووجود هذا الطراز ليس غريباً فى المقاطعات الرومانية.(١)

وفى وسط الساحة ينتصب مدخلاً من الأعمدة الكورنثية فوق مصطبة مرتفعة يكُون بناء المعبد الذي يمتد عبر حائطين بينهما سلم يؤدى إلى مدخل المعبد حيث يؤدى هذا المدخل إلى البناء الرئيسي للمعبد المكون من حجرة كبيرة تليها حجرة مستطيلة صغيرة هى قدس الأقداس. ويحيط بالمعبد ستة أعمدة فى الجانب العرضي واثنا عشر عموداً فى الجانب الطولي وهو بذلك يتبع الطراز الأرخي فى البناء.

ويتقدم الهيكل منبح عبارة عن شكل معبد صغير يحيطه أثنا عشر عموداً وهى على الطراز الكورنثى. وهذا المذبح يقع على نفس محور قدس الأقداس داخل المعبد.(٢)

ومن المعروف أن الإله نبو كان رسول الكتابة ورب الحكمة، وكان فى نظر الإغريق نظيراً للإله أبوللو.

وقد اكتشفت فى منطقة معبد نبو خلال عام ١٩٦٦ لوحة منحوتة رائعة محفوظة فى متحف دمشق الوطني (شكل ٨٠) وهى تمثل الآلهة البابلية عشتار جالسة على مبنى ربما يعبر عن مدينة تدمر(٣) وإلي جوارها تقف إلهه تحمل فى يدها غصناً من الزيتون وفوق رأسها تاج يشبه الحصن

(١) Odenthal, op cit., pp. 310-311.

(٢) Odenthal, op.cit., p 311.

(٣) M. A R. Colledge, The Art Of Palmyra, London, 1976, p. 48, Fig. 38.

وترتدى ثياباً من نفس الطراز الذي نراه في فنون سوريا ذات الشكل الانسيابي وربما تكون هذه الإلهة هى الإلهة جاد أو الإلهة تيخي الإلهة الحامية لمدينة بالميرا. وإلى يمين الإلهة عشتار يقف نسر فوق قاعدة مرتفعة ويمسك فى منقاره أحد الأغصان.

شارع الأعمدة

يحتوى شارع الأعمدة ــ الشارع الرئيسي فى المدينة ــ على كل المباني الهامة فى المدينة ويقطع هذا الشارع المدينة بكاملها ولكن ليس فى شكل مستقيم وإنما يُكون زوايا في بعض الأماكن. ويبدأ هذا الشارع ببوابة فخمة يطلق عليها بوابة هادريان ويبلغ طول هذا الشارع الذى تحف به الأعمدة من الجانبيين أكثر من كيلو متر (شكل ٨١ - ٨٧). وإلى الناحية اليسرى منها نرى أربعة أعمدة كورنثية الطراز وهى تمثل مدخل الشارع الرئيسي، هذه الأعمدة تقف على قواعد مربعة، وهى تمثل واجهة لمعبد آلهة المياه Nymphaeum وتوجد قواعد بارزة من هذه الأعمدة كانت مخصصة لحمل التماثيل، ولا تزال إحدى هذه القواعد ماثلة حتى الآن. ويماثل شكل البوابة ذات القوس المرتفع المتوسط والأقواس المنخفضة الجانبية شكل الشارع ذو الأروقة الجانبية.(١)

ويتجه الشارع الرئيسي من الجنوب إلى الشمال ثم يعرج نحو الشرق حيث يتقاطع فى ميدان به التترابيل Tetrapylon (٢) الذي يحدد زاوية الشارع حيث يتقاطع الشارعان الرئيسيان فى المدينة وبالتالى فهو صرح ومعلم لمركز المدينة، يتألف هذا الصرح (شكل ٨٨ - ٨٩) من مصطبة ضخمة تقوم فى زواياه الأربعة قواعد عالية تحمل كل منها أربعة أعمدة

(١) Odenthal, op.cit., p 312

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٠ شكل ١٦٥

مرتفعة من الجرانيت يعلوها سقف له كورنيـــش وإفريــز، وفــى وســط المصطبة كان يقوم تمثال ضخم على قاعدة.

ولابد أن الشارع الرئيسي كان يحتوى على مخازن التجـــار وكــانت الأروقة التى تتقدم مخازن التجار يتجاوز عرض كل منها ستة أمتار، أمـــا الشارع نفسه فيصل عرضه إلى أكثر من عشرة أمتار. وعند بداية الشــارع الرئيسي المتجه الآن من الغرب إلى الشرق نجد على الناحية اليمنى أربعــة أعمدة جرانيتية ربما استوردت من مصر، كانت جزءاً مــن تكويــن بنــاء الحمامات المتبقي منه اليوم فقط عدة أحواض للمياه وحجــرات للتســخين ترجع إلى عصر الإمبراطور دقلديانوس.(١)

مسرح تدمر

إلى الجنوب من الشارع الرئيسي يقع مركز مدينة تدمر حيث المســرح والأجوار(السوق)، ويحدد المسرح بوابتان كبيرتان، وخشبة المسرح تظــهر متوازية تماماً مع الشارع الرئيسي. وجدير بالذكر أنه لا توجــد أي مدينــة يونانية بدون مسرح، فالمسرح هام جداً في حياة الشعب حيـــث يتـم عــن طريقه تناقل الآراء وتبادل الخبرات.

ومسرح تدمر (شكل ٩٠ – ٩٢) مبني على الطريقة الرومانية أي اســتخدم في بنائه الطوب المستطيل الصغير ويفصل بين الصفوف أحجار كبيرة وبــه بوابة ذات جمالون. ويقع مسرح تدمر في مكان هام حيث يتوسط الســـوق العامة ويحتل مركز المدينة على جانب الشارع الرئيسي. وليس من المعتـاد أن يقام مسرح في مثل هذا المكان ولكن صغر حجم المسرح أتاح ذلك.(٢)

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 314.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص١١٥.

كانت الأوركسترا مكسوة بالبلاط وعلى جانبي الأوركسترا يوجد مدخلان رئيسيان يدخل منهما المتفرجون إلى المدرجات وقطر الأوركسترا المستديرة بين الخشبة والمدرج لا يتجاوز العشرين متراً. المدرج يأخذ الشكل النصف مستدير ولم يبق من صفوف المقاعد إلا ١٣ صفاً وهناك درج ضيق Paradoi للصعود والنزول يخترق صفوف المقاعد ويقسمها إلى أحد عشر قسماً، أما المدخل الرئيسي للمشاهدين فيقع في منتصف المدرج.(١)

أما واجهة خشبة المسرح (شكل ٩٣) فهي ذات شكل بديع حيث يبلغ عرض الخشبة مع الكواليس مقدار ١٠,٥م ويصل طولها إلى ٤٨ متر. واجهة الكواليس غنية في صياغتها المعمارية حيث يتجوف فيها محرابان وفي كل محراب تنتصب عدة أعمدة حاملة كورنيشاً فوقها، ونجد أيضاً الواجهات المثلثة الشكل.(٢)

وبين خشبة المسرح والمدرج نجد ممر ذات سقف قبوي على كل جانب يسمح بمرور الناس إلى المسرح ثم إلى الممرات الطولية Paradoi الخاصة بالمسرح. وهذا المسرح في تدمر مثله مثل المسارح السورية الأخرى يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ولابد أن المسرح في تدمر كان يقوم بدور سياسي واجتماعي هام في تاريخ المدينة.(٣)

الأجورا(سوق المدينة)

تقع الأجورا إلى غرب مسرح تدمر على أحد جوانب الشارع الرئيسي. والأجورا هي المكان الذي كان يخدم سكان المدينة والبدو

---

(١) Odenthal, op.cit , pp. 313-314.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٤٤ شكل ١٥٧

(٣) Odenthal, op.cit.,p. 314.

القادمين من أطراف المدينة، وكان موقع هذه السوق يسمح بالوصول إليـها من كل مكان في المدينة بدون عناء. وهي تخدم سكان تدمر والوافدين إليها من التجار حيث تتم عملية البيع والشراء والتجمع السكاني للأهالي.(١)

وترجع أقدم النقوش في السوق إلى النصـف الثـاني مـن القـرن الأول الميلادي. وفي عصر الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) تم زيادة مساحة السوق نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي حدث في هذا العصر.(٢)

والأجورا في تدمر عبارة عن مساحة مستطيلة الشـكل مسـاحته ٧١م طولاً و٤٨م عرضاً محاطة من الداخل بأروقة ظليلة وعلى أعمدتها نجـد القواعد البارزة لحمل تماثيل كبار قواد الجيش والقوافل والوجهاء في الدولة والمدينة ومجلس الأعيان. كذلك نجد عدداً وفيراً من المحاريب.(٣)

في الجزء الشمالي من السوق توجد نافورتان، وكذلـك مصطبـة عاليـة مخصصة للخطباء. ويوجد بالأجورا ١١ مدخلاً لتسهيل دخـول وخـروج الجموع الكبيرة من الناس. وكانت الأروقة على جوانب السـوق تسـتخدم كحوانيت أو أماكن لعرض لوحات الفنـانين أو كمستشـفيات أو فنـادق أو أماكن للراحة والاسترخاء.(٤)

ويجاور الأجورا مبنى عام كان يقام فيه حفلات الولائـم الدينيـة ولا يشترك في مثل هذه الولائم من لا يحمل بطاقة دعوة في هيئة قطعة فخارية مختومة. وبالقرب من الأجورا أيضاً يقف مبنى مجلس الشيوخ الذي يتوسط ساحة محاطة بالأروقة.(٥)

---

(١) Ibidem, pp 314-315.

(٢) Odenthal, op.cit., p. 315

(٣) كليكل، المرجع السابق، ص ١١٦.

(٤) نفس المرجع، ص٢٥٠ شكل ١٦٤.

(٥) Ibidem, p. 315.

المنازل في تدمر

تقع المنازل خارج سور المدينة الذي بناه الإمبراطور جستنيان في القرن السادس الميلادي ولكن لم يكشف سوى عدد قليل من هذه المنازل. تقع هذه المنازل (شكل ٩٤) إلى الشرق من معبد بل وقد ازدهرت هذه المنازل في القرن الثالث الميلادي.(١)

وتكمن أهمية هذه المنازل في لوحات الفسيفساء المكتشفة في أرضيات حجرات المنازل ومن أهمها:

١- لوحة تمثل الإله عشتار البابلية وهي تمسك سنابل القمح وهو رمز لخصوبة أراضي المنطقة التي كانت من أكثر المناطق خصوبة في بلاد الرافدين والشام.ونلاحظ أن الطراز الفني لهذه اللوحة مميز من خلال تصوير الملابس وملامح الوجه وهي مختلفة عن بلاد الرافدين.(٢)

٢- لوحة من الفسيفساء (شكل ٩٥) تمثل الإله اسكليبيوس (إله الطب عند اليونانيين) حيث نجد أن الإله مصوراً جالساً على كرسي ويمسك العصا المميزة له التي يلتف حولها الثعبان وهو نفس النمط الذي صور به في مختلف المناطق سواء في مصر أو غيرها. واسم الإله مكتوب بالحروف اليونانية حول رأس الإله، ويضع الإله عباءته فوق الكتف الأيسر ناظراً إلى المشاهد.

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 316

(٢) Colledge, op cit., p. 48, Pls 38.

المنظر الرئيسي داخل إطـار مثمـن الأضـلاع يحيـط بـه عـدد مـن الإطارات ذات الأشكال الهندسية وبعض الزخارف الشرقية مثـل الحبـال المتداخلة.(١)

النصب التذكاري

وهو عبارة عن عمود منفرد يسمو عالياً بين معبد الإله بعل ونبع أفقـك وتشير الكتابة المنقوشة عليه أن مجلس الشيوخ أقام هذا النصب التذكـاري في عام ١٣٩م تكريماً للمواطن باريكى والمواطن مقيموا لما قدمـاه مـن خدمات جليلة للمدينة وهذا العمود عرفاناً من حكومة تدمـر بجميلـهما أو فضليهما.(٢)

معسكر دقلديانوس

يقع عند أحد الشوارع الفرعية التي تتفرع من شارع الأعمدة الرئيسـي في اتجاه الجنوب الغربي وهو أيضاً محاط بالأروقة المحمولة على أعمـدة، وفي هذا الشارع الفرعي كان يقوم ما يسمى بمعسكر دقلديانوس، وقد سـمي كذلك لأن تصميمه المعماري يشبه تصميم قصر دقلديانوس الباقية أثاره فـي سبوليتو بيوغوسلافيا السابقة.(٣)

ويمكن الوصول إلى داخل البناء (شكل ٩٦) من باب الحراس، ويلي هـذا الباب صرح يشبه صرح التترابيل، ثم تأتي ساحة كبيرة بها معبد صغـير يسمى معبد الأعلام ومعبد آخر كان مكرساً لعبادة الإلهة الـلات ويرجـع تاريخ هذا المعبد في فترته الأولى إلى نهاية القـرن الأول ق.م.،(٤) وفـي

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٤٨ شكل ١٦٢.

Colledge, op.cit , p.105, 141.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٥١ شكل ١٦٧.

(٣) نفس المرجع، ص ١١٧.

(٤) Michalowski, op.cit., pp 25-26

عصر الإمبراطور هادريان تم بناء المعبد الحالى على أنقاض المعبد القديـم وكان قدس الأقداس مكون من حوائط بينهما أعمدة مربعة ويتقدمه صالـــة أمامية بها ستة أعمدة. وكان تمثال الإلهة أثينا الذي يوجد في قدس الأقـداس يقابل الإلهة اللات الرومانية.[1]

ويحيط سور المدينة بمعسكر دقلديانوس من جهاته الثلاثة. وقد تم بنـاء هذا السور في عصر الإمبراطور جستنيان في القرن السادس على أنقـاض جزء من سور الملكة زنوبيا الذي هدمه الرومان في عــام ٣٠٠ ميلاديــة. ويبلغ طول سور المدينة حوالي ١٢كم وهو مزود بأبراج مربعة، وقد شـمل سور جستنيان بعضاً من دور تدمر التي كانت خارج الأســوار. ويرجـع تاريخ معسكر دقلديانوس إلى الفترة من٢٩٣ إلــى ٣٠٣م اسـتناداً إلـى النقوش التي اكتشفت في هذه المنطقة.[2]

مقــابر تدمــر

سميت المقابر في تدمر دار الأموات (شكل ٩٧)، وتقــع فــي نهايــة الشارع الأعظم الرئيسي وكالعادة كان يتم دفن الأموات خــارج المدينــة والأسوار، وتنتشر المقابر في الشمال وفي الشمال الغربي والجنوب الغربـي والجنوب الشرقي للمدينة.

ونظراً لازدياد عدد السكان في تدمر وبالتالي ازدياد عدد الأموات، ورغبـة في دفن الموتى في مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام فقد أكثر الناس من تهيئة المقابر الجماعية إلى جانب المقابر الفردية. لذا فقد أخــذت المقــابر أشكالاً مختلفة في تدمر على النحو التالي[3]:

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 317

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥١ شكل ١٦٦.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٧

١- مقابر على هيئة سراديب.

٢- مقابر على هيئة أبراج مرتفعة متعددة الطوابق.

١- المقابر على هيئة سراديب

ومن بين المقابر التي ترجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي نذكر منها ما يسمى بدار الموتى ومدفن أرليوس ماروثا وكلاهما لأفراد أثرياء كانوا قد جمعوا ثرواتهم أثناء فترة الازدهار التي شهدتها تدمر. والمدفن يبدو في تصميمه الخارجي قريباً من شكل هيكل المعابد، فقد كان له أروقة تحف بجوانبه الأربعة، وفي عصر متأخر فقد المدفن وظيفته كمقبرة واستخدم داراً للسكن. أما المقابر التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي فقد ظهر عدد منها أثناء مد خط أنابيب البترول القادم من شمال العراق.[١]

ومن بين مقابر القرن الثاني مدفن الأخوة الثلاثة الواقع إلى الجنوب الغربي من المدينة، وقد ذاع صيت هذا المدفن لما يحتويه من رسوم ملونة على الجدران ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين ١٦٠-١٩١م[٢]، وهناك أجزاء منها ترجع لبداية القرن الثالث الميلادي.[٣]

(١) Odenthal, op cit., p. 319.

(٢) Colledge, op cit, pp 84-87, pls 115-116.

(٣) Ibidem, pp. 86-87, pl. 117

تخطيط المدفن (شكل ٩٨)

١- عبارة عن نفق مفتوح ينحدر نحو باب حجري منحوت وعلــى عتبــة الباب يوجد نقش باسم الأخوة الثلاثة وهم مالي وسعداى ونعمان. يذكر النقش أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أمروا ببناء هذا المدفــن فــي عــام ١٤٤م.

٢- صمم مخطط هذا المدفن على شكل حرف T وفي هذه الممرات الثلاثة ست حفر مستطيلة غائرة في قلب الصخر وتتكرر مثلها بعد كل مــتر تقريباً، وكانت هذه الحفر مخصصة لاحتواء رفات الأموات ويبلغ عــدد تلــك الحفــر ٣٩٠ حفــرة وكــانت تســمى فــي منطقــة الشــــام "المعازب"، هذا بالإضافة إلى وجود توابيت حجرية تكثر المنحوتـــات الفنية على أسطحها الخارجية. وكانت تلك الفتحات تسد بلوحة حجريــة تحمل نحتاً بارزاً للنصف العلوي للراقد في الحفرة.(١)

ومن الملفت للنظر كثرة عدد الراقدين في هذا المكان، وربمــا يرجــع السبب في ذلك إلى أن الأخوة الثلاثة قد أسسوا هذه المقبرة لتكون مثواهـــم الأخير وأفراد عائلتهم وورثتهم بعد الموت ولكنهم فكروا فـــي اســـتثمارها تجارياً أثناء وجودهم على قيد الحياة وذلك لدفن العامة من النــــاس مقـــابل مبلغ معين من المال.

وفي عدد من مقابر تدمر كانت توجد لوحات منحوتة تمثل المتوفى مســتلقياً على سريره ويستند على وسادات في لحظة يتناول فيها وليمة الأموات مــع أفراد أسرته الأحياء.(٢)

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) Odenthal, op.cit , p. 321

ومن أشهر اللوحات المنحوتة نحت بارز (شكل ٩٩) في أحد مدافن تدمر يمثل زوج وزوجة واسم كل منهما محفور بأحرف تدمرية وهي موجودة في المتحف الوطني بدمشق فالزوج والزوجة مصوران في شكل نصفي، ونجد أن ملامح السيدة تميل إلى الشكل الرجالي وهو طابع سوري معروف ويقفون في وضع المواجهة للمشاهد وعلى وجههما مسحة حزن واضحة تعكس رهبة المكان.(١)

كذلك توجد رسوم ملونة على جدران مدفن الأخوة الثلاثة في المقبرة الجنوبية الغربية وتتألف الرسوم التي نفذت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي من أشكال حيوانات في أسفل الصورة ومن شكل معين داخل مستطيل في أعلى الصورة ثم أشكال بشرية، وفي وسط المساحة المستديرة شكل نصفي لرجل أو امرأة، ثم نرى في يسار الصورة شكل امرأة وطفل. وكان سقف المدفن مزيناً بالرسوم الملونة بهدف محو الشكل الحجري للمقبرة، وهي طريقة شائعة في تغطية جدران المقابر بالرسوم الجدارية.(٢)

وبالرغم من الأسلوب الهللينستى العام للرسوم إلا أن الذوق المحلي والتقاليد الفنية الشرقية يتجليان بوضوح تام وخاصة الميل إلى رسم الأشخاص في وضع أمامي، وعلى هذا النهج نفذت الرسوم في دورا أوروبوس على نهر الفرات.(٣)

وهناك نوع آخر من الدفن في تدمر وهو فتحات للدفن تشبه فتحات الـ Loculi في المقابر الرومانية وهي عبارة عن حائط منحوت بداخله

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٣ شكل ١٧١.

(٢) Colledge, op cit., pp. 84 – 87 pl. 115.

(٣) Perkins, op cit , p 90

فتحات داخل الصخر بشكل أرفف توضع بها جثة المتوفى وتغلـق بلوحـة حجرية عليها اسم المتوفى ووظيفته وأدعية دينية جنائزيـة. وكـانت هـذه الفتحات تتكون من ثلاثة صفوف أو أكثر في الجدار الواحد وفـي بعـض الأحيان يبرز من سطح اللوحة الحجرية نحت بارز يمثل النصف العلـوي للمتوفى الراقد داخل هذه الفتحات.(١)

٢- المقابر على هيئة أبراج

تعتبر المقابر التي شيدت على هيئة أبراج من ابتكارات شعوب بـلاد الشام وذلك لأن مثيلاتها موجودة بكثرة في منطقة الفرات وفي حـوران. وتوجد أهم المقابر البرجية في الجانب الغربي مـن تدمـر فـي المنطقـة المسماة وادي القبور.(٢)

وتتميز هذه المقابر بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق وكل طـابق يحوي العديد من الدفنات. وهناك درج يصعـد مـن طـابق إلـى آخـر. وجدير بالذكر أن أكثر هذه المقابر مزين بالزخـارف والصـور المنفـذة بواسطة النحت أو الألوان. وتؤرخ أقدم المقابر البرجية في تدمـر بـالقرن الأول الميلادي وهي مرتبطة بسرداب أو مدفن تحت الأرض.(٣)

ومن أشهر تلك المقابر البرجية في وادي القبور فـي تدمـر مدفـن كيتوت بن تيمارصو (شكل ١٠٠) الذي يرجع إلى عام ٤٠م، ويوجد علـى ارتفاع عشرة أمتار من مستوى سطح الأرض، وبه نحت بارز على جـداره يمثل وليمة جنائزية وهو أقدم نحت يمثل هذا المشهد في تدمر، ففي مقدمـة

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) Colledge, op.cit , p. 60 pls. 55-57

النحت يستريح الأموات وخلفهم يقف ثلاثة من أفراد العائلة الأحياء، وهما زوجة المتوفى وولداه ثم خادم الدار، ويرافق كل شخص من هؤلاء الأشخاص اسمه محفور بأحرف تدمرية. ويحيط بالمشهد قوس تزينه سلسلة من أغصان الكروم وعناقيد العنب.(١)

والمثال الثاني هو مدفن جمليكو (شكل ١٠١) المؤرخ بعام ٨٣م حيث يبرز هذا المدفن من بين المدافن البرجية الرابضة على ربوة في وادي القبور، وهو أكبر المدافن المجاورة له في الارتفاع وأغناها في الزخرفة والزينة.(٢)

والمثال الثالث هو مدفن ايلاخبيل (شكل ١٠٢) في وادي القبور ويؤرخ بعام ١٠٣م ويتألف من خمسة طوابق وعلى واجهة الطابق الثالث يوجد تابوت حجري بين محورين مربعين يعلوهما قوس.(٣)

سورية في العصر البيزنطي

في عام ٣٩٥ م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسم شرقي وآخر غربي، وكانت بلاد الشام من نصيب الإمبراطورية الشرقية التي أصبحت بيزنطة (القسطنطينية) عاصمتها.

ومنذ عصر الإمبراطور دقلديانوس في أواخر القرن الثالث الميلادي ظلت سورية جزءاً من الولاية الشرقية، ولعبت دوراً هاماً في الدولة البيزنطية التي كانت قوانينها رومانية وديانتها مسيحية ولغتها الرسمية اليونانية.(٤)

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٤، شكل ١٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥٤ شكل ١٧٣.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٥٥ شكل ١٧٤

(٤) F.H. Heichelheim, Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch Kyros II Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik II 4, p 318-322.

وقد رسخ الدين المسيحي جذوره في مدن ومناطق سورية منذ القرون الأولى للميلاد حتى غدت بلاد الشام مركزاً رئيسياً للحضارة المسيحية، ومع عمق التمايز الحضاري في الجانب الشرقي نتيجة للخلافات المستمرة مع الدولة الرومانية الغربية أصبحت الكنيسة في بلاد الشام تستقل شيئاً فشيئاً عن الكنيسة الرسمية في العاصمة البيزنطية.(١)

ورغم انقسام الكنيسة في بلاد الشام إلى كنائس يعقوبية ونسطورية وملكية أعلنت كل هذه الكنائس رفضها للغة الرسمية وهي اليونانية واستخدمت اللغة السريانية التي كانت لغة أهل البلاد وهي إحدى اللغات الرسمية التي انتشرت في بلاد الشام منذ الألف الأولى ق.م. غير أن هذا التطور لم يشمل كافة أرجاء بلاد الشام إذ كان القسم الأكبر من السكان من أصل عربي وهؤلاء اعتنقوا المسيحية لكنهم ظلوا يبجلون الآلهة القديمة السامية مثل اللات والعزى.(٢)

ويبدو أن مسيحي المدن الكبرى في سورية كانوا أقدر على تحقيق إنجازات رائعة في مجالات الفنون. ففي خلال القرنين السابقين للفتح الإسلامي نشأت العديد من الكنائس والمعموديات وكنائس الشهداء والأديرة وخاصة في منطقة حوران.

ومن أهم هذه المواقع:

مدينة الرصافة (سيرجيوبوليس)

تقع الرصافة في بادية الشام وتبعد مسافة ٢٦كم عن مجرى نهر الفرات، وكانت الرصافة خلال الفترة الهللينستية الرومانية محطة بين مدينة

(١) R. Fedden & J Thomson, Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, 1959, p 68-70

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٢٣-١٢٤.

سورا وتدمر، كما كان يمر بها خط الحـدود الـذي أسسه الإمـبراطور دقلديانوس.(١)

وتشبه الرصافة في تاريخها تاريخ منطقة أبو مينا غرب الإسـكندرية حيث اكتسبت الرصافة أهميتها منذ أيام الإمبراطور دقلديانوس، ففي عـام ٣٠٥ ق.م نفذت السلطات الرومانية حكم القتل علـى الضـابط السـوري سركيس بسبب تمسكه بالإيمان بالدين المسيحي الـذي اضطـهد معتنقيـه الإمبراطور دقلديانوس، ورفض سركيس تقديم القرابين إلى كبـير الآلهـة الرومانية جوبيتر، مما تسبب في موته على أيدي الرومان.

ومنذ ذلك الوقت ذاع صيت الضابط السوري وصار الناس يحجـون إلـى قبره الموجود في موقع الرصافة ويتبركون ببركاته.(٢)

وقبل منتصف القرن الخامس الميلادي أصبحت الرصافة مركـزاً لأسـقفية مسيحية في عام ٤٣٤ م. في عهد الإمبراطور أنستاسـيوس (٤٥١-٥١٨م) تحول اسم الرصافة إلى مدينة سركيس أو سيرجيوبوليس، وقد ترك حكـام بيزنطة في الرصافة كتيبة عسكرية لحماية حـدود الإمبراطوريـة ولصـد هجمات الفرس من وراء الفـرات. وفـي عـهد الإمـبراطور جسـتنيان (٥٢٧-٥٦٥م) شهدت المدينة توسعاً كبيراً.

وقد تدهورت المدينة أثر إجتياح جيوش الملك كسرى الثاني لها في عـام ٦١٦م وظلت بها حتى عام ٦٣٦م حينما فتح خالد ابن الوليد بـلاد الشـام ودخلت تحت الحكم الإسلامي.(٣)

---

(١) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٣) Odenthal, op.cit., p 263

أهم آثار مدينة الرصافة

ســور المــدينة

تعتبر أسوار مدينة الرصافة من أضخم نماذج العمارة العسكرية التي لا تزال ماثلة للعيان بشكل شبه كامل منذ الفترة البيزنطية وحتى الآن. ويتخذ مخطط المدينة الشكل المستطيل تقريباً، (شكل ١٠٣ — ١٠٤) والمستطيل يتوجه نحو الجهات الرئيسية أي أن أضلاعه تتجه بالتوالي نحو الشرق والغرب ونحو الجنوب والشمال. ويبلغ أبعاد المستطيل كالتالي: الضلع الجنوبي ٥٤٩,٤٠م، الشمالي ٥٣٦,٥٠م، والغربي ٤١١,٢٠م، والشرقي ٣٥٠,٣٥م. ولابد أن السور كان يرتفع لمسافة تتراوح بين ١٠-١٢م.[١]

وكان السور (شكل ١٠٥ — ١٠٦) يحتوي من الداخل على ممرات وأنفاق للدفاع في شكل طابقين متتاليين، وقد أقيمت العديد من الأبراج المختلفة في الزوايا وعلى الأضلاع إمعاناً في زيادة تحصين المدينة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى إحاطة السور بخندق عميق يملأ بالماء، ولا تزال بقايا هذا الخندق ظاهرة حتى الآن.[٢]

ويحتوي سور المدينة على أربع بوابات، واحدة في منتصف كل ضلع من الأضلاع، وأفخم هذه البوابات وأروعها البوابة المطلة على الضلع الشمالي (شكل ١٠٧). ونظراً لأن هذه البوابة كانت تقود من يغادرها إلى

(١) W Karnapp, Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976, pp. 32-35.

(٢) M. Mackensen, Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984, pp 22-24.

اتجاه الفرات فقد اتخذت زخارف وحليات معمارية منحوتة غاية في الروعة بحيث تتناسب مع أهمية موقعها.(١)

وواجهة هذه البوابة الشمالية مؤلفة من انسياب ثلاثة أقواس فوق أعمدة تعلوها تيجان كورنثيه الطراز وتحمل هذه الواجهة بروزاً مقداره ٤م، يحيط بالباب المتوسط إطار عرضه ٦٠سم ويتوسط سقفه شكل زهرة بارزة، كذلك يتحلى الإطار نفسه بأعمدة مستمرة رفيعة الحجم. وتظهر بوضوح الزخارف البديعة المنحوتة في سطح الأقواس (شكل ١٠٨) كما تظهر روعة التيجان ودقة صناعتها. وتبرز الأعمدة مقدار ٧٠سم عن الجدار. ويبلغ عرض القوس الأوسط ٤,٧٠م وهو أعظم من بقية الأقواس حجماً، ويحيط بالأقواس إطار بارز غني بالزخارف النباتية مثل عناقيد العنب والأغصان.(٢)

كنيسة القديس سركيس (شكل ١٠٩ — ١١٣)

من أهم المباني الدينية في سرجيوبوليس كنيسة سركيس، وقد ظهر في أرضية الحنية في الكنيسة نقش يوناني يذكر أن: ابراميوس قد شيد هذه الكنيسة لتبجيل الصليب المقدس ويبغي من خلال ذلك رضا الإله. حدث ذلك في شهر أرتيميسيوس في العام ٨٧٠ وهو ما يقابل شهر مايو (٥٥٩م).(٣) تقع هذه الكنيسة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة وهي تتألف ـ مثلها مثل الكنائس المسيحية ـ من ثلاثة أروقة متوازية وردهة أمامية. وفي نهاية ضلعها الشرقي تبرز حنية نصف مستديرة مخصصة لقدس الأقداس. وفي وسط هذه الحنية ترتفع مساحة حجرية تعرف باسم

---

(١) Karnapp, op.cit., p 42

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٦٠-٢٦١ أشكال ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) Odenthal, op.cit , p.283.

(البيما Bema) وهي مخصصة للكهنة أثنـــاء إقامـــة الصلـــوات وترديـــد التراتيل الدينية الخاصة بالصلاة.(١)

وتحتفظ هذه الكنيسة بنفس طراز الكنائس في القرن السادس حيث يخـــترق الكنيسة صفان من الأقواس المحمولة على أعمدة ويعلوها تيجان، وهـــذان الرواقان يقسمان مساحة الكنيسة إلى ثلاثة أجنحة أو أروقة أو أقسام: جنـاح أوسط وجناحين جانبيين.(٢)

وبالطبع يرتفع الرواق الأوسط عن مستوى الرواقيـــن الجـانبيين، ويمـــد الرواق الأوسط مبنى الكنيسة بالضوء عبر نوافذ لها أقواس نصف مستديرة تخترق الأجزاء العلوية لجداري الرواق الأوسط.

والرواق الأوسط هو الأعظم في الحجم والارتفـــاع، وتخـــترق هـــذا الرواق من الغرب إلى الشرق أربعة أقواس كبيرة الاتســـاع حيـــث يبلـــغ عرض القوس الكبير حوالي عشرة أمتار في الأصل. ولما تعرضت المدينة لبعض الزلازل تم تقسيم كل قوس كبير إلى قوســـين صغـــيرين لضمـــان صموده أمام الزلازل ويبلغ طول الرواق الأوسط أكثر من أربعين متراً.(٣)

البازيليكا الثانية Basilika B (شكل ١١٤)

يحتفظ هذا البناء بالجزء الشرقي والجنوبي الغربـــي منـــه وقـــد قـــام كولفيتز Kollwitz بترميم هذا البناء، وهو يتكون من بازيليكا مـــن ثلاثـــة أروقة معمدة تنتهي بحنية مخمسة الأضلاع في الضلع الشمالي، وقد ألحـــق بهذا المبنى صالة في الجانب الجنوبي والغربي.(٤)

---

(١) كليكل، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) T. Ulbert, Rusafa- sergiupolis – Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung land des Baal, 1982, p.256.

(٣) Odenthal, op.cit., p 283

(٤) T. Ulbert, Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986, pp. 83-86.

وتنتمي الزخارف النحتية لهذه التوسعات إلى نفس التـاريخ مثـل زخرفـة البوابة الشمالية أي في عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م).

وإلى الشمال من الرواق الأوسط ذو النوافذ الثلاثية توجد حنية بارزة وهي عبارة عن حجرة ثلاثية الحنايا يرتكز فوقها قبة فوق مربع طـول ضلعـه ٥,١٠ متر. وأرضية هذه الحجرة مزخرفة على طريقة [(١)] Opus sectile وبها قطعة فسيفساء زجاجية وكذلك تابوت فـي الحنيـة الشـرقية كـانت مخصصة لعبادة الشهيد سرجيوبوليس والإله باخوس إله الخمر. وقـد بلـغ عرض الحنية ٨,٣٠م.[(٢)]

الصهاريج

في الجنوب الغربي من المدينة تقع الصهاريج التي كانت تمـد مدينـة الرصافة بالمياه العذبة وهذا البناء عبارة عن أقبية مخصصة لتخزين المـاء الذي يتجمع في فصل الشتاء.[(٣)]

ويبلغ طول القبو الأعظم ٥٧,٥ متر وعرضه ٢١,٥ متر وحينمـا تتجمـع المياه حتى ارتفاع ١٣ متر يبلغ محتوى هذه الصهاريج من المياه ١٦ ألـف متر مكعب، وهناك فاصل من الأقواس المحمولة على دعامات يقسم داخـل القبو إلى قسمين وكلاهما مغطيان بقبوة واحدة.[(٤)]

---

(١) طريقة Opus sectile من أقدم الطرق التي استخدمت في صناعة الموزايكو، وفيها كانت تجمـع القطع الصغيرة المختلفة الأشكال والأحجام معاً لتكون المنظر الزخرفي المراد تصنيعه. وقد أتقن الرومان هذه الطريقة التي أتت إليهم من الشرق وأخذوا يشكلون بها الكثير من اللوحات الأرضية والحائطية.

(٢) Ulbert, op cit , p.88.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٤) Odenthal, op cit., p.282.

دير القديس سمعان Simeon Kloster أو قلعة سمعان

انتشرت الرهبنة المسيحية في سورية منذ القرن الرابع الميلادي، وقد كان من نتاج ذلك ازدياد الإيمان الديني الذي اتخذ شكلاً متميزاً مبالغاً من أشكال الوجدانية وفي كنيسة القديس سمعان مثال رائع على ذلك.(١)

ولد القديس سمعان في عام ٣٩٠ ميلادية في قرية سيس Sis على حدود سورية وقليقلية وعندما بلغ الثلاثين من عمره أقام لنفسه عموداً Stylit اتخذه مقراً مدى الحياة، وكانت لمواعظه أمام جمهور المؤمنين الذين كانوا يلتفون حول العمود ولردوده على الرسائل التي كانت تصله من كل مكان أثر بالغ على مجريات الأحداث في الكنيسة في سورية.(٢)

وعندما توفى القديس سمعان في عام (٤٥٩م) أقيم له قبر فوق العمود، وفيما بعد تم نقل رفاته إلى مدينة انطاكية حيث كانت وما تزال مقر بطريركية المشرق وبلاد الشام. ولكن العمود الذي عاش فوقه القديس سمعان ظل مقدساً في قلوب الناس. وقد دعت الوفود المتزايدة من الحجاج على هذه المنطقة إلى قيام دير حول العمود في القرن الخامس الميلادي، وأصبح الدير يحمل اسم دير القديس سمعان.(٣)

وتقع قلعة سمعان فوق جبل سمعان إلى الشمال من مدينة حلب، (شكل ١١٥) ويطل هذا الجبل على واد نهر عفرين، وتبلغ مساحة المنطقة الأثرية حوالي ١٢ ألف كم^2 وهي محاطة بسور حصين، وهناك سور

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٢) Odenthal, op.cit., p.193

(٣) Biscop & Sodini, Qal'at semán et les chevets à colonnes de syrie du Nord, in: Syria 1984, p.13.

يفصل الدير وكنيسة القديسة سمعان عن بقية العمائر الموجودة فـــي هـذا المكان.(١)

ديــر سمعان

يعتبر هذا البناء من أجمل العمائر الدينية المسيحية التي قامت خـــلال الفترة البيزنطية في بلدان المشرق على الإطلاق. ويرجع تاريخ إنشاء هــذه الكنيسة إلى نهاية القرن الخامس الميلادي. وفي مركز الكنيسة بقية العمــود الذي كان موطناً للقديس سمعان وكان ارتفاع العمود في أيام القديس سمعان ٢١ متر. ويحيط بالعمود بنـاء مثمــن الأضـــلاع (شـكل ١١٦ — ١١٨) وتخترقه أقواس متسعة، لكن الحنيات التي توجد فـــي أربعـــة مـــن تلـــك الأضلاع تجعل المثمن يبدو مربعاً. أما بقية الأضلاع فتتصل بأربع كنائس، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى أن المساحة المثمنة لم تكــن مكشــوفة للسماء بل كانت تعلوه قبة من الخشب.(٢)

وتتخلل جدران الجسم المثمن حنيات نصف مستديرة بحيـــث يصبــح الجسم قريباً من المربع. وبين كل كنيسة وأخرى من الكنائس الأربعة توجـد حنية لا تجعل الكنائس الأربعة تلتقي بزوايا قائمة عنـــد اتصالـــها بالجســم المثمن في الوسط. وتستند الأقواس الضخمة للمثمن على دعامات وأعمـــدة لها تيجان بزخرفة الأكانتوس، (شكل ١١٩ — ١٢٠) وكذلك توجد زخارف نحتية في الإطار الذي يحيط بالأقواس.(٣) ويطل الجسم المثمن البالغ قطـــره ٢٧ متر على أربع كنائس ثلاثية الأروقة أهمها الكنيسة الواقعة في الشـــرق

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٢) H.G. Blersch, Die Säule im Weltgeviert, 1978, p 27.

(٣) Odenthal, op.cit., p.133

فهي تتميز بوجود ثلاث حنيات ويوجد بحوائطها الخلفية عدد مـــن النوافــذ التي تتخذ شكل نصف الدائرة في ضلعها العلوي.

والكنيسة الشرقية لها حنية رئيسية وحنيتان ثانويتان كما أنها أكـــبر حجمـاً من الكنائس الثلاثة الأخريات (شكل ١٢١ – ١٢٢).(١) أما الكنيسة الغربيـة والشمالية والجنوبية فأشكالها بسيطة وحجمها صغـــير بالمقارنـــة للكنيســة الشرقية.(٢)

ويتقدم الكنيسة الجنوبية رواق يطل نحو الخارج بقوس ثلاثـــي الفتحــات، (شكل ١٢٣ – ١٢٤) ومن المعتقد أن هذا الرواق قد أضيف إلى الكنيســـة في القرن السادس الميلادي، وتمتد حول الكنيستين الشرقية والجنوبية ساحة واسعة يقوم في رحابها بناء الدير ومصلى خاص بالكهنة.(٣)

المعمــودية

تقع المعمودية جنوب قلعة سمعان، وتعتبر المعمودية ثاني بناء هـــام في هذا الموقع (شكل ١٢٥) بعد كنيسة القديـــس ســمعان، ويبلـــغ طـــول المعمودية ٢٠ متراً وهي عبارة عن بناء مربع يتوســـطه جســم مركـــزي مستدير يلتحم مع بناء كنيسة ثلاثية الأروقة أي من نوع "البازيليكا".(٤)

ويخترق السور جنوب المعمودية باب يقود للخارج من المكان عبر طريـــق منحدر إلى مرافق دير سمعان، وهي مبان ومنشآت كانت تستخدم لـــنزول الحجاج والزوار. ويعكس العدد الكبير من تلك المباني والمنشآت ضخامـــة

---

(١) C. Strube, Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Antike und Christentum 1977, pp.283-285.

(٢) هزار عمران – جورج دبورة، المرجع السابق، ص ص ٢٢ – ٢٣ شكل ٦.

(٣) Odenthal, op cit., pp.199-200.

(٤) Blersch, op.cit., p.54.

قوافل الحجاج القادمة لزيارة القديس سمعان الذي وصلت شهرته وبركاته آفاقاً بعيدة من منطقة سورية القديمة.(١)

ويرجع تاريخ بناء دير سمعان إلى الفترة من ٤٧٦-٤٩٠م.

مدينة انطاكية(٢)

ترجع فكرة إنشاء مدينة انطاكية إلى الإسكندر الأكبر نفسه حيث أنه بعد انتصاره في معركة أسوس على خليج الأسكندرونة في أكتوبر عام ٣٣٣ق.م تقدم الإسكندر زاحفاً إلى فينقيا، وفي أثناء الطريق توقف عند مكان شرقي الموقع الذي قامت عليه انطاكية بعد ذلك، وكانت توجد بجانب الجبل عين ينبع منها ماء عذب شرب منه الإسكندر وقال أنه يضارع لبن أمه مما دعاه إلى أن يطلق على هذا النبع اسم أمه أوليمبياس وأمر بإقامة نافورة في هذا المكان.(٣)

وعندما رأى الإسكندر جمال موقع انطاكية أراد أن يبني مدينته هناك إلا أنه لم يستطيع ذلك نتيجة انشغاله بمواصلة الزحف نحو سوريا ومصر. ولكنه مع ذلك فقد أقام معبداً أطلق عليه اسم معبد زيوس بوتيايوس وحصناً أطلق عليه اسم إماثيا.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢) تقع مدينة أنطاكية حالياً في لواء الأسكندرونة الواقع داخل حدود تركيا الحالية، والأسكندرونة أحد مشكلات الانتداب الفرنسي على سوريا حيث كانت تشكل لواء سوري أقتطع منها منذ يوليو عام ١٩٣٩ وضم إلى تركيا، وجدير بالذكر أن تركيا قد تنازلت عنه عام ١٩٣٢ ثم عادت وطالبت به عام ١٩٣٨ ثم تنازلت فرنسا عنه لتركيا عام ١٩٣٩.

أنظر: أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة،١٩٨٠، ص ٨٤.

(٣) جلانفيل دواني، أنطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٤.

ويذكر مالالاس قرية تسمى "بوتيا" بالقرب من نهر العاصي، حيث أنشأ الملك سلوقس انطاكية فيما بعد.(١)

وبعد وفاةِ الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م آلت سورية إلى سلوقس، وقد شرع سلوقس في إنشاء أربع مدن في الجزء الشمالي الغربي من سورية وهو الإقليم الذي سمى الإقليم السلوقي، هذه المدن كانت إنطاكية وسلوقية وأفاميا واللاذقيه وقد أطلقت عليها هذه الأسماء نسبة إلى الملك سلوقس نفسه وبعض أفراد أسرته.

وهذه المدن الأربع كانت عبارة عن ميناثين تقابلهما مدينتان في الداخل. وإنشاء هذه المدن الأربع ينم عن وجود خطة موحدة لتصميمها، فتخطيط شوارع مدينتين منهما وحجم رقعات المباني في كل من إنطاكية واللاذقيه توحي بأنهما كانتا من تصميم مهندس معماري واحد.(٢) وكانت سلوقية أصلاً المقر الملكي الرئيسي للسلوقيين والعاصمة الكبرى في شمال غرب سوريا، ولكن انطاكية سرعان ما فاقتها وطغت أهميتها عليها وعلى سائر المدن في الإقليم السورى. وكان إنشاء هذه المدن الأربع جزءاً من الخطة الاستعمارية التي استهدفت إقامة المقدونيين والإغريق فيها ضماناً لسيادة الدولة الجديدة.(٣)

وقد بنيت مدينة إنطاكية على النظام الهيبودامى ذو التخطيط الشبكي (شكل ١٢٦) الذي أبتدعه هيبوداموس من ميليتوس والذي استخدم في تخطيط كثير من مدن العصر الهللينستى وعلى رأسها الإسكندرية.(٤)

(١) نفس المرجع، ص٤٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٦.

(٤) جلانفيل دوانى، أنطاكية فى عهدثيودوسيوس، ترجمة: ألبرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨، ص ص ٣٨ – ٣٩.

ويوحى تماثل وحدات المبانى فى كل من إنطاكية واللاذقيه بالتزام تطبيق نموذج بعينة في التخطيط، فمساحة كل وحدة من وحدات المباني في إنطاكية تبلغ أبعادها ٣٦٧ × ١٩٠ قدماً في حين تبلغ في اللاذقية ٣٦٧ × ١٨٦ قدم. ومن الملفت للنظر أن الشوارع في إنطاكية لم يكن لها صلة بالنهر حيث يتوقع أن يكون المحور الطولي للشارع الرئيسي موازياً للنهر، ولكن اتجاهات الشوارع قد حددت بدقة بالغة من حيث اعتبارات الشمس والرياح السائدة فقد خططت الشوارع بحيث تفيد من مزايا الظل في الصيف والشمس في الشتاء، وقد راعى المهندس في اتجاهات الشوارع الرئيسية الممتدة مع المحور الطولي أن تتيح لها استقبال النسيم الذي يهب صيفاً بانتظام من البحر إلى وادي نهر العاصى.(١)

ويحدثنا بعض الكتاب القدامى عن المباني العامة التي أقيمت عندما أنشئت المدينة، ومنها معبد زيوس بوتيايوس الذي شيده الملك سلوقس عندما أنشأ المدينة كما ينقل لنا المؤرخ مالالاس، ولا بد كذلك من أنه كانت هناك معابد أخرى وحمامات عامة وبعض المنشآت الإدارية والعسكرية. ولم يرد ألينا أي دليل على وجود مسرح بالمدينة مما يدعونا إلى الدهشة، وكذلك لا نعرف متى شيدت القناطر التي تحمل قناة لجلب الماء العذب من مدينة دفنه.(٢)

ومن أشهر التماثيل التي وجدت في إنطاكية تمثال الإلهة تيخى إلهة الحظ حيث ساد الاعتقاد في العصر الهللينستى بوجود قوة خارقة تتحكم في مصائر البشر.(٣) وقد عهد الملك سلوقس إلى النحات الشهير يوتوخيدس من سيكيون – وهو أحد تلاميذ ليسيبوس، فنان الإسكندر الأكبر– بصنع

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٠ .

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٠ .

(٣) Plinius, Historia Naturalis XXXIV, p. 51.

سيكيون ــ وهو أحد تلاميذ ليسيبوس، فنان الإسكندر الأكبر ــ بصنع تمثــال الحظ لانطاكية فيما بين ٢٩٦ - ٢٩٣ ق.م وأصبحت هذه الإلهة هي الإلهــة الحامية لمدينة إنطاكية وكذلك حارسة الملك. وقد صور يوتوخيدس التمثــال على أنه رمز النجاح والخصب والرخاء مما صادف رواجاً عميقاً في مــدن الشرق.(١)

والتمثال الأصلي كان مصنوعاً من مادة البرونز (شكل ١٢٨) وكـــانت الإلهة مصورة برداء طويل جالسة على صخرة تمثل جبل سيلبيوس وهـــي تستند بيدها اليسرى على الصخرة، وتمسك في يدها اليمنى حزمة من القمح رمزاً لرخاء وخصوبة المدينة وفوق رأسها تاج على هيئة قلعـــة أو بـــرج يمثل سور المدينة، وتحت قدميها سباح عار يرمز إلـــى نـــهر العـــاصي. وللأسف فقد زال هذا التمثال ولم يعد هناك إلا التمثال الرخـــامي الصغـــير الموجود في متحف الفاتيكان فهو أقرب النسخ الشبيهة بالأصل الذي صنعـــة الفنان يوتوخيدس Eutychides.(٢)

وهناك تمثالان آخران لهما أهمية خاصة فيما يتعلق بنشأة انطاكيـــة وهمـــا تمثالا زيوس وأبوللو بوصفهما مؤسسي وحاميى الأسرة الســـلوقية، وكـــان سلوقس وابنة أنطيوخوس يشبهان رسمياً: الأول بزيـــوس والثـــاني بالإلـــه أبوللو.(٣)

انطاكية في العصر الروماني

حينما أستولي القائد الروماني عام ٦٣ ق.م على سوريا وحولها إلـــى ولاية رومانية كانت انطاكية هي أكبر المدن في الجزء الشمالي الغربي مـــن

---

(١) T.Dohrn, Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960, pp. 23 – 25.

(٢) Pausanias, VI, 2, 7.

(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٢.

سورية وعاصمة السلوقيين ومركزاً تجارياً هاماً، لذا ظلت إنطاكية هي أيضاً عاصمة الولاية الرومانية الجديدة.

وقد أعطى بومبيوس مدينة إنطاكية قدراً من الحرية حيث كان يسمح لها بإدارة بعض شئونها الداخلية، غير أن جميع الأمور الهامة كانت تحت الإشراف الروماني. وسرعان ما وطد الرومان نفوذهم في سورية، وبادر كثير من التجار الرومان إلى توطيد أقدامهم في إنطاكية وفى عام ٤٨ ق.م كانت جالية المواطنين الرومان المشتغلين بالتجارة في المدينة جالية مزدهرة ذات نفوذ قوى.(١)

وحينما نشبت الحرب الأهلية في عام٤٩ ق.م بين يوليوس قيصر ومجلس الشيوخ وهزيمة بومبيوس أمام قيصر في معركة فرسالوس عام ٤٨ ق.م أعلن أهل إنطاكية عدم مناصرتهم لبومبيوس، ووقوفهم مع قيصر.(٢)

وقد قام قيصر بإنشاء مجموعة من المباني العامة الشهيرة وكان أشهرها البازيليكا التي أطلق عليها اسمه فسميت "قيصريون" وهى أقدم بازيليكا في الشرق، وقد بنيت في مواجهة معبد الإله أريس في وسط المدينة، وكانت تحتوى على فنار مكشوف وقاعة مستطيلة بها محراب كبير. وكان يقوم خارج القاعة تمثال قيصر وتمثال تيخى روما، ويعكس وجود هذين التمثالين اتجاه قيصر إلى صبغ الإمبراطورية الشرقية بالصبغة الرومانية وميله إلي إضفاء طابعاً جديداً على عناصر العبادة الهللينسية للحاكم

---

(١) G. Dawney, A history of Antioch in Syria from Seleucus to The Arab Conquest, Princeton, 1961, p.153.

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١٠٣.

وعناصر العبادة الرومانية لتشخيص روما. وقد تطورت هاتان العبادتان فيما بعد على يد أوغسطس بإنشائه العبادة الرسمية لروما وأوغسطس.

وقد أمر قيصر بإعادة بناء البانثيون في انطاكية وكذلك إقامة مسرح جديد على منحدر الجبل وإنشاء مدرج Amphitheater على منحدر الجبل، وتشييد قناطر تحمل الماء لسد حاجة الأهالى، وإنشاء حمام عام في الجزء الأعلى من الجبل بحيث يتزود بالمياه من خلال هذه القناطر.(١)

وتتجلى السياسة الرومانية في إدخال أسلوب الحياة الرومانية إلى الشرق الإغريقي بوضوح في إنشاء المدرج لإقامة مباريات المبارزة والألعاب الرياضية الوحشية. ومن بين الأحداث الهامة الكبرى التي شهدتها انطاكية في عهد أوغسطس إنشاء حفل الألعاب الأوليمبية المحلية، الذي أصبح بمرور الزمن من أشهر الحفلات في العالم الروماني. وقد أمتاز عصر الإمبراطور أوغسطس بتنفيذ العديد من المشروعات في إنطاكية مما ساهم في تحويل انطاكية إلى عاصمة رومانية، وظل إنشاء هذه المشروعات في عصر الإمبراطور تيبريوس.(٢)

وقد شهدت مدينة إنطاكية نهضة شاملة فيما يخص إقامة المباني في عهد الملك هيرودوس ملك اليهود وأجريبا. وقد أقترن باسم أجريبا حي جديد في المدينة أطلق عليه اسم منشئة، وكان هذا الحي يشتمل على حمام عام (شكل ١٢٧). وأضاف صفوفاً جديدة من المقاعد إلى مسرح المدينة مما يدل على زيادة في عدد السكان في عهده.(٣)

---

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١٠٤.

(٢) داونى، أنطاكية فى عهدثيودوسيوس الأكبر ، ص ص ٤١ – ٤٣.

(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١١٠.

ومن أهم إنجازات هذا العصر إنشاء شارع عظيـم علـى جانبيـة بوائـك الأعمدة ويبلغ طول الشارع ميلين رومانيين وهو يخترق المدينة على امتداد مسار الشارع الهللينستى السابق عليه، وكان هذا الشـارع هـو الشـارع الرئيسي في انطاكية وكان سبباً في نيوع شهرة هذه المدينة، وقـد أشـترك كل من هيرودوس ملك اليهود في رصف الشارع ثم تولـى الإمـبراطور إنشاء البوائك المسقوفة التي كانت تصطف على جانبي الشـارع، وكذلـك إنشاء بوابات ذات أربعة ممرات Tetrapylon عند تقاطع هذا الشارع مـع كل شارع رئيسي وكانت هذه البوابات مغطاة بسقوف حجريـة ذات قبـاب مقامة على أربعة أعمدة، يقوم واحد منها عند كل ركن من أركان التقـاطع، وقد بلغ أتساع مسار الشارع نحو ٣١ قدماً وأتسـاع كـل مـن الرواقيـن الممتدين على الجانبين نحو ٣٢ قدماً.[١]

ومن أعمال الإمبراطور تيبريوس في إنطاكية إتمام بناء وتحسين حـي إيبافانيا[٢] وكذلك إقامة ثلاثة معابد منها معبد الإله جوبيـتر كـابيتولينوس وكان هذا المعبد قد شيده أنطيوخوس الرابع وقام تيبريوس بإصلاحه. كذلـك أقام معبداً للإله ديونيسوس وكان يقوم أمامه تمثالان للديوسكوروى أمفيـون وزيثوس أبناء أنتيوبى وزيوس، ويدل وضع هذين التمثالين على أن المعبـد بنى فوق قاعدة مرتفعة يؤدى إلى سطحها عدد من الدرج. أما المعبد الثالث فقد أنشئ للإله بان Pan وكان يقوم خلف المسرح. وقد تمت توسعة ثانيـة للمسرح في عهد الإمبراطور تيبريوس مما يدل على ازدياد عـدد سـكان المدينة، وكانت التوسعة الثالثة في عصر الإمبراطور تراجان.[٣]

(١) داونى، أنطاكية فى عهد تيودوسيوس الأكبر ، ص ص ٣٨ – ٤٠.

(٢) هو الحى الذى أقامه الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع إبيفانس، وأطلق عليه أسمه.

(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١١٢.

ومن أهم الأعمال في عصر تيبريوس البوابة الشرقية التي أقيم على قمتها ــ رمزاً للسيادة الرومانية ــ تمثال من الحجر للذئبة وهي ترضع التوأمين رومولوس وروموس وكانت هذه البوابة مقامة عند الطرف الشرقي للشارع الرئيسي ذات الأعمدة. واعترافاً بفضل الإمبراطور تيبريوس على المدينة فقد أقام مجلس الشيوخ وأهل انطاكية تمثالاً من البرنز فوق عمود في ميدان فسيح يقع في الشارع ذات البوائك.(١)

وقد كانت انطاكية طوال مراحل تاريخها من أجمل مدن العالم الهللينستى والروماني مما دعا المؤرخ أميانوس ماركلينوس الذى كتب مؤلفة في الجزء الأخير من القرن الرابع الميلادي إلى القول بإن انطاكية ــ مسقط رأسه ــ هي درة الشرق الجميلة.

وتدلنا الأرضيات المغطاة بالفسيفساء عن التاريخ الفني للمدينة منذ القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادي، وقد اكتشفت هذه الأرضيات في منازل خاصة ومبان عامة ولا سيما في الحمامات. وتكمن أهمية هذه الأرضيات ليس فقط في تتبع التاريخ الفني للمدينة بل أيضاً في أنها تمدنا بفكرة واضحة عن الحياة الفكرية والحياة اليونانية لأهالي انطاكية.( )

ومن خلال المكتشفات من أرضيات الفسيفساء في إنطاكية نستطيع أن نتبين كيف شاع الطراز السكندري المبكر في انطاكية مع خضوعه لتأثير المدرسة الأتيكية الحديثة التي تميزت بها آسيا الصغرى، وكذلك تأثير الطراز الفارسي على أرضيات انطاكية والذي نتج عن اتصال الفرس

---

(١) نفس المرجع، ص ١١٣

(٢) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٥٩

بانطاكية الذي كان أوثق من اتصالهم بأية مدينة أخرى من المدن الكـــبرى في العالم اليوناني الروماني.(١)

وتكشف الأرضيات عن تأثير الفن الفارسي في انطاكية، وذلك من خــلال طرز الزخرفة وفى اختيار الموضوعات، ومثال ذلك استخدام إطـــار مــن رؤوس الكباش وهو إطار فارسي يرمز إلى الملكية وذلك فـــي الأرضيــة المعروفة باسم العنقاء التي يظهر من خلال أسلوبها الزخرفي البحت تــأثير النسق الشرقي في الزخرفة.(٢)

وجدير بالذكر أن أرضيات الفسيفساء في انطاكية كانت تقوم بدور كبـير في تخطيط وزخرفة المنازل بجميع أنواعها سواء كانت مساكن متواضعـــة أم قصور للأثرياء. وفى حالة المســاكن المتواضعــة كــانت الأرضيــات تزخرف بنماذج هندسية أو مستمدة من شكل الأزهار، أما المنازل الأكـــثر أناقة فكانت تزخرف بأشخاص يحاطون برسوم هندسية.

وقد حرص الفنان في انطاكية أن يصمـــم وضـــع ومحتويـــات الفسيفســاء ــ بوصفها جزءاً من التخطيط المعماري للمبنى ــ بعناية شـــديدة بحيــث ترى من كل جوانب الحجرة وتكون ملائمة لوضعها المعماري.(٣)

وكثيراً ما كانت أرضيات الفسيفساء تزين أحواض المياه والمنظر الخلفـــي للنافورات سواء في المنازل الخاصة أو في المباني العامة الكـــبرى مثــل النيمفايون، فكانت هذه اللوحات تصور أسماكاً وآلهة بحرية وكـــانت تبـــدو مظللة من أسفلها كما لو كانت تعوم في الماء. ومن أهم الأرضيـــات فـــي انطاكية الفسيفساء (شكل ١٢٩) التي كانت تزين بهو الأعمدة الـــذي كـــان

---

(١) D. Levi, Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947, PP. 43 – 47.

(٢) داوني، أنطاكية القديمة، ص ٢٦٠.

(٣) Levi, op cit., pp. 83 – 87.

يحيط بفوروم الإمبراطور فالنس وكذلك أرضيات الحمامات العامة الكبيرة ، وقد اقتضت الزخرفة على مساحات كبيرة استخدام الرسوم الهندسية على نطاق واسع ولدينا مثالاً رائعاً في الفيلا البديعة التي ترجع إلى عصر قنسطنطين الأكبر (٣٠٦ – ٣٣٧م) والتي اكتشفت في مدينة دفنه Daphne. فنجد هنا أن زخرفة الأرضية قد صنعت طبقاً لخواص الطريقة الفنية التي أتبعت في زخرفة السقوف، وذاعت شهرتها في روما في القرن الثاني الميلادي. وفى وسط الأرضية كانت توجد نافورة مثمنة الأضلاع، وكانت تمتد منها إلي الأركان الأربعة في الحجرة أربع لوحات تمثل كل منها تشخيصاً لفصل من فصول السنة وبين هذه التشخيصات كانت توجد مناظر للصيد وهو موضوع محبب لدى صناع الفسيفساء[١] وقد ظهرت العديد من الأرضيات التي تصور مشاهد من المسرحيات اليونانية التراجيدية وكان هوميروس ويوريبيديس من أبرز الممثلين في صور العصر البيزنطي وخير دليل على ذلك مشهد من مسرحية إفيجينيا في أوليس (شكل ١٣٠) وهو يصور اللحظة التي أخذت فيها كلوتمنسرا تدعو أفيجينيا إلى إثارة عوامل الشفقة في قلب أجاممنون وحملة على العدول عن القرار الذي أتخذه بأن يضحي بأبنه ليتحقق له القيام بحملة طرواده، وقد وجدت هذه الفسيفساء في انطاكية بمنزل يرجع إلي أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الميلادي وهى محفوظة بمتحف انطاكية.[٢] وقد وجدت قطعة فسيفساء جميلة في منزل بانطاكية يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني وهى تمثل قضاء باريس. وهذه الفسيفساء (شكل ١٣١) واحدة من خمس قطع فسيفساء فاخرة كانت تزين بها قاعة

(١) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٦٣.

(٢) Levi, op cit., p. 110

الطعام. وتصور اللوحة قضاء باريس بين الإلهات الثلاث، فقد زعمت الروايات المحلية أن الحادث جرى في مدينة دفنه. ويجلس الراعي باريس على صخرة ويقف هرميس وراءه وتجلس هيرا في الوسط والى يمينها أثينا وعلى يسارها أفروديتى وقد حملت كل منهن صولجاناً طويلاً. وفى خلفية الصورة تقف بسيخى مجنحة تجاه ايروس، وهى محفوظة في متحف اللوفر بباريس.[١] وكذلك تظهر أسطورة أخرى محلية في أرضية من الفسيفساء حيث صور أبوللو وهو يلاحق العذراء دفنه التي تبدو وهي تتحول إلى شجرة غار لتنجو من الإله، وقد وجدت في دفنه بمنزل من القرن الثالث الميلادي.[٢]

وهناك لوحة من الفسيفساء (شكل ١٣٢) تصور شكلاً نصفياً لديونيسوس، ووجدت اللوحة في دفنه بمنزل من عهد الإمبراطور قنسطنطين الأكبر.

وكان الصيد من أهم موضوعات التسلية لدى أهل انطاكية حيث كان من أخص سماتهم، ومن أحب تلك الموضوعات مناظر للصيد بعضها من الأساطير الخرافية وبعضها من الحياة المعاصرة، ولدينا منظر للصيد على أرضية من الفسيفساء مساحتها ٢٣ × ٢٠ قدم وجدت في دفنه بمنزل يرجع إلى حوالي ٥٠٠م (شكل ١٣٣). ويتوسط هذه اللوحة رجل يمثل انتصار الإنسان في الصيد.[٣]

ومن خلال إحدى الأرضيات في انطاكية نستطيع ربط الماضي بالحاضر حيث تصور إحدى الفسيفساء (شكل ١٣٤) خرافة عين الحسد التي مازالت منتشرة في بلاد حوض البحر المتوسط، ففي هذه الفسيفساء

---

(١) Ibidem, pp 119 – 120.

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٢٦٦.

(٣) Levi, op.cit., pp 153 –154.

تبدو العين وقد شن الهجوم عليها حيوانات وأسلحة مختلفة كوسيلة لإتقـــاء هجمات عين الحسد ذاتها مثل الغراب الأسود، حربة مثلثة الشعب، ســيف، عقرب، ثعبان، كلب، نمــر. وترجــع هــذه القطعــة إلــى القــرن الأول الميلادي.(١)

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

آثار منطقة لبنان

مقدمة تاريخية

بالرغم من أن معابد بعلبك قد حظيت باهتمام كبيراً في الأزمنة القديمة والحديثة إلا أننا نعلم القليل من تاريخها، والكثير من هذا القليل أيضاً غـــير محدد. عدا عدد قليل محدود من الكتاب القدامى في القرن الرابع الميـــلادي قد بحثوا عن هذا المكان عندما أعطتهم المسيحية فكرة عن المعابد والآلهـــة الوثنية نجد هؤلاء لا يذكرون مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم.

وقد قام روبرت وود Robert wood بعمل دراسة مفصلة عن هذا الموقع في القرن الثامن عشر وفي محاولة منه لتحديد تاريخ إقامة هـــذه المعـــابد وتحديد من قاموا ببنائها إذ قال:(١)

" لم يكن من العجيب ــ بعد رؤيتنا لمتانة وطول هذا المكان ــ أن نجـد صعوبة في معرفة صانع هذا العمل ومصممه وبالرغم من كل ما قمنا بـــه من جهود لمعرفة ذلك. فلا نجد إجابة مرضية؟!

ولكن من الواضح أن هذا المكان كان مشهوراً لأنه كان موقعـــاً مقدســاً قبل ظهور الرومان بفترة طويلة، وبما أن الرومان بنوا في هـــذا الموقـــع أشهر وأكبر المعابد لهم فإن ذلك يوضح مدى تكريمهم لآلهتـــهم. وبالنســبة لمكانة هذا الموقع في عصر ما قبل الرومان فنحن لا نعلم شيئاً عـــن ذلـــك ولكن بما أن هذا الموقع يزخر بالماء، فهذا دليل واضح علـــى أنـــه كـــان مسكوناً منذ القدم.

(١) G.L. Harding, Baalbek, Beirut, 1963, p 11.

لذا فسوف لا تأخذنا الدهشة حين نعثر في منطقة رأس العين على أطلال تعود إلى حقبة زمنية سابقة.(١)

ويعتقد الكثير من العلماء أن هناك أطلال للفترة السابقة على الحقبة الرومانية مدفونة تحت المدن الرومانية والمدن التي تلتها. والدليل الوحيد الحقيقي على وجود نشاط سكني في فترة ما قبل الرومان في هذه المنطقة هو وجود عدد من القبور الحجرية التي يعتقد أنها ترجع للفترة الفينيقية والهللينستية وذلك بالرغم من تشتت محتوياتها وفسادها.(٢)

ويعتبر اسم المنطقة في حد ذاته إشارة إلى سكناها في فترة ما قبل الرومان وذلك بالرغم من وجود جدال حول المعنى الحرفي لاسم المكان:

فنجد أن كلمة "بعل" معناها "سيد" وهذا يعتبر اسم أو عنوان للآلهة السامية القديمة والتي كانت مقدسة ومبجلة في كل الشرق الأدنى(٣) (وقد ذكر العهد القديم الكثير عنها) ـــ أما لفظة "بك" قد تكون تصغيراً لاسم الوادي "بكة" لذلك نجد أن الاسم قد يكون معناه سيد بكة وقد يلقى هذا التفسير قبولاً.

إلا أننا نجد أيضاً أن كلمة بك قد تكون الكلمة الفينيقية التي تعنى "مدينة أو بلدة" وبما أن كلمة بعل هي من أسماء الشمس فبذلك نجد أن الكلمة اليونانية "هليوبوليس" يمكن اعتبارها ترجمة دقيقة للاسم لأن معنى الكلمتين سوياً "مدينة الشمس".(٤)

---

(١) O Eissfeldt, Temple und Kulte syrischer städte in Hellenistisch- Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941, pp. 197-198.

(٢) Harding, op.cit., p.13

(٣) J. Irmscher, Lexikon der Antike, Wilhelm Heyene Verlog, München, 1987, p. 80.

(٤) . S. Kapelrud, Baal in the Ras Shamra Texts, 1952, pp.16-17.

وقد تمت محاولات عديدة للتعرف على بعلبك من بين المدن المذكورة في العهد القديم مثل "بعل جاد" و "بعل الله" (التي بناها نبي الله سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد) وتونب المذكورة في رسائل "تل العمارنة" بمصر (القرن ١٥ق.م) "وقبر حداد" المذكورة في قائمة المدن التي استولى عليها تيجلات بلاسر الثالث" الآشوري عام ٧٣٨ق.م، ولكن لم يتم إثبات أي من ذلك حتى الآن.(١)

وهناك أعتقاد عربي قديم ينسب بناء هذه المدينة إلى نبي الله سليمان ليس له أساس من الصحة إذ أنه في ذلك الوقت كانت كل المباني الضخمة تنسب إليه أو إلى فرعون، لأنهم كانوا يعتقدون أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن ينجزها أي شخص عادى. ولا نعلم أول مرة تم فيها إعطاء اسم هليوبوليس لهذا المكان ولكن ربما جاء أو تم ذلك بعد أن احتل الإسكندر الأكبر المدينة في القرن الرابع ق.م ويعتبر اليونانيون بعل حداد مساوياً لهليوبوليس إله الشمس.(٢)

وبعد وفاة الإسكندر انتقلت المنطقة تحت سيطرة بطلميوس وحلفاؤه ولكن فى عام ٢٠٠ق.م على الأرجح استولى عليها منهم انطيوخوس الرابع (٢١٥-١٦٣ق.م) واستمرت تحت حكمهم حتى سقوط الأسرة السلوقية.(٣) وباحتلال الرومان لسورية في القرن الأول ق.م دخلت المنطقة تحت الحكم الروماني. وعندما احتل القائد الروماني بومبيوس هليوبوليس في

(١) Harding, op.cit., p.14.

(٢) H. Gressmann, Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.

(٣) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٢٠- ١٢٥.

العام ٦٣ق.م[١] كانت حينئذ تحت سيطرة رجل عربي اسمه بطلميوس ابـن منايوس الذي عينه القائد بومبيوس كأمير للمكان نظير مبلغ كبير من المال. من المرجح أن تكون سورية قد تم استغلالها كمستعمرة رومانية بواسـطة الإمبراطور أغسطس (٣١ق.م –١٤م) وفي حوالي عام ١٦ق.م قام بتعيين جنود من فيلقيني في بيروت وهليوبوليس.[٢]

ويبدو مما سبق ومن المفهوم العام والرأي الذي أجمع عليـه معظـم العلماء أن العمل في هذا المكان بدأ أولاً في معبد جوبيتر وبعل في الفـترة الأوغسطية في بداية القرن الأول بعد الميلاد وقد تم التأكد من ذلـك بعـد اكتشاف مخطوط يذكر أن هذا المعبد انتهي العمل به عام ٦٠م.[٣]

ونعلم أيضاً أنه كان هناك في معبد "بعل حداد" وهليوبوليس وحي [٤] كـان يستشيره الإمبراطور تراجان (٩٨–١١٧م) ذلك قبل ذهابه إلى حملته ضـد البارثيين وقد قيل أنه تنبأ بموته بطريقة لم يتم فهمها إلا بعد وقوع الحـدث نفسه وهذا معناه أنه كانت هناك بعض المباني المقامة في ذلك الوقت.

---

(١) F. Ragette, Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980, p. 17.

(٢) A. Heuss, Rőmische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976, pp. 310-311.

انظر أيضاً: ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامـة للكتـاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠١.

(٣) Harding, op. cit., pp. 14 -17.

(٤) J. Alexander, The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967, pp. 61-63.

وكون أن هناك البعض ينسبون بناء المعبد إلى "انطونينوس بيوس" حوالـي عام ١٣٥ بعد الميلاد فهذا استناداً إلى المقولة التي قالـها John. Malala الانطاكي الذي كتب في بداية القرن السادس بعد الميلاد قائلاً: ـ(١)

"بني انطونينوس بيوس معبداً عظيماً للشمس قرب لبنان في فينيقية وكـان هذا المعبد إحدى عجائب الدنيا".

ورداً على ذلك لا نجد المؤرخ Julius Capltolinus الذي كتب عن حياة انطونينوس بيوس لا نجده يذكر أي شئ عن معابد هليوبوليس من بين قائمة المباني التي بناها وهذا بالطبع يعتبر إهمال جسيم إذ كان بالفعل هـذا البناء إحدى عجائب الدنيا، ولكن John Malala على أي حال لا يعتـبر كاتباً يعتمد عليه بالدرجة الأولى.

ومن المؤكد أن هذه الأعمال كانت مستمرة تحت حكم الأنطونيين خـلال القرن الثاني بعد الميلاد ويعتقد أنه في هذا الوقت تم بناء معبـد بـاخوس، ونجد أول صور للمعابد على العملات في صورة معبد هليوبوليس وذلـك أثناء حكم سبتيميوس سفيروس وكراكالا في الفترة مـن ١٩٣-٢١٧ بعـد الميلاد وهما اثنان من الأباطرة الرومان من الأسـرة السـيفيرية.(٢) هـذا ويظهر تمثيل البروبيليا العظيم على عملة فيليب العربي ٢٤٤م وقد يعنـي هذا أن البناء تم الانتهاء منه أثناء حكمه إذ أننا نعلـم مـن خـلال نقـوش وجدناها على ثلاثة من الأعمدة الموجودة هناك أن البناء بدأ علـى الأقـل خلال حكم الإمبراطور كراكالا Caracalla وتذكر هذه النقوش أن موظف من الفيلق الأولى واسمه انطونيانوس قام بصناعة الأساس البرونزي لـهذه الأعمدة على نفقته الشخصية كوفاء لنذر قام به لتأمين سلامة الإمـبراطور

(١) Harding, op.cit., p. 17

(٢) Eissfeldt, op.cit, pp 201-202

Caracalla ووالدته Julia Domna ومن المحتمل أن المعبـد الصغيـر المستدير الموجود بالخارج والمعروف باسم معبد "- Venus فينوس" تـم بناءوه أيضا في القرن الثالث بعد الميلاد وفي الواقع يبدو أن العمـل فـي جزء أو كل البناء قد بدأ واستمر حتى تـم إيقافـه بواسـطة الإمـبراطور قسطنطين الأكبر حوالي عام ٣٣٠ بعد الميلاد، وكان هذا الإمبراطور قـد اعترف بالمسيحية دينا رسميا وعمل على إغلاق معابد الآلهة القديمة.

ويقال أن الإمبراطور قسطنطين منع كل الاحتفالات المقامة في معبـد فينوس وأقـام كنيسـة هنـاك غـير أن المـؤرخ باسـكال Paschal (٦١٠ ــ٦٤١ م) قال : ــ أغلق قسطنطين معـابد اليونـانيين غـير أن ثيودوسيوس حوالي عام ٤٤٠م دمرها وحول معبد هليوبوليس إلى كنيسـة مسيحية.(١)

وهناك نزاع على هذا النص من قبل الدارسين والترجمة تتخذ أشكال عديدة ولكن المعنى الأساسي كما هـو. ويفـترض أن الإمـبراطور جسـتنيان (٥٢٧-٥٦٥م) قد نقل بعض الأعمدة المصنوعة من الجرانيت الأحمر إلـى القسطنطينية لاستعمالها في بناء كنيسة ايا صوفيا.(٢)

وعندما استولت جيوش المسلمين بقيادة أبو عبيدة بـن الجـراح عـام (٦٣٤م) على المنطقة وحولت المعابد والكنائس إلى حصون ضخمـة أزال الخليفة الوليد (٧٠٥-٧١٥) القبة البرونزية من الكنيسة لإقامة جامع عبـد

---

(١) Harding, op cit, p. 18.

(٢) Th. Wiegand, Baalbek, Leipzig 1973, Bd III, pp. 30-31.

الملك في أورشليم وقام الخلفية مروان الثاني بهدم حوائط المدينة القديمة ٧٤٤-٧٤٨ وكان آخر الأمويين.[١]

معابد الآلهه

عند الحديث عن هذه المعابد نصطدم مرة أخرى بالواقع وهو عدم وجود أية معلومات يمكن الاعتماد عليها بالنسبة لهذا الموضوع سواء لدى الكتاب القدامى أو من خلال النقوش التي تم اكتشافها في الموقع.

وتشير النقوش المحفورة على قاعدة ثلاثة من أعمدة البروبيليا والمشار إليها سابقاً: ـــ

أنه كان هناك ثلاثة آلهة معبودة في هليوبوليس وهما:ـــ جوبيتر هليوبوليتانوس وفينوس وميركور، وهما نفس الثلاثي الهليوبوليتاني الذي وجد في النقوش التي عثر عليها في مواقع خارج بعلبك.[٢]

وكما سبق القول فإن الإله جوبيتر كان يماثل إله الصاعقة السوري (حداد بعل ـــ الشمس)، وكذلك كانت فينوس تماثل إلهة الطبيعة السورية الشامية (اتارجاتيس ـــ دركيتو) زوجة حداد،[٣] وأخيراً العضو الثالث في الآلهة هو ميركور فلم يكن من السهل أبداً مساواته مع أي إله سامي آخر من دون الآلهة السامية لكنه كان يعتبر أحد الأرواح الحارسة والحامية للنباتات والمزروعات فكان يعتبره اليونانيون مثل الإله هرميس الراعي.

(١) Harding op. cit., p. 18.

(٢) Eissfeldt, op cit., pp. 213-214.

(٣) Ragette, op cit, p. 29 – 30.

ومن هنا نجد أن الرومان كانوا يساوونه مع ميركور، ويرى البعـض فيـه صورة الإله سيميوس والذي كان يعرف عنه من كتابات القدامى أنه ابـن أو عشيق اتارجاتيس، ولو أن هذا الأمر غير مؤكد.(١)

على أية حال فقد كان هناك ثلاثة آلهة والمشكلة كانت في معرفة أي معبـد يخص كل منهم أو معرفة إذ كان بالفعل لكل إله معبد مستقل أو أنها معـابد مشتركة وهنا تكمن الصعوبة.

وهناك أدلة تشير إلى وجود ستة معابد على الأقل في بعلبك، منـها معبـد كائن على منحدرات الشيخ عبد الله في الجنوب الشرقي، والدليـل الوحيـد على وجود هذا المعبد هو وجود نقشين يشيران إلى ذلك في نفس الموقـع. هذا فضلاً عن وجود بقايا لسلالم من المرجح أنها كانت تقـود إلـى هـذا المعبد.

ويعتبر هذان النقشان مهمان للغاية إذ أنهما يذكران الإله ميركور ممـا يرجح الاعتقاد بأن هذا كان معبده، لذلك فإذا قبلنا هذه النظريـة ووضعنـا ميركور في هذا المعبد على أنه معبده يتبقى اثنين من الآلهة يجـب علينـا معرفة أين يوجد معبد كل منهما من بين اثنين من المعابد المتبقية.

ويمكننا أن نسقط من الاعتبار البقايا الموجودة في رأس العين وكذلك المعبد الصغير الذي يطلق عليه معبد فينوس. وقد اتفق بوجـه عـام أن المعبـد العظيم الذي يحتوي على ستة أعمدة قائمة هو معبد (جوبيـتر ــ بعـل ــ حداد ــ الشمس) ويتضح بالتأكيد أنه كان رأس الثلاثي أي الإلـه الأكـبر وذلك أنه إضافة إلى النقش الموجود في البروبيليا هو وحده المذكـور فـي

(١) M.H. Pope- W.Röllig, Wöterbuch der Mythologie, Bd. I, pp. 253 ff.

كل النقوش الأخرى التي تم العثور عليها.[١] ويشار إليه بالحروف I.. O. M. H. وهي اختصارات لكلمات Iovi Optimo Maximo Heliopolitano ومعناها: إلى جوبيتر الإله الأعظم الهليوبوليتاني ونستطيع رؤية هذه الأمور على العديد من المذابح الموجودة في الفناء الرئيسي.[٢]

ولقد ذكر الكاتب لوكيانوس فى دراسته في القرن الثاني بعد الميلاد عن الإلهات السوريات وأوضح في كتابه أن الإلهات الأنثى كان لها أهمية مساوية تماما للآلهة الذكور أو ربما كانت أكثر أهمية أيضا وتحدث عن معبد في هيرابوليس Hierapolis كان يضم ثلاثيا مشابها من الآلهة تسكنه سويا.[٣]

وإذا نظرنا إلى الأمرين ومن خلال وجهة نظر أخرى نستطيع أن ندرك أن هذه الأهمية كانت نسبية وتعتمد على المنطقة نفسها وتختلف من منطقة أو مقاطعة إلى أخرى. لذلك فسوف نهمل هذه النقطة ونفترض جدلا أن هذا المعبد العظيم كان مهدى للإله جوبيتر ـ حداد حيث إن الرومان ـ حينما غزوا بلاد الشام ـ جعلوا مدينة بعلبك مقرا لعبادة إله الشمس وحلت شريكته فينوس مكان الإلهة القديمة عشتار.[٤]

ويؤيد مكروبيوس Macrobius هذه النظرية فقد كتب في بداية القرن الخامس أن هذا المعبد كان مهدى إلى جوبيتر والشمس فقال:

(١) Iovis هي صيغة متأخرة استخدمت للتعبير عن الإله جوبيتر.

(٢) Gressmann, op.cit., pp.198-199.

(٣) Harding, op cit., p.25

(٤) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧

"يتضح بجلاء أن هذا المعبد كان مهدى لجوبيتر والشمس وذلك من طقـوس العبادة وصفات التمثال الذي كان مصنوعا من الذهب ويمثل شخصا حليـــق اللحية يمسك سوطا في يده اليمنى وفي يده اليسرى صاعقة وسنبلة قمح.(١)

ولكن لسوء الحظ أهمل الكاتب أن يذكر فـــي أي معبـد مـــن معـــابد هليوبوليس كان يوجد هذا التمثال، كما لم يذكر وجود اثنين مـــــن الثـــيران على جانبي التمثال، مع أن هذه كانت خاصية مميزة في كل تمـــاثيل الإلـــه حداد، كما نستطيع رؤية ذلك على صوره أو لوحاته الموجودة على المذبـــح الصغير الموجود في القاعة الأمامية السداسية.(٢)

ومن العجيب أيضا أنه في القرن الخامس كان يكتب كتاباته بصيغة الزمـــن المضارع كما لو كان التمثال ما زال موجودا حينئذ هناك وكما لـــو كـــانت الطقوس ما زالت تقام له.

كما أشار الكاتب أيضا إلى الوحي والذي كان مصدر شهرة المعبد فقال:

"يفيض المعبد بالعرافة (معرفة الغيب) والتي كانت مـــــن صفـــات أبوللـــو الشمس وفيه نرى تماثيل الآلهة محمولة بنفس الطريقة التـــي تحمـــل بـــها تماثيل الآلهة في الألعاب السيرسنسـيانية Circensian Games فـــهناك شخص من الأشخاص البارزين في المقاطعة حليق الذقن يحمل تمثال الإلـــه بين يديه بعد أن يتطهر وذلك بأن يظل عفيفا لمدة طويلة.(٣)

والمعبد الثاني هو معبد أصغر قليلا في الحجم وهو الآن معروف باسم معبد باخوس ومن المؤكد أن هذه التسمية من الخطأ بمكـــان حيـث أنـــها كانت مأخوذة من رسوم وتصميمات موجودة على البوابة الكبيرة ومنحوتـــة

(١) Harding, op.cit., p.25

(٢) Ibidem, Fig. 8.

(٣) Alexander, op cit., p 74.

عليها وبخاصة الرسومات والتصميمات المنحوتة علـــى الحــرم والمــزار الداخلي حيث نجد باخوس فيها ممثلا مرتين.(١)

والصولجان (صولجان هرميس الذي تلتف عليه حيتان وفي أعلاه جناحــان) الذي كان يمسك به النسر بين مخالبه والمرسوم على عتبة البوابة أعطـــى الفكرة للبعض بأن ميركور قد يكون هو إله هذا المكان ولكنه يبـــدو أقـل الأعضاء أهمية في الثلاثي.(٢) وإذ سلمنا جدلا بأن المعبد الأعظـم يخـص جوبيتر ــ حداد إذن فأن ثاني أكبر المعابد هو معبد أكثر الأشخاص أهميـة وهي فينوس ــ اتارجاتيس ــ زوجة حـــداد (بعــل ــ الشــمس) وهنـــاك تلميحات في كتابات لوكيانوس تشير إلى أن النسر يرتبط أحيانـــا بالآلهــة الأنثى ولكن كل ذلك يعتبر افتراضات وتخمينات إلا إذا تم اكتشــاف نــص مخصص لذكر هذه التفاصيل على الرغم من أنه في الأرجح يخص الإلهــة فينوس أكثر من الإله باخوس.(٣)

ويعتقد بعض الدارسين أن كلا من المعبدين كانا مخصصين للثلاثـــي ومن وجهة نظر لوكيانوس فإن هذا غير بعيد الاحتمال ويرجح أن كل معبد على حده كان غرضه إظهار أوجه مختلفة لهم. ومن هنا نجد أن الزخرفــة الرمزية الموجودة في المعبد الأصغر قد تعني أن الجانب الخفي مــن هــذه الآلهة هو الذي كان ممجدا بينما يمثل المعبد الأكـــبر الجوانـــب الأخــرى الأكثر عملية ومنها الصاعقة وأشكال أخرى من مظاهر التقديس.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p. 26.

(٢) Ragette, op.cit , p. 20.

(٣) Eissfeldt, op cit., pp 210-211.

(٤) Harding, op.cit., p. 28.

فما الذي جعل المعبد الصغير المستدير يطلق عليه الآن معبد فينوس؟ وإلى من كان مهدى؟

نجد أن نسبه إلى فينوس كان مبنى على حقيقة واقعة وهي أن المسافرين الأوائل كانوا يجدونه يستخدم كجزء من كنيسة سانت بربارا ولذلك ربطوا بين هذا وبين الكنيسة التي بناها الأمبراطور قنسطنطين في معبد فينوس. وأيضا نجد أن بقايا المنحوتات توضح ما اعتقدنا أنه حمامة كانت دائما ترتبط بوجود فينوس اتارجاتيس مع تصوير الأنثى تخرج من صدفة ويحملها كيوبيد وهذه تعتبر صورة مألوفة لفينوس.(١)

ولكن هذه المنحوتات للأسف رديئة الحالة ويمكن تفسيرها بأي طريقة من الاثنين: ــ

فعلى الرغم من أن هذا المعبد من أكثر المعابد سحرا وتأسيسا في موقعه غير أنه يبدو أنه ليس من الضخامة بما يكفي لكي يتسع لزوجة حداد، ويوجد تفسير آخر إذ كان من المعتاد عند الرومان بناء مثل هذه المزارات الصغيرة للإلهة الحارسة للمدينة بمثل هذه الطريقة.

---

(١) T. Wiegand, op.cit., p. 35.

أهم آثار بعلبك

من أهم آثار بعلبك المعبدان العظيمان الموجودان في وسط الحدائق والمقامان على أرضياتهما المصنوعة بيد الإنسان والمشار إليهم بمعابد الاكروبوليس. والذي جعل من هذه الأطلال أهمية متتالية من ذلك الوقت الذي رآها الزوار الغربيون منذ أربعة قرون مضت عاملان: ـ

أولهما : ـ كبر حجم أعمدة معبد جوبيتر الستة.

وثانيهما : ـ الحالة الجيدة التي ما زال عليها معبد باخوس الأصغر.

البروبيليا "البوابة العظمى" (شكل ١٣٥)

والوصول اليوم إلى هذه المعابد ـ كما كان سابقا ـ من خلال البروبيليا (البوابة العظمى) مرورا بالسلالم الأثرية التي أزيلت في القرون الماضية وحل محلها سلما على نفس الطراز. وكان اتساع السلم ٥٠م وإرتفاعه ٨,٥م عن مستوى المساحة المحيطة به والتي كانت تحتوي على أبراج وأثنا عشرة عمودا من الجرانيت الأسواني في شكل صف على قمة المدرجات.(١)

وكانت الواجهة الخارجية للأبراج تنقسم إلى قسمين غير أن العرب حولوا هذا المكان إلى قلعة وكان الحائط الخلفي للرواق مزين بإثني عشر محرابا (كوه في الحائط) وهناك القليل مما تبقى من كل ذلك إذ أن هذا الجزء من المعبد قد دمر وتغير شكله تماما ليتناسب مع دوره الجديد كحصن.

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧.

وكان الوصول للأبراج يتم عبر ثلاثة أبواب مقوسة وبأعمدة مربعة، اثنـــان منهما كانا يقودان للبرج الشمالي ثم أغلقا في عهد الرومـــان لسـببب غــير معروف. وقد سقط سقف الغرفة السفلي بحيث دمر أرضية هذه الغرفة.

ولقد تم هدم أعمدة الواجهة لاستخدامها في الحصن غير أن هيئة الآثار فـي لبنان قامت بإعادة بنائها وعلى هذا الأساس نجد المخطوط اللاتيني يذكـــر قصة الثلاثي الهليوبوليتاني.

ومن المرجح أن اثنين من هذه الأعمدة كانتا ضمن نـــذر اوريليـوس انطونيوس المسئول عن الفيلق الأول. وعلى الرغم من ذكر المخطوط أنــهم مصنوعان من البرونز فلم يوجد أي أثر لهما في الموقع.[١]

وتوجد إشارات عديدة توضح أن هذا البناء لم تنهى تفاصيله ولكن كما نرى على عملات فيليب العربي فهي تشير على الأقل أنـــه تـم الانتهــاء مــن العناصر الأساسية.وطبقا للمخطوط اللاتيني فإن هذه الأعمدة كانت مقامـــة في وقت الإمبراطور كراكالا Caracalla عام ٢١٧م.

وجدير بالذكر أنه على الحائط الخلفي للرواق يوجد ثلاثة أبواب أحدهما فـي المنتصف كبير وباب أصغر في كل جانب مـــن الجـــانبين يقـــودان لفنـــاء سداسي الشكل.[٢]

ويوجد في مدخل الباب الشمالي سلم دائري يقود إلى سطح البروبيليـــا يعطي رؤية شاملة للمكان كما يوجد سلم آخر عند الباب الجنوبي غـــير أن حالته رديئة. ومن خلال البروبيليا نستطيع الدخول لقاعة أماميـــة سداســية الشكل وهي تصميم فريد في المعمار الروماني يبلغ قطرها ٦٠ ياردة وكـــل من جوانبها الستة ٢٥ ياردة طولا.

(١) Harding, op cit., p 30.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧.

وكان منتصف القاعة مفتوحا إلي السماء ومحاطا برواق أعمدته على قاعدة من ثلاثة درجات وكان بهذه الحجرات صفان أعمدة من المحراب المثلـــث تم هدمها لعمل الحصن واستخدمت الأقواس الموجودة في الحـــائط كجـــزء من الأعمال الحربية للحصن.(١)

وفي الزاوية الشمالية الغربية للساحة الأمامية يوجد مذبح يحمل نحتـــا بارزا للإله جوبيتر بعل حداد وقد وجد بالقرب منه عين لجوج علـــى بعـــد خمسة أميال شرق بعلبك ولسوء الحظ فإنه سيئ الحالة غـــير أن الغـــرض منه معروف.

يمثل المذبح الإله واقفا مرتديا رداءا مرصعا بالميداليات ويرتـــدي غطـــاء للرأس طويل ويدفع يده اليمنى وقد يكون ممسكا بها سوط بينما اليد اليسرى ممسكة بصاعقة وسنبلة قمح تماما كما وصفه مكروبيـــوس ويقـــف علـــى جانبيه ثوران كالعادة، وعلى جانب هذا التمثال يوجد اثنـــان مـــن الثـــيران والصاعقة وهما مخصصات للإله حداد.

ومن المرجح أن الساحة الأمامية السداسية تم استكمالها تقريبا في نفس وقت استعمال البروبيليا أي في منتصف القرن السادس الميلادي.(٢) إذ يبدو أن هذين العملين هما آخر جزء تم بناءوه في هذا العمل. وفي هذه الســـاحة الأمامية يوجد ثلاث بوابات مقابلة لبوابات البروبيليا وتقـــود إلـــى الســـاحة الرئيسية حيث يوجد مذبح الأضحية.

وطول هذه الساحة أربعمائة وخمسون قدم وعرضها ثلاثمائة وسبعون قـــدم وبها رواق مغطى في الشمال والجنوب والشرق، وهو مقـــام علـــى أربـــع وثمانيين عمود من الجرانيت تم جلبها من أسوان جنـــوب مصـــر وكـــان

---

(١) Harding, op.cit, p.32.

(٢) Eissfeldt, op cit., p.218.

يحتمي به زوار المعبد الذين كانوا يأتون إلى هذا المعبد القديم لتقديم القرابين للإله جوبيتر.[١]

ويوجد صف مزدوج من المحراب ذات الكورنيش المثلث والمقوس تزين الحوائط. ومن المرجح أنها كانت تحتوي على تماثيل.

معبد الإله جوبيتر (المعبد الكبير)[٢] (شكل ١٣٦)

يوجد السلم الأثري لمعبد جوبيتر في نهاية الجهة الغربية لهذا الفناء ولكن قام البيزنطيون بتدميره لإقامة كنيسة هناك.

وعند تدمير تلك الكنيسة عام ١٩٣٢م ظهرت سلالم المعبد وآثار أخرى وقد استطاع المهندسون المعماريون تحديد هويتها على أنهما مذبحان كبيران مقامان في وسط الساحة، وكان أساس هذين المذبحين قد ظل تحت أرضية الكنسية وأصبح من الممكن إعادة تشكيل جزء كبير من المذبح الغربي الذي كانت تقدم عليه الذبائح والقرابين للآلهة، أما بالنسبة للجزء الشرقي فيعتبر أثرا فريدا من كل الأوجه ولقد استطاع المهندسون بفضل الأحجار التي وجدوها تحت الكنيسة أن يرسموا نموذجا كاملا على الورق.[٣]

والجزء الأسفل من المعبد يوجد بطول تسع وستين قدم وعرض ست وستين قدم وهو متسع وله وراق من الشرق والغرب ويمتد منه رواقين آخرين.

ومن الرواق الغربي يوجد درجتا سلم تقودان للقمة ويبدو أنه كان يتكون من أربعة طوابق بالإضافة إلى مساحة تحت السقف. ويبلغ الارتفاع

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) Ragette, op.cit., pp. 27 – 39.

(٣) Harding, op.cit., p. 33.

الكلي حوالي ستين قدم ويبدو أن الهدف من هذا البناء الغريب هو إعطــاء الحرية للعابدين لكي يتحركوا من سلم لآخر لكي يتسنى لهم الفرصة لرؤيـة تقديم الذبيحة على المذبح السفلي وربما رؤية تماثيل الآلهة الموجود بـالمعبد أيضا.إذ أنه كان مسموحا للكهنة فقط أو علية القوم رؤيـــة ذلــك. ويوجـد حوض كبير على كل من جانبي المذبح الشمالي والجنوبي حيث كانت تقــام فيه شعائر التطهير وذلك بالاغتسال قبل الصعود للمذبح.(١)

وكانت جدران هذه الأحواض منقوش عليها الحور، الـتريتون ــ رأس الميدوسا ــ كيوبيد. . . إلخ.

وفي المساحة المفتوحة بين المذبح الشرقي والبوابة كانت هنــاك عمليـات حفر تحت مستوى أرضية الفناء أظهرت حوائط مبـاني سـابقة مجهولـة الهوية.

ومن خصائص هذا الفناء هو وجود عــدد كبـير مــن المذابــح المربعــة المصنوعة من الطمي وكلها تحمل نقوشا لجوبيتر ــ هليوبوليتانوس.(٢)

ويبدو أن بناء الرواق والمصاطب قد تم بناؤهما في القــرن الثــاني بعــد الميلاد. غير أنه يحتمل أن تكون المذابح كانت معاصرة للمعبـــد أي فـــي القرن الأول بعد الميلاد.وفي منتصف المسافة بين السلالم التي تقود للمعبـد وبين المعبد نفسه. نرى جزء من القبة النصف دائرية لكنيسة، وفي أعلـــى السلالم الأثرية نجد منصة صناعية ترتفع المعبد حوالي أثني وأربعين قـــدم فوق مستوى الأرض وحوالي ستة وعشرين قدم فوق الفناء وبذلك نجـد أن البروبيليا وهي (مدخل المعبد وهو الرواق الضخم الذي كان به بوابة المعبد عند اليونانيون) السداسية والفناء الرئيسي كلهم كـانوا مجـرد اسـتعدادات

---

(١) Ibidem, p. 34.

(٢) Ibidem, p. 34.

لمعبد جوبيتر ــ هليوبوليتانوس العملاق ويبلغ عرض السلم مائة خمسة وسبعون قدم وعلى ثلاثة مستويات كالعادة والمنطقة المغطاة بالمعبد تبلغ حوالي ٣٠٠ × ١٧٥ قدم وتحتوي على مقصورة الإله أو جزء منه.(١)

والمبنى محاط بالرواق العظيم ويحتوى على تسعة عشر عمود في كل جانب وعشرة أعمدة في كل جانب عرضي وعلى ذلك يكون مجموع الأعمدة هو أربع وخمسون عمود والواجهة كانت بالتأكيد تحتوي على كورنيش إذ أن جزء منه ما زال باقيا حتى الآن وهو بلا شك مزخرف بثراء.

فيوجد سقف خماسي مصنوع من القرميد وفي زوايا وقمم الكورنيش تقف تماثيل، ولم يتبق من كل تلك العظمة إلا ستة أعمدة فقط، (شكل ١٣٧) توضح المهارة الهندسية لصناع هذا المعبد والتي حلت مشكلة رفع هذه الكتل الحجرية الضخمة فكل عمود من الطراز الكورنثي، ومكون من ثلاثة صحف (والصحفة هي حجر العامود) بارتفاع خمسة وستين قدم شاملة القاعدة وتاج العمود ويبلغ قطر العمود سبع عشرة قدم وست بوصات. وقد كان يوجد فوق تيجان الأعمدة دعامة مرتكزة على العمود ارتفاعها ستة عشر قدم مكونة من عارضة ترتكز على العمود وإفريزة.من رءوس الثيران والأسود متصلة مع بعضها بأكاليل الزهور، مع وجود كورنيش من السنون (حليات معمارية) والبيض والأسهم والورود ورسوم للمفتاح اليوناني وأوراق النبات.

كانت تلك الأمثلة الأخيرة تستغل كمزاريب في صرف ماء المطر من السطح وهي مثال رائع يمكن رؤيته على الشرفة أسفل الستة أعمدة.(٢)

---

(١) O.Puchstein, Führer der syrichen Ruinen, Berlin, 1905, pp.62-64.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

وقواعد الأعمدة الموجودة في الجهة الغربية ما زالت في موقعها، أما أعمدة الجهة الشمالية فيتبقى منها فقط بقايا بسيطة تقف على القواعد ويوجد في الزاوية الشمالية الغربية باب يقود إلى برج كان يستعمل قديما في الحصن ومنه يستطيع المرء رؤية منظر ساحر خلاب للحدائق والوادي وجبال لبنان.

ومن هناك أيضا يمكن رؤية جدار الشرفة العملاقة والقاعدة أو المصطبة المقام عليها تلك الأعمدة، ومن شرفة أخرى في الزاوية الجنوبية يمكن رؤية نفس المناظر.(١)

ونعود مرة أخرى إلى الأساس الموجود تحت المصطبة الصناعية المقام عليها المعبد، وهذا الأساس يعتبر أهم وأجمل خصائص البناء كله، وحيث يتكون المعبد من مستويين:

المستوى الأول:ـــ المستوى الذي يقوم عليه البناء ومن المرجح أنه يعود إلى فترة ما قبل الرومان ويبدو أنه في فترة الإمبراطورية الرومانية قد تم وضع خطة طموحه وتصميم لبداية العمل بهدف التوسع في منصة المعبد. ثم بعد ذلك أهمل هذا العمل ويوجد الآن شرفة مستديرة تطل من ثلاث جهات على المعبد على مساحة ثلاثين قدم شمالا وجنوبا وخمسة عشر قدم غربا.

وكل ذلك مبني من بلوكات عملاقة من الحجارة، ولقد كان الحائط الغربي مشهورا حتى في الأزمنة القديمة لوجود ثلاثة أحجار كبيرة تكون الحائط بأكمله وهو عبارة عن بلوكات ضخمة كل منها ٦٢ ×١٤ ×١١ قدم ووزنه حوالي ثمانمائة طن، ولا شك أن تلك البلوكات الموجودة في الحجر وكان الهدف منه استعماله في الجانب الشمالي أو الجنوبي، غير أنه تم

(١) H arding, op.cit., p. 38

إيقاف العمل عند هذه المرحلة، وربما كان ذلك بسبب أنهم فقدوا السـيطرة على ضخامة العمل إذ أن هذا البلوك يعتبر أكبر وأضخم حجر نحـت فـي العالم أجمع فقد كان مقاييسه ٦٩ ×١٦× ١٤ قدم ووزنه ألف طن.(١)

وهناك أمران يدعوان التأمل والإعجاب بهما بالرغم مـن اعترافنـا بجنون الفكرة أولهما: المهارة الفنيـة العظيمـة لعمـال المحـاجر الذيـن استطاعوا اقتطاع مثل هذا البلوك الضخم مـن الحجـارة دون أن يكسـر. ثانيهما: المهارة الهندسية التي حركت مثل هذه الكتل العملاقة ووضعتـها في مكانها على الحوائط.

ويبدو أن العمل في المعبد قد بدأ في القرن الأول الميلادي إذ أنـه اقـترب من الانتهاء في عام ٦٠م.

أما بالنسبة لحائط الشرفة الضخم فمن المحتمل أنه يكون قد تـم الانتـهاء مبكرا قليلا عن ذلك الوقت.(٢)

وتوجد سلالم حديثة في الزاوية الجنوبية الغربية للفناء الرئيسـي تقـود للشرفة أسفل الأعمدة وعليها يوجد كتل الكورنيش الرائعة المشـار إليـها سابقا. ومن الشرفة نجد سلالم حديثة أخرى تقود إلى مساحة مفتوحـة فـي شمال معبد باخوس.

وفي الطرف الغربي لهذه المساحة المفتوحة يوجد بقايـا عديـدة مـن الحصون والمباني العربية ومن هذه الحصون مسجد وأغلبها تعـود إلـى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي.(٣)

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) Harding, op cit , p. 39

(٣) Puchstein, op.cit , p. 67.

معبـــد الإله باخـــوس[١] (شكل ١٣٨)

معبد باخوس مقام أيضا على مصطبة صناعية Podium غير أنـــها أقل ارتفاعا بكثير عن مصطبة معبد جوبيتر ولكنها على أي حـــال أفضـــل مثال وجد بحالة جيدة لمعبد روماني تم العثور عليه في الشـــرق الأدنـــى. فيبلغ طول المعبد ٢٢٥قدم (حوالي ٧٥متر) وعرضها ١١٠قـــدم (حوالـــي ٣٦,٥متر) والقبو كالعادة محاط برواق مكون من خمسة عشر عمود علـــى الجوانب وثماني أعمدة على الأطراف. وهذه الأعمدة أقل طولا قليلا مـــن معبد جوبيتر فيبلغ ارتفاعها ٦٢قدم (حوالي ٢١متر) غـــير أنـــها تعطـــي انطباعا بأنها أصغر كثيرا بسبب حالة المبنى الجيدة وبسبب وجودهـــا فـــي الخلاء. أما العارضة الراكزة على العمود والإفريز والكورنيش فيعتـــبروا مثل الموجودين في معبد جوبيتر ولكن أصغر قليلا.[٢]

أما بالنسبة للساحة الأمامية للمعبد فقد اختفت وتلاشت وربما ما زالـــت مدفونة فمن المؤكد أنه كان يوجد هناك مذبح أمام مدخل المعبد.

بالإضافة إلى وجود سلم اثري جميل مكون من ثلاثة وثلاثين درجة ومقسـم إلى ثلاثة أدوار ويقود إلى المدخل الخارجي الذي تم تزيينه بأعمدة محـززة لم يبق منها الآن سوي اثنين فقط في جنوب الموقع.

وبالنسبة لسقف الرواق فهو مصنوع من بلوكات كبـيرة مـــن الحجـارة ومقبب قليلا ومزخرف بالتصميمات وأفضل جزء بحالة جيدة فـــي المبنـــى هو الممشى الشمالي والذي به الآن ثلاثة عشر عمود من ضمـــن خمســة عشر عمود قد أعيد ترميم معظمها. ويعتبر السقف (شـــكل ١٣٩) يعتـبر بحالة رائعة ويمكن أن نرى في وسط كل تصميم بارز في المعبـــد أوجـــه

---

(١) Ragette, op.cit., pp. 40 – 51.

(٢) Harding, op.cit., pp. 39-40.

مثل وجه الإله مارس وهو يحمل درعا والآلهة ديانا وهي تسحب سهما من جعبتها والإلهة فيكتوريا المجنحة والإلهة تيخي بقرن الخيرات والإله فولكانوس بمطرقته والإله باخوس الذي يرتدي تاج العنب على رأسه والإلهه سيريس ومعها سنبلة القمح وآلهة أخرى صغرى. وقد تم ترميم الأعمدة الموجودة في الطرف الغربي، ويمكن رؤية كل المباني والحصون العربية بوضوح من هذا المعبد.(١)

أما بالنسبة للطرف الجنوبي فقد عانى كثيرا من التلف والدمار وتوجد بعض الأعمدة الآن صامدة لفعل الزمان بالإضافة إلى وجود عمود يستند على حائط مقصورة الإله ويرجع تماسك هذا العمود إلى الأربطة الحديدية والبرونزية التي كانت تدخل في صناعته، وهي الطريقة المتقدمة في ربط الحجارة بعضها ببعض، إذ كانت تعتبر خاصية ممتازة تعطي متانة للعمود والبناء وحماية من الزلازل، ولسوء الحظ فإنه عندما أهمل استخدام البناء القيت الأعمدة جانبا، مما تسبب في انهيار المكان وخرابه تماما وكأنه تعرض لزلزال مدمر.(٢)

ولاشك أن زلزال عام ١٧٥٩م قد دمر هذا المعبد مع معبد جوبيتر تماما لأن الرسوم التي رسمها وود Wood عام ١٧٤١ توضح أن كل الأعمدة الموجودة بالجانب الغربى لمعبد باخوس لم تمس بينما نجد ثلاثة أعمدة قائمة فقط بعد أعمال الترميم الحديثة كما يظهر في رسمه أنها تسعة أعمدة من معبد جوبيتر تحولت بعد بضعة سنين إلي ستة أعمدة فقط ويبدو أنه أيضا بعد هذا الزلزال قد هجرت الحصون ولم تستعمل قط.(٣)

---

(١) Ibidem, p. 40.

(٢) أحمد فخري المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣) Harding, op.cit., pp. 40 – 41.

وبعد اجتياز الرواق نصل إلى مقدمة الهيكل والبوابة الأثريـة لمقصـورة الإله، وهى تعتبر من أهم المداخل إذا أنها أكثر المداخل هيبة وإجلال فـي العالم أجمع وهنا يكمن جمالها إذ أن هناك تناسق بيـن ارتفـاع وعـرض الحائط المبنى عليه حتى أن المرء لا يدرك من أول وهلة مـدى ضخامـة أحجامها حيث تبلغ أثنتا وأربعون قدم وست بوصـات ارتفاعـا، كمـا أن النقوش المنحوتة على قوائم الباب وعتبة الباب تعتبر مصنوعـة بطريقـة دقيقة ليس لها مثيل إضافة إلى التصميمات المعتادة والتى تتمثل فى البيضـة والسهم ونبات الأكانثوس، ويوجد شريط عريض مزخرف بزخرفـة أوراق العنب المتداخلة وله رسوم لوجه كيبوبيد، وإلـه الحقـول والرعـاة عنـد الرومان غير أنها جميعا للأسف وجوها مشوهة.(١)

ويوجد على عتبة الباب تصميم غريب لنسر في المنتصف يمسك فـي مخالبه بصولجان الإله هرميس (رمز مـيركورى) وفـى منقـاره يوجـد أطراف أكليل زهور يمسك طرفه من كل جهة طائر مجنح.

وعلى كل جانب من جانبي البوابة يوجد باب صغير يقود إلى سلالم دائريـة تصعد إلى السقف ونجد أن السلم الموجود على شمال البوابة هـو الوحيـد المستخدم الآن. ويعلو هذه الأبواب زخرفة بطول دوران الحائط الخـارجى حتى مقصورة الإله، وفى داخل المقصـورة نجـد أن الحوائـط الشـمالية والجنوبية تحتوى على صف مزدوج من المحاريب موجودة بيـن أعمـدة محززة والصف الأعلى به كورنيش مثلث وبه أقـواس فـي أسـفله، أمـا الأعمدة فتقف على قواعد عالية هي نفسها ترتفع على مسـتوى الأرضيـة بثلاثة درجات، بالإضافة إلى وجود دعامة مزخرفة فوق جسـم الأعمـدة الكورنثيه، ويوجد فى الطرف الغربى حرم يرتفع عن مسـتوى الأرضيـة

(١) Ibidem, p. 43.

بثلاثة عشر قدم، ويتم الوصول إليه بسلالم مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة سور صغير لم يتبق منه الآن إلا قاعدته، ويوجد أعلى القطاع الموجود بالمنتصف مجموعة أخرى من السلالم تقود إلى حرم أو قدس الأقداس حيث يوضع تمثال الإله أو الإلهة، وعلى جانبيه يوجد بلوك منحوت من المحتمل أنه كان قاعدة بناء للأعمدة والمحراب.(١)

أما بالنسبة للمنحوتات وهى مشوهة تماما غير أنه أمكن التعرف ما يلى:

على اليسار الإله باخوس وأريادنا فى موكب، وعلى اليمين باخوس يجلس على فهد أسود ويحيط به اتباع باخوس، وقد سمى هذا المعبد باسمه نظرا لوجود هذه المنحوتات، وعلى كل من الجانبيين يوجد عمود محزز يبعد قليلا عن الحائط الجانبى ويتصل به بواسطة قوس وفوقه محراب ويوجد شمالا باب يقود إلى سرداب أسفل الحرم كما توجد مجموعة من السلالم فى الجنوب، من المحتمل أنها كانت تقود إلى مائدة تقديم القرابين.

ومن المرجح أن يكون هذا المعبد قد تم بناءوه أو على الأقل بداية بنائه في أوائل القرن الثانى الميلادى.(٢)

كما يوجد أيضا أعلى السلالم الأثرية برج دفاعي من فترة حكم المماليك في القرن الخامس عشر الميلادي وقد تهدم تماما أو يكاد ولكن نستطيع أن نرى حجرة على شكل صليب مقبية ذات مقاييس متناسبة وذات جمال وبساطة شديدين، ونري ومن سقف البرج جميع الاتجاهات بوضوح.

وقد تم بناء برج صغير في نفس تلك الفترة التاريخية على مقدمة هيكل المعبد، ونستطيع رؤية بعض بقاياه اليوم، كما يوجد عدة حجرات على الحائط الذى كان يشكل الحد الشمالى لفناء معبد باخوس، وهذه الحجرات

---

(١) Wiegand, op.cit , p. 35.

(٢) Harding, op cit., p. 43.

تستعمل اليوم كورش عمل ومخازن لهيئة الآثار، ويوجـــد فـــي الطـــرف الشرقى حجرة مفتوحة ذات سقف مقبب قليلاً مغطاه تماماً ببطانات ســـقف تحتوى على بانوهات سداسية كما تحتوى على تماثيل نصفيه لإلهه وحنيـات مختلفة.[١] ولسوء الحظ فحالتها سيئة ومتهدمة، كما أن المحـــاريب الثلاثـــة الموجودة في الحائط الخلفي قد دمرت أيضاً، غير أنها كانت تبـــدو حجـــرة مزخرفة وعلي درجة من الثراء، ويبدو أنها كانت لخدمة غرض معيـن، إذا أن باقي الحجرات غير مزينة بتلك الطريقة ويمر الطريق خـــارج منطقـــة المعبد خلال قبو كبير يعتبر جزء منه الأساسات التي تدعم مصطبة الفنـــاء الرئيسي لمعبد جوبيتر، ويوجد مثل هذا القبو في الجهات الشمالية الشـــرقية والجنوبية ولم يتم الانتهاء من بناء أحجار هذه الأبنية، ويبدو أن بعضها لـــم يمس والبعض الآخر جزء منه قد اكتمل بناؤه والجزء المتبقي لم ينته العمل فيه، حيث توجد بعض البلوكات التى كان الغرض منها بناء جوانب المعبـد، مما يعتبر دليلاً على عدم الانتهاء من البناء ككل.[٢] وتعتبر تلـــك الطريقـــة غير تقليدية في بناء القبو، وجدير بالذكر أن معظم أحجار هذه المباني قـــد استخدمت في بناء الحصون التي ترجع لفترة الحكم الإسلامي ومن أهمـــها البرج الذي يعود تاريخه إلى عام ١٢١٣م.

معبـــد الإلهـــه فينـــوس[٣] (شكل ١٤٠ - ١٤١)

وعلى مسافة قريبة من مخرج الأكروبوليس يوجد معبد فينوس وهـــو يختلف عن أي معبد من معابد بعلبك، فبداية نجده متجـــهاً ليواجـــه جهـــة

---

(١) Ibridem, p. 44.

(٢) Ibidem, p 45.

(٣) Ragette, op cit., pp. 52 – 61.

الشمال بدلا من الشرق كما هو الحال في باقي المعابد، كما أن مقصورة الإلهة به مستديرة بدلا من كونها مستطيلة.[١] أما المنصة فهى مقببة ومقسمة إلى خمسة جيوب مقعدة في الجزء المحيط بمقصورة الإلهه، ويعتبر التصميم غير عادى ذلك أنه لم يكن فريدا من نوعه. ويتم الوصول إلى المعبد عبر سلالم أثرية علي ثلاثة مراحل كالعادة، ومقدمة الهيكل تحتوى على صفين من أربعة أعمدة كورنثيه ويقصد بكورنثيه أنها شديدة الثراء فى زخرفتها حيث تقوم بتدعيم الكورنيش.[٢]

أما الباب الذى يقود إلى المقصورة الخاصة بالإلهة بداخله حلية بسيطة منقوش عليه، وفى داخله يوجد صفين من المحاريب منحوت عليهم كورنيش.

بالإضافة إلى ذلك فيمكننا أن نلاحظ بعض الأحجار التي كانت تكون الطبقة السفلى من القبة المفلطحة، وأما في الخارج فيوجد عمود كورنثى قائم على كل جانب من جانبى المنصة، كما يوجد محراب فى كل جيب من الجيوب السابقة الذكر على حائط مقصورة الإلهه، ونجد أن المنحوتات المنقوشة على هذه المحاريب تمثل حمامة فينوس وتمثل الإلهة فينوس خارجة من صدفة وهكذا ولكنها بحالة سيئة، وتبدو الحمامة أقرب شبها بالنسر، ومن المرجح أن يكون هذا البناء منذ أواخر القرن الثانى الميلادى أو بدايات القرن الثالث وقد تم تحويله في وقت ما إلى كنيسة للقديسة بربارة.[٣]

وقد تم الكشف عن بعض شوارع المدينة المرصوفة بالفيسفساء، كما تم الكشف عن السياج الخارجي لمعبد فينوس والبروبيليا الذى كان يوجد أمام

---

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) Harding, op.cit., pp. 45 – 46.

(٣) Ibidem. p. 46.

بوابة المعبد، بالإضافة إلى الكشف عن معبد آخر يواجه الشرق ويبدو أنــــه قد بني في فترة مبكرة عن باقي المباني.

ولم يتبق من أسوار المدينة القديمة سوى القليل نستطيع من خـــلال هــذه البقايا تحديد حجم وطول هذه الجدران التي تمتد مسافة ٨ك.م أى ما يقــرب من خمسة أميال، وكانت تحتوى على أربع بوابات على الأقل تضم داخلــها نبع رأس العين.

ومثل هذه الأسوار الكبيرة يبدو وكأنها تضم مدينة ذات حجــم كبــير ممــا يوضح أيضا عدد العمال والحرفيين والنحــاتين والمعمــاريين المشــرفين والمهندسين الذين شاركوا في إتمام كل هذه المباني.[١]

---

(١) Ibidem, pp. 46 – 48.

الحضـــــر Hatra

(مدينة الشمس Heliopolis)

مقدمة

تقع الحضر (شكل ١٤٢) على بعد ١١٠كـم جنـوب غـرب مدينـة الموصل وهى من مناطق البادية التي لا تتوافر فيها الميـاه أو الزراعـة، شأنها فى ذلك شأن مدينة تدمر (بالميرا) فى سوريا والبتراء في الأردن وقد ازدهرت مدينة الحضر نتيجة لوجودها بين إمبراطوريتين عظيمتين أقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلادي: الأولـى كـانت الإمبراطوريـة الرومانية التي بسطت نفوذها على آسيا الصغرى وحـاولت منـذ عصـر بومبيوس ٦٦ق.م أن تتوسع في بلاد ما بيـن النـهرين، الثانيـة وكـانت إمبراطورية البارثيين[1] وهم قوم كانت مواطنهم االأصلية بـلاد مـا وراء النهر، ثم قدموا منها واستقروا في شمال الهضبة الإيرانيـة وأخـذوا فـي التوسع حتى تمكنوا من الاستقلال عن العراق فـي عـام ١٤١ق.م بقيـادة ملكهم ميثرداتيس وبذلك أنهوا حكم السلوقيين فيه وقـد أتخـذ البـارثيون سلوقية عاصمة لهم. ومما زاد في ازدهار هذه المدينـة انصرافـها إلـى التجارة ونقل البضائع بين موانى الخليج العربي ومدن السـواحل الشـرقية للبحر المتوسط.[٢]

---

(١) J. Wolski, The Decay of the Iranian Eempire of the seleucids and the chronology of parthian Beginnigs, in: Berytus XII, 1956 -7, pp. 35-36.

(٢) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٣٧-١٣٨.

الإطار الجغرافي

كانت مدينة الحضر عاصمة لمملكة عربية لها حدود طبيعيـــة هـــي دجلة من الشرق والفرات من الغرب وكذلك جبال ســـنجار مـــن الشـــمال ومشارف المدائن من الجنوب إلا أن نفوذها امتد في الشمال إلى مـــا وراء سنجار فوصل إلى الخابور ونصيبين، وهي إحدى الدويلات الكبرى التـــي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية البارثية. وتعرف بلاد مملكة الحضر باسم عربايا أي بلاد العرب، فبعد أن ســـقطت مدينة نينوي عام ٦١٢ق.م وزال كيان الآشوريين عن مسرح التاريخ إلـــى الأبد أخذت القبائل العربية تتدفق إلى بادية العراق الشـــمالية مـــن الغـــرب والجنوب الغربي وحدثت هجرة واسعة جديدة امتدت شمالاً إلـــى نصيبيـــن وديار بكر فزعزعت الاستقرار في جميع بلدان الشرق مما أدى إلى نمـــو الأنباط في منطقة البتراء وإلى اندفاع قبائل عربية جديدة شمالاً وقد عرفـت الأقاليم الشمالية من ما بين النهرين بعد سقوط نينوي باسم عربايا نسبة إلـى العرب الذين قطنوا هذه المنطقة.(١)

ويبدو أن أرض الحضر كانت أشهر مركز للقبائل التي حلت في باديـة الجزيرة الشمالية وأخذت مع مرور الأيام تستقر نظـــراً لكـثرة المراعـــي حولها وتوافر الماء الناتج عن تجمع مياه الأمطار.(٢) وقـــد أنشـــأ أهـــالي الحضر فيها بيتاً للأصنام كانوا يقدمون إليهم النذور ويحجون إليـــهم فـــي أعيادهم ويدفنون بالقرب منهم موتاهم. وكانت الشمس أشهر آلهتـــهم فقـــد

---

(١) فؤاد سفر، محمد على مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤، ص١٧.

(٢) S. Lloyd, Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H Beck, München, 1981, p.87.

عبد العرب الشمس بأسماء مختلفة فقرنوها بهبل في كعبــــة الحجـــاز وذى الشرى في البتراء وباسم شمش أو شمشا في الحضر.[(١)]

ويبدو أن مدينة الحضر قد توسعت ولا ســيما بعــد فتــح الإســكندر المقدوني للشرق (٣٣١-٣٢٣ق.م) وما أعقب ذلك من تأسيس مدن وظهور شبكة من الطرق تتشعب من بابل إلى جميع الجهات، ومن المحتمـل أن أول معبد من الحجر قد شيد في الحضر في عصر الســـلوقيين الذيــن خلفــوا الإسكندر في حكم العراق ويرجع هذا المعبد إلى القرن الثاني ق.م. وتقــع مدينة الحضر على أحد طريقين يربطان بين عاصمتي السلوقيين: ســـلوقية الواقعة على نهر دجلة وانطاكية فـــي ســـهل الأســكندرونة فــي أعــالي سوريا[(٢)] فقد صارت الحضر مدينة كبيرة بعد بزوغ أهميتها العسكرية للدفـــاع عن الإمبراطورية البارثية منذ الحروب الطاحنة التـــي دارت فــي آســيا الصغرى مع الرومان في أيام الملك البارثي إفراط الثـــالث (٦٩-٥٧ق.م) وابنه ورود الثاني (٥٧-٣٦ق.م)، ومنذ ذلك الحين استمر خطر الرومـــان طيلة العصر البارثي، ونتيجة لذلك برزت أهميــة القبــائل العربيــة التـــي أصبحت أكبر مركز لها كقوة عسكرية أساسية يحسب لـــها الحســاب فـــي الدفاع والهجوم.

ونستطيع أن نلخص العوامل التي أدت إلى ازدهار مدينة الحضر :[(٣)]

١- معرفة أهل الحضر بفنون الهجوم والدفاع حتى أن قذائف نارية معينــة اشتهرت باسم القذائف الحضرية.

---

(١) B. Hrouda, Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971, pp. 294-295.

(٢) Ibidem, p.295.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.

٢- المكانة الدينية للحضر فقد جعلت القبائل العربية تهرع لنجدتها في أوقات الشدة دفاعا عن أصنامها ومعابدها.

٣- موقعها المنعزل في البادية بين دجلة والفرات جعلها أقل عرضة لهجمات الأعداء.

٤- سيطرة الحضر على طريق القوافل المتنقلة في بادية جزيرة العراق والتي تنقل البضائع من موانى الخليج العربي إلى مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

اللغة

وكانت اللغة المستخدمة في الحضر هي اللغة الآرامية حيث كانت هي لغة التدوين والمراسلة عند معظم الشعوب على اختلاف ألسنتهم وتباين لغتهم، وقد فضلت هذه الشعوب الكتابة بها لسهولة حروفها الهجائية ولأن الآداب الآرامية كانت ذات شهرة واسعة.

وجدير بالذكر أن لدينا من النصوص المكتشفة في مدينة الحضر أكثر من ثلاثمائة نص كلها بالآرامية باستثناء نص واحد باليونانية وثلاثة باللاتينية.(١)

التقويم(٢)

رغم عظم تاريخ مدينة الحضر إلا أن الكتابات المكتشفة بها لا تتناسب وعظمة هذه المدينة ومع ذلك فهي في غاية الأهمية، وبين هذه الكتابات ١٨ نصا مؤرخا مدونا بحسب التقويم السلوقي الذي كانت بدايته على ما يرجح أول أبريل (نيسان) من عام ٣١١ق.م وفق الحساب البابلي الذي كان يختلف قليلا عن الحساب المقدوني. وقد كان التقويم السلوقي بالحساب

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

البابلي هو الشائع في العراق وكان هو المستخدم على النقود التي ضربها الملوك البارثيين في هذه المنطقة.

تاريخ المدينة

من خلال النقوش والنصوص والمعلومات المتاحة من كتب المؤرخين اليونان والرومان والعرب يمكننا أن نقسم تاريخ الحضر إلى ثلاثة أدوار رئيسية هي:

١- دور التكوين.

٢- دور السادة.

٣- دور الملوك.

١- دور التكوين[١]

من الصعب أن نحدد تاريخ بداية هذا الدور ولكن معظم المعلومات تشير إلى أن الحضر أخذت تنمو منذ منتصف القرن الأول ق.م وذلك ببروز الحاجة العسكرية مقرونة بظهور طرق تجارية صحراوية، وقد انتهى هذا الدور في نحو منتصف القرن الأول الميلادي بظهور حكم الحكام الذين كان كل منهم يلقب بلقب (مريا) أي السيد، وقد اهتم هؤلاء الحكام بإعادة بناء المعبد الكبير وتجميله وينسب إليهم كذلك بناء معظم المعابد الصغيرة.

ويبدو أن السلطة في الحضر في دور التكوين كانت موزعة بين الشيوخ الذين كانوا يعرفون بكلمة ربا أي الزعيم أو العظيم، وبين السدنة الذين يطلق عليهم لقب (رب ـ بيتا) أي صاحب البيت، أي المعبد الكبير وهو مسئول عن سلامة المعبد ومحتوياته ونظافته وهي ليس مرتبة دينية لأن الأمور الدينية كانت موكولة إلى كهنة على رأسهم (الأفكل) أي رئيس

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٢٧.

الكهنة ويليه (قشيشا) أي القسيس ومن ثم (كمرا) الكاهن و(كمرتا) الكاهنة، وفي الوقت نفسه كان لقادة الجيش ولأرباب القوافل التجارية نفوذاً في تسيير أمور المدينة ويبدو أنه كان هناك مجلس للتشاور داخل المعبد الكبير كما تدل إحدى الكتابات بانتخاب شمشبرك سادنا، حيث اشترك في انتخابه كافة سكان المدينة، مما يؤكد وجود مبدأ الشورى عند أهالي الحضر.

٢- دور السادة(١)

استمر هذا الدور نحو قرن من الزمان منذ منتصف القرن الأول الميلادي وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي، حيث تعاقبت على الزعامة أشخاص يلقبون بمريا أي السيد لذا أطلق على هذا الدور دور السادة ومن المحتمل أن هؤلاء السادة كانوا من عائلة واحدة. وقد استمر هذا الدور حتى نهاية حكم الإمبراطور تراجان عام ١١٧م.

ومن أهم الأحداث في هذه الفترة اشتداد الخلاف بين البارثيين والرومان إبان حكم الملك البارثي ولجش الأول (٥٠-٧٩م) بسبب مملكة أرمينيا والذي انتهى باحتفاظ ولجش الأول وأخيه تريدات بعرش أرمينيا على أن يتسلم التاج من روما. وبالفعل توجه تريدات إلى روما وأدى فروض الطاعة إلى الإمبراطور نيرون وتم عقد معاهدة سلام بين الطرفين وذلك في عام ٦٥م واستمرت هذه المعاهدة نافذة المفعول أيام الإمبراطور فسباسيان (٦٩-٧٩م) وابنه الإمبراطور تيتوس (٧٩-٨١م).

وقد انتعشت مدينة الحضر في هذه الفترة وكان من أبرز الشخصيات التي ظهرت نشريهب السيد الذي صار أحفاده فيما بعد ملوكاً، وقد تزعم المدينة من بعده ورود السيد الذي بنى الإيوانين الكبيرين بالمعبد الكبير.

(١) N C Debevoise, Apolitical History of Parthia, chicago, 1938, pp.35-87.

وفي عهد الإمبراطور دوميشيان (٨١-٩٦م) بدأ الرومـان يجـهزون جيوشهم لشن حملتين لعبور الفرات إحداهما شرقاً إلـى الـهند والأخـرى جنوباً للاستيلاء على مدينة طيسفون وبقية مدن العراق ولكن لم تنفذ هـذه الخطة إلا أيام تراجان، فما كان مـن الملـك البـارثى بقـورس الثـاني (٧٨-١١٦م) إلا أن حصن الحضر للدفاع عن العاصمـة طيسـفون وتـم تطويرها إلى قاعدة عسكرية يجند فيها القبائل العربية للقتـال فـي صـف الجيش البارثى ضد الرومان ومنعهم من عبور الفرات، ومن المحتمـل أن سور المدينة وحفر الخندق حول المدينة قد تم في هذه الفترة.

وقد غادر تراجان روما متوجهاً إلى الشرق(١) ووصل أنطاكيـة فـي بداية عام ١١٤م ثم بدأ حملته بالتوجه إلـى أرمينيـا فأخضعـها وجعلـها مقاطعة تابعة لروما، ثم توجه جنوباً إلى نصيبين وماردين عليهما ثم توجـه إلى الرها فاستقبله ملكها ابجر السابع بالهدايا فتمكن من المحافظـة علـى عرشه ومنها عاد تراجان إلى أنطاكية، وفي ربيع عام ١١٦م عبر تراجـان بجيوشه الفرات ثانية ثم عبر دجلة متوجهاً إلى مملكـة حديـاب واسـتولى عليها بعد فرار ملكها، وباستيلائه على حدياب قدمت الحضر ولاءهـا لـه واعترفت بسيطرته ثم سار بعد ذلك إلى طيسفون وفتحها ولاذ ملكها خسرو بالفرار تاركا عرشه الذهبي ثم استولى تراجان بعد ذلك على مملكة ميسـان واخضع ملكها اتميليوس الخامس. ولم يدم هذا النصر طويلا ففي نفس العام أعلن العصيان عدد من المدن والأقاليم ومن بينها الحضر. وعندمـا بلـغ تراجان نبأ هذه الثورات سار بنفسـه إلـى الحضـر علـى رأس جيـش

---

(١) F.A. Lepper, Trajan's parthian wars, oxford, 1984, pp.18 ff.

وحاصرها ولكنه لم يتمكن من اقتحامها لتحصينها المنيع ثم عاد منسحباً إلى أنطاكية في سوريا حيث توفى عام ١١٧م.(١)

ويبدو أن الذي قاد مدينة الحضر إلى الانتصار هو نصرو مريا (السيد) الذي ترك أعمالاً عمرانية كثيرة وهو والد سنطروق الأول ملك العرب، وقد شيد نصرو المعبد العاشر الذي كان مخصصاً لعبادة الإله نرجول ولقب بالأفكل أي الكاهن الأعظم وقد أضاف نصرو جناحاً إلى أواوين المعبد الكبير.

وبعد حملة تراجان بدأت فترة سلم واستقرار دامت نحو خمسين عاماً، تم خلالها تشييد المعبد الكبير (باستثناء خلوة الشمس) والذي كان من أكبر الأبنية في بلدان الشرق القديم، وهذا المعبد ينفرد عن غيره من المعابد التي شيدت للإله الشمس في كل من تدمر ومنبج وبعلبك والبتراء بالأواوين التي كانت الطراز السائد في عمائر مدينة الحضر.

وبعد وفاة نصرو في عام ١٣٥م جاء بعده نشريهب السيد حيث جدد في عام ١٣٩م باب المعبد وسوره اللذين شيدهما نصرو، ثم جاء بعده معنو السيد في حوالي عام ١٥٠م، ثم تولى الزعامة ولجش الذي كان أول من نصب نفسه ملكاً على الحضر واتخذ له لقب "ملك العرب" وهذا يعني أن مدينة الحضر بلغت من الشهرة والنفوذ شأناً كبيراً بحيث أصبحت مؤهلة لتكون قاعدة لمملكة العرب تدير شئونهم.

---

(١) A. Maricq, Hatra, Trajan, Vologasis, in: syria XXXII, 1955, pp.239-241.

٣- دور الملـــوك[1]

يبدأ هذا الدور بعد منتصف القرن الثاني الميلادي ويستمر حتى سقوط مدينة الحضر في عام ٢٤٠/ ٢٤١م وكان ولجش أول من نصـــب نفســه ملكاً، وفي دور الملكية تمتعت الحضر بقسط أوفر من الاســتقلال واتســاع النفوذ حتى بلغ نفوذها ما بعد نهر الخابور.

كان الملك البارثي في ذلك الوقت ولجش الثالث (١٤٨-١٩٢م) ينتـهز الفرصة لمهاجمة الرومان في سورية وحانت هذه الفرصـــة حيــن أصبــح الحكم في روما مشتركاً بين إمبراطورين هما لوكيوس فيروس ومـــاركوس أوريليوس فيما بين (١٦١-١٦٩م)، وبالفعل وقعت معركـــة فـــي أرمينيـــا انتصر فيها الملك البارثي وتمكن من الاستيلاء على الرهـــا ومـــن عبـــور الفرات إلى سورية.

وكرد فعل من الرومان فقد أرسلوا القائد لوكيوس فيروس إلى الشـــرق حيث نزل في أنطاكية ومنها وجه جيوشه إلى العـــراق فـــي عـــام ١٦٤م فعبرت الفرات من مكان جنوب مدينة نيسيفورم (الرقه) واســـتولت علـــى مدينة دورا يوروبوس (الصالحية) التي أصبحت منذ ذلك التاريخ مســتعمرة رومانية، ثم تقدم بجيوشه إلى سلوقيه ودخلها دون مقاومة.

وفي هذه الأثناء كان يحكم الحضر "سنطروق الأول" بن نصرو السيد الـذي اتخذ موقفاً محايداً في الحرب بين البارثيين والرومان، وكان هذا الملك هــو أول من سك النقود في الحضر واضعاً النسر رمز إله الشمس مــع عبــارة "الحضر مدينة الشمس" على أحد الوجهين، وصورة الإله الشـــمس بهيئــة شاب حول رأسه هاله مشعة على الوجه الثـــاني، والغريـــب أن الحرفيــن S C اللذين يدلان على أن السك كان بأمر من مجلس الشيوخ الرومـــاني

(١) R.E.M. Wheeleer, Rome beyond the imperial London, pp. 70-90.

Senatus Consulto يظهران على ظهر العملة مما يعكس رضاء الرومان على ملك الحضر في ذلك الوقت.

وقد شيد سنطروق المعبد المربع الذي كان خلوة للشمس، وساهم في تشييد السور الشمالي للمعبد الكبير والأروقة المجاورة له، ولقب نفسه ملك العرب مما يعكس فترة السلام والازدهار في عصره الذي استمر أكثر من ثلاثين عاماً.

وتذكر المصادر اسم الملك "برسميا" ملكاً على الحضر الذي كان ضمن الزعماء الذين ساعدوا بسينيوس نيجر (الأسود) في سورية للصمود في عام ١٩٣م ضد خصمه في الحكم سبتيميوس سفيروس.

وبعد أن قضى سفيروس على خصمه في سورية توجه بنفسه خريف عام ١٩٧م إلى طيسفون واستولى عليها بعد حرب عنيفة، ثم عاد إلى سورية وفي طريق العودة مر بالحضر وضرب الحصار عليها ولكن محاولته باءت بالفشل ثم جدد المحاولة في العام نفسه للاستيلاء عليها باستخدام الجنود السوريين لاقتحام الأسوار إلا أنهم لقوا حتفهم بقذائف النار التي اشتهرت بها الحضر وعرفت باسمها.

وقد قاد الدفاع عن الحضر الملك عبد سميا الذي كان يلقب بلقب ملك العرب، وفي عصره شيدت أروقة السور الشرقي للمعبد الكبير، وأصلح سور المدينة وضاعف استحكاماته وفي زمنه تولى السدانه لدى العرب أفرهط.

وقد اعتلى سنطروق الثاني العرش بعد أبيه "عبد سميا" وكانت الحضر ما تزال تنعم بنوع من الرخاء والرفاهية وامتد نفوذها إلى نهر الخابور وعبر الفرات مما دفع سنطروق إلى أن يلقب نفسه "المظفر ملك البلاد العربية" نظراً لأنه هو الذي تولى الدفاع عن المدينة في زمن أبيه.

وفي عام ٢٢٠م توسع الملك الفارسي أردشير حفيد ساســان فــي جنوبــي إيران ووسع مملكته شمالاً وشرقاً وتحالف مــع الميديين وقضــى علــى الإمبراطورية البارثية إلى الأبد إلا أن الحضر لم تدين بالولاء وتحالفت مــع الرومان ونتيجة لهذا التحالف أقامت في الحضر حامية رومانية فــي عــهد الإمبراطور إسكندر سفيروس عام ٢٣٥م. وفي زمن ســـنطروق جــددت تحصينات المدينة وشيد برج للدفاع عن البوابة الشمالية وزينــت جدرانــه بمنحوتات كبيرة بارزة للملك وولي العهد.

وظل أهالي الحضر حتى عام ٢٣٨م يعيشون في رغد مــن العيــش بارتباطهم مع الرومان وفي هذا العام أقيمت تماثيل كثــيرة فــي المعــابد والبوابات ومنها تمثالا الأميرة دوشفرى وابنتها سمى وتمثالا الكاهنة مرتبــو ومرثلة المعبد قيمى. وقد وضعت كل هذه التماثيل في المعبد الخامس الــذي شيده الملك نصرو للإلهة اللات باسم أشربل قبل نحو قرن وبات مخصصــاً بالدرجة الأولى للنساء والمترهبات من أهالي الحضر.

وانتهت الحضر مع محاصرة الملك الساساني شابور الأول لها لمدة عــام من ١٢ أبريل (نيسان) ٢٤٠م وحتى الأول مــن أبريــل (نيســان) ٢٤١م واضطرت إلى الاستسلام بعد أن فقدت القدرة على الصمود.

الديانة في الحضر

استقت الديانة في الحضر معتقداتها وطقوسها من أربعة منابع هي: [١]

١- الديانة الآشورية البابلية التي ترجع أصولها إلى السومريين ذوي الخيال الخصيب والتفكير الواقعي والذين وجدوا آلهتهم بتفاعلهم مع البيئة العراقية.[٢]

٢- الديانتان الإغريقية والرومانية اللتان نمتا خارج العراق ودخلت إليه مع فتح الإسكندر المقدوني.

٣- الديانة الفارسية القديمة من مزدائية وزردشتية.

٤- ديانة القبائل العربية التي قوامها المظاهر الطبيعية والعوامل المؤثرة على حياة الرعي والتنقل وطابعها الميل إلى التبسيط والتوحيد في المعتقد والعبادة.

ورغم هذه المصادر التي استقت منها الديانة في الحضر أصولها إلا أنها كانت ذات طابع خاص يميزها عن كل هذه الديانات الأربع، فقد كانت تتألف من شتيت من كل منها.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ١٩٧٣، ص ص٣٢٣-٣٣٤.

جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص ص٦٠-٦٥.

الإله شمش

خص الحضر الشمس بالأولية في عبادتهم، وهي عندهم مذكر يعرف باسم شمس أو شمشا ويعتبرونه كبير الآلهة، وهو يقابل الإله زيوس عند الإغريق والإله جوبيتر عند الرومان، واهورامزدا عند الفرس.[١] وكان الشمس من أشهر الآلهة لدى الشعوب السامية عموماً فالشمس ملك السماء والأرض وسيد الكائنات العليا والسفلى، وهو مبعث الحياة في الموتى ومطلق سراح الأسرى، وهو القاضي المستقيم الذي يدبر شئون البشرية وهو السليل الأمجد الابن الأعظم، وهو نور الأرض صانع كل ما في السماء وما في الأرض.[٢]

ولا غرابة في تشييد القبائل العربية ـ أينما توطنوا ـ أولى المعابد وأضخمها للشمس، فقد كان المعبد الكبير في الحضر مخصصاً لعبادته وكان الشمس ملك المدينة إذ دونت على العملات عبارة الحضر مدينة شمش.[٣]

وقد كان معبد شمس هو أبرز ما في المدينة، وكان مركزاً للنشاط الديني والاجتماعي ليس لأهالي الحضر فحسب بل لجميع سكان العراق، فكان كعبة الحجاج وفي ساحته كانت تعقد الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والأعياد ويوجد في المعبد أماكن لجمع التبرعات وتوزيع الصدقات.

---

(١) سبتينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٥.

(٢) صموئيل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم – حضارتهم– -خصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، جامعة الكويت، الكويت، ص١٦٨.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

عبادة التثليث[١]

وفضلاً عن الشمس فكان لدى أهالي الحضر تثليث يتألف من مرن ومرتن وبرمرين أي سيدنا وسيدتنا وابن سيدينا، وهم الآلهة الأب والأم والابن وكان التثليث معروفاً لدى شعوب العراق القديمة ويتألف من شمس وسن وعشتار أي الشمس والقمر والزهرة.[٢]

وقد صورت آلهة التثليث على ثلاثة منحوتات وجدت في مكان واحد من المعبد الكبير:[٣]

الأولى: تصور مرن أي الإله شمس بهيئة رجل كهل حول رأسه هاله مشعة وفوق جبينه طوق وقرنان، ويخرج جسمه من وراء الجبال أو الغيوم (شكل ١٤٤).

الثانية: صورة نصفية تمثل الإلهة مرتن (سيدتنا) بهيئة امرأة ترتدى ثوباً شفافاً ويخرج جسمها من وسط ورقة الأكانثوس منحوتة بشكل هلال أو كأس. ولعل هذه السيدة هى الزهرة نجمة الصباح أو أفروديت التي كان الرومان يصورونها خارجة من صدفة (شكل ١٤٥).

الثالثة: صورة برمرين وهو شاب قوى البنية حول رأسه هاله مشعة ووراءه هلال يخرج جسمه من هلال ثان وتعنى هذه الأشعة والهلالان أن برمرين هو ابن الشمس والقمر وأنه يجمع بين صفاتيهما حيث أنه إله حاضر في النهار والليل (شكل ١٤٦).

---

(١) التثليث غير الثالوث لأن الثلاثة لم يرقوا إلى درجة الاندماج معاً في إله واحد.
أنظر، موسكاتي، المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) موسكاتي، المرجع السابق، ص ص ٧٥-٧٩.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٢.

ويحتل الإله الابن منزلة خاصة عند أهالي الحضر حيث يتكرر اسمه في كتاباتهم كثيراً، وإليه ينسب بناء معبد شمش والده وكان يأتي في مقدمة الآلهة الحضرية.

وجدير بالذكر أن عبادة الإله الابن قد انتشرت وامتدت في العصر البارثي قبل الميلاد إلى معظم أقاليم الشرق القديم، ولا عجب أن نجد جناحاً من المعبد الكبير قد خصص لعبادته. وقد جمع برمرين صفات وخصائص الإله أبوللو وديونيسوس وميثرا الذين كانوا أقراناً له بكونهم أبناء الإله الأكبر، إذ أن الإله أبوللو وديونيسوس هما أبناء الإله زيوس كبير الآلهة الإغريقية، وميثرا هو ابن الإله أهورامزردا كبير الآلهة الآشورية الفارسية.

وقد عبدت الشمس في بادئ الأمر باسم مرن الذي هو أحد أركان التثليث أكثر من عبادتها باسم شمش إذ شيد في داخل المعبد الكبير مصلى لمرن وهو البناء المحاط بأعمدة قبل نصف قرن من تشييد المصلى المربع لشمس. ويبدو أن عبادة شمش أخذت تبرز في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي حين تأسست الملكية في الحضر حيث لقب ملوكها أنفسهم بـ "ملك العرب"، وما تشييد المعبد المربع وتدوين عبارة الحضر مدينة شمش على العملات إلا لتوثيق الصلة بين الحضر وبين القبائل العربية في بادية الجزيرة والتي كان معبودها الأكبر شمش. وقد يفسر ذلك السبب الذي من أجله شيد المعبد مكعباً بطراز غريب عن الأسلوب المعماري السائد في الحضر. والتكعيب هو الأسلوب الشائع عند العرب كافة، فقد كانت بيوت الأصنام مكعبة وكذلك المعابد التي شيدوها للشمس في سورية وكانت الأبنية المكعبة هي بيوت آلهتهم، وفي كعبة الحضر مجال للطواف حول ثلاثة من جوانبها من الخارج.

والشمس تتميز بقرصها المستدير أي جسمها الذي ترى بـه ولـها نورهـا وحرارتها ومدارها في السماء من الشرق إلى الغـرب وكـل مـن هـذه الجزئيات يتجسم في معبود خاص.

ومع مرور الزمن اكتسبت الشمس خصائص معنويـة كـالعدل والقـانون والنظام والعلم لأن نورها يبدد الظلمة ويفضح الباطل وينير السـبيل إلـى العلم وقد تجسدت هذه الخصائص في آلهة أخرى كانت تتميز بوجود أشـعة حول الرأس ويطلق عليها الآلهة الشمسية.(١)

الإله بعلشمين (٢)

وقد عبد أهالي الحضر الشمس بصفتها المهيمنة في السماء وذلك باسـم بعلشمين أي سيد السماوات وقد نعتوه في كتاباتهم بـالملك والإلـه الأكـبر وخالق الأرض وكان يمثل جالساً على كرسي وعلى جانبيه عجلان وبيـده حزمة البرق، مما قد يدل على أنه كان يقوم في الحضر مقام "حـدد" إلـه البرق والرعد والمطر الذي كان العجل والبرق من أهم رموزه.

الإلهة أترعتـا(٣)

وفي الحضر كان هناك معبد مشيد للإلهة أترعتا (شـكل ١٤٣) التـي يعتقد أنها قرينة بعلشمين واسمها مركب من اسم عشتار بالإضافة إلى اسـم غير معروف، وقد انتقلت عبادتها من سوريا إلـى الولايـات الرومانيـة، وتمثل الإلهة أترعتا في الحضر بتماثيل صغيرة بهيئة سيدة جالسـة علـى كرسي وعلى جانبيها أسدان يرمزان إليها.

(١) كريمر، المرجع السابق، ص ١٧٩، ص ١٥٥.

(٢) A.Murray, Manual of Mythology, New York, 1935, pp.73-77.

(٣) Murray, op.cit., pp. 80-81

الإله نرجول أو نرجل

اقتبس أهالى الحضر عبادة هذا الإله من الآشوريين الذي كان يعرف لديهم باسم نرجال وهو عندهم إله للحرب وحارس لعالم تحت الأرض حيث مصير الأرواح وقد صوره أهالي الحضر على هيئة الإله هيراكليس اليوناني أي عاري الجسم بيده هراوه ويحمل جلد أسد نيميا. وقد انتشرت عبادة نرجول في الحضر بسبب اختصاصه في حماية المدينة وحراسة أسوارها ومدافنها (شكل ١٤٧).(١)

وقد خصص لنرجول خمسة من المعابد الصغيرة في الحضر وجدت في بعضها تمثال كبير الحجم عاري الجسم (شكل ١٤٨) وضع في قدس أقداس المعبد وبجانبه سيده، وقد ورد اسم نرجل دحشفطا أي نرجول الحارس الأكبر، وكذلك نرجول الكلب وهذا كناية على أنه كان حارساً أمنياً يقظاً.

الإلهة اللات (٢)

يتردد اسم الإلهة اللات كثيراً في الكتابات الحضرية بل ويدخل اسمها في تركيب أسماء الأشخاص من أهل المنطقة مثل عويذ اللات، جرم اللات، زيد اللات.

وقد اقترنت الإلهة اللات (شكل ١٤٩) عند أهالي الحضر بالإلهة أثينا اليونانية حيث كانت تصور في رداء عسكرى وعلى رأسها خوذة وبإحدى يديها رمح ويدها الأخرى موضوعة على درع، وعلى صدرها تظهر صورة الميدوسا. وقد خصص للإلهة اللات المعبد الخامس لعبادتها حيث

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ٤٣-٤٤.

(٢) محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٧، ص ٤٢٦.

صورت الإلهة واقفة مع امرأتين أخرتين فوق ظهر أسد في هيئة أثينا العسكرية وكانت الإلهة اللات تدعى أيضاً باسم أشربل أي فرحة الإله بل وتنعت بالبتول، وتقوم على خدمة هذه الإلهة مجموعة من الفتيات الراهبات من بينهن الكاهنة مرتبو التي وجد تمثال لها بنفس المعبد الخامس مع الأميرة دوشفرى وابنتها سمى ومرتله المعبد قيمى.

آلهة تمثل الكواكب(١)

عُبدت في الحضر سبعة آلهة تمثل الكواكب الخمسة المعروفة لديهم مضافاً إليها الشمس والقمر. وقد كان لكل إله من آلهة هذه المجموعة يوم من أيام الأسبوع.

وقد عثر في المعبد الثامن من الحضر على سبعة تماثيل لهذه الآلهة، (شكل ١٥٠) ولا تعرف أسماء هذه الآلهة باستثناء الشمس والقمر. ولكن من المحتمل أنهم يمثلون نفس الآلهة عند الرومان الشمس ولها يوم الأحد، القمر وله يوم الأثنين، مارس إله الحرب وهو كوكب المريخ وله يوم الثلاثاء، وميركور رسول الآلهة وهو عطارد وله يوم الأربعاء، جوبيتر كبير الآلهة وهو المشترى وله يوم الخميس، أفروديتى وهي كوكب الزهرة ولها يوم الجمعة، وأخيراً الإله ساتورن وهو زحل وله يوم السبت.

وجدير بالذكر أن عبادة هذه المجموعة كانت منتشرة في منطقة حوران بسوريا في مدن معاصرة لمدينة الحضر.

(١) بوتيرو، المرجع السابق، ص ص ٢٢-٢٣.

النسـر(١)

احتل النسر منزلة خاصة عند أهالي الحضر حيث يمثل الإله مـون أي الشمس، ويرمز إلى سيادته وهيمنته حيث يحلق النسر عالياً في كبد السـماء مثلما تفعل الشمس فيراقب من علٍ ما يحدث على سطح الأرض.

وقد ظهر النسر (شكل ١٥١) في كثير من التماثيل فـي الحضـر حيـث وضعت تماثيله في بوابات المدينة وفي داخل المعابد وداخلها، بـل وبلـغ الأمر إلى حد وضع ثمانية تماثيل للنسر بـالحجم الكبـير فـي كـل مـن الإيوانيين الكبيرين في المعبد الكبير بالحضر، وقد وضع النسر على سـارية كل علم من أعلام الحضر مهما اختلفت نوعها.

عبـادة الأعـلام(٢)

مجد أهالي الحضر الأعلام كثيراً حتى أنهم عبدوها وتعـرف عندهـم باسم سميا وجمعها سميتا، حتى أنهم أدخلوها في أسمائهم المركبـة وخـير دليل على ذلك اسم أحد ملوكهم عبد سميا.

فالعلم كان عند أهالي الحضر رمزاً للصمود والنصر، ووقوعه فـي يـد الأعداء شؤم ومذلة، ولكل فرقة في الحضر علمها الخاص بها، إذ يعـرف علم لبيت عقيباً، وآخرلبنى أقلنا وثالث لمدينة مشكنه، ويحمل العلم ويقـوم على حراسـته شـخص ذو مرتبـة عسـكرية مرموقـة يطلـق عليـه "رب ـ سمياً" أي صاحب العلم. ويتألف العلم بصورة عامة مـن سـارية على رأسها نسر ويليه إلى أسفل هلال وصورة نصفية لإله شمسـى حـول رأسه أشعة، ثم عادة ثلاثة أكاليل للنصر وأحيانـاً ثلاثـة نسـور باسـطة الجناحين أو ثلاثة أقراص.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥.

عبادة الحيوانات[١]

اعتقد أهالي الحضر في قدسية بعض الحيوانات الخرافية أو الحقيقية، فصوروها في شكل منحوتات أو على جدران معابدهم، ولا شك أن هذه الحيوانات كانت ترتبط عندهم بأساطير وآلهة معينة، ومن بين تلك الحيوانات الأفعى والعقرب والثور والبطة والأسد والكلب وكذلك العنقاوات بأشكال خرافية مختلفة ورأس الميدوسا الخرافية.

بعض المظاهر الدينية في الحضر

دفن الموتى

اهتم أهالي الحضر بدفن موتاهم في مباني مستديرة بالحجارة ولكنهم مارسوا عادة حرق الموتى في بعض الأحيان وقد اعتقد أهالي الحضر في خلود الروح إلا أنهم كانوا يرون أن الروح مصيرها العذاب في ظلام دامس ورطوبة لا تطاق تحت سطح الأرض، وأن الصلاة والنذور تخفف من عذاب الروح أو تنقذها منه، لذا أقاموا تماثيلاً كثيرة في معابدهم، وجدير بالملاحظة أن اليد اليسرى في هذه التماثيل مرفوعة دائماً إلى أعلى وكفها مفتوح لتحية المصلين والتماسهم بالدعاء لهم أمام الآلهة لخلاص أرواحهم. وكان هذا الدعاء موجه بالدرجة الأولى إلى نرجول إله عالم الأرواح.[٢]

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٢٥.

(٢) D.Sourdel, Les cultes du Hauran a l'epoque, Romain, Paris, 1952, pp.66-67.

أثـاث المعبـد

يحتوى كل معبد في أثاثه على حصالة نقود تصنع من الحجر ويكـون لها غطاء محكم فيه شق لإدخال النقود المتبرع بها، وتوضع هذه الحصالـة عند مدخل فناء المعبد وداخل الفناء يوضع كأس للقرابين وبجانبه نمـوذج مصغر لمعبد، ويظن أن مكان الكأس والنموذج المصغر للمعبد يكون عـادة على سطح المذبح فى وسط خلوة المعبد وهناك أيضاً أواني مصنوعة مـن النحاس وأواني لحرق البخور والنار، ومساند توضع عليها بعض التمـاثيل. هذا فضلاً عن مجموعة من الأثاث المصنوعة من الخشب والجلد والنسـيج وأدوات من المعادن النفيسة.(١)

طبقـات رجـال الديـن

كان الأفكل هو أعلى الطبقات الدينية وهو الكاهن الأعظم، ولا نعـرف من شغل هذا المنصب الرفيع سوى نصرو والد الملك سنطروق الأول.(٢) ويليه في المرتبة كمرا (الكاهن) وكمرتا (الكاهنة) ثم قشيشـا (القسـيس) ودون ذلك هناك رتب صغيرة يساعد الشاغلون على تأدية الطقوس وخدمـة المعبد. ومن الرتب الدينية الأخرى السفرا أي الكاتب وهو المسـئول عـن المحافظة على كتب الدين واستنساخها والتمسك بعدم التحريف فيها. وكـانت حرمة الكاتب لا تقل عن حرمة رجال الدين. ولكل إله في الحضـر كاتبـه المتخصص بالنصوص الدينية الخاصة به.(٣)

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) هشام الصفدى، الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ١٣١.

(٣) غستاف لوبون، الحضارات الأولى ، تعريب: محمد صادق رستم، القاهرة، ١٩٢١، ص٤٨.

ومن الوظائف الدينية الأخرى رب ــ بيتا الذي يعنى رب المعبد أو سيد المعبد وهو الشخص الأكبر المسئول عن المعبد وهو مدير المعبد، وكانت مرتبته من الرتب الكبيرة في المدينة وهو المسئول عن سلامة بناء المعبد والمحافظة على محتوياته وملاحظة نظافته والإشراف على ممتلكاته والعمل على توسيع وارداته إضافة إلى توليه الطواف والاحتفالات، وقد كان لكل معبد رب بيتا ينسب إلى إله ذلك المعبد.(١)

العمارة في الحضر

تتميز العمارة في مدينة الحضر بأساليبها الخاصة في طرق البناء ومادته وفي التصميم وطرق الزخرفة. وكذلك فهي تتميز باستعمال الحجر المنحوت والجص وباستخدام الإيوان كعنصر أساسي في التصميم. كما تنفرد العمارة في الحضر بتزيين واجهة الأواوين بتماثيل وزخارف وأعمدة وأنصاف أعمدة موزعة بأسلوب راق.

ويمكن تقسيم المباني في الحضر إلى نوعين:

النوع الأول: مشيد بالطوب اللبن والملاط (الجص).

النوع الثاني: مشيد بالحجر المنحوت والجص.

وجدير بالذكر أن الحضر من أقدم المدن المعروفة في استعمال الجص على نطاق واسع.(٢) وقد كان الملاط المستعمل في البناء في المدن القديمة مثل آشور ونينوى وبابل من الطين عادة.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) N.C.Debevoise, The Origin of decorative stucco, in: A J A, 45, 1941, pp,45f.

مباني النوع الأول(١)

وهي دور السكن والمعابد الصغيرة، وقد شـيدت أساسـاتها والقسـم الأسفل من جدرانها بقطع الحجارة المنتظمة قليلاً، أما باقي البناء فقد أكمـل باللبن والجص.

وتتميز دور السكن في الحضر بالسمات الشرقية فهي ذات فنـاء مكشـوف في الوسط حوله غرف ومرافق سكنية أخرى. أما إذا كانت الـدار واسـعة فيكون فيها أكثر من فناء واحد وتشتمل على قسم خاص بالضيوف، وفـي هذه الحالة لا يكون الدخول إلى الدار مباشرة بل من خلال ممر.

وكانت المعابد الصغيرة من المباني التي شيدت بـاللبن ويبلـغ عـدد المعابد الصغيرة المكتشفة في الحضر أحد عشر معبـداً، وهـذه المعـابد متقاربة من حيث التصميم، حيث يتكون المعبد من مصلى مستطيل الشـكل تتصل به عند منتصف أحد ضلعيه الطوليين غرفة صغيرة مربعة التي هـي خلوة الإله حيث كان يوضع تمثال الإله.

ويقع أمام المصلى فناء واسع تكون على جوانبه دور للسكنى أو حجـرة أو أواوين مشيدة خاصة بالخدمات في المعبد. وقد روعى في هذا الشكل أيضـاً إضافة خلوة الشمس خلف الأواوين المتسقة.

مباني النوع الثاني

وهي المباني المشيدة من الحجر، ومن أبرزها سور المدينـة القديـم، والأبراج والبوابات الواقعة عليه، والمعبد الكبـير القـائم وسـط المدينـة، والمقابر في القسم الشرقي من المدينة ومن أفخم وأكبر المباني في الحضـر

---

(١) A. Moortagat, Die Kunst des alten Mesopotamien Die Klassische Kunst vorderasiens, verlag Du Mont, Köln, 1967, pp 160-164

المعبد الكبير وهو بناء مستطيل الشكل محاط بسور جحري ومقســـم إلـــى صحن وحرم، وتتميز داخله ستة معابد أو مصليات متفرقة كل منها لإلــــه. وقد شيدت جدران هذه الأبنية بطريقة خاصة وهي بناء وجهي كل جـــدران بألواح من الحجر، الوجه الخارجي منحوت والداخلي غير منحوت، ويحشو الفراغ بين وجهي الجدار الجص وكسر الحجارة. وقـــد ربـــط المـــهندس المعماري وجهي الجدار بأحجار طويلة على مسافات مناسبة.

مميزات العمارة في الحضر

تتميز العمارة في الحضر بالعديد من المزايا التي تميزها عن غيرهـــا من عمارة منطقة الشرق القديم، وتتمثل فيما يلي:

- عدم جمع الأبنية التي داخل المعبد الواحد في مركز واحد معين فالأبنية داخل المعبد الكبير تنتشر في كل مكان.
- عدم التصاق الغرف المشيدة على جوانب الفناء بالمصلى وذلـــك فـــي المعابد الصغيرة.
- وجود الإيوان في كل بناء من أبنية المدينة تقريباً، وهو موجـــود فـــي المعابد والقصور ودور السكنى. وهو عنصر شائع في الحضر يمـــيز عمارتها عن العمارة الهللينستية والرومانية اللتين اســـتخدمتا العمـــود بكثرة عوضاً عن الإيوان في المدن المعاصرة للحضـــر. وقـــد شـــيد الإيوان في الحضر للأغراض الآتية:

الغرض الأول: إضفاء الفخامة والجمال على البناء.

الغرض الثاني: توفير مكان خالي ومسقوف يـــؤدي وظيفـــة البـــهو فـــي القصور.

الغرض الثالث: الإيوان وهو عبارة عن فناء مغطى يحمـــي مـــن المطـــر وأشعة الشمس وهو يشبه في ذلك الأروقة في العمارة اليونانية.

-كانت الزخرفة منصبة بالدرجة الأولى على تزيين واجهات الأواويـــن بأنصاف أعمدة ملاصقة للبناء، وبأعمدة توضع في أعلـــى الواجهــة، وبتماثيل منحوتة على الأقواس في فتحات الأواوين تمثل إمـا آلهــة أو كائنات أسطورية أو أشخاص ساهموا في بناء المبنى.

التأثيرات الوافدة على عناصر وأساليب الزخرفة في الحضر:

-تزيين أقواس الأواوين بالتماثيل في الحضر تشبه النقـوش التـي كان يزين بها الآشوريين الأقواس التي كانوا يرســمونها علـى الكاشاني ومنها القوس المرسوم على اللوح الكاشاني الذي وجــد في حصن شلمنصر الثالث في نمــرود، وهــي مــن التــأثيرات الآشورية.

-ظهور رؤوس الحيوانات التي تزين في الحضر مدخل الإيـــوان تحت التاجين إذ تقوم تلك الرؤوس مقام الثيران المجنحــة التـي توجد في مداخل القصور والمعابد الآشورية.[١]

-الأقنعة التي تظهر على جدران الإيوانيـــن الكبـيرين الجنوبـي والشمالي من الأواوين المتصلة ما هي إلا اقتباس مــن العمــارة الآشورية التي كانت المعابد فيها تزين بأقنعة.

- تشييد المباني بمداميك من ألواح الحجر وزخرفة هــذه المبــاني بالأكانثوس والبيضة ورأس الرمح هــي اقتبــاس مــن العمــارة اليونانية والهللينستية.

- يتكون معبد الإله مرن المشيد داخل المعبد الكبير مـــن غرفــة واحدة مشيدة على مصطبة محاطة بصفين من الأعمـــدة وتعلــو

(١) J. Oates, Babylon, Thames & Hudson, London, 1979, pp.152-156, Figs 106-108.

الغرفة مقصورة، وهو هللينستي روماني الطراز، وقد مر بمرحلتين: الأولى تعود إليه كورنيش المعبد والإفريز فهو على الطراز اليوناني الايوني. والثانية يرجح أنها من عهد السادة حيث تعود الأعمدة الكبيرة الخارجية ذات التيجان المركبة من الطرازين الأيوني والكورنثي.

- معبد شحيرو داخل المعبد الكبير شيد على النمط الأتروسكي المكون من منصة ذات كورنيش بارز ومقدمة للمعبد مكونة من أربعة أعمدة، وهو كذلك متأثر بمعابد الدفن الرومانية في شمال أفريقيا.[1] وكذلك فهو يحمل السمات اليونانية حيث كان مسقوفا بسقف جمالوني الشكل صنع من الخشب.

معابد مدينة الحضر

تعتبر معابد مدينة الحضر من أهم معالم المدينة وأفخمها من ناحية الشكل والاتساع، وهي تعبر بصورة حقيقية عن ملامح العمارة في العصرين اليوناني والروماني في هذه المنطقة التي نطلق عليها ما بين النهرين.

١- المعبد الكبير (معبد الشمس)

وهو من أبرز وأضخم بناء في مدينة الحضر (شكل ١٥٢) وهو مشيد بألواح من الحجر المنحوت والجص، ويقع المعبد في وسط المدينة ذات التخطيط الدائري، ويؤدي هذا المعبد إلى جميع الشوارع العريضة في المدينة وهو يتجه نحو الشرق حيث كان مخصصا لعبادة الشمس. وقد

---

(١) M. Wheeler, Roman African colour, Thames & Hudson, London, 1966, pp.33- 35.

عرف هذا المعبد عند أهالي الحضر باسم "هيكلاربا" أي المعبد الكبـــير أو "بيت الها" أي بيت الإلهة.(١)

تخطيط المعبد

يتخذ المعبد الشكل المستطيل تقريبا وهو محاط بسور أبعاده مــن الداخــل كالآتي:

الضلع الشمالي ٤٣٥م، الضلع الشــرقي ٣٢١,٥م، الضلــع الجنوبـي ٤٣٨م، الضلع الغربي ٣١٠م، والمعبد له بوابة رئيسية في السور الشــرقي وأحد عشر بابا في أضلاعه الأخرى. والمعبد مقسم بجــدار بــه بوابتــان رئيسيتان تؤديان إلى الحرم والصحن.(٢)

حــرم المعبــد

يوجد في الحرم صف من أواوين تواجه الشرق وخلفها خلوة الشــمس وهي حجرة مربعة محاطة بدهاليز وأمام صف الأواويــن مصلــى للربــة شحيرو ويقابله مصلى لإله مجهول. وفي الحــرم يوجــد بنــاءان آخــران أحدهما وراء مصلى شحيرو والآخر عنـــد الزاويــة الجنوبيــة الشــرقية للحرم.(٣)

صحن المعبد

ويبرز في هذا الصحن معبد مرن، وهو السيد في التثليث عند أهـــالي الحضر وهذا المعبد محاط بصفين من الأعمدة، ويوجد في الصحن كذلـــك مذبح كبير ومغسل ودار سقاية تقع جميعها عند الزاوية الجنوبية الغربية.(٤)

---

(١) Hrouda, op.cit.,pp.294-295.

(٢) Ibidem, p 295.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٤) نفس المرجع.

سور المعبد

يوجد باستقامة الأسوار من الداخل في أماكن معينة بوائك كانت مسقوفة بالخشب وأعمدتها من الحجر، ويلاحظ على الأسوار من الخارج حجرات لا سيما على جانبي الأبواب، هذه الحجرات كانت مخصصة للحراسة ولسكن خدم المعبد.(١)

مراحل بناء المعبد

مر معبد مرن بالعديد من مراحل البناء نستعرضها من الأقدم إلى الأحدث:

- كان للمعبد سور ذو أبراج مستديرة يختلف عن سوره الحالي وقد وجدت أساسات هذا السور عند الكشف عن السور الشرقي.
- معبد مرن وهو أقدم المباني في المعبد الكبير.
- مصلى معبد شحيرو والمصلى المقابل له.
- صف من الأواوين.
- خلوة الشمس أى المعبد المربع الذى أتم بناءه سنطروق الأول.
- في الأزمنة المتأخرة استحدثت لغرض الدفن فجوات في السور الشمالي، وفتحت فيه أبواب للدخول إلى حجرات أضيفت على الأسوار.

---

(١) نفس المرجع.

وفيما يلي نستعرض أجزاء هامة من معبد الشمس:

الأواوين(١) انظر التخطيط (ز)

وهي عبارة عن ثمانية أواوين متجاورة ومصطفة في صف واحد تفتح كلها على الشرق وهي مشيدة بألواح من الحجر والجص وهي تقع في صدر حرم المعبد الكبير.

وهذه الأواوين تكون واجهة طولها ١١٥مترا وارتفاعها نحو٢٣ مترا، وهذه الواجهة مزينة بنمطين من زخرفة الجبهات أحدهما فوق الآخر، النمط السفلي عبارة عن فتحات أواوين صغيرة وكبيرة مع وجود زوج من الأواوين الصغيرة فوق بعضهما بارتفاع الإيوان الكبير. أما النمط الثاني فهو عبارة عن صف أعمدة طويلة تتناوب مع صفين من الأعمدة القصيرة (شكل ١٥٣). ومما يزيد بهاء هذه الجبهة وجود زخارف في تيجان الأعمدة وتماثيل نصفية بارزة على الأقواس في فتحات الأواوين وكذلك وجود تماثيل لكبار القوم من أهالي الحضر مقامة على رفوف من الفراغات المتيسرة بين الأواوين وعلى ارتفاعات مختلفة، وهذه الرفوف مزينة في أسفلها بصورة الميدوسا. وفي داخل كل من الإيوانين الكبيرين وكذلك في بعض الأواوين الصغيرة يوجد مذبح كان مزينا برقائق من النحاس والذهب والفضة.(٢)

وكان الإيوانين الشمالي والجنوبي هما المصليان الرئيسيان في هذه المجموعة من الأواوين، وكان أحدهما للشمس باسم مرن والثاني لزوجته مرتن. وتتكون من هذه الأواوين والحجرات ثلاث وحدات بنائية وهي:

---

(١) D Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Paris., (1969), p p.135-137.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

الإيوان الجنوبي (رقم١٢) وعلى كل من جانبيه إيوان صغير وحجرتـــان، والوحدة الثانية الإيوان الشمالي (رقم١٣) وعلى كل من جانبيه كذلك إيوان صغير وحجرتان (رقم ٧-١١)، وتتكون الوحـــدة الثالثـة مـن إيوانيـن متجاورين يؤديان إلى حجرة عرضية تقع وراءهما (١٤-١٦).

ويلاحظ أن الوحدتين الأولى والثانية يفصل بينهما جدار يمتد في الواجهـــة إلى معبد شحيرو، وفي هذا الجدار بابان أحدهما في جزئه الأمامي والثـاني في جزئه الخلفي، ولعلهما كان لتنظيم الطواف حـول الأواويـن.(١) وهـذا الجدار الفاصل يقسم حرم المعبد إلى قسمين يظن أن أحدهما للإلـــه مـرن (الشمس) والثاني لزوجته مرتن، أما برمرين وهو العنصـــر الثـالث فـي التثليث فلا يعرف موضع عبادته، ولعله كان في الوحدة الثالثة مـــن هــذه الأواوين حيث وجدت تماثيل لعجول مما يرجح أن عبادة الإلهة ميثرا قــد دخلت بشكل من الأشكال إلى منطقة الحضر. وجديـــر بـالذكر أن أهـالي الحضر قد وضعوا تماثيل قادتهم من عسكريين وكتبة وسدنه وكهان علـــى جانبي الجدار الفاصل الذي يعزل الحرم عن الصحن.(٢)

وعلى سقف الحجرة رقم ٦ وجد اسم المهندس برنني ابن يهبشي مما يرجح أنه أشرف على بناء وحدة الإيوان الجنوبي، كذلــك اشــترك فــي نحـت الزخرفة والتماثيل أولاده الثلاثة أدى وزبيدو ويهبشى. وقد أشــرف علــى بناء وحدة الإيوان الشمالي المهندس كفع ـ نني الذي وجد اسمه منقوشـــا على سقف الحجرتين ١٠، ١١.

ويستدل من أسماء هؤلاء المهندسين أنهم كانوا من أبناء العراق أو من الحضر حيث أن أسماءهم سامية وبينها ما هو مركب من اسم الإلهة نني.

---

(١) Hrouda, op cit.,p.295, Abb.98.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣١.

خلوة الشمس (المعبد المربع) انظر التخطيط (ح) [(١)]

تقع هذه الخلوة خلف الأواوين خاصة خلف الإيوان الجنوبي، وتتكـون هذه الخلوة من حجرة مربعة الشكل ١١,٩٦×١١,٧٥م محاطة بدهليز مـن جميع الجوانب، وكانت مخصصة للإله شمش الذي وجدت صورته علـى عتب الباب المؤدي إلى الحجرة المربعة بوجه شاب حـول رأسـه أشـعة (شكل ١٥٤). والحجرة مسقوفة بقبوة تعلو أكثر من قبوات الدهـاليز التـي حولها، إلا أن الجدران الخارجية لهذا البناء كانت عليـها شـرفات ترتفـع بارتفاع سطح الحجرة. وهذا البناء فريد في شكله التكعيبي بالنسبة للعمـارة في الحضر ويشكل كعبة من الكعبات المألوفة لدى عرب الجاهلية.[(٢)]

ولم يعثر على أى لقى أثرية في هذه الحجرة في حين عثر على أربعـة تماثيل كبيرة من الرخام (شكل ١٥٥ – ١٥٨) في الدهاليز أحدهما للملـك سنطروق الأول والثاني للملك سنطروق الثاني، أما التمثالان الآخران فمـن المحتمل أن يكونا للكاهن الأعظم نصرو مريا وللملك عبد سميا.

أما خارج الخلوة فتوجد أنصاب للنار والبخور عليها أسماء مـن أهدوهـا للمعبد، ويدل وجودها بهذا الشكل على وجود نوع مـن الطـواف حـول البناء.[(٣)]

وجدير بالذكر أنه توجد على الجـدران مـن الخـارج عيـون وآذان محفورة قد تكون لأبعاد الشر من عيني الحسود وأذنى النمام، وهذه ظـاهرة لا نجدها في معابد الشرق، وهى خاصية تنفرد بها معابد الحضر.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Hrouda, op cit., p.295,Abb.98

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

ومن التأثيرات اليونانية أن هذه الخلوة مزينة من الخارج بشـرفات تتكـون من أعمدة ذات تيجان كورنثيه ومن دعائم واقعة في الأركان الأربعة وهـي ذات تيجان كورنثيه أيضا.(١)

معبد شحيرو(٢) انظر التخطيط (د)

يعتبر معبد شحيرو بالحضر من أكثر الأبنية تأثرا بالطراز الهللينسـتي والروماني حيث يتكون من مصلى مستطيل ١١,٥٨ × ٧,٦٢م تعلوه قبـوة في مقدمتها قوس ارتفاعه ٥,٣٥م. وهذا المصلى بشكل إيوان أمامه ظلـه تقوم على أعمدة ستة أعمدة مستديرة وعمودي أركـان مربعيـن، وعلـى الجانب الأيسر للمصلى قاعة مستطيلة ١٠,١٠×٥,١٠م تؤدي إلى غرفـة صغيرة مربعة تحت أرضيتها سرداب مسقوف بألواح من الحجر ينزل إليـه بدرج ويظن أن هذا السرداب كان قبرا (شكل ١٥٩ - ١٦٣). ويلتصق فـي المعبد من الناحية اليمنى سقيفة ذات طابقين مقامة على الأعمدة، أما أعمـدة الطابق السفلي فكبيرة وتيجانها أيونية، في حين أن أعمدة الطـابق العلـوى أصغر حجما وتيجانها كورنثيه.

ويصعد الزائر إلى المعبد عن طريق درجات طويلة تؤدي إلـى ظلـه المعبد وهذه ظاهرة رومانية بحته. والمعبد في شكله العام يشبه إلـى حـد كبير تخطيط معبد الأرخثيون على أكروبول أثينا.

وقد وجد داخل هذا المعبد تمثالان لشخصين أسماهما مكى ويملـك، وتـدل الكتابة على أحدهما على احتمال أن البناء كان لإله أو إلهة اسمها شحيرو.

(١) Schlumberger, op.cit., p.136.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٧.

معبد سميا[1] انظر التخطيط (ج)

يقع هذا المعبد إلى الجنوب من معبد شحيرو، ويتألف من إيوان كبير في الوسط على جانبيه إيوانان صغيران يفضيان إلى حجرتين مستطيلتين وراءهما، وهو موجه إلى الشمال. ويعتبر هذا المعبد من أقدم النماذج في الحضر بأسلوبه المعماري المكون من قلب وجناحين، ويوجد طابق ثاني فوق الإيوانين الصغيرين يرتفع سطحه بارتفاع الإيوان الكبير.

وهناك بعض المظاهر الدالة على قدم هذا المعبد (شكل ١٦٤) واختلافه عن بقية الأواوين منها:

- أن قوس الإيوان ليس فيه منحوتات بارزة.
- أن الواجهة خالية من أنصاف الأعمدة المألوفة على جانبي الأواوين، فقد شيدت عوضا عنها دعائم قليلة البروز تنتهي بإفريز.

ويظهر في صدر الإيوان الكبير مذبح ترتفع أرضيته قرابة ٩٧سم، ويرقى إليها بدرجات من الأمام والجانب، وفوق المذبح وفي وسطه جدار ارتفاعه ١٠٩سم يكون ستارة لإخفاء ما وراءه. وتوجد دخله في الجدار الخلفي عمقها ٥٥سم وعرضها ١م وارتفاعها ٢م وأرضيتها بمستوى الستارة ويعتقد أنها كانت مكانا لراية أو صنم. وعلى جانبي الإيوان تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الثاني والآخر لملك يظن أنه عبد سميا. وقد وجد على المذبح خلف الستارة رأس من الرخام (شكل ١٦٥) نعتقد أنه للإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) حيث تدل كل العناصر الفنية في هذه الرأس علي ذلك ويحتمل أنه قطع من تمثال كامل له ووضع على الستارة تنكيلا به لفشله فى محاولته للاستيلاء على الحضر.

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٤٢.

ولعل وجود هذه الرأس وكذلك اكتشاف أجراس راية سميا بيـــن الأنقــاض أمام هذا البناء يؤكدان نسبة هذا المعبد لسميا.[١]

معبد مرن[٢] انظر التخطيط (هـ)

وهذا المعبد ينتمي إلى الطراز اليونانى أو الهللينستى فهو عبارة عـــن معبد ذات صفين من الأعمدة. وهو عبارة عن غرفـــة مســتطيلة أبعادهــا ٩,٨م × ٦,٩م وهى مفتوحة إلى الشرق ومشيدة علـــى مصطبـــة أبعادهــا ١٥,٢م × ١٠,٥م وهى محاطة بـــ ٢٤ عمودا مســـتديرا علـــى الطـــراز الإيونى تقف على حافات المصطبة، وهى على مسافات واحـــدة باســتثناء العمودين اللذين يحددان باب الغرفة. أما صف الأعمدة الخـــارجى فيحيـــط بالمبنى من الخارج ويقف على الأرض مباشرة وهو عبارة عن ٢٥ عمـــود ترتفع تيجانها إلى مستوى تيجان الأعمدة الصغيرة وهى ذات طراز مركـــب من الطرازين الكورنثى والإيونى. وأمام المعبد مدرج يرتقى إلـــى ســطح المصطبة ويلاحظ أن الأعمدة الخارجية لا تستمر أمـــام المعبـــد إذ تـــترك مجالا للصعود إلى داخل المعبد.

والمعبد (شكل ١٦٦ - ١٧١) كان مسقوفا بالخشب بطريقة أفقية من جانبيـــه الشمالى والجنوبى بين الأعمدة الصغيرة والكبيرة، وبشكل جمـــالونى فـــى الوسط فوق الغرفة.وتحلى السقف المسطح بين الأعمدة على جانبى المعبـــد بلاطات مربعة من الرخام مطعمة بأحجار ملونة وبمشاهد دينيـــة مختلفـــة، وهذه البلاطات استعملت كحشوات فى إطارات خشبية في السقف.

أما داخل الغرفة فكانت هناك منصة كان يقوم عليـــها صنـــم لمـــرن. وتوجد فى جدران الغرفة من الخارج تسع كوات، نحتت فى جوانبها الثلاثـــة

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٤٤.

فيما بعد لتزيين المعبد بتماثيل لآلهة أخرى (شكل ١٧٢ - ١٧٤) منها بوسيدون وكيوبيد وأبوللو وهرميس. وكانت على زوايا سطح المعبد أربعة تماثيل للإلهة نيكى إلهة النصر والإلهة تيخى حامية المدينة وهى من نوع الأكروتريون التى تزين أركان المعابد اليونانية والرومانية، وقد دلت الكتابات المنقوشة على بلاطات هذا المعبد على أنه كان مخصصا لعبادة مرن، الإله الأب فى التثليث الحضرى.(١)

ويبدو أن معبد الإله مرن من أقدم المبانى فى المعبد الكبير ويرجح أنه كان مشيدا على الطراز الإيونى بصف واحد من الأعمدة وبدون زخرفة، ثم أضيفت حوله الأعمدة الكبيرة فى العصر البارثى.(٢)

معبد السقاية(٣) انظر التخطيط (ط)

يقع عند الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن، ويصل الزائر إلى أرضيته على طريق ست درجات واقعة فى مقدمته، وقد كان مسقوفا بالخشب بسقف جمالونى الشكل يرتكز من الجانبين على أعمدة من الحجر. وفى نهاية المعبد الجنوبية توجد دكة المذبح وعلى الثلاثة جوانب الأخرى توجد مصاطب للجلوس، وفى وسط هذه الحجرة حوض مستطيل الشكل من الحجر، وبجوار هذه الحجرة بئر كان مغطى بسقف.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) H.Lenzen, Architecture der Partherzeit in Mesopotamien, in: Festschrift Weickert, Berlin, 1955, pp.39-42.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

البوابات[1]

من بين الأبنية البارزة فى المعبد الكبير ثلاث بوابات فخمة، إحداها على السور الشرقى، وهى المدخل الرئيسي للمعبد الكبير، والبوابتان الأخرتان تؤديان من الصحن إلى الحرم، ولكل من هذه البوابات ثلاث فتحات أو أبواب الوسطى منها هى الكبيرة والأخريان صغيران وهما على الجانبين.

تتكون البوابة الرئيسية (ن) من أربعة أبراج مربعة مجوفة، داخل كل منها باستثناء البرج الجنوبى سلم من الحجر يؤدى إلى السطح، وتعلو الأبواب الثلاثة التى بين هذه الأبراج أقواس تقوم على دعائم ذات تيجان أيونية.

أما البوابتان اللتان تؤديان من الصحن إلى الحرم فالجنوبية منها (ك) يعلو فتحتها الوسطى قوس، ولكل من فتحتيها الجانبيتين سقف بدون قوس، وهذه الفتحات الثلاث تحتضنها قبوة واسعة ترتكز على نصفى عمودين، وهى مدعومة من الجانبين ببرجين مربعين فى أحدهما سلم يصعد إلى أعلى البوابة. أما البوابة الشمالية فهى أحدث عهدا من البوابة الجنوبية وتختلف عنها فى كون القبوة تغطى الباب الأوسط فقط (ل).

---

(١) نفس المرجع.

٢- المعبد الأول[١]

يقع إلى الجنوب من المعبد الكبير ويفصل بينهما شارع عريض. ويتألف هذا المعبد من مصلى ضيق (١٢,٧٠م × ٢,٢٠م) ينفتح فى وسط أحد ضلعيه الطوليين على خلوة بشكل إيوان (٤,٣٠م × ٤,٧٠م) يقابلها باب المعبد، وقد أضيف أمام المصلى فى وقت لاحق إيوان كبير (٦م × ٧,٣٠م) وغرف لسند قبو ذلك الإيوان من جانبيه.

ومن أبرز ما وجد فى هذا المعبد هو اللوح الذى يصور الإله نرجول (شكل ١٧٥) مما يحملنا إلى الظن بأن هذا المعبد كان مخصصا لعبادته، وقد وجد هذا اللوح مبنيا فى جدار الخلوة قرب الزاوية الجنوبية الغربية وأمامه نصب للبخور. أما فى الإيوان المضاف إلى هذا المعبد فقد وجد لوحان متجاوران (شكل ١٥١) مبنيان فى جداره الجنوبى الأولى عليها نسر وراية بالنحت البارز والثانية للإله مرن بهيئة رجل حول رأسه هالة ذات عشر شعاعات، (شكل ١٤٤،١٧٦) كما وجد أسد رابض عند ركنه الشرقى، ويرجح أن هذا الأسد هو ونظير له فى الركن الثانى كانا يحرسان مدخل المعبد.[٢] وقد شيد هذا المعبد على ارتفاع ٧٠سم فوق أساسات من الحجر.

٣- المعبد الثانى[٣]

يلاحظ أن بناء هذا المعبد كان محكما وزواياه قائمة وجدرانه مستقيمة مشيدة بألواح من الحجر، (شكل ١٧٧) ويظن أنه كان مسقوفا بقبو مشيد كذلك بألواح من الحجر.

---

(١) Hrouda, op.cit.,p.295.

(٢) D. Homs- Fredericq, Hatra et ses sculpptures parthes, Istanbul, 1963, p.25.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

ويتألف هذا المعبد من مصلى بهيئة قائمة مستطيلة أبعادها ١٦,٢م ×٥,٩٠م ينفذ إليها من باب فى وسط ضلعها الشمالى المطل على ساحة متصلة بشارع عريض يفصل هذا البناء عن المعبد الكبير، وفى وسط الضلع الجنوبى للمصلى مدخل يؤدى إلى خلوة مربعة أبعادها ٥,١٥م ×٥م. ونلاحظ أن أرضية الخلوة مبلطة بألواح من الرخام فى حين أن أرضية المصلى كانت مغطاة بالجص. وقد استحدث بابان على الضلع الجنوبى يؤديان إلى غرفتين أضيفتا إلى المعبد.

وقد عثر فى المصلى على تماثيل لآلهة من الحضر منها قرص من الرخام عليه ربه القمر (شكل ١٧٨) ونصب للبخور (شكل ١٧٩) وثلاث نسوة على لوح (شكل ١٨١) قد تمثل إلهة القمر مع سميا زوجة سنطروق الثانى، وإلهة نصف عارية بيدها كرة (شكل ١٨٠). ويستدل من هذه التماثيل أن المعبد الثانى كان مخصصا لإلهة لعلها الإلهة اترعتا التى تتواجد مع نرجول فى قصة زيارة عشتار لعالم ما تحت الأرض. ويجاور هذا المعبد مرافق لدار كبيرة ربما كانت جزءا من قصر ملكى لسنطروق الثانى أو لزوجته.

٤- المعبد الثالث والرابع[١] (معبدا بعلشمين واترعتا)

هذان المعبدان يقعان على الشارع الموازى للمعبد الكبير من جهة الغرب، وهما متجاوران وملتصقان ببعضهما، الثالث مخصص لعبادة الإله بعلشمين سيد السماوات والرابع لزوجته اترعتا (شكل ١٨٢ – ١٨٣).

والمعبدان مشيدان بطراز واحد يتألف من مصلى مستطيل الشكل فى وسط ضلعه الطويل خلوة يرقى إليها بدرجات، وفى صدر كل خلوة دكة المذبح

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٤.

كان فوقها تمثال الإله أو الآلهة، وحول أرضية المصلى دكة قليلة الارتفاع مشيدة بالجص.

وجدار المعبد الثالث مشيد بالحجر المنتظم لارتفاع نحو مترين، ثم مبنى باللبن والملاط والجص إلى نهايته، والمصلى مسقوف بقبو ينقسم إلى ثلاثة أقسام بقوسين بارزين من الداخل لسنده وتدعيمه، أما الخلوة فهى مشيدة ومعقودة بألواح من الحجر الجيرى ومبلطة بألواح من الرخام. وأبعاد المصلى ١٦,٥م ×٧,١٠م والخلوة ٢,٣٥م ×٤,٣٥م وللخلوة مدخل ذات قبو أبعاده ٢,٧٠م ×٢م.

أما المعبد الرابع (معبد اترعتا) فهو مشيد بألواح من الحجر ذات الحجم الكبير منتظمة إلى حد ما ومغطى بالجص، وتبلغ أبعاد الخلوة ٣,٨٥م × ٣,٩٠م، والمصلى ١٤,٨٠م × ٥,٩٠م وهو مسقوف بنفس أسلوب المعبد الثالث. وفي الزاوية الجنوبية الغربية من كل من المعبدين يوجد صندوق مشيد بالجص والحجارة يظن أنه كان للتخزين، ووجدت فى المعبد الثالث كوتان عند الزاوية الجنوبية الشرقية بينهما دكة بارتفاع نحو ٧٠سم. وفى أرضية هذا المعبد حوض مربع صغير من الحجر عند أول درجة للصعود إلى الخلوة. وقد وضعت أربعة تماثيل كبيرة فى مصلى هذا المعبد على رفوف، اثنان على جانبى الخلوة يقابلهما اثنان على جانبى باب المعبد.[1] التمثالان اللذان على جانبى الخلوة أحدهما لملك اسمه أتلو (شكل ١٨٥) وهو فى اليسار والثانى لملك مجهول (شكل ١٨٦) وهو فى اليمين. أما التمثالان الآخران فهما لنبيلين أحدهما اسم عبد سميا

---

(١) Homs- Fredericq, op.cit., pp.42-44.

بن ورد نب (شكل ١٨٧) والثانى مجهول الاسم (شكل ١٨٤)، وقد وجد فى هذا المعبد حصالتا نقود ونصبان للبخور مما قد يشير إلى أن هذا البناء لم يكن لبعلشمين بمفرده بل شاركته زوجته اترعتا، وقد يؤيد ذلك مشهد بعلشمين واقفا ومعه على اللوح ذاته ثلاث نسوة (شكل ١٨٨) ويحتمل أن تكون إلى جانبه الأيمن الإلهة اترعتا.

وقد وجدت في المعبد الرابع أربعة تماثيل كبيرة لفرسان وتمثال لكاهن، وبجانبه تمثال لامرأة جالسة على كرسى اسمها أبوينت جبلو (شكل ١٨٩). وليس غريبا أن تكون معظم التماثيل الكبيرة لمحاربين إذ أن الإلهة اترعتا لها نفس صفات عشتار البابلية فهى إلهة الحرب والحب. وعلى جانبى مدخل المعبد تمثالا أسد.[1] وجدير بالذكر أنه قد أضيفت إلى المعبد جهة الشمال حجرة أبعادها (٦,٢٥م × ٤,٢٥م). مدخلها من الشارع، ويبدو أنها كانت مكانا لتخزين أثاث المعبد.[2]

٥- المعبد الخامس[3] (معبد أشربل)

يتكون هذا المعبد بالإضافة إلى المصلى والخلوة من فناء كبير على جانبه الشمالى صف من الأواوين وعلى جانبه الجنوبى مصلى صغير ووراء مجموعة من الغرف (شكل ١٩٠).

ونجد أن المدخل الرئيسي لهذا المعبد ذو بابين متقابلين خارجى وداخلى، وهذا المدخل يفضى إلى الفناء عند زاويته الشمالية الشرقية من ساحة متصلة بشارع عريض يصل بين البوابة الشمالية للمدينة وبين المعبد الكبير.

---

(١) F. Sarre, Parthian Art, London, 1938, pp.404-410.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٣) نفس ٣٥٥. المرجع، ص ٣٥٦.

ومصلى معبد أشربل مستطيل الشكل أبعاده ٢١م × ٧,٩٠م وهو ذو خلـــوة مربعة ٥,٩٠م × ٥,٩٠م يرقى إليها بأربع درجات وهـــى تحتـوى علـــى منصة الإله أشربل، وأمامها دكة للبخور. ويدخل الزائر إلى المعبـــد مـــن خلال ثلاثة أبواب أكبرها الذى فى الوسط، وعلى جانبى هذا الباب برجـــان بينهما ثلاث درجات تؤدى إلى المصلى، وتلاصق البرجين قاعدتين لأسدين يقومان بحراسة المعبد. ونلاحظ أن المصلى جدرانه مشـــيدة مـــن الحجـــر المنتظم وسقفه قبو مبنى بكسر من الجص والحجر، وأرضيته مبلطة بـألواح من الرخام وحولها دكة ارتفاعها ١٦سم فقط. أما الخلوة فجدرانها وقبوتـــها مشيدة بألواح الحجر ومبلطة بألواح الرخام.

وقد اكتشف فى هذا المعبد إفريز مصور عليه بالنحت البارز مشـــهدا[1] فى وسطه الكاهن الأكبر نصرو الذى يعزى إليه بناء هـــذا المعبـــد، وهـــو مضطجع ومتكئ على وسائد وفى يده كأس وأمامه يقف شاب اسمه ولجـــش (شكل ١٩١). وقد وجدت فى هذا المعبد تمثالان كبيران لمحارب وكـــاهن، وكذلـــك تمثـــالان للأمـــيرة دى شـــفرى وابنتـــها ســـمى (شـــكل ١٩٢) على يسار الخلوة، وتمثالان للكاهن بدا (شكل ١٩٣) ومحـــارب مجـــهول الاسم كانا على يمين الخلوة (شكل ١٩٤).

أما الجدار الشرقى للمصلى فقد وجد بجانبه تمثالان لمرتبو (شـــكل ١٩٥) وقيمى (شكل ١٩٦).

وهذا لم يعثر على أصنام لآلهة فى المصلى ولا فى الخلوة، ولكنها وجـــدت فى حجرة تقع فى الجانب الجنوبى للمعبد حيث وجدت لوح للإلهـــة الـــلات واقفة على ظهر أسد بين فتاتين (شكل ١٩٧) ويظن أن هذه الآلهـــة كـــانت

---

(١) Schlumberrger, op.cit., p. 66.

تعرف فى هذا المعبد باسم أشربل أى "فرحة بل ". كذلك عثر على تمثال لإله مجهول الاسم محاط بنسرين وبالإلهة نيكى حارسة المدينة (شكل ١٩٨) وكذلك تمثال للإله نرجول فى هيئة هرقل.(١)

٦- المعبد السادس(٢)

يقع هذا المعبد فى شمال المدينة، وهو مستطيل الشكل ١٣م × ٢٥,٢٠م، ويختلف تصميمه (شكل ١٩٩) عن باقى المعابد الأخرى، ويضم قاعة مستطيلة ١٠,٧م × ١٥م، تفضى من كل من جانبيها العرضيين إلى حجرتين. وللمعبد بوابة ضخمة فى وسط الضلع الشرقى تقوم أمامها سقف من أربعة أعمدة، ويصعد الزائر إلى المعبد على أربع درجات، وتقابل باب المصلى خلوة على شكل محراب، ويوجد فى مقدمة هذه الخلوة قاعدة لصنمين جالسين لإله وإلهة مجهولين (شكل ٢٠٠ - ٢٠١).

وقد وجد فى المصلى تمثالان كبيران من الرخام أحدهما لكاهن على الجانب الأيسر من الخلوة وأمامه حصالة نقود (شكل ٢٠٢) والثانى على يمين الداخل إلى المصلى ويظن أنه لصيرفى يده كيس للنقود(شكل ٢٠٣)، ومن المحتمل أن هذين الشخصين كانا هما المسئولان عن بناء المعبد. وأمام المعبد فناء واسع يصعد منه إلى السطح بسلم مشيد من الخارج ملتصق بالجدار الشمالى للمصلى، ومن هذا الفناء يدخل إلى الحجرة الواقعة فى جنوبى المعبد.

---

(١) E.Will, Aart parthe et Art grec, Paris, 1959, pp.39-42.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

٧- المعبد السابع[1] (معبد نرجول)

وهو عبارة عن مبنى مستطيل الشكل أبعاده ١٤,٢٥م ×٧,١٥م، (شكل ٢٠٤) والملاحظ أن جدار هذا المعبد سميك للغاية إذ يبلغ سمك الجدار ١,٧٥م. هذا ويحيط بالمصلى من الداخل مصطبة صغيرة تعلو عن الأرضية بنحو ١٢سم وعرضها ١,١٠م. وخلوة هذا المعبد صغيرة أرضيتها تعلو بمقدار ٩١سم عن أرضية المصلى، ويرقى إليها بسلم جانبى من ثلاث درجات وأما الخلوة قاعدة لأصنام هذا المعبد، وفى وسط المصلى حوض صغير من الحجر مستطيل الشكل.

وللمعبد باب واحد له عضادتان مزخرفتان، وعلى جانبى الباب من الخارج برجان كبيران لكل منهما تاج وقاعدة منحوتة، ويوجد درج يؤدى إلى السطح فى الزاوية الشمالية الغربية من الخارج. وقد شيدت جدران هذا المعبد بالحجر الغير منتظم والجص حتى ارتفاع ٢م فى حين أكملت جدرانه باللبن والجص عدا الباب والخلوة فهما مشيدان بالحجر.

وداخل هذا المعبد وجدت ثلاثة تماثيل لهراكليس (نرجول) واحد منها بالحجم الطبيعى (شكل ٢٠٥) وبالقرب منه تمثال لسيدة يظن أنها زوجته (شكل ٢٠٦) ومن المعتقد أن هذا المعبد كان مخصصا لعبادة هراكليس حيث وجد لوح (شكل ٢٠٧) عليه صورة هراكليس وأمامه شخص يقدم البخور، وكذلك وجدت حصالة نقود (شكل ٢٠٨) مزينة بثلاثة من بطولات هيراكليس وهى صراع هيراكليس مع الكنتاور ومساعدة الإلهة أثينا لهيراكليس فى هذا الصراع، وقضاء هيراكليس على أسد نيميا.[2]

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٥٩.

(٢) F. Brommer, Herakles. Die zwölf taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979, pp.7-11.

٨- المعبد الثامن[1]

ويتميز هذا المعبد (شكل ٢٠٩) بوجود بيتان للأصنام أحدهما وهو القديم موجه إلى الشرق، وقد وجد على بابه إفريز عليه نقش يرجع إلى عام ٤٠٩ من التقويم الحضري أي ٩٨ ميلادية، ويتكون هذا المعبد من مصلى مستطيل ١٣,٥م × ٥,٣٥م مشيد باللبن والطين فوق أساس من الحجارة، وفي وسط ضلعه الغربي خلوة بشكل محراب صغير معقود بالحجر، وترتفع أرضيته بـ٩٥ سم عن أرضية المصلى. وقد عثر في هذا المعبد على وجهين من النحاس وعلى أجزاء من تمثال صغير لهيراكليس (شكل ٢١٠) وهو الإله نرجول الذي خصص له البناء القديم.

أما بيت الأصنام الجديد فهو متجه إلى الشمال ويحتوى على مصلى في كلى من جانبيه حجرتان، وهو يشبه في ذلك المعبد السادس. والمصلى مستطيل الشكل أبعاده ١٤ ×٩,٢٥م مستوفى بثلاث قبوات، وللمصلى باب متسع محاط ببرجان يحملان عقد، أما الخلوة فهي كبيرة نسبيا أبعادها ٣م ×٣م لها باب يرتقى إلى عتبته بثلاث درجات، وأرضيتها مبلطة من الرخام، وفوق باب الخلوة يوجد إفريز يعلوه قوس من قطع من الحجر مزينة بتماثيل نصفية بارزة (شكل ٢١١)، ويظهر في وسطه نسر أمامه راية وعلى القطع التي في اليمين ملك وأمير وقائد وآمر للعلم واسمه عبد سميا، وعلى القطع إلى اليسار هيراكليس وثلاثة وجهاء من مدينة الحضر.

وعدا الباب والخلوة المشيدين بألواح من الحجر فإن جدران المعبد من فوق ارتفاع متر واحد مشيدة باللبن والجص وكذلك قبوات السقف، أما أرضية المصلى فهي مبلطة بالجص.

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

وقد وجد فى هذا المعبد الكثير من اللقى الأثرية ومنها سبعة تمـــاثيل مــن الرخام الأبيض تمثل آلهة الكواكب السبعة التى خصص يـــوم مــن أيــام الأسبوع لعبادة كل منها (شكل ١٥٠) ووجدت كذلك نماذج مصغرة لمعـــابد (شكل ٢١٢) ولوح عليه مجمع الآلهة وبما أن المعبد كان خاليا من تمثـــال كبير يمثل الإله الذى شيد من أجله، فإننا نقـــترح أن يكــون هــذا المعبــد مخصصا للآلهة السبعة للكواكب.[1]

٩- المعبد التاسع[2]

يقع هذا المعبد (شكل ٢١٣) على بعد نحو ٢٠٠م جنوب المعبد الكبير، وهو يتجه نحو الشرق وأمامه ساحة مستطيلة تفضى إليــها شــوارع مــن اتجاهات مختلفة.

والمعبد مستطيل الشكل مساحة مصلاه ١٩م × ٦,٧م وللمعبد ثلاثة أبــواب، يقع الأوسط منهما بين برجين وله إفريز وكورنيش، وعلى كل منهما اســم مقيم شمش الذى يعزى إليه بناء المعبد. وتقع خلوة المعبـــد قبالـــة البـــاب الأوسط للمصلى وبها دكة على جدارها الغربي ترتفع ٥٥سم عن الأرضيـة وضع عليها لوح من الرخام منقوش بكتابة مؤرخـــة بعــام ٤٧٦ بــالتقويم الحضرى وتشير إلى تأسيس هذا المعبد عن طريق عبد مليك بن وهوبا هـو وابنه عقوب شمش فى عام ١٦٥ ميلادية. وقد وجد فى هذا المعبد لوحـــان على أحدهما صورة عبد مليك وزوجته جذوة (شكل ٢١٤) وعلـــى اللـــوح الثانى صورة لابنه عقوب شمش.

---

(١) ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٨.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٢.

وبعد ذلك بنحو ٢٢ عاما وضع ابن ثان لوهوبا واسمه عبد ســـميا لوحـة عليها رايتان ونسر (شكل ٢١٥) وكتابة مؤرخة بعـــام ٤٩٨ حضريـــة أى عام ١٨٧ ميلادية.

ويلاحظ من مكتشفات هذا المعبد أنه قد مر بثلاث مراحل عبدت فيـــها آلهة مختلفة، فقد وجد تمثالان كبيران أحدهما للإله هيراكليس (شـكل ٢١٦) والثانى للإله سول إله الشمس عند الرومان، وعثر كذلـــك علـــى نصـــب للبخور، وكل هذه القطع الثلاث عليها كتابات باللغة اللاتينية، مما يؤكـــد أن هذا المعبد قد اتخذته للعبادة مجموعة من جنود الجيـــش الرومـــانى الـــذى عسكر فى مدينة الحضر فى عهد الإمـــبراطور جورديـــان (٢٣٨-٢٤٤م) وذلك لنجدة أهالى الحضر من غزو الساسانيين للعراق وكذلك وجدت أربعة تماثيل أخرى للبطل هيراكليس. ويحتمل أن هذا البناء كـــان فـــى البدايـــة مكرسا لعبادة الشمس[١] أقامه مقيم ـــ شمش تيمنا بهذا الإله الـــذى يكـــون جزءا من اسمه، ثم وضعت فيه تماثيل لهيراكليس فى زمن التشييد الذى قام به مليلك، وبعد ذلك وضع عبد سميا أخو عبد مليلك لوحة الرايتين والنســـر رمزا للإله الشمس، وأخيرا اتخذ الرومان هذا المعبد مكانا لعبادة الشـــمس وهيراكليس.[٢]

١٠-المعبد العاشر[٣] (معبد نرجول)

يقع هذا المعبد (شكل ٢١٧) على نحو ٦٠٠ متر من المعبـــد الكبـــير ناحية الغرب، ويتجه هذا المعبد إلى الشرق، وأمام المعبد ســـاحة متســـعة تتصل بشارع عريض يمتد من الشرق إلى الغرب. وتبلغ أبعاد المصلى فـــى

---

(١) ديلابورت، المرجع السابق، ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) D. Sourdel, Les cultes du Hauran A L'Epoque Romain, Paris, 1952, p.29.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٤.

هذا المعبد ٢٣,٦م × ٧م وهو مستطيل الشكل فى حين أن خلـوة المعبد مربعة الشكل ٤ × ٤م. ولهذا المعبد ثلاثة أبواب الأوسط منها يقع بين برجين كبيرين كانا يحملان عقد ذات سقف أمام الباب، ويوجد سلم فى الجدار الغربي من الخارج يؤدى إلى سطح المعبد. وقاعة المصلى ذات سقف قبوى مقام على عقد، وللخلوة قبة صغيرة. وجدير بالذكر ان هناك حجرتان قد أضيفتا على الجدار الجنوبى وأخرى بجوار الخلوة من الجنوب. وداخل الخلوة مذبح يرتفع عن الأرضية ٣٣سم ومدخل الخلوة عرضه ١٢٠سم مقام على إفريز به كتابة تحدد بناء هذا المعبد فى عصر نصر مريا (١١٥-١٣٥م).

ويستدل من الآثار التى اكتشفت فى المعبد أنه كان مخصصا لعبادة نرجول مصورا بهيئة هيراكليس (شكل ٢١٨- ٢١٩). وعلى جانبى مدخل الخلوة تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الأول (شكل ٢٢٠) والثانى لشاب يظن من ملبسه أنه كان ملكا.

١١-المعبد الحادى عشر(١)

يقع هذا المعبد (شكل ٢٢١) على بعد ٣٠٠م من الجانب الغربي للمعبد الكبير، وهو موجه نحو الجنوب وأمام المعبد ساحة واسعة واقعة في حى سكنى ربما كان البعض من منازله مخصصة لكهنة وخدام المعبد. ولهذا المعبد باب واحد متسع على جانبيه برجان. ويتخذ كل من مصلى هذا المعبد والخلوة الشكل المستطيل إذ يبلغ أبعاد المصلى ١٧,٥م × ٦,٣٠م وأرضيته مبلطة بالحصى تحيط بها مصطبة صغيرة عرضها ١١٠سم وارتفاعها ١٤سم، وأبعاد الخلوة تبلغ ٤,٢٦م × ٣م وهى مبلطة بالرخام وتعلو أرضيتها ٢٢سم عن أرضية المصلى.

(١) نفس المرجع، ص ٣٦٦.

وفى صدر الخلوة دخلة فى الجدار أمامها دكة واسعة يرقـى إليـها ثـلاث درجات، وأمام هذه الدكة مذبح كبير ذو حافة مستديرة وفوق الدكة قـاعدة لتمثال. وقد وجدت داخل الخلوة أجزاء من تمثال كبير لهيراكليس وأجـزاء أخرى لربه جالسة على كرسى مما يرجح أن هذا المعبد كان مكرسا لعبـادة الإله نرجول وزوجته.

وكذلك عثر فى المصلى على تمثالين كبيرين أحدهما للملك سنطروق الثانى (شكل ٢٢٢) والآخر لمتعبد مجهول الهوية بيده سعف نخيل.

وعلى الجانب الشرقى لباب المصلى وجد تمثـالان آخـران مـن الرخـام أحدهما لكاهن اسمه دقفا (شكل ٢٢٣) والثانى لعبد عجيلو بن الكود.

أنظر مخططات المعابد وبعض مكتشفات مدينة الحضر في الأشـكال مـن (٢٢٤ - ٢٣١).

آثار منطقة الأردن

الإطار الجغرافي

يقع الأردن في قلب العالم العربي وتشترك حدوده مع سورية من الشمال والعراق من الشرق وفلسطين من الغرب والمملكة العربية السعودية من الشرق والجنوب، وهو مقسم جغرافياً إلى ثلاثة مناطق:

١- المنطقة الأخدودية ٢- الهضبة والجبال ٣- الصحراء

يمتد الأخدود الذي يبلغ طوله نحو ٤٢٨كم من بحيرة طبريا في الشمال حتى خليج العقبة في الجنوب. ويتكون من وادي الأردن والبحر الميت ووادي عربه، ويمتد نهر الأردن من بحيرة طبريا حتى البحر الميت وهو أشد بقاع العالم انخفاضاً إذ ينخفض ٣٩٢متراً عن سطح البحر. أما الهضبة والجبال فتمتد من سورية شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً، ويتكون من صخور كلسية في الشمال ورملية في الجنوب وخاصة في البتراء ووادي رم. وتغطي الصحراء أكثر من ثلثي مساحة الأردن الكلية، وهي منطقة مستوية تنتشر فيها بعض التلال والواحات.

مقدمة تاريخية

كانت منطقة الأردن تخضع للحكم الفارسي منذ عام ٥٤٩ ق.م وحتى قدوم الإسكندر الأكبر حيث عين الفرس حاكماً عاماً للمناطق العربية التابعة لإمبراطوريتهم وألحقوا الأردن وفلسطين بإدارته.

استوطن الآدميون جنوب فلسطين حوالي عام ٥٠٠ ق.م استيطاناً تاماً حتى عرفت فيما بعد باسم بلاد آدوم Idumea.(١)

(١) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

أ- الفترة الهللينستية

بعد استيلاء الإسكندر الأكبر على منطقتي الأردن وفلسطين خلال حملته التي قادها إلى مصر في عام ٣٣٣ ق.م. وبعد وفاة الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق.م آلت مصر وفلسطين والأردن وسورية الجنوبية إلى حكم بطلميوس أحد قادة الإسكندر الذي اتخذ من مصر مقراً لحكمه وجعل الإسكندرية العاصمة.(١)

في هذه الأثناء كان الأنباط قد وطدوا حكمهم في آدوم وجعلوا عاصمتهم البتراء، ونتيجة لدخولهم مضمار التجارة أصبح ثراءهم واضحاً مما دفع أنتيجونوس حاكم سورية إلى إرسال جيش لمهاجمتهم في عام ٣١١ ق.م حيث تمكن من الاستيلاء على العاصمة وانشغل جنوده في جمع الغنائم، إلا أن القائد اليوناني أهمل اختيار موضع مناسب يعسكر فيه، فهاجمه الأنباط وسحقوا الجيش اليوناني. وقد قام اليونانيون بمحاولة أخرى بعد ذلك ولكن الأنباط تمكنوا من الاتفاق مع القائد ديمتروس وتقديم مبلغ من المال مقابل تحقيق السلام في هذه المنطقة.(٢)

كان الجزء الشمالي من سوريا من نصيب سلوقس أحد قادة الإسكندر الأكبر، ولكن هذا القائد لم يقنع بنصيبه فاستولى على الأردن دون مقاومة، مما جعل بطلميوس الثاني في عام ٢٨٤ ق.م ينهض لكي يصحح الوضع فغزا عمون واستولى عليها إلا أنه لم يحاول أن يتعرض للأنباط.(٣)

وجدير بالذكر أن الحضارة اليونانية قد قوبلت بترحيب بالغ في الشرق الأدنى لذا نرى كثيراً من المدن الجديدة التي أخذت تنشأ في منطقة الأردن

---

(١) M Grant, Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach,1984, pp.58-60

(٢) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣) نفس المرجع، ص ص ٦٢-٦٣.

وكذلك نرى تجديدات عدة في المدن القديمة لكي تشتمل على عناصر مـــن الفنون وأساليب المعمار اليونانية، بل أن هذه الحضارة اليونانية امتدت إلـــى بلاد الأنباط وأثرت فيها لدرجة أننا نلمس في هذه الفترة تطوراً فـــي فـن العمارة عند الأنباط. ويتجلى هذا التأثر في ظهور القطع النقدية المســكوكة على الطراز اليوناني.(١)

وقد أطلق على مدن كثيرة أسماء جديدة تكريماً لليونانيين الذين جــددوا بناءها، كمدينة عمان التي صار اسمها فيلادلفيا نسبة إلى الملــك البطلمــي بطلميوس الثاني الملقب بفيلادلفوس، وجرش التي صار اســمها أنطاكيــة، وقد بلغت هذه المدن حداً كبيراً من الرخاء والمد الحضـــاري فـــي خـلال القرنين الثالث والرابع الميلادي إبان حكم الرومان لها.(٢)

ومما ساعد على استمرار المد الحضاري في المنطقـــة أن جميــع أقطــار الشرق الأدنى قد اتخذت اللغة اليونانية لغة رسمية لها فأصبحت هذه اللغـــة لغة الطبقة المتحضرة.(٣)

وقد تمكن الأنباط من توسيع مملكتهم إلـــى الشــمال نتيجــة للعــداء المستحكم بين البطالمة في مصر و السلوقيين في سورية. وكـــان الأنبــاط يؤيدون السلوقيين ضد البطالمة. ومن خلال معاهدة عقدت بين الســـلوقيين والبطالمة في عام ١٩٧ ق.م احتفظ الملك أنتيجونـــوس الثـــالث بفلســطين وسوريا والأردن.(٤)

---

(١) A Sp?kerman, The coins of the decapolis and province Arabia, Jerusalem, 1978, pp.96-99.

(٢) G L. Harding, The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974, p. 48.

(٣) F.K Walbank, Die hellenistische Welt, München, 1983, p.54-56

(٤) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ١٠٩.

وخلال حكم هذا الملك تمكن شخص يهودي من فلسطين اسمه هركـــانوس Hyrcanus[(١)] من إنشاء دولة صغيرة في أراضي عمون جعـل مركزهـا في خربة (عراق الأمير) إلى الغرب من عمان، وقـد سـيطر هركـانوس على المنطقة المجاورة حوالي اثني عشر عامـاً، ممـا اضطـر أنتيوخوس الرابع إلى إرسال حملة عسكرية للقضاء عليه. ونتيجة لهزيمة هركانوس فقد عمد إلى الانتحار في عام ١٧٥ ق.م.[(٢)]

على أن الأوامر التي أصدرها أنتيوخوس الرابع ضد اليهود ـــ في هـذه الأثناء ـــ دفعـت هـؤلاء إلـى القيـام بثـورة قادهـا يـهوذا المكـابي Judas Maccabeus الذي استطاع خلال سنوات متتالية ١٦٧-١٦٥ق. م أن يلحق الهزيمة بأربعة جيوش أرسلها أنتيوخوس لسحق ثورته. وحـانت الفرصة ليهوذا حين توفى أنتيوخوس الرابع في عام ١٦٤ ق.م، حيث بـدأ في توسيع دولته، ـــ فغزا أراضي عمون ولكن العمونيـون قـاوموا هـذا الغزو بقيادة زعيم يدعـى تيموثيـوس Timotheus ولكنـهم هزمـوا وتراجعوا إلى جلعاد لمواصلة القتال، ولكن يهوذا هاجمـهم مـرة أخـرى وألحق بهم الهزيمة في أشتوث قرنـايم Ashtoreth karnaim وسـقط تيموثيوس قتيلاً في هذه المعركة.[(٣)]

---

(١) يحتمل أن يكون أحد أعضاء أسرة الطوبيين الذين حكموا عمون فترة طويلة من الزمن قبل دخول الإسكندر الأكبر للمنطقة.

(٢) Joephus, Der Jüdische Krieg (übers. H. Endrős), München, 1980, XII, 4,3.

(٣) F R. Scheck, Jordanien Vőlker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont verlag, Kőln, 1987, p.36.

وفي عام ١٦٣ ق.م تقدم جيش سوري آخر فألحق الهزيمة باليهود، تبعه بعد ذلك في عام ١٦١ ق. م جيش آخر هزم اليهود هزيمة تامة بعد اعتصامهم في مدينة أربيلا (إربد الحالية).(١)

وخلال كل هذه الأحداث فقد احتفظ الأنباط باستقلالهم ونجحوا في توسيع مناطق نفوذهم حتى دمشق، وظلوا يسيطرون على هذه المنطقة حتى عام ١٠٦ق.م، وكان أول من حكم هذه المملكة بعد توسعها الملك النبطي الحارث الثالث Aretas III (٨٧-٦٢ ق.م) الذي لقب بالمحب للهللينية ولكن يبدو أن الأنباط لم يسيطروا سيطرة مباشرة على الجزء الغربي من الأردن، ومع ذلك فإن أحجار البناء الضخمة التي عثر عليها في جرش منحوتة على طراز "خطوة الغراب" النبطية بالإضافة إلى الكتابات النبطية التي تشير إلى نفوذ وتأثير الأنباط في هذه المنطقة.(٢)

ب- الفترة الرومانية البيزنطية

في أثناء القرن الأول ق.م كان نفوذ وقوة روما يزداد تدريجياً، وقد توسعت الإمبراطورية الرومانية في الشرق حين فتح بومبيوس بلاد الشام (سوريا وفلسطين) في عام ٦٤ ق.م وفي شرقي الأردن ساعد بومبيوس على إعادة تعمير المدن اليونانية التي خربها اليهود ووضع أسس الحلف التجاري المعروف باسم الديكابوليس Decapolis (أي حلف المدن العشر). وكان هذا الحلف في الأصل مؤلفاً من سكاثيوبوليس (بيسان)، بيلا (طبقة فحل)، هبوس (فيق)، دمشق، ديون (غير معروفة)، كاناثا (قنوات)

(١) I. Browning, Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982, p 27.

(٢) Harding, op.cit., p. 49.

جرش، فيلادلفيا (عمان). وقد أضيفت مدن أخرى فيما بعد إلى هذا الحلف هي أربيلا (إربد) كابيتولياس (بيت رأس) أدرعى (درعا) وبصرى.[(١)]

وقد احتفظت البلاد بالاستقلال التام، ولكنها كانت تدفع الضرائب إلى الخزانة الإمبراطورية، وقد دفع الأنباط مبلغاً من المال حتى يستمر استقلال مملكتهم، ولكن لم تظل هذه التنظيمات قائمة بعد رحيل القائد الروماني بومبيوس.[(٢)]

وفي عام ٤٠ ق.م عين هيرودوس الأكبر ملكاً على اليهود بمساندة ماركوس أنطونيوس، وكلن هذا التعيين يتضمن بعضاً من الإشراف على شرقي الأردن.

وحينما بدأت النزاعات تدب بين الأنباط وماركوس أنطونيوس هاجم هيرودوس الأنباط وهزمهم وأخرجهم من الجزء الشمالي من مملكتهم. وعند وفاة هيرودوس عام ٤ ق.م كان النفوذ الروماني قد غطى كل المنطقة حيث قسمت الأردن إلى ثلاث مناطق، ففي الشمال كان حلف الديكابوليس المستقل في شئونه الداخلية، وفي الوسط كانت مملكة بيريا (من الزرقاء إلى الأرنون باستثناء عمان) وكانت خاضعة لمملكة اليهود الصغيرة في فلسطين، أما في الجنوب فكانت مملكة الأنباط المستقلة.[(٣)]

وظلت البلاد تحت حكم الرومان فترة عاصرت فيها كثيراً من الهدوء في ظل حكم الرومان الحازم، حتى جاء عام ٦٤م (خلال حكم الإمبراطور نيرون) حين أرسل الملك النبطي مالك الثاني Malichus II جيشاً

---

(١) H. Bietenhard, Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfu 1963, pp. 40 -50.

(٢) Harding, op.cit., p. 50.

(٣) Browning, op.cit.,p.30

لمساعدة الرومان ضد اليهود، ولجأ كثير من اليهود إلـــى موقـــع يســمى ماخيروس ولكن الرومان هدموا الموقع وقتلوا أفراد الحاميـــة.(١) وأخــيراً فقدت مملكة الأنباط استقلالها أيضاً عام ١٠٦ م فـــي عـــهد الإمــبراطور تراجان، وأصبحت شرقي الأردن كلها خاضعة للحكم الروماني، وألحقـــت جميع البلاد فيما عدا الديكابوليس ــ بمقاطعة جديدة أطلق عليها اسم البتراء العربية Arabia Patera وكانت عاصمة هذه المقاطعة مدينة البتراء.(٢)

ومن أعظم الإنجازات التي قام بها الرومان في شـــرقي الأردن شــق طريق تراجان العظيمة فيما بين ١١١-١١٤ م وكانت هذه الطريق تصـــل العقبة على البحر الأحمر ببصرى ودمشق في الشمال. وســـميت "طريــق تراجان الجديدة". وما تزال بعض التحصينات التي شيدها الرومان لحمايـــة هذه الطريق وقوافلها قائمة حتى الآن في أذرح واللجــون وكذلــك أعمــدة المسافات التي لا تزال في مكانها على طريق وادي الموجب.

واستمر مستوى الأمن العام والرخاء أفضل بكثير ممـــا كـــان عليــه فـــي الأوقات الماضية، ولم يكن يعكر صفو الحياة على فترات متقاطعة ســـوى الدسائس والاغتيالات بين أباطرة الرومان. وكذلك محاولات بعض حكـــام الأقاليم الصغيرة من أجل الحصول على الاستقلال.

وخلال القرنين الثاني والثالث أخذت القرى والمدن تؤسس وتنمو في جميــع أنحاء البلاد وارتفع مستوى الحضارة والفن المعماري إلى درجة عالية.(٣)

---

(١) Harding, op.cit., p.50.

(٢) B i etenhard, op.cit.,p 106.

(٣) K.Christ, Das römische Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer antiken Grossmacht, Freiburg, 1973, pp. 202-204

وخلال كل هذه التطورات كانت قوة عظيمة وهي المسيحية تتغلغل في البلاد، وفي عهد الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها الإمبراطور ثيودوسيوس عام ٣٩٥ م أنشئ في البلاد عدد كبير من الكنائس. ولكن تسببت الطوائف المسيحية المتنازعة في حدوث الكثير من التصدعات في الإمبراطورية، وكذلك المنازعات الطائفية.(١)

وقد تحين الفرس هذه الفرصة وأخذوا يظهرون نشاطاً في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، فهاجموا بعض المقاطعات الشرقية واستولوا عليها في عام ٦١٤م، ومن ضمنها جانب من شرقي الأردن، ونهض الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) لمحاربتهم وتغلب عليهم، ولكن الفتح الإسلامي توغل في الأردن واستولى عليها في ٢٠ أغطس عام ٦٣٦م على يد القائد خالد ابن الوليد بعد انتصار القوات الإسلامية في معركة اليرموك.(٢)

---

(١) Harding, op.cit., p.50

(٢) F. Taeschner, Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964, pp. 16 – 17.

آثـــار الأردن

عمــان Amman

مقـدمة تــاريخيــة

عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية الحالية، قد سُكنت في عصور ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. وتدل التنقيبات الأثرية التي أجريت حديثاً في موقع عين غزال شرقي عمان على أن تاريخ هذا الموقع يعود إلى العصر الحجري الحديث.(١)

وقد أطلق الملك البطلمي الثاني (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) الملقب بفيلادلفوس اسم فيلادلفيا على عمان. وكانت فيلادلفيا تشكل جزءاً هاماً في مملكة الأنباط التي حكموها لفترة طويلة قبل خضوعها لحكم الرومان. وأصبحت عمان في العصر الروماني في عام ٦٣ ق.م مدينة أساسية في الحلف التجاري المعروف بحلف المدن العشر "الديكابوليس"، (شكل ٢٣٢) وفي عام ١٠٦م انضمت إلى المقاطعة العربية الرومانية.

كانت عمان مقراً للأسقف في العصر البيزنطي، ولا تزال إحدى الكنائس التي شيدت في هذه الفترة قائمة حتى الآن في قلعة عمان.(٢)

آثـــار مـــدينة عمـــان

١- الفوروم (السوق الرومانية)

استغل المهندس الروماني الاتساع الطبيعي للتل عند تصميمه للسوق في عمان بحيث قام بتغطية مجرى النهر الصغير وقام بتوسعة المكان

(١) نظمية رضا توفيق، الأردن، بلويجراف، إيطاليا، ١٩٨٨، ص ٦.

(٢) نفس المرجع.

بحيث لا يطغى مستوى المياه عند الفيضان على الفوروم وعلـى الشـارع الطولي في المدينة.[١]

والفوروم في شكله الحالي غير تقليدي ويتخذ شكل شـبه المنحـرف، ويحيط بهذه الساحة الكبيرة صف من الأعمدة من جهات ثلاثة يكـون مـا يشبه بطريق الأعمدة أو صالات الأعمدة. وتبلـغ مسـاحة هـذه السـوق متضمنة مساحة المدخل في مدينة فيلادلفيا أكثر من ٧٦٠٠ مـتر مربـع، وهي بذلك تعتبر من أكبر وأضخم الأسواق الرومانية المعروفة في العـالم الروماني (شكل ٢٣٣).

ويبلغ طول الضلع الشرقي ٥٠ متراً، والغربي ٤٨ مـتراً أمـا فـي الجنوب فيبلغ طول الضلع ما يقرب من مائة متر. ويسـير هـذا الضلـع الجنوبي أمام البناء الضخم الخاص بخشبة المسرح، وأعمدة هـذا الضلـع على الطراز الكورنثي وما زال جزء من الأرشتراف واضحاً فـوق هـذه الأعمدة.[٢]

وجدير بالذكر أن شارع الأعمدة في العصر الهللينستي وكذلك في العصـر الروماني كان يمثل محور رئيسي للحياة التجارية في المدينة هذا إلى جـانب وظيفته السياسية والفكرية والدينية. ومن المدهش أننا لا نجد فـي محيـط السوق الرومانية في فيلادلفيا أية أبنية مدنية، مما يؤكـد أن وظيفـة هـذه السوق لم تكن تجارية بالدرجة الأولى بل كـان هـذا الموقـع مخصصـاً للأنشطة السياسية والرسمية. ويرجع بناء هذه السوق إلى نفس الفترة التـي بنى فيها المسرح والأوديون ـــ أي إلى القرن الثاني الميلادي.[٣]

---

(١) Scheck, op.cit., p.93

(٢) H. Seyrig, Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959, p.55.

(٣) Scheck, op.cit., p. 95.

٢- مسرح عمان (شكل ٢٣٤ – ٢٣٦)

يعتبر مسرح عمان من أهم الآثار الرومانية في الأردن وهو من أحسن المسارح اليونانية الرومانية في العالم العربي ولكنه لم يكن أضخمها. وقد قام الفخراني بعمل حفائر في هذا المسرح في عامي ١٩٦٦-١٩٦٧، ومسرح عمان مكون من ثلاثة طوابق مبنية داخل التل وهو بذلك من أكبر المسارح في الأردن.(١)

ويؤرخ هذا المسرح في العصر الأنطونيني حسبما يقول النقش الموجود في واجهة خشبة المسرح. ويؤكد ذلك طراز الزخرفة المستخدم في المسرح حيث يرجع إلى منتصف القرن الثاني الميلادي.(٢)

ولا يدل شكل هذا المسرح على الطراز الروماني، ولكنه يحمل نفس السمات اليونانية خاصة في موقع البناء في بطن الجبل. ومن ناحية أخرى يتكون جسم المسرح من شكل نصف دائري إذ يبلغ قطره ١٠٢ متر.(٣) ويوجد ممران أفقيان Diazoma يفصلان بين الثلاثة طوابق المكونة لأماكن الجلوس Auditorium التي تتكون من ٤٤ صفاً موزعة من أسفل إلى أعلى حيث يتكون كل من الطابقين الأول والثاني من ١٤ صف من المقاعد أما الطابق العلوي فيتكون من ١٦ صف من المقاعد. وفي أعلى الطابق الثالث العلوي يوجد ممر أفقي مبني من الحجر.

---

(١) Harding, op cit., pp. 67-68.

(٢) Scheck, op.cit., p.97.

(٣) F. El Fakharani, Das Theater von Amman in Jordaniens, in. Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378-379, Abb.1.

ويشبه مسرح عمان في ذلك مسرح مدينة بصرى في الشام الذي يتكون هو الآخر من ثلاثة طوابق. وكذلك فهو يشبه في طرازه الفريد مسرح دوجـــا Dougga في تونس ومسرح بومبي في روما.(١)

وجدير بالملاحظة أن درجة الميل في الطـــابق الأول والثـــاني مـــن الأوديتوريوم تسير بنفس الزاوية في حين أن مدرجـــات الطـــابق الثـــالث العلوي تميل بدرجة أقل، وهذه خاصية هندسية كان الهدف منـــها تحســـين الرؤية من الطابق الثالث وكذلك زيـــادة وضـــوح الصـــوت القـــادم مـــن الأوركسترا وخشبة المسرح، ورغم حجـــم هـــذا المســـرح الكبـــير إلا أن الصوت مسموع بوضوح في أي جزء منه.(٢)

ويقسم مدرجات الطابق الأول والثاني ثمان ممرات رأسية Paradoi تســير كلها في نفس الاتجاه، في حين أن ممرات الطابق العلـــوي تـــأخذ اتجاهـــاً مختلفاً حيث يقع كل ممر من ممرات الطابق العلوي في منتصف مدرجـــات الطابقين الأول والثاني، وتقسم هذه الممرات أماكن الجلوس إلى مســـاحات مخروطية الشكل.(٣)

ويتطابق اتجاه بناء مسرح عمان مع ما ورد عند فيتروفيوس من حيث أن اتجاه المسرح يجب ألا يكون ناحية الجنوب ولكن ناحية الشمال وعلـــى الأخص ناحية الشمال الغربي، وهو بذلـــك يتشـــابه مـــع مســـرح مدينـــة هيركولانوم في إيطاليا.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 378.

(٣) Scheck, op cit., p.98

(٤) El Fakharani, op.cit., pp. 378-379.

وتعتبر خشبة المسرح في عمان من أبرز المعالم في هـذا المسرح حيث يبلغ طولها ٩٥ متراً وعرضها ١٦ متراً وهي مكونة من طـابقين ــ ربما كانت في الأصل مكونة من ثلاثة طوابق ــ ويبلغ ارتفاعها نحـو ٢٥ متر. وترتفع أرضية خشبة المسرح بمقدار ١,٥م عن الأوركسترا، وهـذه الأرضية تميل بشكل غير ملحوظ نحو المشاهدين مما يحسن مـن درجـة الرؤية عند التمثيل.(١)

أما مساحة الأوركسترا فيبلغ نصف قطرها حوالي ١٣ متراً، وفـي أرضية الأوركسترا يوجد نفق يؤدي إلى أسفل خشبة المسرح وهذا النفـق كان مخصصاً لظهور الممثلين وهـذه الظـاهرة نجدهـا فـي المسـارح الهللينستية.(٢)

ومن المنشآت الدينية في هذا المسرح وجود مذبـح حجـري داخـل مساحة الأوركسترا، ففي العديد من المسارح اليونانية يوجد مثل هذا المذبح الذي يخدم طقوس خاصة بالإله ديونيسوس وهو يقوم دائماً فـي منتصـف ساحة الأوركسترا، ولكننا نجده في مسرح عمان يقترب من المدرجات.(٣)

ومن المنشآت الدينية الهامة في مسرح عمان المعبد الذي يوجد في نهايـة الطابق الثالث للمدرجات في الوسط تماماً داخل السور المحيط بالمسرح من أعلى، وهذا المعبد محفور في الصخر وقد بنى هذا المعبـد فـي العصـر الروماني. وتتكون واجهة هذا المعبد من عموديـن مربعيـن ذات تيجـان كورنثية في الأركان الأمامية وبينهما في الوسط يوجد مدخل المعبد الـذي يتكون من باب مستطيل الشكل يعلوه قوس روماني.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 388.

(٣) Ibidem.

(٤) Scheck, op cat., p. 98

وبين الباب وكل من العمودين المربعين توجد حنية يعلوهـــا زخرفــة الصدفة الرومانية.[١] وقد اكتشفت في هذا المعبد تمثـــال للإلهـــة أثينـــا[٢] ــ مثلما كان الحال في مسرح بومبيوس في روما الذي احتوى على تمثـــال للإلهة فينوس Genetrix وكذلك مسرح لبدة Leptis magana فـــي ليبيا الذي احتوىَ على تمثال للإلهة ســيريس.[٣] ومـــن المحتمـــل أن تمثال الإلهة أثينا في المعبد الخاص بمسرح عمان يشبه تمثال أثينـــا الـــذي صنعه الفنان ميرون في Eleutherai[٤]، ويعتبر تمثال الإلهة أثينـــا فـــي مسرح عمان من أقدم المنحوتات في هذا المســـرح. وتعكـــس منحوتـــات المسرح في عمان الطــــراز الأنطونينـــي فـــي منتصـــف القـــرن الثـــاني الميلادي.[٥]

ويحتوي مسرح عمان على العديد من المظاهر الفريدة التي لا نجدهـــا في بقية المسارح اليونانية الرومانية في الشرق حسبما يعتقد الفخراني مثل:

الظاهرة الأولى: المخروط الأوسط في المدرجـــات فـــي الطـــابق الســـفلي للمسرح يوجد في الوسط تماماً حيث كانت هذه المقاعد مخصصة للحـــاكم وله مقعد خاص وباقي أعضــــاء الهيئـــة الحاكمـــة فـــي المدينـــة وطبقـــة الأرستقراطيين، ورجال الدين والكهنة وغيرهم من الشخصيات العامة.[٦]

---

(١) El Fakharani, op cit., Abb.13.

(٢) Ibidem, p. 389, Abb. 25.

(٣) Ibidem, p 388.

(٤) Ibidem.

(٥) Ibidem, pp. 398-400, Abb 25-27.

(٦) Ibidem, p.383

الظاهرة الثانية: نجد عند سلالم المدرجات في منتصف الطـــابق السـفلي وبالتحديد عند الدرجة الثالثة فتحة في أرضيتها وكذلك فتحات أخـرى فـي أرضية الممرات الأفقية Diazoma كانت كلها توصـــل إلـى "ماسـورة" نهايتها في عين ماء قريب من المسرح. وكانت هذه الفتحات تسد كلها عـدا واحدة فتخرج المياه مندفعة منها بقوة وكان ذلك يحدث عادة قبل العــرض المسرحي وذلك لكي يتم غسل المكان الذي سيجلس فيه الحـاكم، وتتكـرر هذه العملية مع كل فتحة من الفتحات حتى يتم غسيل المكان بالكامل. وبعـد إتمام عملية التنظيف والغسل كانت هذه الفتحات تسـد بسـدادات. ويـرى الفخراني أنه لتجنب زيادة الضغط على هذه السدادات مما قد يـؤدي إلـى كسرها توجد فتحة أخرى عند خشبة المسرح تخرج منها المياه على شـكل نافورات وذلك أثناء العرض لتضفي على المنظر العام شيئاً مـن الجمـال. هذه المياه التي تخرج من النافورات كانت تصرف في بالوعـات موجـودة أمام خشبة المسرح، مما حدا بالفخراني أن يفسر وجود البئر بجوار خشـبة المسرح حيث كانت تؤخذ منه المياه وتصب في النافورات أثنـاء العـرض وذلك في حالة ضعف مياه العين.[١] ويتميز مسرح عمان بوجود عدداً مـن المظاهر اليونانية والرومانية في بنائه وتصميمه:

(١) Ibidem, p 395.

المظاهر اليونانية

١- وجود مخروط أوسط في الطابق السفلي وبه مصطبة مخصصة للحاكم أو لعلية القوم.

٢- تتخذ الأوركسترا شكلا أكثر من نصف الدائرة .

٣- وجود فتحات في الدرجة الثالثة من أسفل تستخدم في غسل المسرح قبل العرض.

٤- المدرج منحوت في بطن الجبل وليس بناءا مستقلا.

المظاهر الرومانية

تمثلت هذه المظاهر الرومانية على شكل تعديلات منها:

١- وجود بعض الأمثلة الرومانية للمدرجات المنحوتة في الصخر.

٢- وجود معبد أعلى مدرج المسرح عند المنتصف وهو خاص بالإلهة مينرفا.

٣- وجود أنفاق على شكل أقواس Arches في الطابقين الثاني والثالث من المدرج تحمل المقاعد الحجرية.

المظاهر الفريدة في مسرح عمان طبقا لرأي الفخراني

لفت انتباه الفخراني عند إجراء حفائر في هذا المسرح فيما بين عامي ٦٦-١٩٦٧ وجود المذبح أمام ذلك المخروط الأوسط وليس في وسط الأوركسترا كما هو معتاد، فمن المعروف أنه في مدينة Riene في تركيا يوجد المذبح على الجانب وليس في منتصف الأوركسترا. وخلال عمل الفخراني[١] في مسرح عمان وجد بعض الترميمات التي قام بها خبير أثري آخر من قبل حيث وضع على خشبة المسرح بلاطات حجرية حديثة

---

(١) Ibidem. p 390.

قام الفخراني بإزالتها حيث عثر على حفرة أو فتحة سفلى مبلطـــة وتــؤدي إلى ممر يؤدي بدوره إلى فتحة في وسط الأوركسترا وهي نفـــس المكـــان المفروض وجود المذبح به، وعندئذ ظهرت مشكلة استخدام هــذا الممــر. ولكن الفخراني[١] استطاع من خلال الأدب اليوناني أن يفسر هذه الظـاهرة، حيث وجد في مسرحية "الضفادع" للكاتب اليوناني اريستوفانيس فـــي عـــام ٤٠٥ ق.م[٢] أن الممثل أو بطل المسرحية كان ينزل من فتحة فـــي وســـط المسرح ثم يعود ثانية على خشبة المسرح ومن هنـــا اســـتطاع الفخرانـــي تفسير هذه الظاهرة إذ أن الممثل يأتي في وسط الأوركسترا ويختفي أمـــام الجمهور ثم يعود للظهور على خشبة المسرح مرة ثانية، وهـــذه الخاصيـــة موجودة في مسارح أريتريا، كورنثـــه، ســـيليكون، ماجنســـيا، ســـيراكوز وسجستا.[٣]

وهناك أيضا ظاهرة خاصـــة بـــالإخراج المســـرحي حيـــث اكتشـــف الفخراني مجرى رأسي في الحائط الذي يفصل خشبة المسرح عـــن الـــ Skene وهذا المجرى منحوت من الناحيتين، وقد فســـر الخبـــير الأثـــري السابق هذا المجرى على أنه خاص بالصرف. أما الفخراني[٤] فوجد أن هذا المجرى خاص برافعة كانت تركب وتثبت فيها عن طريـــق ذراع وذلـــك حتى تستطيع هذه الرافعة حمل أحد الممثلين ـــ حسبما يقتضي المشهد فـــي المسرحية ـــ وترفعه في الهواء حتى يظهر للمشاهدين وكأنه يطـــير فـــي

(١) Ibidem, p 391.

(٢) Irmscher, op cit., pp. 60-61.

(٣) El Fakharani, op.cit , p.391.

(٤) Ibidem, p. 394.

السماء[١]، ومن هنا ربط الفخراني بين وجود هـــذه الظـاهرة ومســرحية السحب التي تتحدث عن إعدام سقراط وهي أيضـــاً مـــن تـأليف الكـاتب اليوناني اريستوفانيس في عام ٤٢٣ ق.م.[٢]

الأوديــــون (شكل ٢٣٧)

يوجد الأوديون في نهاية طريق الأعمدة في الناحيـــة الشــرقية وهــو صغير الحجم، ويؤرخ عدنان الحديدي هذا البناء فـــي بدايـــة أو منتصـــف القرن الثاني الميلادي.[٣]

وقد صمم مكان الأدويون بحيث يلتقي في زاويته الجنوبيـــة الغربيـــة مـــع الزاوية الشرقية للمسرح من خلال بوابة رومانية تؤدى إلى ساحة صغـــيرة حتى يتم الربط بين البناءين. واقتراب المسرح من مبنى الأوديـــون ليـــس جديداً في عمان (فيلادلفيا) ولكنه موجود في كل من كورنثه وكاتانيا وفـــي مدينة Anemurium في أسيا الصغرى.[٤] ومـــن المعـــروف أن مبنـــى المسرح كان يستخدم للعروض المسرحية الكبيرة بينمـــا خصـــص مبنـــى الأوديون كقاعة لاستماع الموسيقى والإنشاد الغنـــائي والقـــراءات الأدبيـــة والشعرية، لذا كان هذا المبنى مسقوفاً في العادة.

وتتكون قاعة الأوديون فى عمان من الأوركسترا فـــي الوســط محاطـــة بثمانية عشر صفاً من المقاعد. وتتخذ القاعة شكل الصدفة الرومانية حيـــث

(١) مثل هذه المشاهد كان يستخدمها أيضاً الكاتب يوربيدس في معسرحياته مثل مسرحية ميديا وكان يطلق عليها Deus ex machina.

راجع: El Fakharanı, op cit., p 394

(٢) Irmscher, op.cit., p 60.

(٣) Hardıng, op cit , p. 68.

(٤) Scheck op.cit., p. 99

يبلغ محيطها ثمانية وثلاثون متراً وهى في حالة سـيئة الآن. أمـا المبنـى الخاص بخشبه الأوديون فهو أحسن حالاً حيث تظـهر بعـض الأفـاريز والحنيات التي كانت تزين هذا البناء ويؤدى هذا البناء إلى خشبة الأوديـون من خلال ثلاثة أبواب.(١)

وفي داخل هذا البناء تم اكتشاف قطعة حجرية عام ١٩٧٢ وهى مـن الحجر الجيري مصوراً عليها نحت بارز عبارة عن عين كبـيرة محاطـة بثعبانين واثنين من الجعران، وخنجر وسهم وقوس، وقد صور الفنان هـذا المنظر في داخل الأوديون لكي يبعد الشرور عن مشاهدي هـذا المكـان. وهذه القطعة تشبه إلى حد كبير قطعة الفسيفساء الموجـودة فـي أنطاكيـة السورية.(٢)

مـدينة جـرش Gerasa

مقـدمة تاريخيـة

اكتشفت في جرش كميات من الأدوات الصوانيـه وبعـض المعـاول اليدوية الصغيرة الدقيقة الصنع مما يدل على أن جـرش كـانت مأهولـة بالسكان في العصر النيوليثى حوالي ٦٠٠٠ ق.م.(٣) وقد كان الموقع الـذي يقوم فيه الآن خزان المياه في الشمال الشرقي من المدينة قرية تعـود إلـى العصر البرونزي الأول حيث اكتشفت أدوات تعود إلـى مـا يقـرب مـن ٢٥٠٠ سنة ق.م.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 100.

(٣) نظمية توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) Harding, op,cit., p. 82.

وللأسف لا نستطيع الجزم تماماً بالتاريخ الذي بدأت فيه جرش تتحول من قرية صغيرة إلى مدينة هللينية هامة. وتدل الكتابات على أن المدينة كانت تسمى سابقاً انطاكية الواقعة على النهر الذهبي Antioch on the Chrysorhoas. أما الاسم الآخر القديم للمدينة فهو جراسا Gerasa، وربما يوحي الاسم الأول أن أحد الملوك السلوقيين الذي كان يحمل اسم أنطيوخوس هو الذي كان مسئولا عن تحويلها وتطويرها، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو أنطيوخوس الرابع في أوائل القرن الثاني ق.م (٢١٥-١٦٣ ق.م الملقب بابيفانيس) المعروف عنه اهتمامه بشئون الأردن.[١]

وتعزو بعض الروايات بناء المدينة إلى الإسكندر الأكبر أو برديكاس أحد قواد الإسكندر في القرن الرابع ق.م. وهناك رواية تقول أن بطلميوس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) هو الذي فتح هذه البلاد وأخضعها لحكمه وهو الذي جدد بناء عمان وأطلق عليها اسم فيلادلفيا، ومن المحتمل أنه ساهم في بناء مدينة جرش.[٢]

ولا يتعرض التاريخ لذكر جرش حتى نهاية القرن الثاني ق.م عندما يشير المؤرخ يوسيفوس إليها بأنها المكان الذي عمد ثيودوسيوس طاغية فيلادلفيا إلى نقل كنزه إليه لتأمينه في معبد زيوس بعد إخراجه من مدينة جدارا.

ومهما يكن الأمر فقد خسر ثيودوسيوس مدينة جرش إذ استولى عليها الإسكندر جانيوس حاكم اليهود وكاهنهم الأعلى (١٠٢ - ٧٦ ق.م)، ويبدو أن جرش بقيت في أيدي اليهود حتى قدوم بومبيوس القائد الروماني في

(١) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢) Harding, op.cit., p. 48.

عام ٦٣ ق.م واحتلاله للمنطقة ونتيجة لذلك ألحقت جرش والأراضي التابعة لها بالمقاطعة السورية.(١)

وقد اتخذت المدينة من عام ٦٣ ق.م تقويما خاصا بها حيث سجلت جميع التواريخ بحسب تقويم عهد بومبيوس باعتبار أنها مركز أمامي للحضارة الغربية، وقد تمتعت جرش ـ مثلها في ذلك مثل بعض المدن ـ ببعض مزايا الحكم الذاتي.

وفى أوائل العصر الروماني بالمنطقة دخلت جرش حلف المدن المعروف باسم حلف الديكابوليس حيث شهدت فترة من الأمن والازدهار والتبادل التجاري بينها وبين الأنباط مما أدى إلى انتعاش هذه المدينة اقتصادياً خلال القرن الأول ق.م والقرن الأول الميلادي.(٢)

ولم يستمر هذا النشاط خلال القرن الثاني فحسب بل أنه ازداد زيادة ملحوظة بعد أن مد الإمبراطور تراجان رقعة الإمبراطورية الرومانية وأخضع مملكة الأنباط عام ١٠٦م وتم إنشاء سلسلة ممتازة من الطرق في جميع المقاطعات. ونتيجة لذلك ازدادت ثروة جرش حتى أن عدداً من المباني العامة الكبيرة التي كانت تعتبر من الطراز الأول في القرن السابق ـ جرى هدمها لكي تحل محلها منشآت أكثر فخامة وزخرفة وكانت البوابة الشمالية إحدى هذه المنشآت الجديدة، إذ أعيد بناؤها على تصميم جديد لكي تمر بها طريق تراجان عام ١١٥م.(٣)

(١) Bietenhard, op.cit , p. 60.

(٢) Harding, op cit., p. 84.

(٣) Ibidem, p 85

وقد أخذت المدينة في هذا العصر تشهد عدداً من الاحتفالات العامة في مواعيد سنوية محددة ومنها احتفالات المصارعة وألعاب القوى وغيرها.

ولما كانت الحمامات ظاهرة أساسية في حياة الرومان فقد تم إنشاء حمامين أحدهما واسع ضخم إلى الجانب الشرقي من جدول الماء والثاني أقل ضخامة إلى الجانب الغربي.

وهكذا يمكن القول أن القرن الثاني الميلادي كان العصر الذهبي لمدينة جرش حيث أن أكثر المباني العظيمة التي نراها اليوم قد شيدت في هذا العصر.(١)

ونتيجة لزيارة الإمبراطور هادريان لمدينة جرش في شتاء عام ١٣٠/١٢٩م بدأت حركة جديدة من النشاط العمراني حيث شيد قوس النصر تخليداً لهذه المناسبة الهامة في تاريخ جرش وبدأ برنامج طموح للتوسع والبناء في المدينة حيث كان يشمل فيما يشمل زيادة عرض الشارع الرئيسي من ساحة الندوة (الفوروم) إلى معبد أرتميس، وكذلك استبدال الأعمدة ذات الطراز الأيونى بأعمدة أضخم على الطراز الكورنثى، وقد تم جلب أعمدة الرخام من أسيا الصغرى وأعمدة الجرانيت من أسوان، وأعيد بناء معبد الإلهة أرتميس حيث أنشئت للمعبد بوابة فخمة ومدخل طويل في عام ١٥٠م.(٢)

أما معبد الإله زيوس فقد أعيد بناءه وتم افتتاحه عام ١٦٣م كذلك معبد حوريات المياه (النيمفايوم) في عام ١٩١م.(٣)

---

(١) Ibidem, p.86

(٢) Browning, op.cit., p 49.

(٣) Harding, op cit., p. 86

وقد بلغت مدينة جرش قمة تطورها وثرائها في أوائل القرن الثالث الميلادي عندما ارتفعت إلى مرتبة مستعمرة Colonia ولكن سرعان ما بدأت المدينة في الانحدار التدريجي وكان هذا الانحدار وثيق العلاقة بانحدار الإمبراطورية الرومانية.(١)

وكان من نتائج خراب تدمر في الشمال وتوسع مملكة الساسانيين في فارس أن توقفت تجارة جرش على نطاق واسع وأهملت طرق التجارة في الصحراء وتحولت طرق نقل البضائع إلى البحر. ونتيجة لاضطراب الأمن في هذه المنطقة فقد قام الإمبراطور دقلديانوس بحملة ضد الساسانيين وهزمهم حوالي ٣٠٠م، مما أدى إلى مباشرة بعض أعمال البناء في جرش خلال فترة قصيرة من الزمن، ويعود إلى هذه الفترة إنشاء ساحة السوق المستديرة والدكاكين المحيطة بالتترابيل الجنوبية ولكن نوعية البناء لم تكن من الطراز الرفيع الذي عهدناه في مباني جرش.(٢)

وفى منتصف القرن الرابع الميلادي تحولت جرش إلى المسيحية ونشأت بها طائفة من المسيحيين وتم بناء الكاتدرائية، وقد مثل المطران اكسرسيوس مسيحي جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م كما أن المطران بلاكوس مثلهم في مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م وقد شيدت كنيسة الأنبياء والرسل والشهداء أثناء عامي ٤٥٤ – ٤٥٥م وكنيسة القديس ثيودور أثناء الفترة من ٤٦٤ – ٤٦٦م.(٣)

وفى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) ازدادت حركة الرخاء والانتعاش بالمدينة وأنشئ مالا يقل عن سبع كنائس ومبان عامة

---

(١) Browning, op.cit., p. 51.

(٢) Harding, op.cit., pp. 87 – 88

(٣) Browning, op.cit., p. 53.

أخرى ولما كانت الكنائس في هذا العهد هي المحور الرئيسي للحياة، فإنـــها بطبيعة الحال تعكس طراز تلك الحياة. على أن كل هذه الأبنيـــة بجمالـــها ورونقها جاء على حساب المباني القديمة وخاصة المعابد، ولابد أن حملـــة محمومة من حملات التخريب تناولت المعابد الوثنية.(١)

أما آخر كنيسة في جرش فترجع إلى عصر الإمبراطور هرقل حيث أنشأها المطران جانيسيوس عام ٦١١م ثم حدث الغزو الفارسي للمنطقة في عـــام ٦١٤م، وفى عام ٦٣٦م دخلت البلاد تحت الحكم الإسلامي.(٢)

الآثـــار في جـــرش

مخـــطط المـــدينة (شكل ٢٣٨)

تتخذ مدينة جرش الشكل الكمثرى حيث تكـــون القـــاعدة أي الجـــزء المتنفخ في الغرب والجزء الضيق يكون إلى الشرق فـــي حيـــن تتســـاوى الجهتان الشمالية والجنوبية. ومدينة جرش محاطة بالكـــامل بســـور غـــير منتظم الأضلاع طوله حوالي ٣٥٠٠ متر، وما تزال بقايـــا هـــذا الســـور موجودة حتى الآن.(٣)

ويبدو أن إنشاء السور كله قد تم في حقبة واحدة ألا وهى أواخر القرن الأول الميلادي، حيث لا نجد تنوعاً في طراز البناء. أما تصميم السور فقـــد كان يشتمل على أبراج مربعة منيعة أقيمت على أبعاد منتظمة طـــول كـــل منها حوالي ٥٠متراً، بينما أنشئ السور بالحجارة الضخمة المنحوتة نحتـــاً جيداً على الواجهتين مع سد الفراغ بين الواجهتين بالدبش والتراب، بحيـــث

---

(١) Harding, op.cit., p. 89.

(٢) Browning, op.cit, pp. 201 – 202

(٣) Ibidem, p. 83 Map, 3.

بلغ عرض السور مترين ونصف، ويبدو أن القصد من إنشاء السور هو رد الغزوات أو الهجمات الفجائية لا مقاومة حصار منظم لأن السور لم يكن محاطاً بخندق.(١)

ويشق المدينة شارع رئيسي Cardo من الشمال إلى الجنوب (شكل ٢٣٩ – ٢٤٠) يبلغ طوله ٧٠٠م يبدأ من بوابة الشمال وينتهي عند بوابة الجنوب وهى البوابة الرئيسة للمدينة ويتقاطع مع هذا الشارع شارعان عرضيان رئيسيان يتجهان من الشرق إلى الغرب، الشمالي منهما يتقاطع مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الشمالية أي الأربعة أعمدة، في حين يتقاطع الشارع الجنوبى مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الجنوبية وكل من هذين الشارعين العرضين يسمى Decumanus. ويقع الفورم في نهاية الشارع الرئيسي الممتد من الشمال إلى الجنوب حيث يكون ساحة مستديرة تربط الشارع الرئيسي بالبوابة الجنوبية الذي ينحرف في هذه المنطقة بسبب وجود معبد زيوس على نفس محور الشارع الرئيسي.(٢)

وتقع معظم المباني الأثرية على جانبي الشارع الرئيسي الذي يقطع المدينة إلى نصفين من الشمال إلى الجنوب ولكن تتركز معظم هذه المباني في المساحة بين الشارعين العرضين ناحية الغرب من الشارع الرئيسي مثل المسرح الشمالي ومعبد أرتميس ومعظم الكنائس التي سوف نتناولها بالتفصيل في حين يقع الفورم ومعبد زيوس والمسرح الجنوبى ناحية الجنوب بالقرب من أسوار المدينة الجنوبية. أما ساحة سباق الخيول (الهيبودروم) فتقع خارج أسوار المدينة إلى الجنوب.

---

(١) Harding, op.cit., p. 98.

(٢) Scheck, op.cit., p.170.

قوس النصر (قوس هادريان)[١]

عندما يدخل الزائر إلى مدينة جرش يرى قوس النصر ذات البوابات الثلاث (شكل ٢٤١ - ٢٤٢) والتي ما تزال قائمة حتى منتصف ارتفاعها الأساسي تقريباً (١٢متر فقط). ويبلغ ارتفاع القوس الأوسط ١١ متراً وعرضه ستة أمتار وعمقه حوالي ٧,٣٠م بينما يبلغ عرض المبنى بالكامل حوالي ٢٥متراً. وكان قوس النصر بمثابة بوابة شرف تقوم على موازاة البوابة الجنوبية التي هي المدخل الرئيسي للمدينة، ولم يكن هذا القوس يفتح إلا لدخول الشخصيات البارزة التي يرغب زعماء المدينة الترحيب بها ترحيباً خاصاً. وتحمل قواعد الأعمدة البارزة في جدار الواجهة من الجانبين نقوشاً تمثل أكاليل من أوراق الغار، وهي ظاهرة غير معتادة نراها تتكرر في البوابة الجنوبية.[٢] ويحاط كل مدخل من المداخل الثلاثة للقوس بنصف عمودين على الطراز الكورنثي وفوق هذه الأعمدة هناك مساحة حجرية خالية من الزخارف وفي وسطها إطار روماني Tabula ansata غير مكتوب في الواجهة الجنوبية، بينما نجد نقشاً في الواجهة الشمالية للقوس وهي أسطر مهداة إلى الإمبراطور هادريان لذا يمكننا القول بأن هذه البوابة أو قوس النصر قد أنشأ عند زيارة الإمبراطور هادريان لجرش في شتاء عام ١٢٩/١٣٠م.

ويدل بناء هذا القوس على أنه لم يبن منفرداً مثل قوس تيتوس في روما ولكنه استخدم كمدخل جنوبي للمدينة.[٣]

---

(١) Browning, op.cit , pp. 104 – 105. Figs. 43 – 45.

(٢) Harding, op.cit., p. 90

(٣) Scheck, op.cit., pp.165-167.

ملعب سباق الخيل (الهيبودروم)

منذ أن زار الرحالة الأمريكي Buckingham جرش في عام ١٩٢١ أعلن أنه رأى مكاناً لسباق الزوارق أو المراكب وكان يقصد بذلـك سـاحة الهيبودروم ولكن هذا الاعتقاد كان خاطئاً لأن الحفائر التي أجريت فيما بيـن عامي ١٩٣١/١٩٣٣ أثبتت أن هذا البناء ما هو إلا ساحة أو ملعب لسـباق الخيل. وحيث أن بوابة هادريان لم تبن على نفس محـور بوابـة المدينـة الجنوبية ولكن على نفس محور الهيبودروم الذي يتجه من الشمال الغربـي إلى الجنوب الشرقي فإنه يمكننا القول أن هذا الهيبودروم (شكل ٢٤٣) أقـدم في بنائه من بوابة هادريان، أي أنـه يرجـع إلـى نهايـة القـرن الأول الميلادي.(١)

وقد اختار المهندس الروماني هذه الساحة المنبسطة والتي تتجـه إلـى الجنوب حيث أقام هذا الملعب على شكل حرف U مغلـق مـن الشـمال ومفتوح من ناحية الجنوب.

ويبلغ طول هذه الساحة نحو ٢٤٤ متراً واتساعه حوالي ٥٠ متراً وهو بهذه الأبعاد لا يضاهي الساحات الإمبراطورية في رومـا والقسـطنطينية وكذلك لا يقترب من مساحة نفس المباني فـي المنـاطق لمجـاورة مثـل قيصرية Caesarea وأنطاكية Antiochia. ورغم ذلك فإن مساحة سـاحة هذا البناء تحتوي على ١٦ أو ١٧ صف من المقاعد تسـمح بجلـوس مـا يقرب من ١٥ ألف مشاهد.(٢)

ويوجد لهذا الملعب سبع بوابات أو مداخل، ثلاثة في كل ضلع طولـي أما المدخل السابع وهو المدخل الرئيسي فهو مقبب ويوجـد فـي الناحيـة

---

(١) Browning, op.cit., pp. 107-112, Figs 46-48

(٢) Scheck, op cit p 168.

الجنوبية حيث يغلق هذه الساحة من الناحية المفتوحة. وهذا الضلع الجنوبـي يحتوي على عشر مواقف لبدء السباق وهي محاطة ببرجين كما هو الحــال في الملاعب الرومانية حيث نجد مثيلا لها في ملعـــب ماكســينتيوس فـــي روما.

ويوضح نقشان على ختمين ساسانيين اكتشفا في وسط المدينة أن هــذا الملعب قد اتخذته القوات الساسانية في عام ٦١٤ م مقرا لها.(١)

البوابة الجنوبية

يدخل الزائر إلى مدينة جرش من ناحية البوابة الجنوبية، (شكل ٢٤٤) وقد أجرى الأمريكي C. S. Fisher فيما بين عامي ١٩٣١-١٩٣٣ حفائر في هذه المنطقة. وكانت البوابة الجنوبية ذات ثلاثة أقواس، مثلها مثل قـوس النصر ولكنها أصغر حجما بكثير.(٢)

وتحاط مداخل هذه البوابة بأنصاف أعمــدة كورنثيــه الطــراز تقـف دعامات مرتفعة وكل مدخل عبارة عن قوس يستند على أعمـــدة كورنثيـــه مربعة الشكل ويكون سقفا مقببا يستند على جدار هذه الأقواس.(٣) وتتشـــابه البوابة الجنوبية مع قوس النصر في الزخرفة حيث تقــف الأعمـــدة فـوق دعامات أو قواعد مزينة بأوراق الأكانتوس، وهـــي خاصيــة تنفـرد بـها العمارة الهللينستية وتظهر في مدينة أفاميا في سورية وفي مصر البطلميـة. ويبدو أن هذه الزخرفة الفريدة ارتبطت ارتباطا تامـــا بتأســيس هادريــان لمدينة أنتينوبوليس حيث تسود هذه الزخرفة في هذه المدينة.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Harding, op. cit , p 90

(٣) Browning, op.cit., pp 112-113.

(٤) Scheck, op cit , p.169

الساحة البيضاوية (الفوروم)

تعتبر الساحة البيضاوية (الفوروم) في جرش من أكثر الأماكن فخامة وجمالاً في العالم العربي القديم. وتسمى هذه الساحة ساحة الندوة أو السوق Forum الرومانية.

وهذه الساحة (شكل ٢٤٥ – ٢٤٧) مبلطة في أطرافها الخارجية بألواح كبيرة من الحجر مثلها في ذلك مثل الشارع الرئيسي. أما منطقة الوسط فمبلطة بألواح حجرية أصغر حجماً. وتتخذ الساحة شكلاً غريباً لا يتفق مع أي تخطيط هندسي معروف ولذا فهي تكتسب أهمية خاصة في عمارة العالم القديم.(١) ومن الواضح أنها أنشئت على هذا النسق الغريب لسبب لا نعلم عنه شيئاً، مع أن الطريق إلى معبد زيوس لابد أن يكون إحدى الأسباب التي تركت أثراً في هذا التصميم. ويبلغ عمق جدار الأساس الذي تقف عليه الأعمدة الشرقية ما يزيد عن ١١ متراً في الطرف الجنوبي. وتتبع أعمدة هذه الساحة الطراز الأيوني بينما نجد أن أحد تيجان الأعمدة في الشارع الرئيسي من الطراز الكورنثي، ونجد الطراز الأيوني مرة أخرى في الشارع الرئيسي إلى الشمال من بوابة أرتميس.(٢) ويلاحظ أن العمودين القائمين في الطرف الشمالي من صف الأعمدة الشرقي أقرب إلى بعضهما البعض مما هي عليه الأعمدة الأخرى ويرجع السبب في ذلك انهما نقلا من مواضعهما الأساسية لإفساح المجال لإقامة قوس فوق مدخل الشارع الرئيسي عندما أُجري تعريض هذا الشارع ويستدل من هذا

---

(١) Harding, op.cit., p. 92.

(٢) Browning, op cit., pp. 131-134, Figs. 67-69

بالإضافة إلى رؤوس الأعمدة الأيونية أن ساحة الندوة أنشئت في تاريخ سابق لتاريخ إنشاء الشارع الرئيسي. وجدير بالملاحظة أن حجارة الأعمدة بها نتوءات بارزة كانت تستخدم لربط الحبال عند رفع هذه الحجارة إلى مكانها ويبلغ اتساع هذه الساحة نحو ٨٠ مترا ويرجع بناء الساحة إلى القرن الأول الميلادي(١)

وقد عثر علي عدد من الكراسي الحجرية في وسط الساحة مبنية في جدار أنشئ في تاريخ متأخر، ويمكن أن نشاهد قرب الكراسي بقايا قاعدة مربعة ربما كانت في الأصل قاعدة تمثال. وأثناء العصر البيزنطي أنشئت منازل صغيرة فوق ارض ساحة الندوة لأنها لم تعد آنذاك تستعمل سوقاً وندوة للاجتماعات العامة وقد نحتت علي بعض أعمدة الصف الشرقي أسماء مواطنين ربما قد أسهموا ببعض الأموال في بناء هذه الساحة.(٢)

معبد الإله زيوس

يبدو أن موقع هذا المعبد (شكل ٢٤٨) كان موقعاً مقدساً في العصر الهللينستي، وكان يحتل هذا الموقع معبداً ربما كان أيضاً للإله زيوس. ويوضح ذلك السبب في وجود معبد زيوس في هذا المكان الذي يعترضه امتداد الشارع الرئيسي بالمدينة Cardo في العصر الروماني.ويرجع بناء هذا المعبد إلى الفترة الأنطونينية حيث بني فيما بين١٦١-١٦٦م في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. (٣)

وقد أثبتت الحفائر التي قامت في هذا المكان في عام ١٩٣٨ أن هناك نقشا يؤكد أن هذا المعبد قد بني في القرن الثاني علي أنقاض معبد سابق

(١) Scheck, op cit , p 171.

(٢) B rowning, op,cit., p.134.

(٣) Harding, op.cit., , 93.

في القرن الأول كان يستخدم كمكان للجوء المضطهدين سياســـياً. ويذكــر يوسيفوس أن أحد الطغاة ثيودوروس من فيلادلفيــا(عمــان) فــي العصــر الهللينستي المتأخر قد أودع ثروته في مكان مأمون غير خاص بـــه ، لــذا نعتقد أن المكان كان في مدينة جرش وبالذات في هذا المعبد لزيـــوس فـــي القرن الأول ق.م.(١)

ولدينا بعض المعلومات عن فترة البناء في العصر الرومـــاني حيـــث تبرع مواطنان من جرش يدعا ديمتريوس واريستوناس بمبالغ كبـــيرة فـــي سبيل بناء هذا المعبد، وقد أعدت ساحة المعبد Temenos في العـلم ١١٤ من التقويم البومبي أي في عام ٥٠/٥١م، وهذا المعبد قد تم بناؤه فيما بيـــن عامي ١٦١– ١٦٦م.(٢)

ويؤدي إلي ساحة مبلطة بالأحجار وهذه الساحة المستطيلة ٨٠×٢٥ مـــتر وهي مساحة مبلطة بالأحجار، وهذه الساحة محاطة بسورين بينـــهما ممــر متسع قد زينت الحوائط الداخلية بأنصاف أعمدة تحمل إفريزا يتكـــون مـــن الميتوب والترجليف، وفي شمال هذه الساحة من الداخل يوجد مزيج يؤكـــد الأهمية الدينية لهذا المعبد وهو تقليد شرقي في العصر الرومـــاني المبكــر وكذلــك وجــد هــذا التقليــد عنــد الأنبــاط فـــي عمــائرهم الدينيـــــة (شكل ٢٤٩ - ٢٥٠).(٣)

أما مبني المعبد نفسه (شكل ٢٥١ - ٢٥٢) فيرجع ــ كما سبق القـــول ــ إلي القرن الثاني الميلادي وكان هذا المعبد محاطا بأعمدة كورنثيه ويقـــف هذا المعبد فوق مصطبة Podium علـــى الطريقـــة الرومانيـــة والمعبـــد

---

(١) Scheck, op.cit, p 162.

(٢) Ibidem, p. 137

(٣) Browning, op.cit., pp. 114-116, Fig. 52.

مستطيل الشكل ابعاده ٤١×٢٨م .ولم يبق من ٣٨ عمود إلا عمود واحد. أما سور المعبد (شكل ٢٥٣) فكان مزينا من الخـارج بحنيـات علـي شـكل الأقواس ومن الداخل بأعمدة مربعة ترتفع إلي اكثر من عشرة أمتار. ومـن المظاهر السورية النبطية في هذا المعبد وجود سلم في الجـانب الجنوبـي الشرقي يؤدي إلي سطح المعبد.وداخل الـ Cella الخاصة بالمعبد توجـد مصطبة في ناحية الغرب كانت مخصصة لوضع تمثال الإله زيوس.(١)

المسرح الجنوبي (شكل ٢٥٤)

يعتبر المسرح الجنوبي من أهم الأبنية في جرش، وتكمن شـهرة هـذا المسرح في الرؤية التي يسمح بها من فوق صفوفه العليا حيـث يسـتطيع المشاهد أن يري معظم المباني الأثرية من معبد أرتميـس وحتـى سـاحة الندوة (الفوروم). ويقع هذا المسرح إلي الغرب من معبد زيـوس، ويتجـه هذا المسرح نحو الشمال(٢) مع ميل بسيط نحو الغـرب. ويتكـون مـدرج المسرح من ٣٢ صفا من المدرجات تسع ٤٠٠٠-٥٠٠٠ مشاهد وينقسـم المدرج بواسطة ممر أفقي Diazoma إلي طابقين، الطابق الأول مكـون من ١٤ درجة والثاني من ١٨ درجة ويسـتخدم المشـاهد الطـابق الأول ممرات مقببة جانبية تؤدي إلي الأوركسترا للوصول إلي مكانه فـي حيـن يستخدم مشاهد الطابق الثاني أربع ممرات مقببة توجد في الجانب الخلفـي للمسرح (شكل ٢٥٥).(٣)

وتحمل صفوف المقاعد السفلية (شكل ٢٥٦) أرقاما مما يـدل علـي أنـها كانت مخصصة لشخصيات من كبار القوم وموظفي المدينة. أمـا خشـبة

(١) Scheck, op cit., P.173.
(٢) Harding, op cit , p-93.
(٣) Scheck, op.cit , p. 174.

المسرح فتحتوي علي ثلاثة أبواب تؤدي إلي خلفية الخشبة. وكل باب من هذه الأبواب مزين بجمالون وعلي جانبيه تقف دعامات مربعة تحمل أبدان أعمدة غير مكتملة الآن وهي علي الطراز الكورنثي . وبين هذه القواعد أو الدعامات المربعة توجد حنايا في الحائط كانت تقف بها تماثيل. وترتفع خشبة المسرح إلي طابقين (شكل ٢٥٧ - ٢٥٨).(١)

أما عن تاريخ بناء المسرح فلدينا النقوش التي تساعدنا في تحديد هذا التاريخ منها نقش باللغة اليونانية علي الجدار الموجود تحت الصف السفلي للمقاعد في الغرب، توضح أن أحد الضباط الذي خدم في جيش نبطي أثناء الثورة اليهودية عام ٧٠م قد قدم تمثالا للنصر وكذلك نقش يرجح أن تاريخ بناء المعبد يعود إلي عهد الإمبراطور دوميتيانوس (٨١-٩٦م) وبالتحديد في عامي ٩٠-٩٢م . وجدير بالذكر أن الهندسة الصوتية في هذا المسرح لا تزال جيدة حتى الآن.

سوق المدينة (الأجورا)

يقع الفوروم أو ما يسمي ساحة الندوة إلي غرب الشارع الرئيسي Cardo وإلي الجنوب من الشارع العرضي الجنوبي.

وقد أجريت حفائر في هذه الساحة في عام١٩٨٧ علي يد الأثريين الأسبان E. Olavarri. وقد لوحظ أن أركان هذه الساحة العظيمة المبلطة بالأحجار تتسع لتكون مخارج في الشمال والجنوب يحدها عمودان من الخارج ، وكانت المساحة الوسطي من الساحة تكون مبني مثمن الأضلاع. ويرى Olavarri أن هذه الساحة ما هي إلا سوق للمدينة يمثل مركزا

(١) Bowning, op.cit., p. 126, Figs. 62-63.

سياسيا في مدينة جرش الرومانية، ويعـود تاريخــه إلــي القــرن الثــاني الميلادي.[١]

التترابيل الجنوبي (شكل ٢٥٩ - ٢٦٠)

عند تقاطع الشارع الرئيسي Cardo مع الشـــارع العرضـــي الجنوبـــي Southern Decumanus أنشئت في منتصف القرن الثـــاني الميــلادي مصلبتان أي تقاطع مكون في كل ركن من أركانه بأربعة أعمـــدة تكونـــان وحدة واحدة وكل وحدة تتكون من قواعد مربعـــة تحمــل أربعــة أعمــدة كورنثية الطراز يعلوها كورنيش ينتهي بسقف هرمي الشــكل، ويرجـــح أن تمثالا كان يرتفع فوق ذلك الهرم.[٢] وقد أعيد بناء القاعدة الجنوبية الشـرقية حتى بداية الأعمدة، ولكن الكتابة علي الواجهة الجنوبية هي كتابة بيزنطيـــة مما يرجح أنها استخدمت حتى العصر البيزنطي.[٣] وتربط هذا التـــترابيل بين الشارع الرئيسي للمدينة والشارع المتقاطع العرضي الذي يسير غربـــا حتى يبلغ بوابة سور المدينة ويسير شرقا بانحدار حتى يصل إلـــي جســـر كان يقوم في منتصف الوادي. وهذا التترابيل كـــان نقطـــة التقـــاء لشـــبكة المواصلات في المدينة القديمة. وقد اكتشفت أسفل أرضية التترابيل قنـــوات مياه رئيسية كانت تمد المدينة بالمياه اللازمة. ويبدو أن مثل هذا التـــترابيل كان منتشرا في مدن المقاطعات الشرقية عامة حيث نجدة في بالميرا وشـــهبا وفيليبوبوليس.[٤]

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op cit., p. 138 figs 73-74.

(٣) Harding, op.cit , p. 94

(٤) Scheck, op.cit., p 176.

النيمفايوم (نافورة حوريات المياه Nymphaeum)

تقع نافورة حوريات المياه (شكل ٢٦١ - ٢٦٣) في جرش بين المدرج المؤدي إلي الكاتدرائية وبين مدخل معبد أرتميس علي الجانب الشرقي من الشارع الرئيسي Cardo، ويعد هذا المبني من أفخم وأجمل المباني في جرس الرومانية وذلك من خلال زخارفه المنحوتة بالجص والمرمر. وطبقا لأحد النقوش فإن هذا المعبد يعود إلي عام ١٩١م.[١]

ويبلغ عرض واجهه المبني حوالي ٢٢ متر وهي مكونة من طابقين، وفي وسط الواجهة يتراجع المبني إلي الخلف في شكل نصف دائرة أمام حوض كبير للمياه ويعلو هذا الجزء نصف قبة قطرها ١١ متر ويبدو من خلال هذا التصميم أن المبني استخدم كصالة نافورات ذات صالتي أعمدة جانبيتين.[٢]

وكانت واجهة المبني ذات الطابقين مزخرفة بسبع وتسع حنيات أو محاريب يحيطها أعمدة كورنثية الطراز وداخل هذه الحنيات كانت تنتصب تماثيل.

وفي محاريب الطابق الأول كانت هذه التماثيل تحمل أو تمسك آنية لكي يتدفق الماء منها في الحوض الكبير الموجود تحتها، وتتدفق مياه الحوض الزائدة من رؤوس أسود إلي مجاري في رصيف المبنى، هذه المجاري كانت مزخرفة برسوم لأسماك الدرافيل، وهذه المجاري تصب بعد ذلك في تجمع المياه الرئيسي Cloaca Maxima الموجودة تحت أرضية الشارع

(١) Harding, op.cit., p. 95.

(٢) Scheck ,op.cit., p. 184

الرئيسي Cardo، ومن المحتمل أن كل هذه المياه تصب في النهاية في خزانات كبيرة تقع في شمال المدينة.(١)

معبد الإلهة أرتميس

يعتبر معبد الإلهة أرتميس (شكل ٢٦٤) من أضخم المباني في جرش وأكثرها جلالا، وقد كانت الإلهة أرتميس الإلهة الراعية للمدينة لذلك جاء معبدها أكثر فخامة وأعظم مظهرا من سواه. ومعبد الإلهة أرتميس ليس إلا بناء يتوسط مخططا عظيما من الباحات والبوابات التذكارية والممرات.(٢)

ويبدأ هذا المعبد بساحة متسعة (شكل ٢٦٥) هى بمثابة المدخل Propylea للمنطقة المقدسة التى يقع المعبد داخل نطاقها. ويقع هذا المعبد إلى الغرب من الشارع الرئيسي Cardo فى منتصف المسافة بين الشارع العرضي الشمالى والجنوبى.(٣)

تبدأ ساحة المعبد بالطريق المقدس Via Sacra الذى يؤدى من الشارع الرئيسى إلى بوابة المدخل ومنها إلى الصالة الأمامية التى يتقدمها أربعة أعمدة ضخمة تحمل فوقها مساحة مثلثه Tympanon عليها نقش التكريس الذى يوضح أن هذه البوابة (شكل ٢٦٦) قد أنشئت فى عام ١٥٠م. ومن المحتمل أن هذه البوابة قد قامت على أنقاض بوابة أخرى ترجع للقرن الأول الميلادي مثلها ذلك فى مثل معبد الإلهة أرتميس الذى تم بناؤه فوق أنقاض معبد سابق.(٤)

---

(١) Browning, op.cit., pp. 143-147 Figs. 78- 81.

(٢) Harding, op.cit., p.95.

(٣) Scheck, op.cit., p.186.

(٤) Browning, op cit., p.154, Figs. 92-93.

ويتقدم ساحة المعبد الأمامية (شكل ٢٦٧) سبعة طبقات من الدرجات في كل طبقة ٧ سلالم تقود الزائر إلى الارتفاع الثاني للبوابة الرئيسية، ويبلغ عرض درجات السلم حوالي ١٩ مترا. وبعد اجتياز هذه السلالم يجد الزائر نفسه أمام مذبح في وسط ساحة كبيرة ويبدو أن هذه الساحة كانت محاطة بالأعمدة من جانبيها. وتدل مساحة هذه الساحة على الأهمية الدينية الكبرى لهذا الموقع حيث يستطيع مئات من المتعبدين التجمع فى هذه الساحة لتقديم القرابين إلى الإلهة.(١)

وعند الوصول إلى المستوى التالى من المعبد نجد أن مقاييس وأبعاد المبانى تأخذ فى الضخامة والارتفاع، فيصعد الزائر إلى هذا المعبد عن طريق ثلاث مستويات من درجات السلم التى يبلغ عرضها ١٢٠مترا وهى تؤدى إلى صالة عرضية محاطة بالأعمدة من ثلاث جهات، هذه الصالة العرضية (شكل ٢٦٨) تؤدى إلى الجدار الشرقى من المعبد عن طريق ثلاثة مداخل فى الجدار أحدهما فى الوسط وهو المدخل الرئيسى ومدخل أخر فى كل جانب.(٢) ويحيط الساحة الداخلية الضخمة للمعبد صف أعمدة من الجهات الأربعة مكونة ممر حول هذه الساحة يفصل الجدران الخارجية عن المعبد، وجدير بالذكر أن الجهة الشمالية والجنوبية من الجدران الخارجية للمعبد تحتوى على عدد من الحجرات وتبلغ أبعاد الساحة الكبرى للمعبد ١٦٠×١٢٠متر وهى ساحة غير مسقوفة وتعتبر من أكبر ساحات المعابد الرومانية فى الشرق، ويقف فى وسطها مذبح ضخم يتقدم معبد الإلهة أرتميس.(٣)

---

(١) Ibidem, pp 157-159.

(٢) Scheck, op.cit., p. 187

(٣) C.H Kraeling, Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938, pp. 115 – 117

والإلهة أرتميس هى إلهة الصيد وسيدة الحيوانات والطبيعة، وهى إلهة الخصوبة وبينما كانت فى مناطق أسيا الصغرى وسورية الإلهة الأم كانت فى جرش هى الإلهة الحامية للمدينة.(١) وكما كانت معابدها في أسيا الصغرى من الضخامة والفخامة كان أيضا معبدها في جرش وكان يمثل درة مدينة جرش.

ويقف معبد أرتميس في جرش فوق مصطبة Podium ارتفاعها حوالي أربعة أمتار، (شكل ٢٦٩) يتقدمها سلم في الجانب الشرقى، ويبلغ اتساع هذه المصطبة ٢٣متر في حين يبلغ طولها ٤٠متر، والمعبد محاط بـ٣٠ عمود منها ١١ عمود في الجانبين الطوليين وستة أعمدة في الجانبين العرضيين، والمعبد مبنى على طراز Peripteros يتقدمه صالة أمامية تتكون من ستة أعمدة في الواجهة يليها عمودان، ولم يبق من هذه الأعمدة الأربع والثلاثين إلا أحد عشر عمودا على الطراز الكورنثى وكل عمود مكون من جزئين ويبلغ طوله أكثر من ١٣مترا.(٢)

أما الحجرة الرئيسية في المعبد فتبلغ أبعادها ٢٤متر طولا وحوالي ١٣,٥م عرضا وذات حوائط سميكة مكسوة من الداخل بألواح من الرخام. وفى الجانب الغربي منها توجد مصطبة كان يوضع عليها تمثال الإلهة أرتميس الذي كان يزيد في حجمه عن عدة أمتار وكان ملونا.(٣) ولا نعرف للأسف طراز هذا التمثال هل كان يمثل الإلهة أرتميس ذات النهود الكثيرة كإلهة للأمومة مثل تمثالها في إفسوس(٤) أم أنها صورت على الطراز

(١) Irmscher, op cit , p. 64.
(٢) Scheck, op.cit., p. 188
(٣) Harding,. op cit , p 97
(٤) M. Bieber, The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955, p. 28.

اليوناني كإلهة للصيد تمسك بالقوس والرمح في يديها،[١] وكانت الحجرة الرئيسية فى معبدها فى جرش لا يدخلها إلا الكهنة القائمين على خدمة وعبادة هذه الإلهة بينما كان يتعين على المصلين والمتعبدين أن يقفوا خارجا في الفناء، وكان هناك سلم في الجدار الخارجي الغربي للمعبد كان يؤدى إلى سطح هذا المعبد.[٢]

وقد شهدت عبادة الإلهة أرتميس نهايتها في القرن الخامس الميلادي بعد القضاء على عبادة الأوثان حيث أخذ البيزنطيون ينشئون أفرانهم في ساحته، كما أخذوا ينتزعون من المعبد ألواح الرخام التي تم استخدامها في بناء الكنائس المختلفة في مدينة جرش وقد تحول المعبد إلى قلعة في القرن الثاني عشر على يد العرب.

ولا تزال بقايا معبد أرتميس في جرش تقف شاهدة على عصر ازدهار وتقدم وانتعاش عاشته المدينة في العصر الروماني.[٣]

المسرح الشمالي (شكل ٢٧٠)

وهو ثاني المسارح في مدينة جرش وهو أصغر حجما من المسرح الجنوبي ولا يضارعه في شهرته، وقد أجريت مؤخرا في عام ١٩٨٢ تنقيبات في هذا المسرح على يد فريق من البريطانيين والأمريكيين. ويحتمل أن هذا المسرح قد تم بناءه في القرن الثاني أو الثالث الميلادي.[٤]

(١) E.Simon, Die Gòtter der Griechen, Darmstadt, 1985, p. 172. Fig. 158

(٢) Harding, op.cit., p 97.

(٣) Scheck, op.cit., p. 189.

(٤) Scheck, op.cit., pp. 189 – 190.

ويتخذ المسرح شكل نصف الدائرة التي تتجه ناحية الشمال الشرقي، وقـــد عمد المهندس إلى توجيه هذا المسرح إلى ناحية الشمال حيث يرى المشـاهد الأعمدة المرتفعة للشارع العرضي الشمالي. ويتكون المدرج مـن طـابقين حيث يقسم الطابق الأول إلى أربع أجزاء في حين يحتوى الطـابق الثـاني على ثمان أجزاء من المقاعد. والمسرح يحتوى على ٢٤ صفا من المقـاعد تتسع لجلوس ما بين ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ مشاهد.(١) ويطلق على هذا البناء فى بعض الأحيان مبنى الأوديون Odenon نظرا لصغر حجمه عن المسـرح الجنوبي.(٢)

التترابيل الشمالي

في الفترة ما بين ١٥٠ - ١٨٠م فكر مهندسـوا المدينـة فـي توسـعه المساحة الوسطى من الشارع الرئيسي وإضافة طريـق أعمـدة كورنثيـة جديد، وفى نفس الوقت بقى الجزء الشمالى من الشـارع الرئيسـي بنفـس اتساعه السابق وبنفس طريق الأعمدة الأيونية الطراز. ولذلك تم التفكير فـى إنشاء تقاطع جديد فى شمال المدينة يسمى North Tetrapylon التـترابيل الشمالى أو المصلبة.(٣) وتتفرع من المصلبة الشمالية طريق تتجـه غربـا وهى محاطة من الجانبين بصفين من الأعمدة ذات الطراز الأيونى. ويمكـن مشاهدة أطراف ثلاثة منها بارزة بين الحقول. وهناك دروب تـؤدى إلـى ساحة سوق أنشئت على الطراز الكورنثى وفيها أعمدة ضخمة وفى محـاذاة الطريق العرضي يقوم المدرج الشمالي (المسرح).(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op.cit., p 175, Fig. 107.

(٣) Scheck, op cit., p. 190.

(٤) Harding, op.cit , p. 97.

ويبدو أن هذه التوسعة وإنشاء التترابيل قد أقيـم فـي عـهد الإمـبراطور سبتيميوس سفيروس (١٩٣- ٢١١م) وأهدى إلى زوجته الثانيـة سـورية الأصل جوليا دومينا.[١] ويختلف التترابيل الشمالية في تصميمه اختلافا كليـا عن التترابيل الجنوبي وهو أقل من الناحية الفنية عن مثيله فـي الجنـوب. ويتألف هذا التترابيل من أربع قواعد متصلة بأقواس، وترتفع فوقـها كلـها قبة تعطى شكلا يماثل شكل الغرفة المقببة للحمامات المجاورة لها.[٢]

وهذه القواعد تكون ممرات من ٥,٥م اتساعا و٨,٥م ارتفاعا. وقد أقيم فـى الواجهتين الشمالية والجنوبية عمودان منفصلان، نحت على قاعدة كل منـها رأس أسد كان الماء يتدفق منه ويصب فى حوض تحته.

وقد تم ترميم هذا التترابيل الشمالى فى عام ١٩٨٥، وأعيـد إلـى هيئتـه السابقة فى عام ١٩٨٦.[٣]

الحمامات الغربية

أقيمت هذه الحمامات كما يرى هاردنج[٤] في القـرن الثـاني الميـلادي وهى تبعد بضعة أمتار شرق التترابيل الشمالي. وتشتمل هـذه الحمامـات على مثال من أقدم الأمثلة وهى الطراز المعروف فنيا بإسم القبة المعلقة أى قبة مستديرة فوق غرفة مربعة. وكان هناك في الأصل ثلاث قباب كـهذه، إحداها على الغرفة الكبيرة الغربية والقبوتان الأخرتـان علـى الغرفتيـن الشمالية والجنوبية. والصالة الوسطى كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء وكـانت

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op.cit., p. 168, Figs 100 – 101

(٣) Scheck, op.cit., p. 190.

(٤) Harding, op.cit., p 99.

تتكون من الحمام البارد Frigidarium وبه حوض مياه كبير الحجم، على جانبيها حجرة البخار Tepidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium، ويؤدى إلى هذه الحجرات فنـــاء ذات أعمـدة مـازالت بعـض أعمدتـه والأرشتراف فوقها موجودة حتى الآن.

ويبدو أن الماء المستخدم في هذه الحمامات كان يصل إليـها مـن إحـدى الينابيع الذي يبعد ١٠٠م عن هذا المكان ويسمى نبع عين كرفان.(١)

البوابة الشمالية

أنشئت هذه البوابة في عام ١١٥م في عهد كلوديوس سفيروس مبعـوث الإمبراطور تراجان إلى المقاطعة العربية وقد أنشأ هذا المبعـوث طريقـا جديدا يصل بين بيلا Pella وبين جرش ومدن التحالف العشر، لذا لم تعـد البوابة الشمالية القديمة تفي بالغرض الجديد ولا تستطيع مواجهـة مطـالب شبكة الطرق الجديدة، لذا أعيد إنشاء هذه البوابة الشمالية ولكنها مع ذلك لـم ترق إلى مستوى العمارة في البوابة الجنوبية التـي أنشـئت علـى عـهد الإمبراطور هادريان.(٢)

والغريب أن جدار البوابة من الناحية الغربية أكثر عرضا مما هو عليه فـي الناحية الشرقية والسبب في ذلك أن شارع الأعمدة الرئيسـي يلتقـي مـع طريق بيلا على شكل زاوية منفرجة، فاتجهت رغبة المهندس إلـى إقامـة واجهتي البوابة قبالة كل من الطريقيـن علـى زاويـة مسـتقيمة بـدون انحراف.(٣) وتبلغ الواجهة الجنوبية ٢٠م في حين تبلـغ واجهـة البوابـة

(١) Scheck, op cit , p. 191

(٢) Browning, op cit , pp. 170 – 172.

(٣) Harding, op.cit., p. 99.

الشمالية حوالي ٢٢م أما اتساع مدخل هذه البوابة فيبلغ حوالي ٥,٤م، وقـد زينت الواجهتان بالعديد من الحنيات وأنصاف الأعمدة. وما تـزال بعـض أثار عجلات المركبات محفورة في الأرضية التي تغطى هذه البوابة.[١]

الحمامات الشرقية (شكل ٢٧١)

لم تبق أية أثار ضخمة فى الجانب الشرقى من النهر الذهبـى اللـهم إلا الحمامات الشرقية وهى فى حالة خراب شديد، وهى أقرب الأمـاكن إلـى المدينة الحديثة. وهذا البناء كان ذو طابق واحد، ويبلغ عرض حوائط هـذا البناء حوالى خمسة أمتار. ويبدو أن هذا الحمام كان حمامـا رئيسـيا فـى المدينة نظرا لآثار مواسير المياه العديدة التى لا تزال واضحة حتـى الآن. ويرى هاردنج[٢] أن هذه الحمامات لابد وأنها أنشئت فى وقـت لا يتعـدى القرن الثانى الميلادى، فى حين ترى I. Browning [٣] أنها أنشئت فـى بداية القرن الثالث الميلادى. وتسير حوائط هذا البنـاء بمحـاذاة الشـارع الرئيسى Cardo والشارع العرضى الجنوبى Decumanus. وكانت هذه الحمامات مربوطة بالجانب الغربى من المدينة عن طريق كوبرى شـمالى وكوبرى جنوبى.[٤]

(١) Scheck, op cit., pp. 191 – 192.

(٢) Harding, op.cit., p. 100.

(٣) Browning, op.cit., pp. 208–209, Fig 137.

(٤) Scheck, op cit , p. 192.

الكنائس المسيحية فى جرش

تشتمل مدينة جرش على بقايا ثلاث عشرة كنيسة، ومن المرجح أن بقايا كنائس أخرى ما تزال مدفونة لأن مدنا أصغر من جرش بكثير كانت تضم عددا أكبر من الكنائس.

أما عن تاريخ إنشاء هذه الكنائس فهو متقارب، عدا كنيسة واحدة. لذلك فإن هذه الكنائس تمثل مادة ذات أهمية من الطراز الأول لدراسة فن البناء المعمارى عند المسيحيين الأوائل، خاصة لما يعرف عن تاريخ إنشائها ولأن تصاميمها الأصلية بقيت دون تغير أو تبديل. وقد كانت معظم الجدران الداخلية لهذه الكنائس مغطاة بالرخام أو بألواح من الحجر الملون أو مغطاة بالجص المدهون وأحيانا بفسيفساء من الزجاج ولم يبق لدينا الآن ما يدل على كيفية تزيين الجدران بالزخارف سوى ثقوب الأوتاد التى كانت تثبت بها الألواح، كما أن رداءة نوعية البناء كانت تختفي فى نفس الوقت خلف تلك الزخارف.

الكاتدرائية وكنيسة ثيودوروس (شكل ٢٧٢)

تعتبر الكنيسة الكاتدرائية من أول المباني المسيحية في مدينة جرش، ولابد أن هذه الكنيسة تعود إلى حوالي ٣٥٠-٣٧٥م، وهي في الواقع الكنيسة الوحيدة التي لا نستطيع تحديد تاريخها بدقة. ولكن هناك بعض الدلائل الثابتة التي لابد وأن نأخذها في الاعتبار منها تاريخ اشتراك مطران جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م، وكذلك ما ذكره إيبفانوس الذي حدثنا عام ٣٧٥م عن وجود نافورة ماء في جرش يحتفل فيها سنويا بأعجوبة تبديل الماء إلى خمر.[١] وهذه النافورة لا يمكن أن تكون سوى النافورة

(١) Harding, op.cit.,pp. 100-101.

الموجودة في الفناء غربي الكاتدرائية. وكذلك هناك دليل آخر على أن هذا الموقع للكنيسة كان يشغل من قبل موقع معبد وثني أقدم عهدا، هو هيكل الطفل ديونيسوس. ولا شك أن حادثة الخمر تمثل تحويل الاحتفالات بالشعائر الوثنية إلى احتفالات بشعائر الديانة المسيحية التي تغلبت على الوثنية.[١]

وبمحاذاة الشارع الرئيسي توجد درجات من السلالم تؤدي إلى مدخل الكاتدرائية من جهة الشرق ويمكن الدخول أيضا إلى الكاتدرائية من الجانب الشمالي والجنوبي.

وتتبع هذه الكاتدرائية في تصميميها الطراز البازيليكي المعتاد إذ أنها تتألف من قاعة مستطيلة لها جناحان شمالي وجنوبي ومحراب يقوم فيه الهيكل، وهناك مذبح كبير يكتنفه حاجز من الرخام بينما يقوم منبر الواعظ في الزاوية الجنوبية الغربية من المذبح.

وقد نقلت الأعمدة وتيجانها ومعظم حجارة البناء من أبنية قديمة، ولا شك أن أكثر هذه الأعمدة قد جاء من معبد الإله ديونيسوس.[٢] وجدير بالذكر أنه يوجد خندق محفور في وسط قاعة الكنيسة بداخله جانب من المصطبة الذي كان يقوم عليها معبد ديونيسوس الوثني. وتنقسم قاعة الكنيسة المستطيلة إلى ثلاثة أجزاء (شكل ٢٧٣ - ٢٧٥) عن طريق اثني عشر عمودا في كل من الجانبين الشمالي والجنوبي، حيث تقسم الكنيسة إلى قاعة رئيسية تقابلها في الشرق الحنية الرئيسية وجناحان أحدهما في الشمال والآخر في جنوب القاعة.[٣] وأهم ما تبقى من هذه الكنيسة هو الحوض القائم في الناحية

---

(١) Scheck, op.cit , p. 179

(٢) Browning, op.cit.,pp.188-189

(٣) Scheck, op.cit.,p 180.

الغربية حيث كان هذا الحوض في الأصل يقوم في منتصف مساحة مربعـــة ويحيط به صف من الأعمدة. ولكن عندما أنشئت كنيسة القديس ثيودوروس في محاذاتها، اقتضى ذلك إقامة الجدار الشرقي والمحـــراب فـــي ســـاحة الكاتدرائية بحيث أدى الأمر إلى خلع صفوف الأعمدة من جـــانب الســـاحة الغربي، وكذلك أعمدة الجانبين الشمالي والجنوبي. ولكن الحوض بقى فـــي مكانه وما يزال في موضعه إلى الغرب.[١]

ويوجد في الجانب الشمالي من ساحة الهيكل ممر من الدرج يـــؤدي إلـــى المعـــبر الـــذي يطـــل علـــى الطريـــق الممتـــد مـــن ســـبيل الحوريـــات Nymphaeum إلى جانب ساحة معبد أرتميس وهناك غرفة على يميـــن هذه الدرجات كانت تستعمل في القرن السادس مصنعا لصناعة الفسيفســـاء الزجاجية. أما إلى الجانب الجنوبي فتقوم كنيسة صغيرة تذكر لنا كتابة مـــن الفسيفساء أنها أنشئت "تذكارا لراحة نفوس أولئك الذيـــن تـــبرعوا ببنائـــها ولمريم العذراء"، ويرجح أن هذه الكنيسة الصغـــيرة أنشـــئت فـــي القـــرن السادس.[٢]

وفي الجانب الغربي نجد ممر من الدرج يقود إلى كنيسة ثيودوروس التـــي أنشئت خلال السنوات ٤٩٤-٤٩٦م، وهناك نقشان يحملان هذه التواريـــخ، أحدهما فوق الباب الغربي الرئيسي والآخر فوق البوابة الخارجية للكنيســـة، ويجدر بنا أن نذكر هنا نص الكتابة التي وردت فوق البوابة الخارجية:

"لقد صرت في غاية من الروعة والجمال مما يدهش جميع الذيـــن يمـــرون بي. إذ انقشعت غيوم الخزي كلها، وبعد أن كنت قذى فـــي العيـــون فقـــد أصبحت عناية الله تحوطني من كل جانب. وفـــي الســـابق كـــانت جثـــث

---

(١) Harding, op.cit.,p 101.

(٢) Browning, op.cit ,p.191

الحيوانات تلقى في هذا الموضع وتنتشر روائحها الكريهة حتى كان النــاس الذين يمرون من هنا يسدون أنوفهم ويكتمون أنفاسهم حتى لا يستنشــقونها. أما الآن فالذين يعبرون هذا السهل المعطر فإنهم يضعون أيديــهم اليمنــى على جباههم لكي يرسموا إشارة الصليب المقدس. فإذا كنت تريد المعرفــة فاعلم أن إينياس هو الذي منحني هذا الجمال الرائع، إينياس رئيس الكهنــة ذو الحكمة والتقوى والورع".(١)

وقد كانت أرضية كنيسة ثيودوروس مغطاة بالحجارة الملونة والرخام ولكـن لم يبق منها إلا القليل، وفي الجنوب الغربي من صحن الكنيسة يوجد جــرن المعمودية، بينما يوجد في الجنوب الشرقي مصلى صغير أرضيته مزينــة بالفسيفساء. أما المدخل الخارجي للكنيسة فقد كــان يحتــوي علــى ثــلاث صفوف من الأعمدة، بالإضافة إلى غرف صغيرة مختلفة زينت أرضيتــها بالفسيفساء. بينما كانت الغرف الموجودة في الجهة الشمالية تستعمل مــنزلا لرجال الكهنوت، وهناك أيضا مصلى صغيرة في الجهة الجنوبية.(٢)

مجمع الكنائس الثلاثة: القديس يوحنا، القديس كوسماس وداميـلنوس، القديس جورج:

يتكون هذا المجمع من ثلاث كنائس بأسماء القديسين يوحنا، كوســماس وداميانوس، جورج. وقد أنشئت هذه الكنائس الثلاث خلال الفــترة ٥٢٩–٥٣٣م في عهد الإمبراطور جستيان، وكانت هنالك تبرعات لإنشائها، حتى أن شخصا يدعى ثيودوروس وزوجته جورجيا تبرعا لمعظم نفقات كنيســة

---

(١) Harding, op.cit.,p.102.

(٢) Scheck, op.cit.,p.182.

كوسماس وداميانوس مما دعي الفنان إلى إظهار صورتيهما واسميهما على الفسيفساء الذي يغطي أرضيتها.(١)

إن ترتيب هذه الكنائس الثلاث إلى جانب بعضها البعض، بحيث تفتح كل منها على الأخرى كان ناشئا عن عادة الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية بأن لا تسمح بإجراء خدمة القداس على مذبح كنيسة ما أكثر من مرة واحدة في اليوم.(٢)

أما من ناحية التصميم فقد أنشئت الكنيسة الوسطى (كنيسة القديس يوحنا) على هيئة دائرة داخل مربع، (شكل ٢٧٦) وفي وسط الدائرة أربعة أعمدة كورنثيه يحملون الجزء المربع، ويعتبر هذا المخطط صورة مصغرة من كاتدرائية بصرى في سورية التي أنشئت قبل ذلك ببضع سنوات. أما الكنيستان الواقعتان على الجانبين فهما على الطراز البازيليكي المعتاد.(٣)

وتطل الكنائس الثلاث على ساحة عامة تحتوي على صف من الأعمدة المختلفة الطراز على امتداد جانب واحد هو الجانب الغربي. وكان الممر Narthex الواقع بين الأعمدة والكنائس مزينا في أرضيته بالفسيفساء، بينما كانت بقية أرضية الساحة مرصوفة بالحجارة. ويبدو أن حوضا للماء المقدس كان يقوم أصلا خارج كل كنيسة.(٤)

أما فيما يتعلق بالغرف الواقعة في الطرف الشرقي من الكنائس، فقد كانت الغرفة الواقعة بين كنيستي كوسماس ويوحنا معبدا في الأصل ثم تحولت

---

(١) Harding, op cit ,p 103

(٢) Scheck, op cit.,p.178

(٣) Ibidem

(٤) Browning, op cit.,p 193 Fig 120.

إلى غرفة معمودية، وقد نصب حوض المعمودية فوق زخارف الأرضية التي كانت على شكل صليب داخل دائرة.

ويوجد في باب الجدار الغربي المؤدي إلى كنيسة القديس يوحنا حجرا كبيرا نحت فيه رأس أسد ونقوش أخرى. وليس هذا الحجر إلا قطعة من الكورنيش الخارجي الذي يزدان به معبد أرتميس، حيث كان الماء يتدفق من رأس الأسد. أما الغرف الأخرى فيبدو أنها كانت مساكن للشمامسة.(١)

وقد كانت الكنيسة الجنوبية المكرسة باسم القديس جورج لا تزال مستخدمة حتى القرن الثامن الميلادي، وهي الوحيدة بين الكنائس الثلاث التي ما تزال مقاعد الكهنة قائمة في صدرها المجوف.وما يزال فيها أيضا موضعان لحفظ الذخائر الكنسيه وبقايا حاجزين، مما يدل على أن بعضا من أثاث الكنيسة كان قد نقل من إحدى الكنيستين المجاورتين حينما بطل استعمالهما. وربما يفسر ذلك سبب بقاء الفسيفساء سليمة في كنيسة القديس كوسماس وجانبا من فسيفساء كنيسة القديس يوحنا.

ذلك أن تدمير فسيفساء كنيسة القديس جورج لم يتبعه تدمير فسيفساء الكنيستين الأخرتين لأنهما كانتا قد تهدمتا من قبل. وفسيفساء كنيسة القديس يوحنا على قدر عظيم من الروعة وتشتمل على صور مدن مختلفة منها الإسكندرية وممفيس، كذلك رسوم لأشخاص وحيوانات.(٢)

وتعتبر فسيفساء كنيسة كوسماس وداميانوس من أروع قطع الزخرفة في جرش بأكملها حيث تظهر صورتان لمؤسسي هذه الكنيسة وهما ثيودوروس وزوجته جورجيا (شكل ٢٧٧) في وضع تعبد وتتضمن الفسيفساء كتابة

---

(١) Harding, op cit.,p.104.

(٢) Harding, op cit.,p.103.

تعبر عن تكريس الكنيسة والتاريخ ٥٣٣م وكذلك تظهر صورتان: [1] إلـــى اليسار يوحنا بن استريكس وإلى اليمين كاليونستوس، وإلى جـــانب يوحنـــا أيقونة تتضمن كتابة عن القـــائد داجيســـتيوس (أحـــد قـــواد الإمـــبراطور جستنيان). أما بقية الأرضية (شكل ٢٧٨) فتمتلئ بلوحـــات علـــى أشـــكال هندسية متعددة بينها رسوم هندسية متشـــابكة وصلبـــان معقوفـــة وطيـــور وحيوانات من جميع الأنواع.

كنيسة بروكوبيوس (شكل ٢٧٩ – ٢٨٠)

تقع هذه الكنيسة في أقصى شرق المدينة خلف المباني الســكنية للمدينـــة الحديثة، وقد أنشئت هذه الكنيسة عامي ٥٢٦-٥٢٧م علـــى نفقـــة ضـــابط يدعى بروكوبيوس وهي تتبع الطراز البـــازيليكي المعـــروف ولكنـــها ذات حنايا في الجهة الشرقية، الوسطى منهما أكبر حجما من الحنيتين الجـــانبيتين ولكن الحنايا الثلاث لهما نفس العمق تقريبا. وتنقسم الكنيسة إلـــى صحـــن كبير وجناحان عن طريق صفين من الأعمدة في كل صف ستة أعمـــدة.[2] ويوجد المذبح في النهاية الشرقية لهذه الأعمدة، ويؤدي إلى هـــذه الكنيســـة ثلاثة مداخل تقع على محاور الكنيسة الثلاثة.[3] وتوجد كنيسة صغيرة فـــي الناحية الشمالية يؤدي إليها بابان في الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ولـــها مدخل على نفس محور المداخل الثلاثة الأخرى. والمخطط العـــام لكنيســـة بروكوبيوس يشبه إلى حد كبير كنيسة القديس بطرس وبولس.[4]

---

(١) Scheck, op.cit., p.179, Abb. 22.

(٢) Harding, op cit.,p 105

(٣) Scheck, op.cit ,p.192

(٤) Browning, op.cit ,p 209, Figs 138-139

كنيسة القديسين بطرس وبولس (شكل ٢٨١ – ٢٨٢)

تقع إلى الجنوب من كنيسة يوحنا وقد أنشئت حوالي عام ٥٤٠م وتتخـــذ هذه الكنيسة موقعا منعزلا في المدينة حيث تبعد عن كل المباني الأثرية فـي المدينة فهي تقترب من سور المدينة في الناحية الجنوبية الغربية. ويوجـــد نقش على أرضية الفسيفساء بها يوضح أن أحد الأشـــخاص الـذي يدعـى اناستاسيوس ــ ربما خليفة الأسقف بولس ــ قد قام بتأسيسها.[١] ويبلغ طول هذه الكنيسة ٣٢ متر وتتكون من صالة أماميـــة Narthex فـــي الجـانب الشمالي الغربي، يؤدي في نهايته إلى كنيسة صغيرة جانبيـــة ولكنـها ذات حجرتين وبها باب في حائطها الجنوبي يؤدي إلى الكنيسة الكـبرى. ومــن خلال صفين من الأعمدة (٩ أعمدة في كل صف) تنقسم الكنيسة إلى صحن وجناحين وفي نهاية كل قسم توجد حنية في الناحية الشرقية حيث الكـــبرى هي الوسطى.[٢] وتتميز الحنايا الجانبية في هذه الكنيسة بأنها تـــأخذ عمقـا أكثر بقليل من الحنية الرئيسية الوسطى، في حين يحتـل المذبـح مسـاحة الحنايا الثلاث. وكما هي العادة في كنائس الأردن توجـــد بـهذه الكنيسـة أرضية من الفسيفساء عليها صور لفصول السنة الأربعة وكذلـــك صــورا تجسد مدن الشرق مثل الإسكندرية وممفيس.[٣]

كنيسة الموتى Mortuary Church

إلى الجنوب من كنيسة القديس بطرس وبولس تقع كنيسة الموتى علـى بعد حوالي ١٥ مترا فقط، وطراز هذه الكنيسة فريد في نوعـــه فـــي كـل

---

(١) Harding, op.cit.,p.105.

(٢) Browning, op.cit., p. 205, Figs.133-134

(٣) Scheck, op.cit ,p.177

كنائس جرش حيث ينتمي إلى النوع المعروف باسم كنـائس الصـالات.(١) وحسب النقش الموجود على أرضية الفسيفساء بهذه الكنيسة أن شخصا مـا قد أنشأ هذه الكنيسة تخليدا لذكرى والديه في النصف الثـاني مـن القـرن السادس الميلادي.(٢)

كنيسة اليهود Synagogue Church

تقع كنيسة اليهود (شكل ٢٨٣ – ٢٨٤) إلى الغرب من معبد أرتميـس، وكان هذا المكان في الأصل كنيسا لليهود في القرنيـن الرابـع والخـامس الميلادي وهو المبنى الديني الوحيد للأقلية اليهودية في جرش. وكان هـذا المبنى يتجه ناحية الغرب أي ناحية أورشليم ومحاطا بالأعمدة.(٣)

وفي عام ٥٣٠/٥٣١م أمر الأسقف بولس الذي كان يشغل وظيفـة رئيـس الكنيسة في جرش في هذا الوقت فوق هذا الكنيس ببنـاء كنيسـة.(٤) وقـد اقتضى هذا التحويل تبديلا في المخطط، لأن الكنيس في شرق الأردن يتجـه نحو الغرب بينما تتجه الكنائس دائما نحو الشرق. ولا يوجد من هذا الكنيس إلا الأعمدة فقط.(٥)

وتتخذ الكنيسة الطراز البازيليكي المعتاد ذو الحنية الشرقية الواحدة، وتنقسم الكنيسة من خلال صفين من الأعمدة (كل صف ٨ أعمدة) إلى ثلاثة أقسـام كما رأينا في الكنائس السابقة. وجدير بالذكر أن هذه الكنيسة تحتوي علـى

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op cit.,p.207.

(٣) Harding, opcit.,p.105.

(٤) Scheck, op.cit.,p.189.

(٥) Browning, op cit ,pp.200,Figs.129-130

ثلاثة مداخل، مدخلين حول الحنية الكبرى في الشرق ومدخل رئيسي في الحائط الغربي.(١)

كنيسة المطران جانيسيوس Genesius Church

تعتبر كنيسة جانيسيوس (شكل ٢٨٥ - ٢٨٦) آخر الكنائس التي بنيت في مدينة جرش، وهي تقع إلى الغرب من كنيسة يوحنا.(٢) وقد اكتشفت في هذه الكنيسة أرضية من الفسيفساء عليها نقش يوضح أن المبنى يرجع إلى عام ٦١١م أي إلى ما قبل الاحتلال الفارسي للمدينة بثلاث سنوات، وإلى ما قبل الفتح الإسلامي بخمسة وعشرين عاما.(٣)

وتتبع هذه الكنيسة الطراز البازيليكي المعروف ذات الثلاثة أروقة التي يفصلها عن بعضها صفان من الأعمدة (كل صف سبعة أعمدة)، وتتميز هذه الكنيسة بوجود حجرة مستطيلة عرضية قبل الوصول إلى الحنية الشرقية الواقعة جهة الشرق، وهناك كنيسة صغيرة في جنوب المبنى لها باب يؤدي إليها من الكنيسة الكبرى، وباب آخر من الخارج يقع على نفس محور الأبواب الثلاثة الرئيسية للكنيسة الكبرى.(٤)

مدينة البتراء Petra

تعتبر مدينة البتراء (شكل ٢٨٧) في الأردن من المناطق الأثرية الفريدة في العالم أجمع، ولا نجد مثيلا لها في أي من حضارات العالم القديم. وتمثل مبانيها المحفورة في الصخر تحفة معمارية نادرة الوجود، ففيما عدا اللون الأحمر الوردي فالحجر الرملي في اغلبه ذو لون أحمر

---

(١) Ibidem,p.201.

(٢) Harding, op.cit.,p 105.

(٣) Scheck, op.cit., pp.177-178.

(٤) Browning,op.cit., pp. 201-202, Figs.131-132.

غامق مائل إلى الصفرة تتخلله في بعض المواقع عروق رائعة من الألـوان الصفراء والرمادية والبيضاء.

وقد قام بالكشف عن هذه المدينة الفريدة أحد الرحالة الإنجليز ذو الأصـل السويسري وهو يدعى جوان بركهارت في عام ١٨١٢م وذلك بتكليف مـن جمعية إنجليزية مهتمة بالمعرفة آنذاك.(١)

تاريخ البتراء المبكر

رغم الحفائر العديدة التي تمت في الفترة الأخيرة في مدينة البـتراء إلا أن بعض الغموض يكتنف تاريخها. ولقد تـم العثـور علـى أدوات كـان يستخدمها إنسان العصر الباليوليثي، وهذه الأدوات عبـارة عـن المعـاول اليدوية المعتادة وعثر على كهف صخري يرجع عهده إلى الفترة الباليوليثية أي إلى حوالي عشرة آلاف عام ق.م. وقد وجدت أيضا عددا مـن القـرىٰ التي تعود للعصر النيوليثى في الأماكن المجاورة مثل قرية البيضـا التـي تقع إلى الشمال من البتراء.(٢)

هذا ولم يتم العثور حتى الآن على دلائل تشير إلى الحياة في فترة العصـر الخالكوليثى و العصر البرونزى، مما يجعلنا نجهل الكثير عن تاريخ البتراء حتى العصر الحديدي.(٣)

ويعتقد كثير من العلماء أن البتراء هي "سلع" التي ورد ذكرها في العـهد القديم،(٤) وذلك لأن الاسم العبري"سلع" والاسم اليوناني "البـتراء" Patera يدلان على نفس المعنى "الصخر" مع أن كلمة سلع في اللغة العربية تعنـى

(١) Harding, op cit., p 139

(٢) F Hours, Die Vorgeschichte in Überblick, in: Der Konigsweg. 9000 Jahre Kunst und Kulter in Jordanien und Palästina, Köln, 1987, pp. 53-55.

(٣) G. Dollfus, Das Chalkolithikum, in. Der Konigsweg, Köln, 1987, pp. 66- 67.

(٤) التوراة أخبار الأيام الثاني ٢٥ :١٢.

بدقة الشق في الصخر، وهذا أكثر تطابقا مع طبيعة البتراء وموقعها.(١) وقد أطلق على البتراء اسم المدينة الوردية.(٢)

كانت سلع مدينة ضمن مملكة أدوم القديمة التي كان سكانها يسمون حوريون أو سكان الجبال، وهم الذين طردهم الأدوميون وحلوا محلهم، حتى جاء الأنباط فطردوا الأدوميين بدورهم واستولوا على بلادهم. وتحدثنا التوراة أن أمصيا Amaziah ملك يهوذا (٧٩٦-٧٨١ق.م) قد حارب الأدوميين في معركة كبيرة وألحق بهم الهزيمة وذبح عشر عائلات منهم وأخذ عشر عائلات أخرى معه إلى الصخرة (سلع) التي استولى عليها وطرحهم على راس سلع فتكسروا أجمعين.(٣)

وقد عثر على قمة أم البيارة وهي أعلى القمم بين جبال البتراء غربي المعبد ـــ بعض الدلائل التي تشير إلى إقامة الإنسان أثناء العصر الحديدي حوالي القرن التاسع ق.م، ولكن يبدو أن البتراء كانت تستعمل كملجأ اكثر منها كمكان للإقامة الدائمة، ولابد أن الأسرى قذف بهم من أعلى هذه القمة.(٤)

الأنباط العرب في البتراء

يربط التاريخ بين الأنباط والبتراء ذلك لأن الأنباط هم أول من أقاموا في البتراء بصورة دائمة، وهم الذين ابتدعوا نماذج خاصة بهم من فنون البناء والنحت وصنع الفخار وزخرفة الحجارة.(٥) وكانت صناعة الفخار

---

(١) Harding,op cit.,p 119.

(٢) نظمية توفيق، المرجع، ص ٦٢.

(٣) F Zayadine, Die Zeit der Kőnireiche Edom, Moab und Ammon 12. - 6. Jahrhundert V Chr., in Der Kőnigsweg, Kőln., 1987, pp 117-119.

(٤) Harding, op.cit., p.119.

(٥) I.Browning, Petra, Chatto & Windus, London, 1982, pp. 32-39.

من أعظم إنجازات الأنباط حيث أن الفخار النبطي كان من الرقــة ودقـة الصنع بحيث لم يكن يقارنه في ذلك إلا أفضل أنـــواع الخـزف الصينـي (البورسلين) بل لقد وصل هذا الفخار النبطي إلى درجة فاقت فـي بعـض الأحيان البورسلين وذلك يرجع إلى أن البورسلين كانت تتم صناعتـه مـن خلال قوالب بينما كان الفخار النبطى يشكل علـى العجلـة الفخاريـة ثـم يزخرف من الداخل بنقوش بالغة الدقة ومدهونـة بدهـان أسـود أو بنـى غامق.(١) وتكمن روعة هذا الفخار سواء المزخرف منه أو غير المزخـرف في الدقة المتناهية التي صنع بها على عجلة الفخار إذ يبلغ سـمك جـدران هذه الأواني ملليمترات قليلة في معظم الأحيان، ويسمى هذا الفخار تظـيرا لفخامته ـــ بالسيجيلاتا النبطية.(٢)

كتابات الأنباط (شكل ٢٨٨)

كان للأنباط حروفهم ولغتهم الخاصة بهم، وتتشابه الحروف نوعا مـا مع الحروف العبرية ولكن تتميز بأنها متطاولة عموديا، وقد اعتاد الأنبـاط أن يعلقوا بعض الحروف بعضها ببعض ويكتبوها متلاصقة بسبب أشـكالها المستطيلة مما يجعل قراءتها عسيرة. ومما يصعب مهمـة الـدارس لـهذه الكتابات هي قلة هذه الكتابات المنقوشة على الصخور. أما أطول الكتابـات النبطية المعروفة فقد وجدت على أوراق البردي النبطية التي اكتشفت علـى

---

(١) Schmitt- Korte, Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Kőln, 1970, pp. 174 -186.

(٢) N. Khairy, Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, kőln, 1981, pp. 142 - 144, pls 78-84.

شاطئ البحر الميت شرقي بيت لحم، وأيضا توجد كتابة نبطية طويلة واحدة في البتراء على ضريح التركمانية.(١)

ويعتقد علماء اللغة أن الكتابة الكوفية ومن بعدها الكتابة العربية تعــود في أصلها إلى حروف الأنباط، أما اللغة فيبدو أنها كانت إحـــدى اللـــهجات الآرامية التي تأثرت تأثرا قويا باللغة العربية، لذلك نلاحظ أن معظم أســماء الأشخاص عند الأنباط هي أسماء عربية.(٢)

آلهـــة الأنبـــاط

كان ذو الشرى واللات هما الآلهة عند الأنباط. أما ذو الشرى فكـــانوا دائما يجسدونه على هيئة كتلة من الصخر أو عمود، بينما كانوا كثيرا مـــا يقرنون اللات بالينابيع والماء. وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربيـــة ذو الشرى.(٣) والشراه هي الجبال الواقعة قريبا من البتراء وهـــي مـــا تـــزال محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم. أما في التوراة فيطلق عليه اســـم "ســـعير" وهي نفس كلمة الشراه،(٤) وتصف التوراة "يهوه" بأنه أشرق من ســـعير أي أنه دوشارا نفسه.(٥)

وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر، يدعى أحينا بيت ايل أي بيت الإله ـــ وكانت معابده الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة مثله مثل دوشارا. هـــذا بالإضافة إلى العديد من الإلهات التي عبدت عند الأنباط مثل اللات والعزى

(١) Harding op cit., p 120.

(٢) H P Roschinki, Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien, in Die Nabatäer, köln, 1981, pp. 27-40.

(٣) H P. Roschinski, Geschichte der Nabatäer, in· Die Nabatäer, köln, 1981, p.7

(٤) سفر التكوين ١٤ :٦.

(٥) أشعيا ٤٠ : ٢٨.

ومناه[١] وهي آلهة عربية انتشرت عبادتها في الجزيرة العربية، وكذلك عبدت الإلهة ايزيس المصرية عند الأنباط في العصر اليوناني والروماني.[٢]

شعب الأنباط

يبدو أن الأنباط كانوا في الأصل قبيلة كبيرة احتلت الجزء الشمالي الغربي من جزيرة العرب وهو الجزء الذي كانت تمر فيه القوافل المحملة بالبخور والبهارات قادمة من حضرموت في الجنوب. ومن المحتمل أن رجال هذه القبيلة كانوا في بادئ الأمر يهاجمون القوافل وينهبونها، ولكن بعد أن تمكنوا وأصبحوا قوة لا يستهان بها،أخذوا يجبون من هذه القوافل نوعا من الضريبة ضمانا لسلامتها وأمانها.[٣] وقد ورد أول ذكر للأنباط كشعب من الشعوب في قائمة أعداد أشور بانيبال ملك أشور في عام ٦٤٧ق.م حيث كانت البتراء وقتئذ في أيدي الأدوميين.[٤]

ويحدثنا المؤرخ ديودوروس الصقلي[٥] عن البتراء حيث يصفها باسم الصخرة فهي في غاية المناعة ولكنها بدون أسوار. ويسجل لنا ديودوروس أنباء الحملة العسكرية التي قادها أنتيجونوس حاكم سورية لكي يخضع الأنباط، وفي هذه الحملة تمكن أنتيجونوس من احتلال الصخرة لأن جميع أهالي الأنباط كانوا يحتفلون بمناسبة عظيمة في مكان غير بعيد ولكن الأنباط استطاعوا استعادة أراضيهم بعد هجومهم على معسكر أنتيجونوس.

(١) F Zayadine, Die Götter der Nabataer, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, köln, 1970, pp. 114 – 116

(٢) Ibidem, pp. 116-117

(٣) Harding, op.cit., p 121

(٤) Zayadine, Die Zeit, p. 120.

(٥) Diodoros, Bibliotheke, 19, 94, 4.

ويصفهم استرابون[١] على لسان شخص يدعى أثينودوروس الذي كان صديقا ومعلما للإمبراطور أوغسطس وكان قد ولد في البتراء، ويصف مدينتهم كما كانت في القرن الأول ق.م، فيتحدث عن مساكن الأنباط التي كانت ضخمة ومن الحجر وأن مدينتهم غير محاطة بالأسوار بسبب حالة السلم والأمن السائدين في بلادهم، وأنهم يمجدون الشمس فيقيمون لها هيكلا في منازلهم وعاصمتهم هي المسماة بتراء لأنها تقع على أرض مستوية ومنبسطة عموما ولكن تحميها الجبال الصخرية من جميع الجوانب.

ملـوك الأنباط

يذكر التاريخ أول ملوك الأنباط الحارث الأول Aretas I في حوالي أواخر القرن الثاني ق.م (حوالي ١٦٩ ق.م) الذي لجأ إلى حماه جاسون كبير كهنة اليهود في القدس بعد طرده من بلاده.[٢]

جاء بعده الملك الحارث الثاني Aretas II الذي حكم في الفترة ما بين ١٢٠/١١٠ ــ ٩٦ق.م. وقد تغلب الملك عباده الأول Obodas I (٩٦ــ٨٧ ق.م) حوالي عام ٩٠ق.م على حاكم فلسطين اسكندر جانوس وهزمه في ميدان القتال، واسترد مؤاب وجلعاد اللتين كان الإسكندر جانوس قد استولى عليهما من قبل. ويبدو أن منطقة شرق الأردن كلها لابد أن تكون قد خضعت لحكم الأنباط خلال عهد ذلك الملك.[٣] وجاء بعده الملك رب ايل الأول حوالي عام ٨٧ق.م. وأثناء حكم الحارث الثالث بن عباده Aretas III (٨٧ ــ ٦٢ ق.م) اتسعت المملكة حتى بلغت دمشق، وقد اهتم هذا الملك بالأحداث السياسية في فلسطين اهتماما كبيرا، حتى أن

(١) Strabo, Geography XVI, 779, 783-784.

(٢) Roschinski, Geschichte, p 14

(٣) Scheck, op cit., p.340.

القائد الروماني قد أرسل حملة عسكرية ضد البـــتراء بقيـــادة ســـكاوروس ولكنها فشلت. وجاء إلي الحكم بعد ذلك الملك عباده الثـاني Obodas II (٦٢ ــ ٦٠ق.م).[١]

وفي عهد الملك مالك الأول Malichhus I (٦٠ ــ ٣٠ق.م) انحاز الأنبـاط إلى الفرس عندما اشتبكوا في الحرب مع روما، وعندما لحقـــت الهزيمـــة بالفرس اضطر الأنباط إلى دفع الجزية إلى الرومَانَ (حوالي عـام ٤٠ق.م)، وبعد ذلك قدم ماركوس أنطونيوس جزءا كبيرا من بلاد العرب ــ بما فيــها مملكة الأنباط ــ هدية إلى المملكة البطلمية كليوبترا فتحول دفع الجزية إلى مصر.[٢] ونتيجة لتباطأ مالك الأول في دفع الجزية إلـــى مصـــر تحـــالف هيرودوس الكبير مع كليوبترا وهاجم مالك الأول، ولكن الهزيمـــة لحقـــت بهيرودوس نتيجة أعمال الخيانة، غير أنه لم يلبث أن حقق نصرا كبيرا فـي عام ٣١ق.م واستولى على جانب كبير من بلاد الأنباط.[٣] وعند وفاة مـــالك الأول خلفه الملك عباده الثالث (٣٠ــ٩ق.م)،[٤] وفي عهده أعد الإمبراطور أوغسطس حملة عسكرية لمهاجمة بلاد العـــرب بقيـــادة اليـــوس جـــالوس وعرض ساليوس رئيس وزراء الملك عباده أن يكون دليـــلا للجيـــش فـــي زحفه عبر الصحراء، ولكنه سار بالجيوش فـــي أكـــثر الأمـــاكن وعـــورة وأشدها جفافا مما أدى إلى موت عدد كبير من الجنود الرومان وباءت هـــذه الحملة بالفشل.[٥]

---

(١) Harding, op cit., p. 123.

(٢) Scheck, op cit , p.342.

(٣) Roschiski, op.cit., p.19.

(٤) Scheck, op.cit., p. 343.

(٥) M. Lindner, Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, Nürnberg, 1970, pp. 68 - 69.

أما الملك الحارث الرابع Aretas IV الذي تولى عرش الأنباط فيما بين ٩ق.م ــ ٤٠م وكان يسمى نفسه "المحب لشعبه"، وكان عهده عهد رخاء يسوده السلام على وجه العموم، وكانت الحرب الوحيدة التي خاضها ضد هيرودوس أنتيباس ابن هيرودوس الكبير.

وكان أنتيباس هذا قد تزوج ابنة الحارث، ولكنه أراد بعد ذلك أن يطلقها لكي يتزوج هيروديا زوجة أخيه، وقد رد الحارث على هذه الإهانة الموجهة إلى عائلته بالاشتباك مع أنتيباس في معركة وألحق به الهزيمة.[١] على أن الرومان كانوا يساندون هيرودوس أنتيباس وبدأوا يزحفون نحو البتراء ولكي يأخذوا بالثأر. ولكن أثناء ذلك مات الإمبراطور الروماني تيبريوس فارتد الجيش الزاحف عائدا.[٢]

وأثناء فترة حكم مالك الثاني (٤٠ــ٧٠م) الذي حكم في فترة الإمبراطور نيرون أرسل قوات لمساعدة الرومان ضد اليهود ومعلوماتنا عن هذه الفترة قليلة،[٣] حتى جاء آخر ملوك الأنباط رب ايل الثاني (٧٠-١٠٦م) الذي توفي عام ١٠٦م أصبحت البلاد بعد وفاته مقاطعة رومانية، فلقد استولى الرومان على مدينة البتراء وأعادوا تنظيمها على النسق الروماني التقليدي، وشمل إنشاء شارع رئيسي تحيط الأعمدة بجانبيه،[٤] ومنذ هذا التاريخ أصبحت البتراء مقاطعة رومانية وأطلق عليها اسم المقاطعة العربية Provincia Arabia.[٥]

---

(١) Roschinki, op.cit., p 24.

(٢) Scheck, op.cit., p. 343.

(٣) Lindner, op cit., p.78.

(٤) Ibidem, pp. 80-86.

(٥) E. Will, Hellenistisch- rőmische Zeit. Von der Dekapolis zu provinz Arabien, in: Der Kőnigsweg, Kőln, 1987, pp 251-253.

آثار مدينة البتراء

من الملفت للأنظار في مباني مدينة البتراء تلك الواجهات الصخرية للمقابر المنحوتة داخل الصخر والتي تدل دلالة قاطعة على اعتقاد الأنباط في حياة ما بعد الموت، ويؤكد ذلك المكتشفات الثمينة والنقوش التي وجدت في هذه المقابر.

وقد برع الأنباط في زخرفة الحجارة وصقلها إذ كانوا يستعملون أزميلا ذا طرف واحد ويبدأون النحت على مقياس الدرجة ٤٥ من الزاوية فوق وجه الحجر أو العمود أو وجه الصخر أو على أي شئ يريدون قطعه وتغيير شكله، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك في مدينة البتراء.(١)

وقبل أن نبدأ الحديث عن أهم الآثار في مدينة البتراء يجدر بنا أن نستعرض أنواع واجهات المقابر في البتراء:

---

(١) Scheck, op.cit , p 354

١- المقابر ذات الزخرفة المسننة[١] (شكل ٢٨٩)

ويطلق عليها المقابر الآشورية نظرا لتأثرها الشديد بالعناصر الفنية الآشورية[٢] وهي ممثلة في البتراء بأعداد كبيرة [٣] حيث توجد ١٥٦ واجهة ذات صف واحد من السنون و ٨١ واجهة ذات صفين من السنون هذا بالإضافة إلى ١٩ مقبرة ذات زخرفة مسننة في مدينة الحجر في شمال غرب الجزيرة العربية.

١-المقابر ذات زخرفة الدرجات[٤] (شكل ٢٩٠)

وهذه الزخرفة عبارة عن درجات أو نصف درجات وتسمى مقابر الحجر وهي تعكس زخرفة غنية حيث تظهر أنصاف أعمدة أو أعمدة مربعة ملتصقة بالجدار وتنتهي هذه المقابر من أعلى بما يشبه ربع الدائرة، وتبلغ عدد الدرجات التي تزخرف الواجهة خمسة درجات. ويمكن تكرار هذه الزخرفة على المقبرة الواحدة في إفريز علوي يحتوى على صف أو صفين من هذه الزخرفة.

وتسمى هذه الزخرفة خطوة الغراب وهى إما زخرفة منفردة أو زخرفة مزدوجة.[٥] وهذه الزخرفة معروفة في منطقة بلاد ما بين النهرين. إما الزخرفة ذات الربع دائرة فهي مصرية الأصل.[٦]

---

(١) A Schmidt-colinet, Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 69 – 72, Pls. 12, 14, 42.

(٢) Scheck, op.cit , p.355.

(٣) Browning, Petra, pp. 83-85, Figs. 30-33.

(٤) Schmidt- Colinet, op cit., pp 72-77, Pls. 13-16

(٥) Browning, Petra, pp 85 – 88, Figs 33 – 34

(٦) Scheck, op.cit , p 355, 357

٣- المقابر ذات الزخرفة الكلاسيكية[١] (شكل ٢٩١ - ٢٩٤)

ويطلق على هذه الزخرفة الزخرفة المتأثرة بالهللينستية أو الزخرفة الكلاسيكية النبطية أو الزخرفة النبطية الرومانية وهي تظهر على المعابد والمقابر وهذه المقابر تتكون واجهتها من طابقين ينتهيان بما يشبه السقف الجمالونى أو السقف نصف الدائري،[٢] وتظهر في هذه المقابر الأعمدة الكاملة والأفاريز المكونة من التقسيمات (الترجليف والميتوب) في طراز هللينستى رومانى.[٣]

ضريح المسلة Obelisk Tomb (شكل ٢٩٥ - ٢٩٧)

وهى مقبرة فريدة في نوعها حيث يعلو واجهة هذه المقبرة أربع مسلات غير مزخرفة، على هيئة أعمدة كانت تبلغ في الأصل حوالي ٧متر إرتفاعا، هذه المسلات كانت بمثابة شواهد قبور للأشخاص الذين تم دفنهم في هذه المقبرة. وتوضح المقابر الخمسة في داخل هذا البناء أن المتوفي الخامس كان ممثلا بتمثال وضع بين الأعمدة الداخلية المدببة، ويحتمل أن يكون هذا المتوفى هو صاحب هذه المقبرة ويدعي مانكو Manku حيث يظهر هذا الاسم على نقش نبطي وأخر يوناني يقع قبالة هذه المقبرة حيث يقول النقش: "أن هذا الضريح أنشأه عبد مانكو لنفسه، ولأولاده وأحفاده".[٤] ويتكون هذا الضريح من خمسة مقابر حفرت في الصخر، الرئيسية في مواجهة المدخل ومقبرتان على كل جانب، ويبدو أن هذا الضريح قد ارتبط بشكل أو بأخر بالمبني الذي نحت أسفله في الصخر وهي ما يسمي بمبنى

(١) Schmidt-Colmet, op.cit., pp. 77 – 81, Pls. 20 – 21.

(٢) Browning, op cit., pp. 90 – 97, Figs. 36 – 39.

(٣) Scheck, op.cit., p. 357.

(٤) Ibidem, pp. 361 – 362.

الأرائك الثلاثة Triclinium. ويرى البعض في الأربعة مســـلات فـوق الضريح تقليدا لمعبد رمسيس الثانى في أبوســـمبل ممــا يعكــس التــأثير المصرى في هذا الضريح،(١) ويرجع إنشاء هذا الضريـــح إلــي النصــف الأول من القرن الأول الميلادي.(٢)

تركلينيوم باب السيق Bab EL Siq Triclium (شكل ٢٩٨)

تقع مباشرة أسفل ضريح المسلة وهى تحمل نفـــس ملامـــح واجـــهات المقابر في البتراء حيث تتكون الواجهة من طـــابقين يعلوهمــا جمـــالون. ويتكون كل طابق من عمودي أركان يأخذا الشكل المربع والنصف دائــوي، وإلى جوار كل عمود مربع نجد عمودان نصف دائريين يلتصقان بالواجهــة يليهما المدخل الرئيسي للبناء ويوجد مثيل لهذه الواجهة فـــي وادى فاراســا في الأردن ويطلق علي هذه المقبرة مقبرة عصر النهضة. ويتفـــق طـــراز هذه المقبرة مع طراز المقابر الكورنثيه في بلاد اليونان وكذلك طراز قصــو البنت في البتراء.(٣)

وتتكون هذه المقبرة من حجرة رئيسية بها ثلاثة أرائك على نفـــس الشـــكل المعتاد للتركلينيوم وهي عبارة عن ثـــلاث مصـــاطب تلتصـــق بـــالحوائط الداخلية ويبلغ مساحة كل منهما بين ٨،٧م. وعلي جــــانبي المقـــبرة مـــن الخارج توجد حجرتان ربما استحدثتا فيما بعد لغرض الدفن وهما محفورتــا أيضا في الصخر.(٤)

(١) Browning, Petra, pp. 106 – 107, Figs. 49 – 50

(٢) A. Hadidi, Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 111 – 112.

(٣) Browning, Petra, pp. 107 – 108, Fig. 51

(٤) Scheck, op.cit , p. 364.

وتؤرخ هذه المقبرة فيما بين نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي أي أنها ترجع إلي عصر الإمبراطور أوغسطس نظرا لتقارب طراز الزخرفة الجصية في هذا المبني مع زخارف قصر البنت.(١)

خزنة فرعون Khazne Firaun (شكل ٢٩٩ - ٣٠٠)

تعتبر الخزنة من أجمل المباني في الواجهات الصخرية لمدينة البتراء علي الإطلاق، وهي بمثابة رمز للحضارة النبطية.

وتكمن أهمية هذه الخزنة في موقعها الفريد حين يتجول زائر البتراء في المضيق الملتوي الذي لا نهاية له يظهر له فجأة واجهة في غاية الروعة والجمال تزينها الأعمدة والتماثيل وهي أعظم المنشآت الأثرية في البتراء علي وجه العموم.(٢)

وقد ساعد موقع هذه الخزنة في حفظها من الرياح والأمطار حيث نحتت في الصخر وهي تمثل بناء من طابقين، الطابق العلوي عبارة عن كورنيش مشرشر من الجانبين وكشك مستدير في الوسط. وفوق هذا الكورنيش ترتفع جرة صماء كبيرة أحدثت فيها كسور عديدة نتيجة لإطلاق الأعيرة النارية عليها من سكان المنطقة نتيجة لما ترامي إلي أسماعهم زعما بأنها تحتوي في داخلها علي كنز عظيم من الذهب ومن هنا أطلقت عليها تسمية "الخزنة"(٣) والواقع أن هذه الجرة ما هي إلا قطعة منحوتة من الصخر الأصم مثلها مثل بقية البناء.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p. 112.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ص ٧٩-٨٠.

(٣) Harding, op.cit., p 128.

(٤) Browning, Petra, p 119

ولم يتفق علماء الآثار حتى الآن عما إذا كانت الخزنة معبدا أو ضريحـا، ولكن أكثر الأدلة تميل إلي تأييد القول بأنها أنشئت لتكـون معبـدا، ولقـد أصيبت التماثيل المنحوتة بتلف كبير حتى لم يعد بالإمكان التعرف عليـها، مع أن بعض العلماء يرون في التمثال الأوسط تمثالا للإلهة ايزيس.(١)

ويطلق أهالي المنطقة على هذا البناء في بعض الأحيان مبنـي الجـرة، ويقع البناء في ساحة كبري طولها ٢٥٠م وعرضها ٧٠م، والبناء منحـوت في صخر رملي يحتوي علي نسبة عالية من الحديد لذا فالمبني يتحول إلـي اللون الأحمر مع سقوط أشعة الشمس عليه.(٢)

ويبلغ ارتفاع هذا البناء حوالي ٤٠م أو أكثر في بعض أجزاء من الواجهـة، في حين يبلغ أتساع المبني ٢٥م، ويبلغ ارتفاع الجـرة بمفردهـا حوالـي ٣,٥م. ويرجع الفضل إلي قياس هذا المبنى لأول مرة إلي العالم الألمـاني G. Dalman في عام ١٩١٠.(٣)

ويتكون هذا البناء من طابقين، (شكل ٣٠١) الطابق السفلي يتقدمـه سـتة أعمدة ملساء ذات قواعد أتيكية وتيجان بالزخارف النباتية تشـبه الطـراز الكورنثي ويقف عمودان فقط (أعمدة الوسـط) بمفردهـا دون الالتصـاق بالحائط الصخري مثل الأعمدة الأربعة الباقيـة. وجديـر بالملاحظـة أن الجمالون السفلي للطابق الأول يستند علي أربعة أعمدة في الوسـط فقـط تاركا العمودين الطرفيين. وقد زخرف هذا الجمالون بنـوع مـن تماثيل الأركان Akroteria.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p.128.

(٢) Scheck, op.cit., p 368.

(٣) G.Dalman, Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig, 1908. pp.26-28

(٤) F. Zayadine, Photogrammetrische Arbeiten in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, p 112.

أما الطابق العلوي من الواجهة فيحتوي أيضا علي ستة أعمـدة، العمـودان في كل طرف يقفان مباشرة فوق أعمدة الطـابق السـفلي، فـي حيـن أن عمودي الوسط يقفان بمفردهما ليشكلا جزء من مبني دائـري فـي وسـط الطابق العلوي يعلوه سقف دائري فوقه جرة كبيرة يبلغ ارتفاعـها حوالـي ٣,٥م.(١)

ويبلغ التخطيط الداخلي (شكل ٣٠٢ - ٣٠٣) للبناء غاية الروعة حيـث تؤدي الأعمدة إلي صالة عرضية تؤدي إلي حجرة جانبيـة فـي الجـانب الأيمن وأخري في الجانب الأيسر، ويتكون مدخل هاتين الحجرتيـن مـن عمودين مربعين يعلوهما تيجان كورنثيه الطراز، وهـذه الأعمـدة تحمـل أرشيتراف مسنن يعلوه زخرفة نباتية رائعة. وفوق هذا الأرشيتراف توجـد فتحة مستديرة لإضاءة هذه الحجرة الجانبية وهو طراز فريـد فـي نوعـه حيث أن هذه الفتحات تكون مربعة أو مستطيلة فـي المقـابر الهللينسـتية، (شكل ٣٠٤) ويوجد في الحجرة اليمني تابوت.(٢)

وفي وسط هذه الصالة العرضية يوجد سلم من خمس درجات يؤدي إلـي الحجرة الرئيسية في المبني وهي مستطيلة الشكل وذات حنايـا مسـتطيلة، واحدة في كل جانب بالإضافة إلي حنية رئيسية في مواجهة السـلم ومـن المحتمل أن هذه الحنايا كانت مخصصة لوضع توابيت للدفـن أو تمـاثيل لإلهة تعبد في هذا المبنى.(٣)

وإذا ما حاولنا تحليل التماثيل التي نحتت علي الواجهة نجد أنها قد أضـيرت كثيرا وبلغت درجة عالية من التلف، ولكن مـن خـلال تقـارير الـدوق

---

(١) Ibidem,

(٢) Browning, Petra, p. 125, Fig. 68.

(٣) Zayadine, Die Götter, p. 115.

De Luynes الذي زار المنطقة في عام ١٨٦٤م نستطيع أن نتعرف علي التمثال الموجود في المبني الدائري في وسط الطابق العلوي من واجهة الخزنة حيث يمثل إلهة الأقدار تيخي Tyche. أما التماثيل التي توجد أسفل الجزء المقطوع من الجمالون فهي تمثل الإلهة نيكي إلهة النصر. أما التمثالان المنحوتان اللذان يظهران في المساحة الداخلية بين العمودين علي الأطراف منهما يمثلان الأمازونة وكذلك فهي مصورة. علي جانبي المبني الدائري.(١) أما التمثال الذي يقف فوق جمالون الطابق السفلي فهو عبارة عن قرص الشمس بين قرون، وقد استند Domaszewski (٢)على هذه الرموز الخاصة بالإلهة إيزيس واقترح أن يكون التمثال الذي يوجد في وسط المبني الدائري معبرا عن الإلهة إيزيس بدلا من الإلهة تيخي. أما G.Dalman(٣) فيري في الطابق العلوي ستة تماثيل لأمازونات تلتف حول الإلهة ديمتر ـ إيزيس، وعلي ذلك يعتقد أن التمثالين في التجويف الداخلي ما هما إلا تمثالان للإلهات الييس Elpis ونمسيس Nemesis بدلا من الإلهة نيكي.

ويعتقد Dalman(٤) أيضا أن كل من التمثالين الجانبيين في الطابق السفلي من الواجهة يمثلان الديوسكوروي أبناء زيوس اللذان يرمزان إلي الحياة والموت. أما تماثيل الأركان Akroteria في الجمالون العلوي فهي أربعة نسور محاطة بأسد وفهد من الجانبين، أما في الجمالون السفلي فهي

---

(١) Scheck, op.cit., p.369.

(٢) A. v. Domazewski- R.E. Brűnnow, Provincia Arabia I, Strasburg, 1904, pp.20-25.

(٣) Dalman, op.cit., p 27.

(٤) Ibidem

مهشمه وتصـــور إمـا نسـر أو رأس الجورجـون (الميدوسـا) أو رأس ديونيسوس الملتحي.(١)

وبعد أن تناولنا هذا المبني العجيب هناك بعض الأسئلة المطروحة: هل هـذا المبني نبطي أم رومان، هل هو معبد أو مقبرة، فجميع العلماء لا يسـتقرون علي أمر محدد بالنسبة لهذا المبني، رغم أنهم يميلون أكثر إلـي اعتبـاره مقبرة.

أما عن تاريخ إنشاء هذا المبني فكل المقترحات تترواح بيـن منتصـف القرن الأول الميلادي كما يرى كـل مـن G. Dalman و Duc De Luynes، وبيـن منتصـف القـرن الثـاني الميـلادي كمـا يـري G.R.H Robert و A. Negev.

وفي عام ١٩٨١ اقترح A. Schmidt – Colinet(٢) أن هـذا المبنـي "الخزنة" (شكل ٣٠٥ – ٣٠٦) يتبع تقاليد العمارة السكندرية المتأخرة وهي نظرية جديرة بالبحث حيث أننا لا نملك الكثـير مـن العمـارة البطلميـة المتأخرة، رغم أن مثل هذه العناصر (الجمـالون – المبنـي الدائـري – أنصاف وأرباع الأعمدة) تظهر في رسومات بومبي الحائطية من الطـراز الثاني خاصة في المنازل السكندرية ذات الطابقين ومنها مناظر في Villa of Oplontis و Casa Di Labirinto و Villa Boscoreale.

مسرح البتراء

ظل هذا المسرح مهدما حتى عام ١٩٦١ وخاصة جـزء مـن خشـبة المسرح والأوركسترا حتى قام فيليب هاموند بترميمه فـي عـام ١٩٦٢.

(١) Browning, op.cit., p.123

(٢) Schmidt- Colinet, op.cit., pp. 90-95, Pls. 34-36.

ويتكون هذا المسرح (شكل ٣٠٧) من أربعين صفا تكون أماكن الجلوس Auditorium وهي تتسع لحوالي ٧٠٠٠ ـ ٨٥٠٠ مشاهد. ويتفق مسرح البتراء في طرازه الفريد مع مسارح منطقة البحر المتوسط،[١] فيظهر الطراز النبطي واضحا ممثلا في البناء الحجري للـ Cavea حيث أن مقاعد الجلوس قد نحتت بأكملها في الصخر. أما الطراز اليوناني فيتجلى في موقع المسرح علي منحدر في بطن الجبل. ويتمثل الطراز الروماني في شكل هذا المسرح فهو يتخذ الشكل النصف دائري طبقا لما جاء عند فيتروفيوس.[٢]

وقد أسفرت الحفائر الحديثة في المنطقة[٣] عن تأريخ هذا المسرح بشكل أفضل، حيث كان المعتقد حتى عام ١٩٦٠ أن هذا المسرح يرجع إلي الفترة الرومانية ما بعد انضمام مملكة الأنباط إلي الحكم الروماني، ولكن الحقيقة أن هذا المسرح قد أنشأ في الفترة بين ٤ ق.م (تاريخ وفاة هيرودوس) وعام ٢٧م أي في فترة حكم الملك الحارث الرابع وظل مستخدما نصف قرن من الزمان وأعيد تجديده في عام ١٠٦م بعد انتصار الرومان حيث كان قريب الشبه من المسرح الروماني في صبراته بليبيا.[٤]

أما نهاية المسرح فكانت خلال الزلزال الذي حدث في ١٩ مايو ٣٦٥م.

---

(١) Scheck, op.cit., p. 371.

(٢) Vitruvius, De architectura VII, VI, 1.

(٣) M.M. Khadlja, 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Kõnigreich der Nabatäer, Nürnberg, 1970, p. 204.

(٤) Browning, Petra, pp. 130-132, Fig 77

ضريح التماثيل أو ضريح الجنود (شكل ٣٠٨ - ٣١١)

وهي مقبرة نحتت في الصخر وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين في ركني الواجهة بينهما عمودان نصف دائريين وكل هذه الأعمدة ملتصقة بجدار الواجهة وكل هذه الأعمدة تحمل تيجان علي شكل القرون وترتفع حوالي ١٤م وتحمل فوقها أفريز يعلوه جمالون علي الطراز الأتيكي.(١) ويتخذ مدخل المقبرة نفس الطراز حيث نجد المدخل محاطا بعمودين مربعين علي نفس طراز أعمدة الواجهة ويعلو هذان العمودان أفريز مقسم إلي ميتوبس وترجليف وداخل كل ميتوب نري زخرفة عبارة عن دائرة ملساء ويعلو الإفريز بالكامل جمالون صغير يغطي مساحة المدخل بالكامل. والواجهة مقسمة إلى ثلاثة أقسام من خلال الأعمدة الأربعة حيث يظهر محراب بين كل عمودين يقف بداخل كل محراب تمثال أكبر من الحجم الطبيعي والمحراب الأيمن والأيسر يعبر عن شخصية عسكرية أما تمثال الوسط فيظهر بداخله تمثال عسكري كامل التسليح علي الطراز الروماني.(٢)

ومن خلال فتحتين في الواجهة تصل الإضاءة إلى القسم الداخلي من المقبرة، وهو عبارة عن صالة أبعادها ١٣×١٥م وفي جنوب هذه الصالة توجد حجرة مربعة طول ضلعها ٩متر، وتوجد بها محاريب في الحائط الشمالي والغربي كانت تحتوي على توابيت للدفن.(٣)

---

(١) Scheck, op cit., p 376.

(٢) Browning, Petra, pp. 197-199, Fig. 130.

(٣) Scheck, op.cit., p.378.

ضــريح الجــرة (شكل ٣١٢ - ٣١٤)

يقع ضريح الجرة في مستوى من الأرض أكثر ارتفاعا مـن الآثـار الأخرى، وهو أثر مهيب تنبسط أمامه ساحة كبرى وأعمـدة نحتت فـي الصخر. وكان الأنباط قد قاموا في الأصل بتوسيع الساحة وبنوهـا علـى طراز متقن الصنعة من الأقبية وجعلوها ذات طابقين. وتقـف مثـل هـذه الساحات الضخمة أمام الأضرحة النبطية الهامة مثـل ضريـح التمـاثيل ومقبرة أونايسو ومبنى الخان. وقد قام مسيحيوا البتراء بتوسعة هذه السـاحة في القرن الخامس.(١)

أما واجهة الضريح فرغم ضخامتها فهي بسيطة للغاية حيث تتكون من عمودين مربعين في الأركان يلتصق بهما ربع عمود، أما في الوسط فـهناك عمودان ملتصقان بالواجهة وجميع هذه الأعمدة تقف على قاعدة وتحمـل تاجا مربعا على طراز القرون وتحمل هذه الأعمدة افريز مكون من ثـلاث ساحات مستطيلة مقسمة إلى أجزاء من خلال امتداد للأعمدة السفلى تنتـهي هي الأخرى بتيجان أعمدة مربعة على طراز القرون ويرتفع فوق المبنـى جمالون تحمل فوقه جرة ضخمة.(٢)

ويشبه مدخل هذا الضريح مدخل ضريح الجنود مـن حيـث وجـود عمودين مربعين يعلوهما أفريز مقسم إلى ميتوب وترجليف يعلوه جمـالون صغير. وتوجد في الواجهة أربع فتحات عبارة عـن نوافـذ أو محـاريب مغلقة، وتشكل هذه الفتحات ظاهرة غريبة في الفن النبطي حيـث أضيفـت النافذة الوسطى فوق المدخل في العصر البيزنطي إلى المبنى بينمـا كـانت الفتحات الثلاث الواقعة بين الأعمدة على مستوى واحد تسـتخدم كأمـاكن

(١) Harding, op.cit., p. 131.

(٢) Scheck, op.cit., p 383.

خاصة بالمقبرة حيث كانت تحوى تماثيل نصفية.[١] من المحتمل أن الفتحة الوسطى الرئيسية كانت لتمثال نصفي للملك مالك الثاني، أما الفتحتان الجانبيتان فقد نهبت التماثيل التي بداخلها؛ وقد دلت الأبحاث الحديثة التي أجريت في البتراء أن كل فتحة أو نافذة من النافذتين الجانبيتين تؤدي إلى Loculi أو إلى ضريح.[٢]

أما في داخل المبنى فتوجد حجرة الدفن بأبعادها ١٨,٥×١٧م ويوجد نقش يوناني في الركن الشمالي الشرقي منها يذكر الأسقف جاسون Jason وأحد الشمامسة الذي يدعى جوليان Julian. ويبدو أن هاتين الشخصيتين قد شيدا ضريح الجرة في عام ٤٤٦م ووهبوا هذا المبنى إلى كاتدرائية البتراء. وعلى ذلك فقد تم تحويل محاريب الدفن المتجهة إلى الشرق في الحائط الخلفي إلى حنيات للصلاة، ويؤكد ذلك وجود أربع فتحات في الأرضية أمام الحنية الرئيسية كانت تستخدم لتثبيت مذبح خاص بالصلاة في هذا المكان.[٣]

ضريح سكستيوس فلورنتينوس (شكل ٢٩٣)

إلى أقصى شمال الحائط الملكي يقع ضريح سكستيوس فلورنتينوس Sextius Florentinus وهو حاكم المقاطعة العربية في عصر الإمبراطور هادريان.

ويظهر نقش لاتيني طويل داخل المساحة المقوسة فوق الأعمدة يذكر أن ابنه لوكيوس قد شيد هذا الضريح لوالده في عام ١٤٠م، ويقول النص "إلى لوكيوس... الصغير، ابن لوكيوس بابيريوس سكسكتيوس فلورنتينوس، أحد

---

(١) Browning, Petra, p.216.

(٢) Ibidem.

(٣) Scheck, op cit., p.383.

المسئولين الثلاثة عن سك النقود الفضية والذهبية، المحامي العسكرى لفيلق منيرفا الأول، المدعي العام لمقاطعة آسيا، محامي الشعب، قائد الفيلق الثامن في هسبانيا القنصل الأول في مقاطعة ناربونتسيس، الوالي المعين من قبل أغسطس، حاكم مقاطعة بلاد العرب، الأب الذي يعرف واجباته جيدا، تمشيا مع وصية بعينها."

ويبدو أن هذا الضريح كان قائما في العصر النبطي وأعيد استخدامه في العصر الروماني مرة أخرى لدفن هذا الحاكم.(١)

ويتفق هذا الضريح في زخرفته وطرازه مع معبد هادريان الصغير في إفسوس وكذلك أيضا في طراز القطع النحتية حيث يظهر فيها الاتجاه إلى تصوير الأبعاد الثلاثة.(٢)

قصر البنت

أو قصر بنت فرعون Qasr el-Bint

يقع هذا الهيكل فوق سفح الشقيف الغربي ويستأثر هذا المبنى الانتباه أكثر من أي مبنى آخر. إنه يدعى قصر البنت أو قصر بنت فرعون (شكل ٣١٥ – ٣١٨) وهذه التسمية ناشئة عن عادة قديمة عند العرب إذ يعزون إقامة جميع المنشآت الضخمة إلى ملوك مصر القدماء، لاعتقادهم أن أولئك الملوك كانوا ذوي قدرة عظيمة.(٣)

وتتردد أسطورة شعبية في البتراء فيما يخص هذا القصر بأنه كان هناك فتاة تعيش في العصور القديمة في قصرها (قصر البنت) ووعدت من يوصل المياه إلى قصرها الذي يقع وسط الصخور بالزواج، واستطاع أحد

---

(١) Harding, op.cit., pp 132-133.

(٢) Scheck, op.cit., p.401.

(٣) Harding, op.cit., p.130.

شباب المدينة بمساعدة الآلهة أن يوصل بئر عين قارون عبر الصخر إلى هذا القصر، وبذلك حاز إعجاب الفتاة وتزوجها.[(١)]

ويأخذ الهيكل الشكل المستطيل القائم الزوايا على وجه التقريب، وقد أقيم في طرفه الجنوبي صفين من المقاعد أو دكتين كي يجلس عليها بعض المشاهدين في الاحتفالات الدينية، ويبدو أن الصف العلوي أضيف بعد إنشاء الصف الأدنى.[(٢)]

ويبدو أن قصر البنت كان المعبد الرئيسي في البتراء وكان مخصصا للإله النبطي دوشارا وقد كشفت الحفائر تحت المعبد عن قطع أثرية تعود إلى عام ٢٥م وعلى ذلك يمكننا تحديد تاريخ إنشائه خلال الفترة (٥٠ــ٧٥م)، أي أن المعبد يعود إلى عهد الأنباط وليس إلى عهد الرومان كما كان معتقدا من قبل.[(٣)] ،

ويعتبر هذا الأثر الوحيد الباقي من بين الآثار المعمارية في البتراء، أي التي لم تنحت في صميم الجبال الصخرية.

ويوجد أمام ساحة هذا المعبد مذبح ضخم على قاعدة مربعة أبعادها ١٢×١٢م، وكان هذا المذبح مخصصا لتقديم القرابين قبل الدخول إلى المعبد. ويتقدم المعبد ستة أعمدة ارتفاعها ٩م اثنان منهما كأعمدة أركان ويؤدي سلم ضخم بعرض المبنى ــ إذ يبلغ عرضه ٤٠مترا ــ إلى هذه الأعمدة التي تؤدي إلى صالة أمامية قبل الدخول إلى الحجرة الرئيسية للمعبد المقسمة إلى ثلاثة قطاعات، ويبدو من هذا التقسيم أن القطاع الأوسط كان هو الحجرة الرئيسية في المعبد أو قدس الأقداس الذي كان

(١) Scheck, op cit., p.409

(٢) Harding, op.cit., p 130.

(٣) Ibidem.

يحوي بالتأكيد تمثالا للإله دوشارا.[1] أما القطاعان الجانبيان فيبدو أنهما كانا يؤديان إلى طابق علوي بدليل وجود سلم في كل منهما.[2]

أما الجدار الخارجي للمعبد فكان يرتفع إلى ٢٣مترا. والواقع أن الجدار الخارجي نفسه قد أنشئ مزدوجا بحيث يبلغ الفراغ بين جانبيه حوالي مترا. وهناك ظاهرة غريبة أخرى في البناء وهي وجود دعائم خشبية في الجدران، وربما كان القصد من هذا الأمر أن تكون الدعائم وقاية ضد الهزات الأرضية التي تتعرض لها المنطقة بين الحين والآخر. والواقع أيضا أن هذه الدعائم كانت من الأسباب الهامة في تداعى البناء بعد أن أصابها التلف مع مرور الزمن.[3]

وقد كان هذا المعبد كله مزخرفا ــ على الأقل من الخارج ــ بالجبس المنقوش Stucco والملاط، وما تزال بقايا هذا الـ Stucco واضحة على ظهر الجدار الخلفي، كما أن الألوان البراقة تبدو على بعض كتل الحجارة الكبيرة.[4]

ضريح التركماني Turkmaniye-Tomb

في وادي التركمانية يوجد ضريح ضخم (شكل ٣١٩) من طراز المقابر ذات الدرجات في واجهته.[5] وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين يلتصق بهما مربع عمود، ونصف عمودين ملتصقين على واجهة المقبرة، وفي وسطهما مدخل المقبرة الذي يؤدي إلى حجرة مستطيلة أبعادها ٩م×٦م تنتهي بممر طويل يؤدي إلى حجرة مستطيلة

---

(١) Browning, Petra, p.157.

(٢) Scheck, op.cit., p.410.

(٣) Harding, op.cit., pp.130-131.

(٤) Browning, Petra, pp. 162-163, Fig. 98.

(٥) Scheck, op cit , p. 418.

داخلية أبعادها ٦×٣م وتحتوي هذه الحجرة على أحد الـ Loculus، ولا يوجد أي أثر للثلاثية أو مباني أخرى في المقبرة.(١) وتكمن أهمية هذا الضريح في النقش الموجود على لوحة بين أنصاف الأعمدة الداخلية للواجهة الحجرية فوق المدخل الرئيسي، وهذا النقش من خمسة أسطر باللغة النبطية، هذا نصه:

"أن ابيتاف Epitaph قد أنشأ هذا الضريح والحجرات الكبيرة والصغيرة التي بداخله، والقبور المبنية على طراز المدافن الجانبية (Loculi) والساحة الواقعة أمام الضريح، والأروقة والمنازل التي بداخلها، والحدائق، والثلاثية، وآبار الماء، والشرفة والجدران وبقية العقارات والأمتعة الموجودة في جميع هذه الأماكن ــ قد كرست ونذرت ملكا مصونا لدوشارا إله ربنا، وعرشه المقدس، وجميع الآلهة حسب التعيين في الوثائق المتعلقة بالمواضع المنذورة حسب محتوياتها.

وحسبما يقضي أمر دوشارا وعرشه وجميع الآلهة بأن منطوق هذه الوثائق المتعلقة بالمواضع والأشياء المنذورة يجب أن يطبق وينفذ دون أي تحوير. كما يجب أن لا يجري أي تراجع أو نكوص عما تتضمنه تلك الوثائق، وأن لا يدفن أي إنسان في هذا الضريح عدا الشخص الذي يملك وثيقة خطية تمنحه حق الدفن حسب نصوص الوثائق المذكورة المتعلقة بالأشياء المنذورة إلى الأبد."

وجدير بالذكر أن الثلاثية Triclinium المشار إليها ليست إلا قاعة تعقد فيها الاحتفالات الجنائزية حيث تصف المقاعد المستطيلة على ثلاثة جوانب. وهناك نماذج عديدة منها في البتراء ومن المرجح أن تاريخ

(١) Browning, Petra, p. 233, Fig. 170.

الضريح يعود إلى الفترة ما بين القرن الأول ق.م إلى القرن الأول الميلادي.(١)

الدير Ed-Deir

يعتبر مبنى الدير (شكل ٣٢٠ – ٣٢٣) من أروع المباني فخامة في مدينة البتراء وهو في الواقع من أضخم الأماكن الأثرية في البتراء إذ يبلغ عرضه ٥٠متراً ويبلغ ارتفاعه حتى قمة الجره ٤٥متراً أما باب المدخل فيبلغ طوله ٨م وعرضه ٤م. والمبنى محفور بالكامل في الصخر.(٢) ويقول دافيد روبرت أول من زار البتراء في مارس ١٨٣٩ أن هذا البناء أفخم من مبنى الخزنة وكذلك فهو أكثر تنظيما من مبنى الخزنة وكذلك فهو أوضح في تكونياته المعمارية رغم أنه قريب الشبه في تكوينه المعماري من مبني الخزنة وكذلك فهو أوضح في تكوينته المعمارية رغم أنه قريب الشبه في تكوينه المعماري من مبني الخزنة.(٣)

وتحتوي الواجهة على خمس حنايا، اثنتان في الطابق السفلي ذات سقف مقوس ولابد أنهما كانتا تحتويان على تماثيل تقف بداخلهما، ولكن يبقى السؤال: ما هي نوعية التماثيل المعروضة في هذه الحنايا، هل هي تماثيل لموتى أم لآلهة نبطية.

وللإجابة على هذا السؤال نستعرض أولا المبنى من الداخل حيث يتكون المبنى من صالة شبه مربعة أبعادها ١٢×١١م ولا يوجد في هذه الصالة أي توابيت للدفن أو حنايا تستخدم في دفن الموتى. أما في نهاية الحائط الخلفي فترتفع بعض درجات السلم وفوقها حنية مقوسة من أعلى كانت في

(١) Harding, op.cit., p 133.

(٢) Scheck, op cit , p. 423.

(٣) Ibidem.

الأصل بيت للإله. وعلى ذلك فهذا المبنى الحجري ليس ضريحا وإنما هـو معبد ولكن يبقى السؤال هل هو معبد جنائزي أم معبد للعبادة.[١]

ومن الملاحظ وجود نقش في منطقة مجاورة للدير يذكر الملك عبـادة الثالث الذي يوجد قبره في منطقة أفدات (نجف). وكذلـك وجـود هيكـل صغير في وادي النمر يوضح أن الملك عبادة الثالث قد تـم تأليهـه فـي البتراء بعد مماته.[٢]

وعلى ذلك يمكن القول أن مبنى الدير من الممكن أن يكون معبـدا خـاص بالملك عبادة الثالث بنى في نهاية القرن الأول ق.م وبدايـة القـرن الأول الميلادي. في هذه الحالة فلابد أن تكون الحنية الرئيسـية الوسـطى فـي الطابق العلوي من الواجهة مخصصة لوضع تمثال للملك عبادة الثالث، فـي حين تكون الحنيتان الجانبيتان مخصصتين لآلهة نبطية.[٣] في حين يـؤرخ فوزي زيادين هـذا الديـر فـي فـترة حكـم الملـك رب ايـل الثـاني (٧٥-١٠٦م).[٤]

وتبلغ واجهة الدير درجة كبيرة من الفخامة حيث يتكون كل طابق مـن عمودين في الأركان وستة أنصاف أعمدة أخرى ملتصقة بجدار الواجهـة وتحمل كل هذه الأعمدة تيجان على طراز القرون المنتشر فـي البـتراء، كذلك يوجد نفس التاج فوق القبة المخروطية والتي تحمل فوقها جرة كبـيرة من الحجر. وتحمل الأعمدة في الطابق السفلي أفريز بسـيط دون زخرفـة يلتف حول المبنى في حين أن الأفريز الذي تحمله الأعمـدة فـي الطـابق

---

(١) Bwroning, Petra, pp.188-189

(٢) Ibidem.

(٣) Ibidem.

(٤) Zayadine, op.cit., p. 116. Pl 56.

العلوي مكونا من الميتوب ذات الزخرفة الدائرية والترجليف ويبلغ ارتفـاع القبة فوق المبنى حوالي ٩متر.(١)

وجدير بالذكر أنه يوجد رسوم تمثل بعض الصلبان الصغيرة منحوتـة في الجدار الصخري الخلفي مما يدل على أن الهيكل كان يستعمل للعبـادة في العصر المسيحي ومن هنا جاءت التسمية الدير.(٢)

(١) Browning, Petra, p.189.

(٢) Harding, op.cit., p. 135.

آثار منطقة الجزيرة العربية

الإطار الجغرافي(١)

- تمثل شبه الجزيرة العربية إقليماً جغرافياً متميزاً حيث يشغل نحو ٢١% من جملة مساحة الوطن العربي بالإضافة إلى تميز خصائصها الطبيعية والبشرية وتمتد من سواحل الخليج العربي شرقاً إلى سواحل البحر الأحمر غرباً ويحدها جنوباً البحر العربي وخليج عدن ودولتي العراق والأردن شمالاً.
- ويطلق عليها أحياناً مصطلح الجزيرة العربية حيث يصنع نهري الفرات والعاصي إطاراً مائياً من جهة الشمال.

وتضم سبع دول هي:

المملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان ودولة الإمارات والكويت وقطر والبحرين.

- يغلب عليها الطابع الهضبي بصفة عامة إلا أن الشرق يغلب عليه الطابع السهلي ممثلة في سهول الدهناء.

وتمتد الجبال في الغرب ممثلة في جبال الحجاز وعسير واليمن.

- تزيد مساحة شبه الجزيرة العربية عن ثلاثة ملايين كيلو متر مربع.

آثار "قرية" الفاو

الموقع والتسمية

تبعد "قرية الفاو" نحو ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ـ عاصمة المملكة العربية السعودية، ومائة كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مدينة السليل، ومائة وخمسون كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من الخماسين عاصمة وادي الدواسر، ومائتان وثمانون كيلو متر إلى الشمال

---

(١) محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطن العربي القاهرة ٩٥-١٩٩٦، ص ٢٢١

الشرقي من مدينة نجران، في المنطقة التي يتداخـــل فيـــها وادي الدواســـر ويتقاطع مع جبل طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى "الفاو" ومن هنا جاءت تسميتها حديثاً باسم الفاو، تمييزاً لها عن باقي القرى المجـــاورة، وتشـــرف "قرية" على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي.(١)

أهمية "قرية" الفاو

تكمن أهمية قرية الفاو في أنها تقع على الطريق التجاري الذي يربـــط بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها الشرقي حيث كانت القوافل تبدأ مـــن ممالك الجنوب: سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمير متجهة إلى نجـــران ومنها إلى قرية ومنها تتجه شرقاً إلى الخليج وشمالاً إلـــى بـــلاد الرافديـــن وبلاد الشام، وعلى ذلك فهي تعتبر مركزاً تجارياً واقتصادياً هاماً في وســط الجزيرة العربية.(٢)

وتنحصر أهمية "قرية" في أنها تمثل عنق زجاجة أرضيته تسيطر على الطريق التجارى حيث يجب على كل قافلة أن تمر بها، كذلك فقـــد كـــانت عاصمة لدولة لها دور في تاريخ الجزيرة العربية لمدة تزيد علـــى خمســـة قرون هي دولة كندة، هذا فضلاً عن أنها تحتوى على عدد كبير من آبـــار المياه. ويكمن السبب في ازدهار هذه المدينة إلى عدة عوامل أهمها التجـــارة التي ساهمت في ثراء واضح انعكست آثاره فيما بنوه أهـــل المنطقـــة مـــن قصور وأسواق ومقابر ومعابد وتماثيل، كما ظهر أثر ذلـــك فـــي انتشـــار المعرفة بالكتابة، ولعل قمة التقدم الاقتصادى في "قرية" هو ســـكهم عملـــة

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨١، ص ١٦.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦.

خاصة بهم ضربوا عليها اسم إلههم كهل واهتمامهم بـأنواع مختلفـة مـن الأختام.(١)

كذلك اهتم سكان "قرية" بالزراعة وحفر الآبار وشـق القنـوات وزراعـة النخيل والكروم وبعض أنواع اللبان والحبوب، كما اهتموا أيضـا بـالثروة الحيوانية.

ولا شك أن هذا المجتمع الذي قام على التجارة فمن المؤكد أنه يمتلـك قدرة كافية على الدفاع عن النفس والمال والعرض، لذلك فإن اختيار "كنـدة" موقع "قرية" كعاصمة لها كان اختيارا موفقا إلى حـد كبـير، وذلـك لأن المظاهر الجغرافية المحيطة بها تشكل حماية طبيعية لهم تحول دون تسـلل العدو إليهم، فيمتد شرقا جبل طويق المرتفع الذي يكشف أي هجوم قـادم، كذلك بنى سكان قرية بوابات من الجهات الشـمالية والغربيـة والجنوبيـة وكذلك اهتموا ببناء أسوار داخلية وخاصة حول السوق إذ يبلغ سمك سـور السوق ستة أمتار وارتفاعه ثمانية أمتار.(٢)

آثار "قرية" الفاو

كانت "قرية"من أكبر مدن القوافل المعاصرة لها سواء فـي الجزيـرة العربية أو خارجها، إذ يبلغ طول المدينة من الشمال إلى الجنوب أكثر مـن كيلومترين وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالي كيلو متر دون حسـاب المنطقة الزراعية المحيطة بها.

وقد استعمل سكان قرية في بناء مدينتهم الطوب اللبن المربع والمسـتطيل وكان حجم المربع منه ٣٨×٣٨×١٢ سم والمسـتطيل نصـف ذلـك فـي

(١) نفس المرجع، ص ١٧.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧.

عرضه ٣٨×١٩×١٢ سم، كما استعملوا الحجر المنقور والمصقـول فـي الأسس وبناء المقابر واستخدموا الجص بعد خلطه ببعض المواد كـالرمل والرماد وغيره وفي تمليط المباني من الداخل، كما زينـوا منازلـهم فـي الداخل بالكتابة والرسوم بألوان من الأحمر والأسود والأصفر.[١]

السوق (الأجورا)

يقع هذا السوق (شكل ٣٢٤ – ٣٢٥) على مقربة من الحافة الغربيـة للوادي الذي يفصل بين جبل طويق وبين حدود المدينـة شـرقي المنطقـة السكنية، ويبلغ طول لسوق ٣٠,٧٥م من الغرب إلى الشرق، ٢٥,٢٠م مـن الشمال إلى الجنوب. ويحيط بالسوق سور مكون من ثلاثة أسـوار متتاليـة متلاصقة، أوسطها الحجر الجيري، أما الداخلي والخارجي فمـن الطـوب اللبن.

ويوجد باب واحد ضيق في النصف الجنوبي من الضلع الغربـي، ويحيـط بالسوق سبعة أبراج، الوسطى منها مربعة الشكل أما الجانبيـة فمسـتطيلة الشكل, أما أعلى الجهات ارتفاعاً وأقواها في السور فهما الناحيتان الشـمالية والجنوبية.

وتوجد ساحة في وسط السوق يصطف على جانبيها محلات تجاريـة من الناحيتين الشمالية والجنوبية، ومحل واحد من الناحية الشرقية وآخر في الناحية الغربية، وواجهات هذه المحلات مبنية بالحجارة وأبوابـها واسـعة تنتهي بعتبة علوية نصف دائرية، وتفصل بين كل مجموعة وأخـرى مـن المحلات ممرات تؤدي إلى مخازن خلفية، كما تؤدي إلى مدخـل يشـتمل

(١) نفس المرجع، ص ١٨.

على فسحة بها درج يؤدي إلى الأدوار العليا التي كانت تستخدم كمخازن لهذه المحلات، كما وجد في هذه السوق ثلاثة بيوت.

المعبد[١]

يعتبر معبد قرية الفاو أول معبد يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية، وتكمن أهمية هذا المعبد بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربية في المكتشفات من التماثيل البرنزية التي تعكس بعداً حضارياً مختلفاً عن معابد اليمن، هذا البعد يربط بين حضارة وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادي النيل.

والمعبد في تخطيطه مستطيل الشكل واجهته إلى الجنوب وهو يحتوى على الغرفة المقدسة، مصاطب توضع عليها الهدايا والقرابين، قواعد مربعة مبنية من الحجر، ساحة خارجية للمعبد مبلطة بالحجارة. ويذكرنا تخطيط هذا المعبد بالمعابد التي سادت في شمال سوريا من حيث عناصر المعبد والمدخل الجنوبي والساحة الخارجية المرصوفة بالحجارة، ويرجع معبد الفاو إلى القرون الأولى للميلاد.

ويعكس هذا المعبد عناصر حضارية كانت سائدة بين شعوب غربي آسيا تركزت في الجزيرة العربية نظراً لعزوف سكان منطقة الفاو عن التغيير المفاجئ وبعدها النسبي عن التفاعل السريع مع المتغيرات الحضارية، لذا فهو ذو شخصية مميزة.

المقابر

تتنوع أشكال المقابر في قرية الفاو وهي تعكس الفترات الحضارية المختلفة التي مرت بها، فكون هذه المنطقة مركزاً حضارياً هاماً وعاصمة

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٠

لدولة كان لها دور في الوضع السياسي والاقتصادى والاجتماعى والديني في وسط الجزيرة لأكثر من ستة قرون وهي دولة "كندة" يجعل منها مناخاً صالحاً لجذب العناصر المعمارية المختلفة ومزجها بالعناصر المحلية مما ينتج عنه مزيج حضارى يتميز بمذاق خاص.

ويمكن تمييز ثلاثة فئات من المقابر:

مقابر الملوك[١] (شكل ٣٢٦)

وهي تتكون من مهبط بعرض متر وعلى عمق خمسة أمتار وطول ستة أمتار من الشمال إلى الجنوب، ويوجد في جدار هذا المهبط حفر تشبه السلالم يؤدي إلى أسفل حيث يوجد أربعة أبواب في اتجاه الجهات الأصلية الأربع، وتقود ثلاثة من هذه الأبواب إلى أقبية منحوتة في الأرض بشكل شبه دائري، أما الباب الغربي فإنه يقود إلى غرفة مبنية مملطة بالجص الأبيض يعتقد أنها مدفن الملك، وتقع هذه الغرفة تحت الغرفة المبنية فوق المقبرة، وفي نهاية الغرفة السفلى نجد حفرة منخفضة غطت جدرانها بالملاط يبدو أنها كانت مخصصة لوضع بعض الأشياء الثمينة مع الموتى. أما عرض الغرفة الملكية ١.١٥م وطولها ٣.٥م وارتفاعها نحو ١٨٠سم.

مقابر النبلاء[٢]

توجد أبراج فوق هذه المقابر وهي عادة معروفة وشائعة في حضارات الشرق الأدنى وخاصة في الحضر وتدمر وفلسطين وشمال أفريقيا. وتعلو المقبرة غرفة تبدو ظاهرة كانت مبنية بالحجر الجيري ويتوسطها مهبط يوجد به خمس درجات تؤدي إلى أرضيته وقد غطت جدرانه بالحجر

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢١.

الرملى. ويوجد في قاع المهبط ثلاثة أبواب أحدها شمالي والثـــاني غربـــي والثالث جنوبي، يؤدي كل باب منهما إلى قبو.وقد تم تفسير هـــذه الغرفـــة العليا بأنها كانت لإقامة بعض الطقوس المتعلقة بدفن الموتى والأعياد وهـــو أسلوب متبع في المناطق المتأخمة لقرية الفاو.

مقابر العامة(١)

وهي عبارة عن مهبط غير منتظم وغير مغطـــى بـــالجص تـــتراوح أعماقه ما بين متر وخمسة أمتار تنتهى بحجر يغلق حجرة الدفن التي وجـــد بها العديد من الأواني الفخارية التي دفنت مع المتوفي، وهي بسيطة جـــداً في طرازها.

الكتابات(٢)

كان الخط المسند هو القلم الرسمي الذي عبر به مواطنو "قرية" عـــن أفكارهم وخواطرهم حيث ينتمي سكان كندة إلى القبـــائل اليمنيـــة، والخـــط المسند هو القلم الذي استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية ســـبأ ومعيـــن وقتبان وحضرموت وأوسان وحمير وهو الذي انتشر في الشمال فكتب بـــه الديدانيون واللحيانيون في العلا وكتب به أرباب القوافل وسكان البادية.

وقد أخذ الخط المسند في قرية شكلاً مميزاً وأصبحت أشكال حروفـــه ذات خصائص تميزها عن حروف المسند، لهذا فهو في شـــكله يعتـــبر اتجاهـــاً ومدرسة خاصة في الكتابة بالمسند.

ومن خلال هذه الكتابات نستطيع التعرف على معبودات قرية حيـــث كـــان "كهل" هو إلههم الأعظم و"إل" و "اللات" و "عـــثر ــ أشـــرق" و "العـــزى"

---

(١) نفس المرجع، ص ٢١.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

و "مناة" و "ود" و "شمس"، مما يجعلنا نعتقد أن مجتمع قرية كـان مجتمعـاً متنوع المعبودات فنجد فيه معبودات جنوبية وشمالية في آن واحد.(١)

هذا وقد بدأ الاهتمام بموقع قرية(٢) منذ بداية الأربعينات من هذا القرن، وقد قام بزيارتها عبد الله فيلبى Philby(٣) الرحالة المعروف مع كل من العـالم البلجيكي ركمانز J. Ryckmans وليبنز Lippens عام ١٩٥٢ وأشـاروا إلى مقابرها ثم قام العالم البلجيكي ألبرت جـام Albert Jamme برحلـة إليها في عام ١٩٦٩ وقام بدراسة نقوشها. ثم بدأ اهتمام جامعة الرياض بـها منذ عام ١٩٧١ وبدأت أعمال التنقيب فيها في عام ١٩٧٢ على يـد عـالم الآثار السعودي عبد الرحمن الطيب الأنصارى (قسم الآثار والمتـاحف ـ جامعة الملك سعود). وما زالت أعمال الحفر مستمرة في هـذه المنطقـة حتى الآن، لذا سـوف أورد حرفيـاً النتـائج التـي وردت عـن لسـان الأنصارى(٤) نظراً لأن هذه المنطقة لم تنشر نتائج حفائرها بعـد وسـوف تظهر في القريب العاجل سبعة مجلدات تحمل في طياتها كل معالم وآثـار ومكتشفات هذه المدينة التي كانت عاصمة لمملكة "كندة" في جنوب شـبه الجزيرة العربية:

"إذا ما أردنا أن نتحدث عن الزمن الذي عاشت فيه "قريـة" عاصمـة "كندة" فإنه يمكننا أن نستعرض بعض النقاط لنصل منها إلى تاريخ مبدئـي لهذه المدينة:

---

(١) من آلهة العرب الأخرى: يغوث ـ سواع ـ يعوق ـ نسراً.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦.

(٣) فيلبى (سانت جونى) ١٨٨٥ـ١٩٦٠م، مستشرق إنجليزى أسلم وسمى نفسه عبد الله اكتشف كتابات ثمود الحجرية القديمة، أول من توغل في رمال الربع الخالي من كتبه:- قلب البلاد العربية، الربع الخالي.

(٤) نفس المرجع، ص ٣١.

١-إن الطراز المعماري الذي ظهر فيما كشف عنه "السوق، القصر، المعبد، المنطقة السكنية" يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازا عربيا فريدا، برزت فيه مراعاتهم لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة. ومع ذلك فإن هذا الطراز لم يخل من تأثيرات معاصرة للطرز المعمارية في القرون الأولى للميلاد مما نشاهده في اليمن والبتراء والحضر وآسيا الصغرى (شكل ٣٢٧).

٢-إن الكتابات الجنوبية أفادتنا كثيرا في التعرف على اسم عاصمة دولة "كندة" وأن اسمها "قرية" ووصفتها بأنها "ذات كهل" وعن طريقها تعرفنا أيضا لأول مرة في التاريخ العربي على عاصمة هذه الدولة التي لم تشر الكتب العربية إليها من قريب أو بعيد. كما لم تشر إلى معبودها الرسمي بشكل قاطع، وقد حدد العلماء الذين درسوا هذه الكتابات تاريخ هذه الكتابات بأنها تعود ما بين القرنين الأول والخامس بعد الميلاد، وفي الوقت نفسه لا يمكننا أن نغفل نقش الملك "معاوية بن ربيعة" الذي وجد في مقبرته، إذ أن نقش هذا الملك يمكن مقارنته بمضمون نقش النمارة، ولذا يمكننا أن نحدد تاريخه بحوالي القرن الثالث الميلادي. وإلى جانب هذا كله فإننا يجب أن نأخذ في الاعتبار أسماء الأعلام التي ظهرت محزوزة على الفخار كإسم "شمريهرعش" ذلك الملك الحميري الذي يعود إلى الفترة التاريخية نفسها.

٣-إن الرسوم الفنية التي وجدناها في القصر تمثل قمة التطور الفني لهذه المدينة إذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان المتاخمة كـ "الحضر" مثلا، بل يمكن أن نقول أنها تفوقها من حيث دقتها وتناسقها وقدرة الفنان الذي رسمها على التعبير عن تصوره الواضح ورؤيته الفاحصة إذا ما

أخذنا في الاعتبار ظروف البيئتين. ولعل التشابه بينها وبين ما وجد في "أفسوس" وغيرها من المناطق يجعلنا نميل إلى جعلها معاصرة لتاريخ مثيلاتها في تلك المناطق (شكل ٣٢٨).

٤-إن التماثيل الحجرية والمعدنية تمثل مزيجاً حضارياً يمتد منذ القرن الثاني قبل الميلاد في "اليمن" خاصة، بالنسبة للمنحوتات المرمرية، ثم يبرز التأثير الشمالي بما يحمله من أساطير وأفكار دينية كانت سائدة في العصور الهللينستية والرومانية والفرثية، ويبدو في التماثيل المعدنية وأجزائها حتى القرن الخامس للميلاد (شكل ٣٣٠ – ٣٣٦).

٥-إن المسكوكات التي وجدت سواء ما كان منها متأثراً بمسكوكات هللينستية أو رومانية أو فرثية أو ما كان منها قد ضرب محلياً مما وجدناه في الجزء الذي كشفنا عنه أو التقطناه يحملنا على الاعتقاد بأن المسكوكات التي وجدت في "قرية" تعود بتاريخها إلى ما بين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادي (شكل ٣٢٩).

٦-أما بالنسبة للفخار فإنه علامة بارزة في تاريخ "قرية"، ويمكن مقارنته بفخار القرنين الثاني والأول قبل الميلاد في "هجر بن حميد" والفخار اليوناني والروماني والنبطي الفرثي وخاصة المزجج منه رغم يقيننا بأن معظم فخار قرية قد صنع محلياً (شكل ٣٣٧).

من كل هذه النقاط نعتقد أن مجتمع دولة كندة كان مجتمعاً متحضراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فرغم بعده الجغرافي عن منابع الحضارات وروافدها إلا أن التجارة والثقل السياسي الذي تمثله دولة "كندة" استطاعتا أن تجذبا إلى "قرية" أجمل ميزات تلك الحضارات، وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عمّا جاورها. وإذا ما أخذنا في الاعتبار ما أدت إليه النتائج المخبرية لبعض العينات بواسطة

"كربون ١٤" فإننا يمكن أن نحدد زمن قرية فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد".

مدينة الحجر (مدائن صالح)

يعنى اسم الحجر ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه وتقوله العرب عند الأمر الذي تنكره، وقد أطلق عليها هذا الاسم منذ أقدم العصور، والحجر هو اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام،[١] وهي تسمى الآن مدائن صالح وهو الاسم الذي أطلقه عليها أحد الرحالة الأندلسيين عام ١٣٣٦م نسبة إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه الذين رفضوا دعوته وعقرهم الناقة التي أرسلها لهم الله آية.[٢]

وتقع مدائن صالح في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وهي تقع على طريق التجارة القديم الذي يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.[٣]

وقد سكن مدائن صالح في العهد القديم قوم ثمود[٤] ثم سكنها بعد ذلك الأنباط واتخذوا من هذا المكان عاصمة جنوبية لدولتهم،[٥] وقد شجعهم علي

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، أحمد حسن غزال، جيفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤، ص ٨١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٨-٩.

(٣) عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥، ص ٥.

(٤) ثمود قبيلة عربية بائدة ذكرتها نصوص آشورية في عهد سرجون الثامن في القرن الثامن (ق.م) آثارها في الحجر قرب مدائن صالح وأخضعها الأنباط لحكمهم، راجع: لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام الإسكندرية ١٩٩٩، ص ص ١٤٧-١٤٨.

(٥) Strabo, Geography, XVI, 4, 22-24

الاستقرار السكاني في الحجر موقعها على طريق التجارة، وفرة المياه، خصوبة الأرض، الحماية الطبيعية التي شكلتها لهم الطبيعة والمتمثلة في الكتل الصخرية المنتشرة في المكان والتي كانت تلجأ إليها المجتمعات القديمة هربا من غارات القبائل على بعضها البعض.

أهم آثار الحجر (مدائن صالح)

تتمثل الآثار القديمة في الحجر في المقابر وأماكن العبادة والنقوش الصخرية التي تركها الأقوام المتعاقبة سواء الثموديون ــ اللحيانيون ــ الأنباط.(١)

وجدير بالذكر أن الحضارة النبطية قد سيطرت على هذا المكان فأصبحت مقابر هذه المنطقة تعرف باسم المقابر النبطية، والدليل على ذلك كتاباتهم المنقوشة على بعض واجهات المقابر باسم صاحب المقبرة وتاريخ الحاكم واسمه، وتتشابه الواجهات سواء النبطية أو السابقة على النبطية من حيث طريقة النحت وتكرار بعض العناصر الزخرفية في المقابر. أما مقابر الطبقة الفقيرة فهي عبارة عن حجرة دفن فقط بمدخل دون واجهة.(٢)

ويبلغ عدد المدافن في مدائن صالح مائة وواحد وثلاثون مدفنا، اثنان وثلاثون منها تحمل تواريخا في الفترة من ١ق.م ــ٧٢م، ومن أهم هذه المقابر مقابر قصر البنت، مقابر منطقة الخريمات، منطقة الديوان، قصر العجوز، قصر الفريد، قصر الصليمية. ولقد كان من الصعب تأريخ مدافن مدائن صالح على أساس الأساليب الزخرفية المستخدمة لأنها لا تتبع أي ترتيب زمني أو تاريخي ولكن يمكن القول أن تطور الأنماط الرئيسية قد

(١) نصيف، المرجع السابق، ص ٧.

(٢) الأنصارى، المرجع السابق، ص ٢١.

اكتمل في القرن الأول ق.م وأن هذه الأنماط تعكس المستوى الاجتماعي والمادي لأصحاب هذه المقابر.(١)

وعلى ذلك نستطيع تحديد الملامح الفنية في مقابر مدائن صالح:

اهتم أصحاب الحضارة النبطية وما قبل النبطية في مدائن صالح بشكل المقبرة من الخارج أكثر من اهتمامهم بها من الداخل، فلم تكن المقبرة من الداخل أكثر من غرفة حفر في أرضيتها وجوانبها مدافن لدفن الموتى، فالمدافن الأرضية لا تتعدى مجرد مدفن محفور في أرضية المقبرة، أما المدافن الجانبية فهي تختلف في تصميمها من مقبرة إلى أخرى وهي عبارة عن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مدفن جدارى بمستوى واحد للدفن أبعاده ٩٠ /٢٥٠x١٠٠ سم.

النوع الثاني: مدفن جدارى بمستويين للدفن.

النوع الثالث: تجويف جدارى صغير لدفن الأطفال أو لوضع مواد جنائزية تخدم المتوفى وطوله حوالي ١٥٠ سم وعرضه ٤٠ سم وارتفاعه ٥٠ سم.

وكانت هذه المدافن تغطى بغطاء حجرى مكون من مجوعة من البلاطات الحجرية ترص بجوار بعضها وتثبت بالجص.

أما المقبرة من الخارج فقد اهتم بها سكان مدائن صالح اهتماماً بالغاً لأنها الدليل الظاهر والباقي على ثراء صاحبها وعظمته وقوته ومكانته بين قومه فأظهر النحات القديم فيها فناً ودقة ومهارة فائقة لإخراجها بهذا الشكل وحرص في النهاية أن يذكر اسمه في نهاية لوحة المقبرة التي تعلو المدخل، وجميع هذه الواجهات في المقابر محفورة في الصخر وليست

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٢.

مبنية، لذا فإن واجهات المقابر تعطينا فكرة عن التأثيرات الفنية التي أتـــى بها سكان مدائن صالح من البلاد التي كانوا على علاقة تجارية بها.

ومـن أهـم هـذه التـأثيرات الفنيـة فـي مقـابر مدائـن صـالح:[١] (شكل ٣٣٨ - ٣٤٢)

١- **الشرافات:** وهي التي تتوج قمة المقـبرة وتسـمى بزخرفـة خطـوة الغراب وهي نوعان: إما أن تنقش بشكل كامل متكرر، أو بشكل خطوة الغراب مقسمة إلى نصفين، وهي من التأثيرات الآشورية الوافدة مـــن بلاد الرافدين.

٢- **الكورنيش المصري:** وهو العنصر الذي تركز عليه الشرفة وهو تأثير مصري قديم.

٣-**الكورنيش الكلاسيكي:** وهو الكورنيش المتدرج في بروزه مـن أسـفل إلى أعلى وهو عنصر ميز مقابر الأنباط في مدائن صالح عن غيرهـا من المقابر وهو من التأثيرات اليونانية ولكن في قالب نبطي.

٤-**التاج (الأباكوس):** وهو الذي يتوج العمودان البارزان علـــى جـانبي الواجهة ويتمثل في ظهور جانب واحد من القاعدة التي تعلو العمـــود، وهو تأثير قادم من الحضارة المصرية القديمة.

٥-**التاج الكلاسيكي (النبطي):** وهو الذي يتوج العمودان البـارزان علـى جانبي الواجهة والمدخل ويتمثل في شكل تجويـف للداخـل يتوسـطه بروز حجري، وشكلت جوانب التجويف لتعطي شكل تجريدي لطـــائر النسر معبود الأنباط، ومن هنا جاء تسميته بالتاج النبطي، وهـــو مـن التأثيرات اليونانية في عمارة المقابر.

(١) نفس المرجع، ص ص ٢١-٢٢.

٦- الواجهة المثلثة Pediment: وهي تعلو مدخل المقـــبرة، وهـــي مزينة بالنحت البارز وينحت على زوايا المثلث قواعد لوضـــع الآنيـــة وهي رمز المعبودة اللات، والنسر رمز معبود ذو الشرى، وفي بعــض الواجهاتِ كان ينحت وجه قبيح ذو لحية محاطاً بثعابين وهو كناية عــن حمايته للمقبرة، وهو تأثير يوناني من الشكل المعروف عند اليونــانيين باسم الميدوسا. ولا شك أن هذه الواجهة المثلثة تأثير يوناني.

٧- الإفريز الدورى: وهو إفريز مستطيل يوضــــع أسـفل الواجــهات المثلثة وينقش داخله وحدات متجاورة تسمى الـــترجليف وبيــن كـــل وحدتين توجد بلاطة ملساء تسمى الميتوب كانت تزخرف في بعــــض الأحيان، وهذا الإفريز إفريز يوناني الأصل.

وهكذا نجد أن الفنان النبطي قد استقى العديد من التـــأثيرات الأجنبيـــة التي عاصرها واحتك معها وأخذ منها ما يتناسب وطبيعة الحضــــارة فـــي الجزيرة العربية.

وإذا كان الفنان العربي النبطي في إبرازه لعمارة واجــهات المقــابر فـــي مدائن صالح قد طبق بعض الاتجاهات الفنية التي سادت في منطقة حـــوض البحر المتوسط، سواء مـــن الحضـــارة المصريـــة القديمـــة أو الحضـــارة الهللينستية فذلك يرجع إلى تذوقه لفنون العصر الذي كان يعيش فيه والـــذي استمر حتى أواخر القرن الثالث الميلادي.[١]

---

(١) نفس المرجع، ص ٤٤.

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- التواره (العهد القديم).
- الإنجيل (العهد الجديد).

المـــراجـــع العـــربية

- إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦.
- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩.
- أحمد عتمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧.
- أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة، ١٩٨٠.
- أحمد فخرى، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.
- بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات الآثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦.
- جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٩.
- جان ـــ مارى دنتز، ميشيل غافليكوفسكى، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخورى، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦.
- جلانفيل داونى، انطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧.
- جلانفيل دوانى، انطاكية فى عهدثيودوسيوس، ترجمة: البرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨.

-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦.

-ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

-حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣.

-سبتينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧.

-صموئيل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم ـ حضارتهم ـ خصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، جامعة الكويت.

-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ١٩٧٣.

-عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٢.

-عبد الرحمن الطيب الأنصارى، أحمد حسن غزال، جيفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤.

-عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥.

-عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ١٩٩٨.

-غستاف لوبون، الحضارات الأولى، تعريب: محمد صادق رستم، القاهرة، ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

-فؤاد سفر، محمد على مصطفى، الحضر. مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤.

-لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.
-لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٩.
-لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحي، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
-محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطن العربي، القاهرة، ٩٥-١٩٩٦.
-محمد عواد حسين، "تخطيط المدينة" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.
-محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٧.
-مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمال للنشر، دمشق ١٩٩٣.
-نظمية رضا توفيق، الأردن، بلويجراف، إيطاليا، ١٩٨٨.
-نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربى العدد ٢٩، ١٩٨٢، بيروت.
-هزار عمران ـ جورج دبورة، المبانى الآثرية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧.

- هشام الصفدي، الوجيز في تاريخ حضارات آسـية الغربيـة، دمشـق، ١٩٨١-١٩٨٢.

- هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثـار مـا قبـل الإسـلام فـي الجمهورية العربية السورية، ترجمة: قاسم طويـر، منشـورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥.

المصادر القديمة

- Arrian, Anabasis .
- Diodoros, Bibliotheke.
- Josephus, Der judische Krieg.
- Pausanias.
- Philon, Flaccus.
- Plinius, Historia Naturalis.
- Strabo, Geographika.
- Vitruvius, De Architectura.

المـراجع الأجنبيـة

- J. Alexander, The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967.
- J.C. Balty, Guide d'apamee, Brsüssel, 1981.
- J.C.& J. Balty-M.Dewez, Die Ausgrabungen Von Apameia am Orontos. Informationsdienst des Belgischen Aussenministeriums, Bericht No. 49,Brüssel, 1970.
- A. Barghouti, City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman times, Diss., Chigago, 1974.
- A. Bernard, Alexandrie la grande, Arthaud, Paris.
- M. Bieber, The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955.
- H. Bietenhard, Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfurt, 1963.
- Biscop & Sodini, Qal'at semán et les chevets à colonnes de syrie du Nord, in: syria 1984.
- H.G. Blersch, Die Säule im Weltgeviert, 1978.

- F. Brommer, Herakles. Die zwölf Taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979.
- I. Browning, Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982.
- I. Browning, Petra, Chatto & Windus, London, 1982.
- K.Christ, Das römische Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer aniken Grossmacht, Freiburg, 1973.
- M.A.R. Colledge, The Art Of Palmyra, London, 1976.
- F.De Coulages, La cite antique IV,.
- G.Dalman, Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig, 1908.
- G. Dawney, A history of Antioch in syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961.
- N.C. Debevoise, A political History of Parthia, chicago, 1938.
- N.C. Debevoise, The Origin of decorative stucco, in: A J A, 45, 1941, pp,45f.
- T.Dohrn, Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960.
- G. Dollfus, Das Chalkathikum, in: Der Königsweg, Köln, 1987.
- A.v. Domazewski - R.E. Brűnnow, Provincia Arabia I, Strasburg, 1904.

- G. Downey, The water supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in: AAAS, II, 1952.
- O. Eissfeldt, Temple und Kulte syrischer Städte in Hellenistisch Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941.
- F.El Fakharani, Das Theater von Amman in Jordaniens, in: Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378 ff.
- R. Fedden & J. Thomson, Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, 1959.
- E. Frezouls, les Annales Atchologiques de Syrie, II, 1952.
- E. Frezouls, Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, vol. XXI, Tome 1-2, 1971.
- M. Gawlikowsky, Monuments Funeraires de Palmyree, 1976.
- M. Gawlikowsky- CH. Amer- DaM2, 1995- 1997.
- M. Grant, Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach, 1984.

- H. Gressmann, Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Alttestamentliche Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.
- A. Hadidi, Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981.
- G.L. Harding, Baalbek, Beirut, 1963.
- G.L. Harding, The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974.
- F.H. Heichelheim, Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch KyrosII. Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik II 4.
- A. Heuss, Römische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976.
- D. Homs- Fredericq, Hatra et ses sculptures parthes, Istanbul, 1963.
- F.Hours, Die Vorgeschichte in Überblick, in: Der Königsweg. 9000 Jahre Kunst und Kulter in: Jordanien und Palästina, Köln, 1987.
- B. Hrouda, Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971.
- J. Irmscher, Lexikon der Antike, Wilhelm Heyne Verlag, München, 1987.

- A.H.J. Jones, The Cities of the eastern Roman Provinces, 1971.
- S. Kapelrud, Baal in the Ras Shamra Texts, 1952.
- W. Karnapp, Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976.
- M.M. Khadlja, 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Königreich, Nűrnberg, 1970.
- N. Khairy, Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, kőln, 1981.
- C.H.Kraeling, Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938.
- Lassus, les Fouiles d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933.
- T. Laveden, Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956.
- H. Lenzen, Architecture der Partherzeit in Mesopotamien, in: Festschrift Weickert, Berlin, 1955.
- F.A. Lepper, Trajan's parthian wars, oxford, 1984.
- D. Levi,Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947.
- M. Lindner, Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Nűrnberg, 1970.

- S. Lloyd, Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H.Beck, München, 1981.
- M. Mackensen, Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984.
- A. Maricq, Hatra, Trajan, Vologasis, in: syria XXXII, 1955, pp.239-241.
- K. Michalowski, Palmyra, Seeman Buch- und Kunstverlag, Leipzig, 1968.
- A. Moortagat, Die Kunst des alten Mesopotamien. Die Klassische kunst Vorderasiens, Verlag Du Mont, Köln, 1967.
- J. Oates, Babylon, Thames & Hudson, London, 1979.
- J. Odenthal, Syrien. Hochkulturen zwischen Mittelmeer und Arabischer Wüste. 5000 Jahre Geschichte inspannungsfeld von Orient and Okzident, Du Mont Buchverlag Köln, 1987.
- A. Perkins, The Art of Dura-Europos, 1973.
- M.H. Pope- W.Rőllig, Wőterbuch der Mythologie, Bd.I
- O. Puchstein, Führer der syrichen Ruinen, Berlin, 1905.
- F. Ragette, Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980.

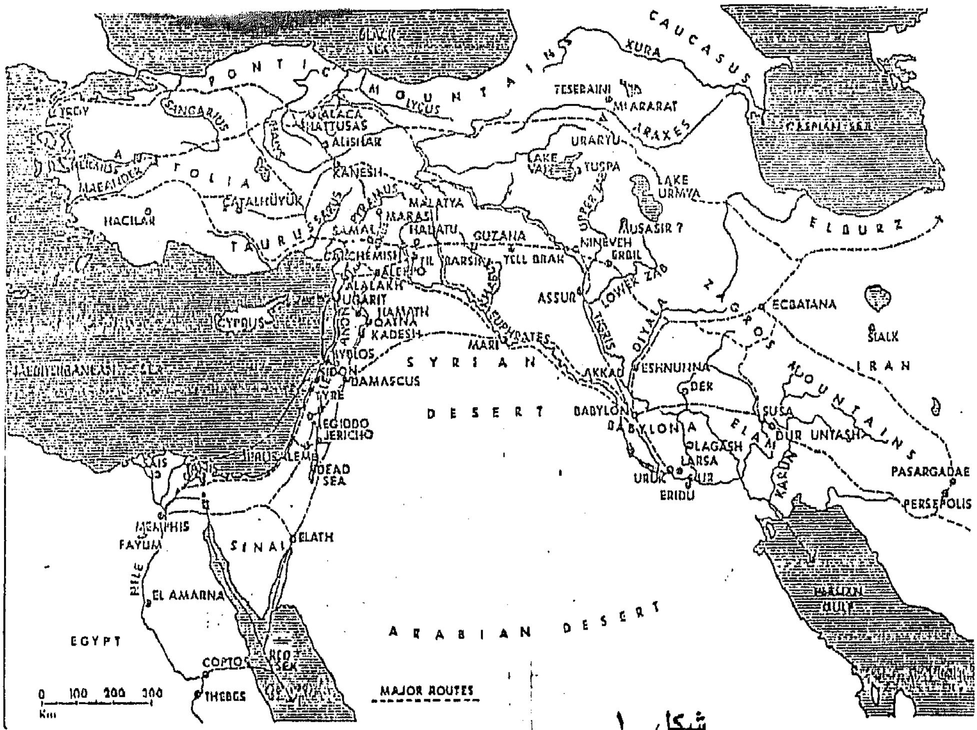
- H. P. Roschinski, Geschichtder Nabatäer, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- H. P. Roschinki, Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- M. Rostovtzeff, Dura-Europos and its Art, 1938.
- F. Sarre, Parthian Art, London, 1938.
- J. Sauvaget, "ALES" 1941, Paris, "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949.
- J. Sauvaget, De plan de LAODICÉ sur mer.
- F. R. Scheck, Jordanien. Völker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont verlag, Köln, 1987.
- D. Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Paris, 1969.
- D. Schlumberger, La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951.
- D. Schlumberger, Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittelmeerraumes, 1960, in: F. Altheim und J. Rehork, Der Hellenismus in Mittelasien, 1969.
- A. Schmidt-Colinet, Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.

- K. Schmitt- Korte, Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Köln, 1970.
- H. Seyrig, Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959.
- H. Seyrig, R. Amy & E. will, Le temple de Bel a Palmyre, 1975.
- E.Simon, Die Götter der Griechen, Darmstadt, 1985.
- D. Sourdel, Les cultes du Hauran A L'Epoque Romain, Paris, 1952.
- D.Sourdel, Les cultes du Hauran a l'epoque Romain, Paris, 1952.
- A. Spijkerman, The coins of the decapolis and province Arabia, Jerusalem, 1978.
- Stancky: Palmyre, Guide archiologique, without Date.
- C. Strube, Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Ahntike und Christentum 1977.
- F. Taeschner, Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964.
- W.W Tarn, Hellenistic civilisation, E.Arnold &co., London, 1941.

- T. Ulbert, Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986.
- T. Ulbert, Rusafa- Sergiupolis – Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung land des Baal, 1982.
- F.K. Walbank, Die hellenistische Welt, Műnchen, 1983.
- R.E.M. Wheeler, Rome beyond the imperial Frontiers, London, 1954.
- M. Wheeler, Roman African colour, Thames & Hudson, London, 1966.
- Th. Wiegand, Baalbek, Leipzig 1973, Bd III.
- T. Wiegand & D. Krencker, Palmyra, Band I, 1932.
- E. Will, Art parthe et Art grec, Paris, 1959.
- E. Will, Hellenistisch- rőmische Zeit. Von der Dekapolis zu provinz Arabien, in: Der kőnigsweg, Kőln, 1987.
- E. Will, Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23. – 28. / 9/ 1985.
- J. Wolski, The Decay of the Iranian Empire of the seleucids and the chronology of parthian Beginnigs, in: Berytus XII, 1956 –7 pp. 35-36.

- F. Zayadine, Die Gőtter der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, kőln, 1970.
- F. Zayadine, Die Zeit der Kőngreiche Edom, Moab und Ammon 12 - 6 Jahrhundert v. chr., in: Der Kőmgsweg, Kőln 1987, pp. 117-119.
- F. Zayadine, Photogrammetrische Arbeiten in Petra, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.

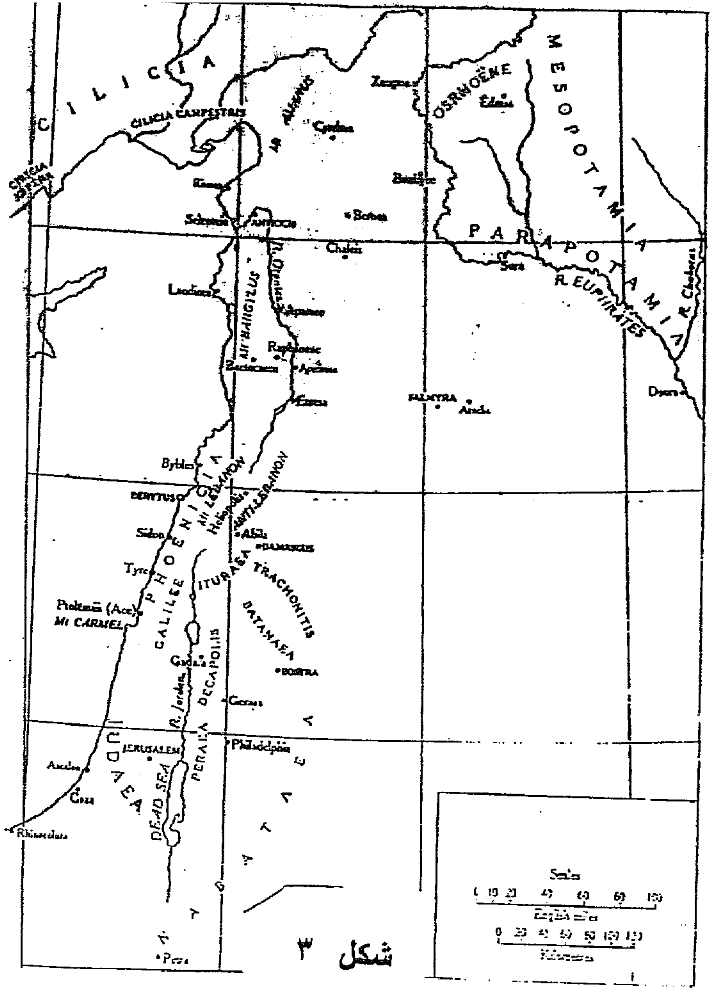
الأشكـــــال


BLACK SEA
CAUCASUS
KURA
PONTIC MOUNTAINS
LYCUS
TESERAINI
MT. ARARAT
ARAXES
CASPIAN SEA
TROY
SANGARIUS
ALACA
HATTUSAS
ALISHAR
URARTU
LAKE VAN
TUSPA
LAKE URMIA
ANATOLIA
MAEANDER
KANESH
CATALHÜYÜK
MALATYA
MARAS
HACILAR
TAURUS
SAMAL
HALAFU
GUZANA
MUSASIR ?
NINEVEH
ERBIL
ELBURZ
CARCHEMISH
TIL BARSIB
TELL BRAK
ALEPPO
ALALAKH
UGARIT
HAMATH
QATNA
KADESH
ASSUR
LOWER ZAB
ZAGROS
ECBATANA
SIALK
CYPRUS
MEDITERRANEAN SEA
BYBLOS
SIDON
DAMASCUS
TYRE
MEGIDDO
JERICHO
JERUSALEM
DEAD SEA
SYRIAN
DESERT
MARI
EUPHRATES
TIGRIS
DIYALA
AKKAD
ESHNUNNA
DER
BABYLON
BABYLONIA
SUSA
ELAM
DUR UNTASH
IRAN
MOUNTAINS
LAGASH
LARSA
URUK
UR
ERIDU
KARUN
PASARGADAE
PERSEPOLIS
SAIS
MEMPHIS
FAYUM
NILE
SINAI
ELATH
EL AMARNA
EGYPT
ARABIAN DESERT
RED SEA
COPTOS
THEBES
0 100 200 300
Km
MAJOR ROUTES

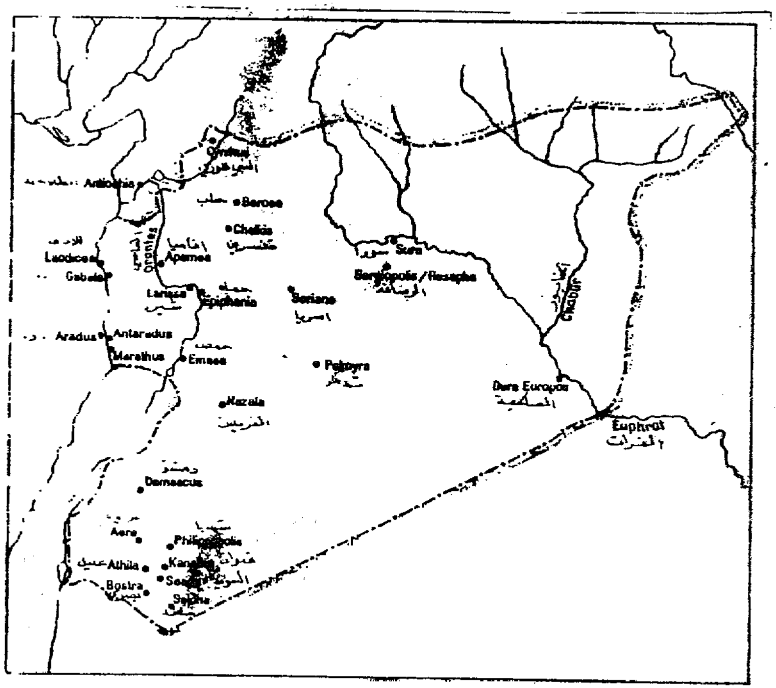
شکل ۱


BLACK SEA
CASPIAN SEA
MEDITERRANEAN SEA
PERSIAN GULF
RED SEA

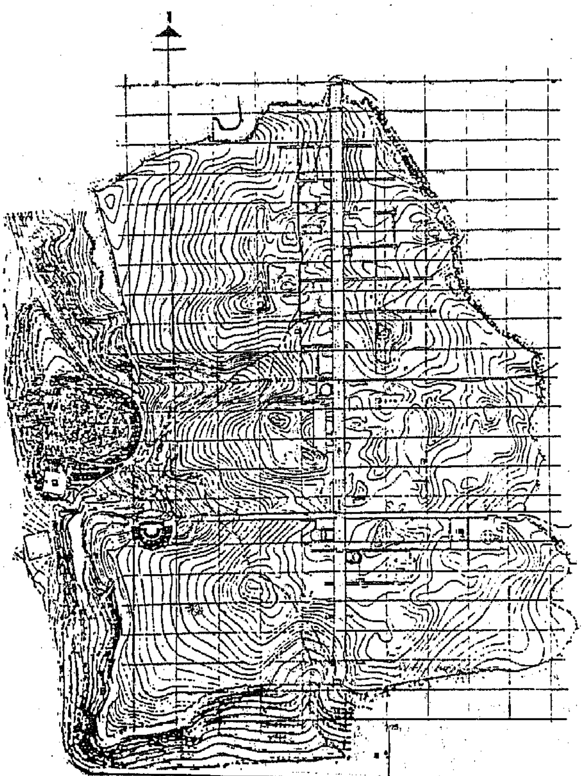
شکل ۲


CILICIA
CILICIA CAMPESTRIS
OSRHOËNE
Edessa
MESOPOTAMIA
PARAPOTAMIA
R. EUPHRATES
R. Chaboras
Zeugma
Cyrrhus
Beroea
Chalcis
Antioch
Seleucia
Laodicea
R. Orontes
Apamea
Raphaneae
Emesa
PALMYRA
Arada
Dura
Byblus
BERYTUS
Sidon
Tyre
PHOENICIA
Heliopolis
Abila
DAMASCUS
ITURAEA
TRACHONITIS
BATANAEA
BOSTRA
Ptolemais (Ace)
Mt CARMEL
GALILEE
Gadara
R. Jordan
DECAPOLIS
Gerasa
PERAEA
Philadelphia
JERUSALEM
JUDAEA
DEAD SEA
Ascalon
Gaza
Rhinocolura
Petra
Scales
English miles
Kilometres

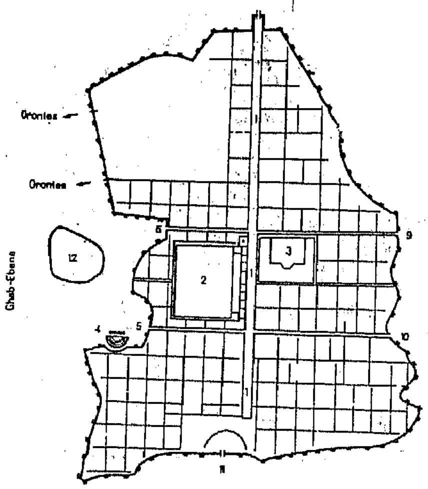
شكل ٣


Antiochia
Cyrrhus
Beroea
Chalcis
Laodicea
Gabala
Orontes
Apamea
Larissa
Epiphania
Sura
Sergiopolis / Resapha
Seriane
Aradus
Antaradus
Marathus
Emesa
Palmyra
Dura Europos
Euphrat
Mazala
Damascus
Aere
Philippopolis
Athila
Kanatha
Bostra

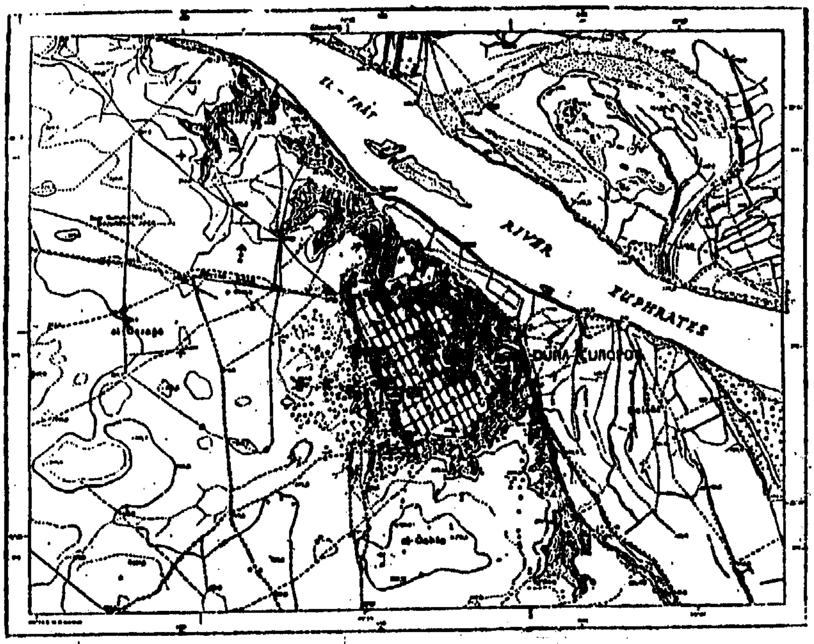
شكل ٤



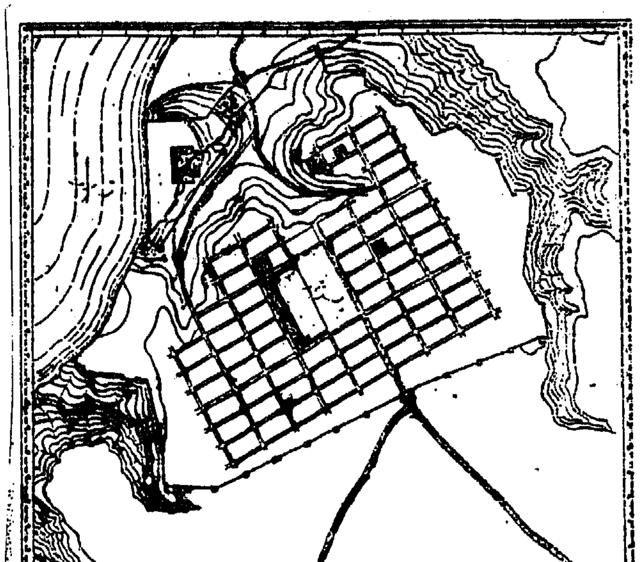
شكل ٥



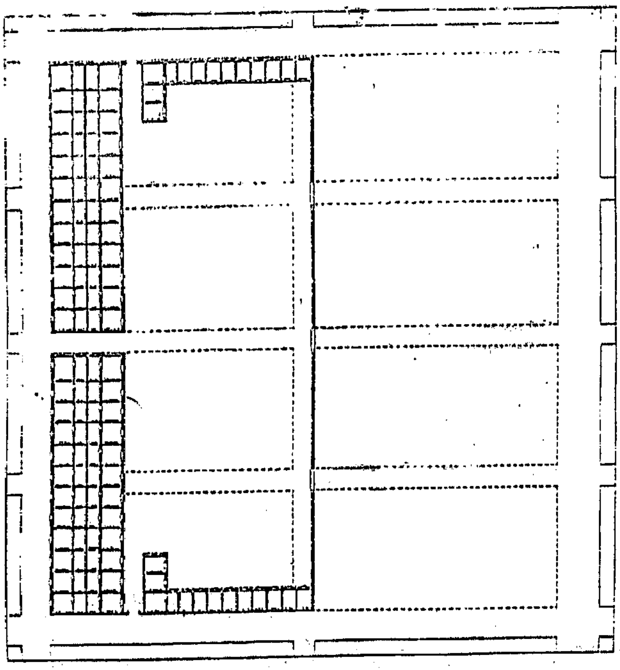
شكل ٦



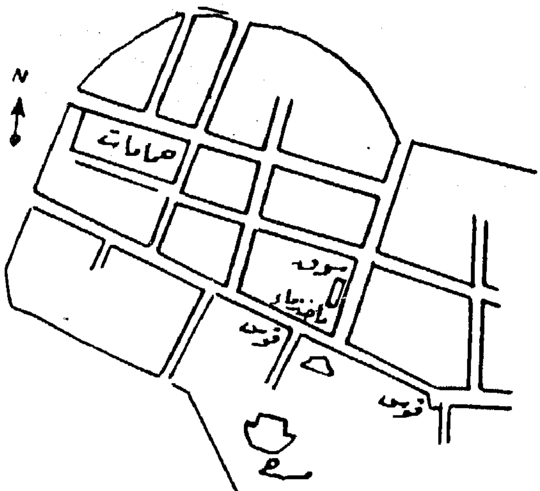
شكل ٧



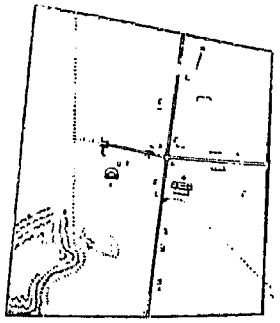
شكل ٨



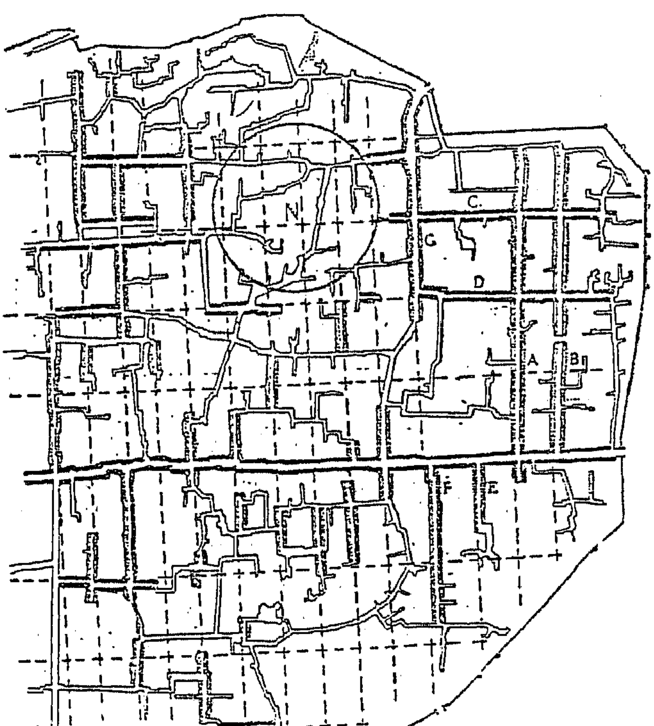
شكل ٩



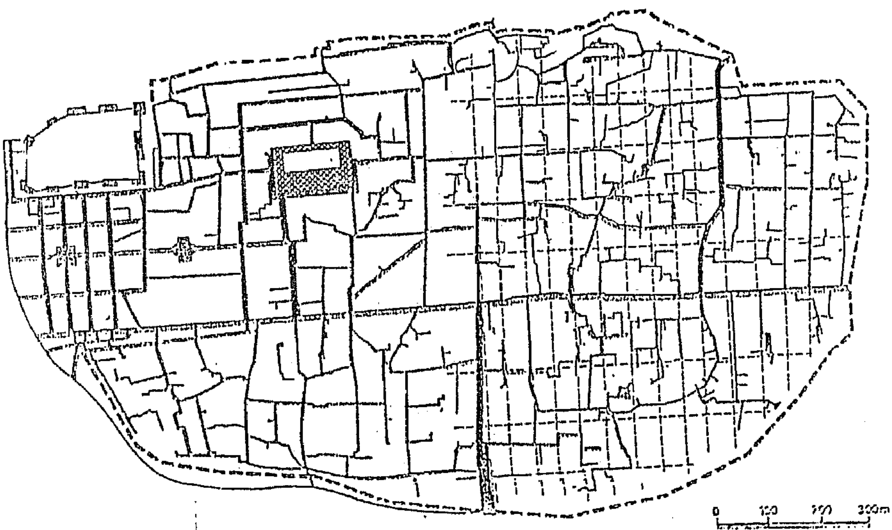
شكل ١٠



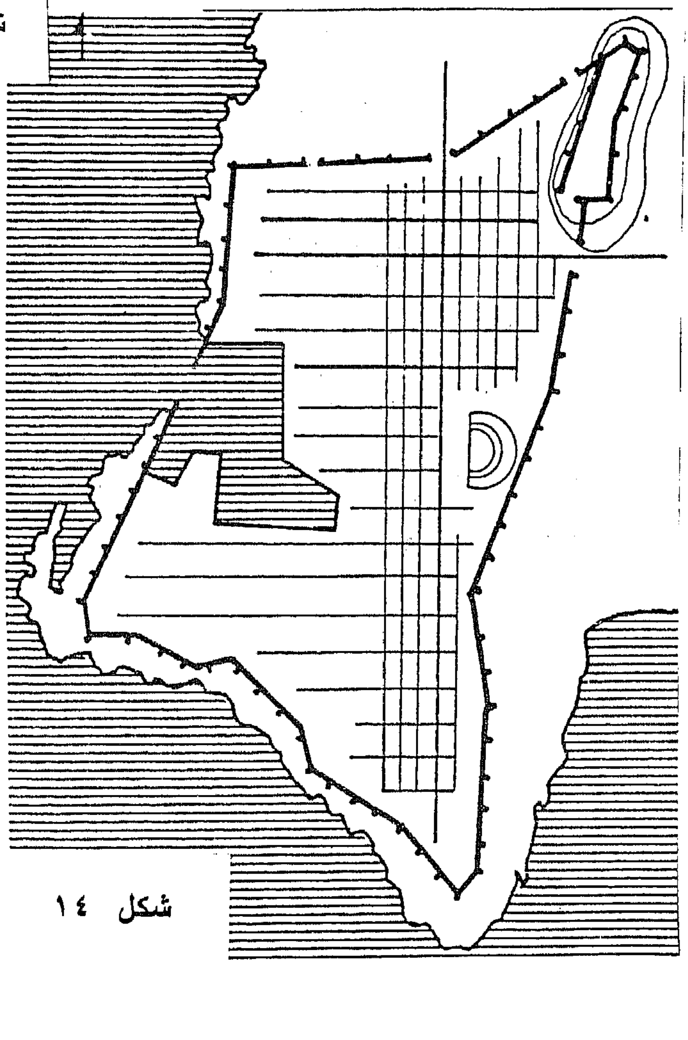
شكل ١١



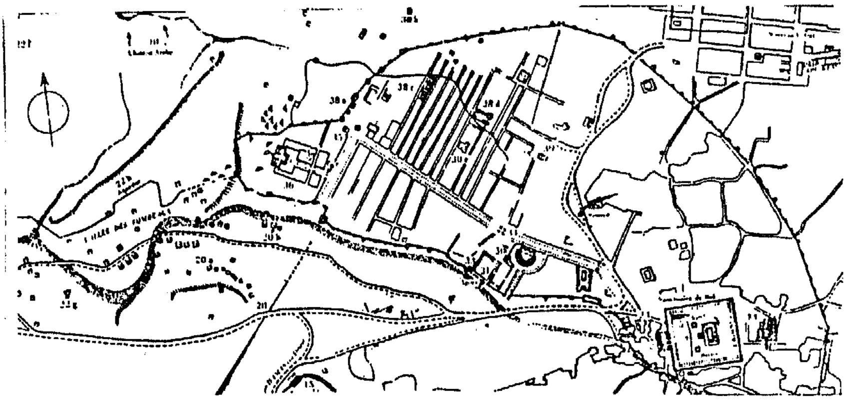
شكل ١٢



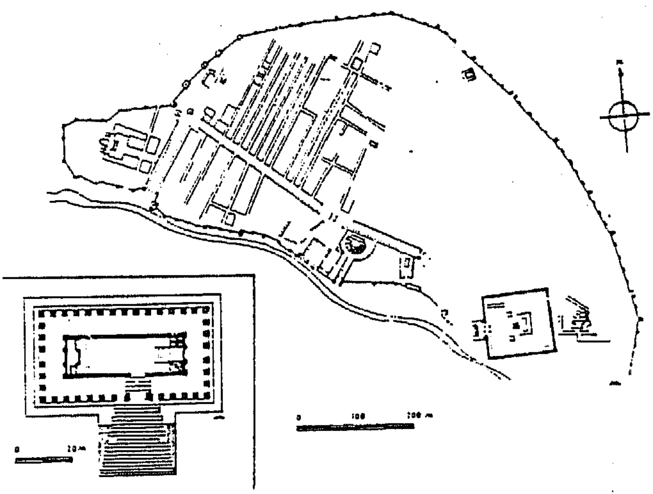
شكل ١٣



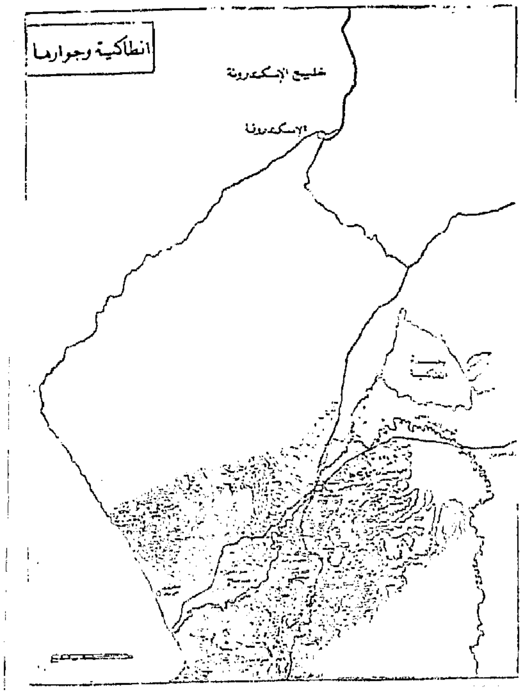
شكل ١٤



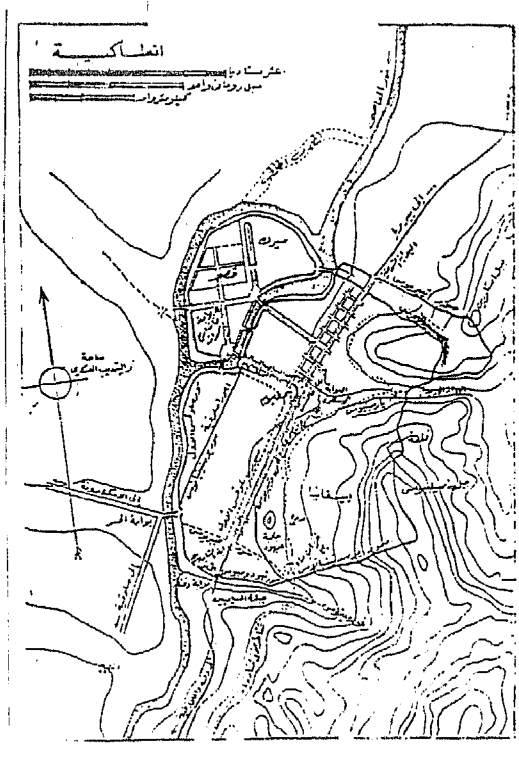
شكل ١٥



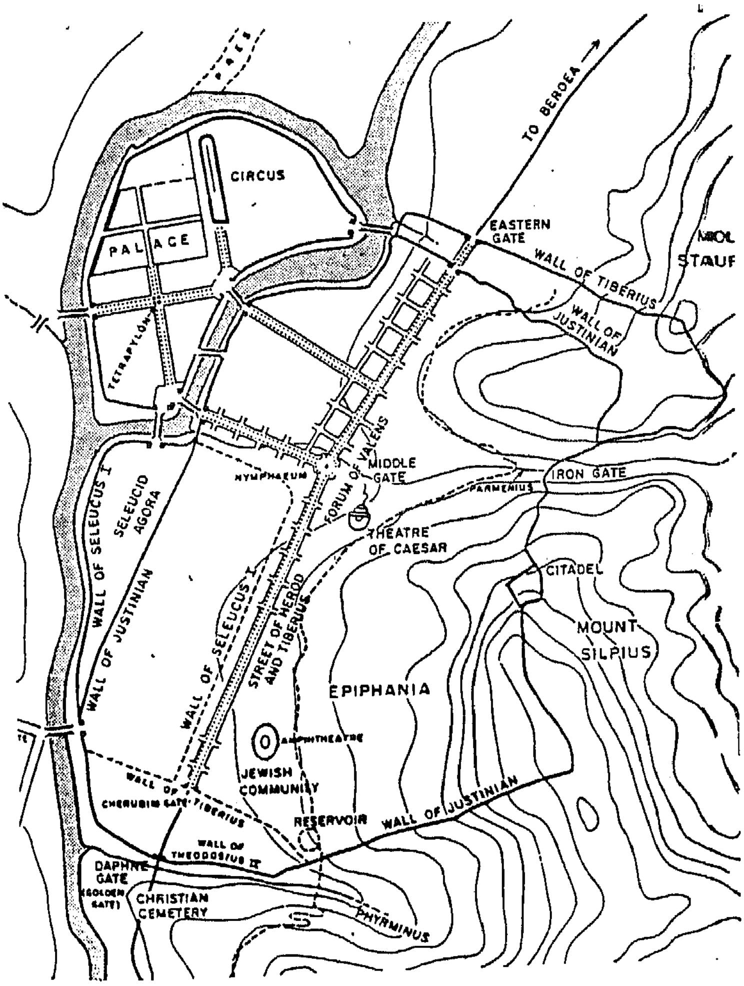
شكل ١٦



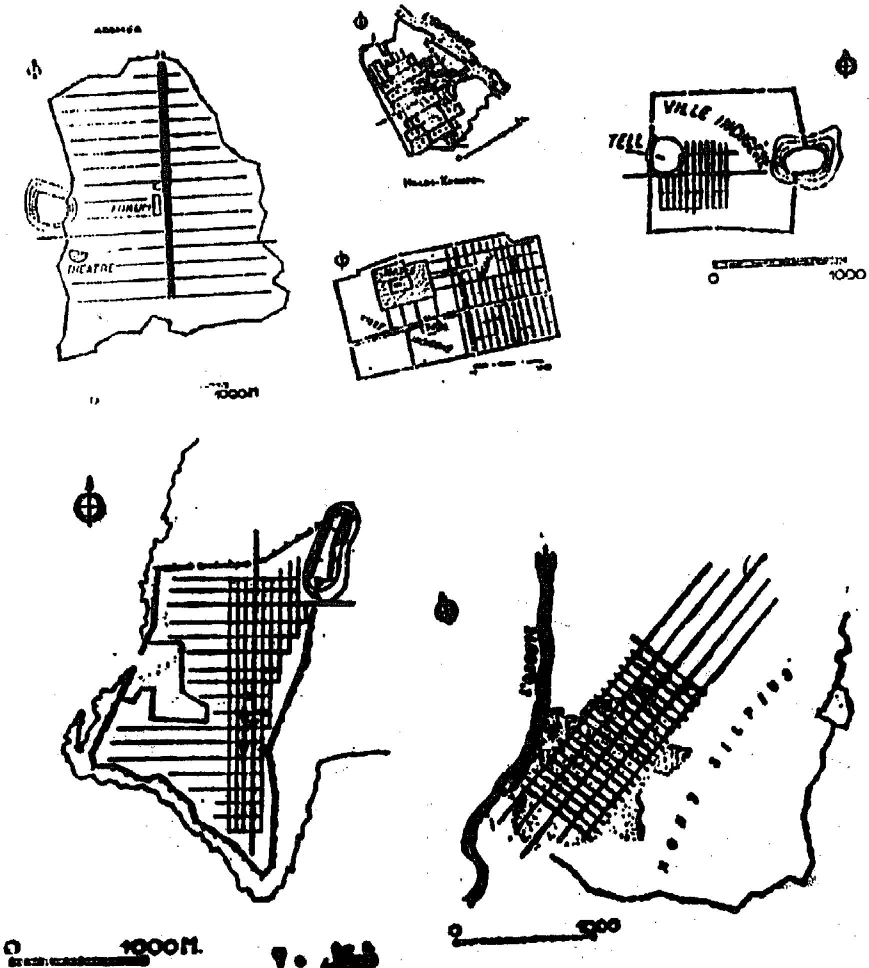
شكل ١٧



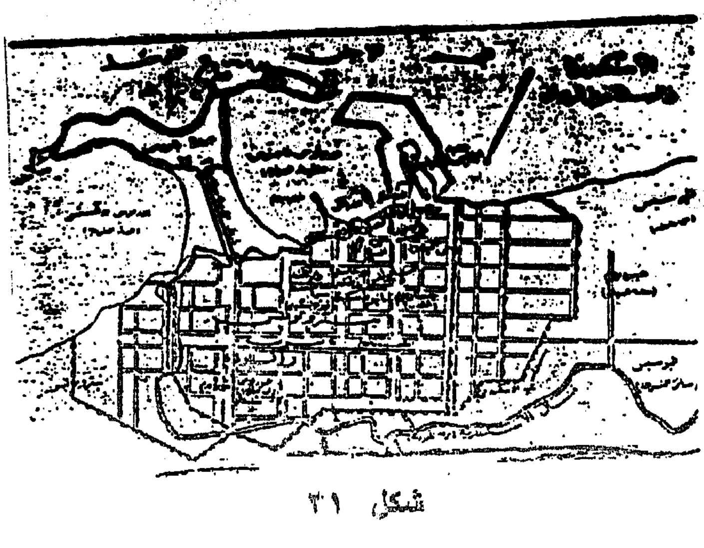
شكل ١٨


CIRCUS
PALACE
TETRAPYLON
EASTERN GATE
TO BEROEA
WALL OF TIBERIUS
WALL OF JUSTINIAN
MIDDLE GATE
FORUM OF VALENS
NYMPHAEUM
IRON GATE
PARMENIUS
THEATRE OF CAESAR
CITADEL
MOUNT SILPIUS
SELEUCID AGORA
WALL OF SELEUCUS I
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF SELEUCUS I
STREET OF HEROD AND TIBERIUS
EPIPHANIA
AMPHITHEATRE
JEWISH COMMUNITY
RESERVOIR
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF TIBERIUS
CHERUBIM GATE
WALL OF THEODOSIUS II
DAPHNE GATE
(GOLDEN GATE)
CHRISTIAN CEMETERY
PHYRMINUS

شكل ١٩



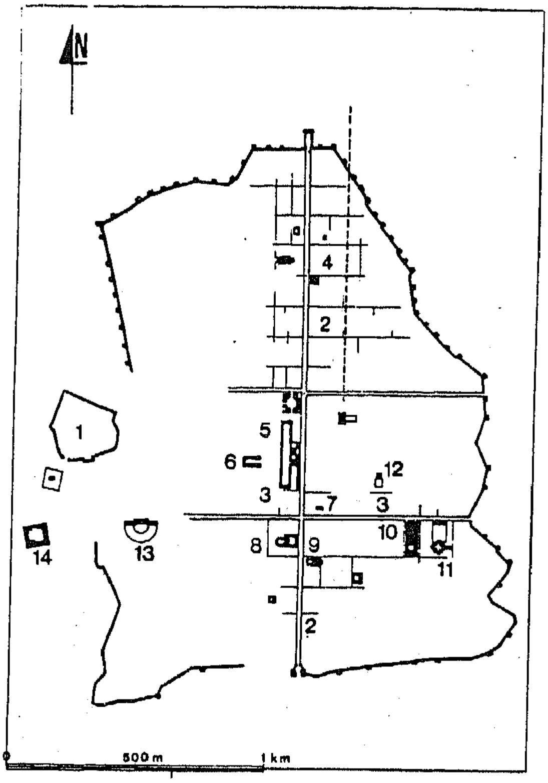
شكل ٧٠



شكل ٧١

Plan des Ruinengeländes von Apameia

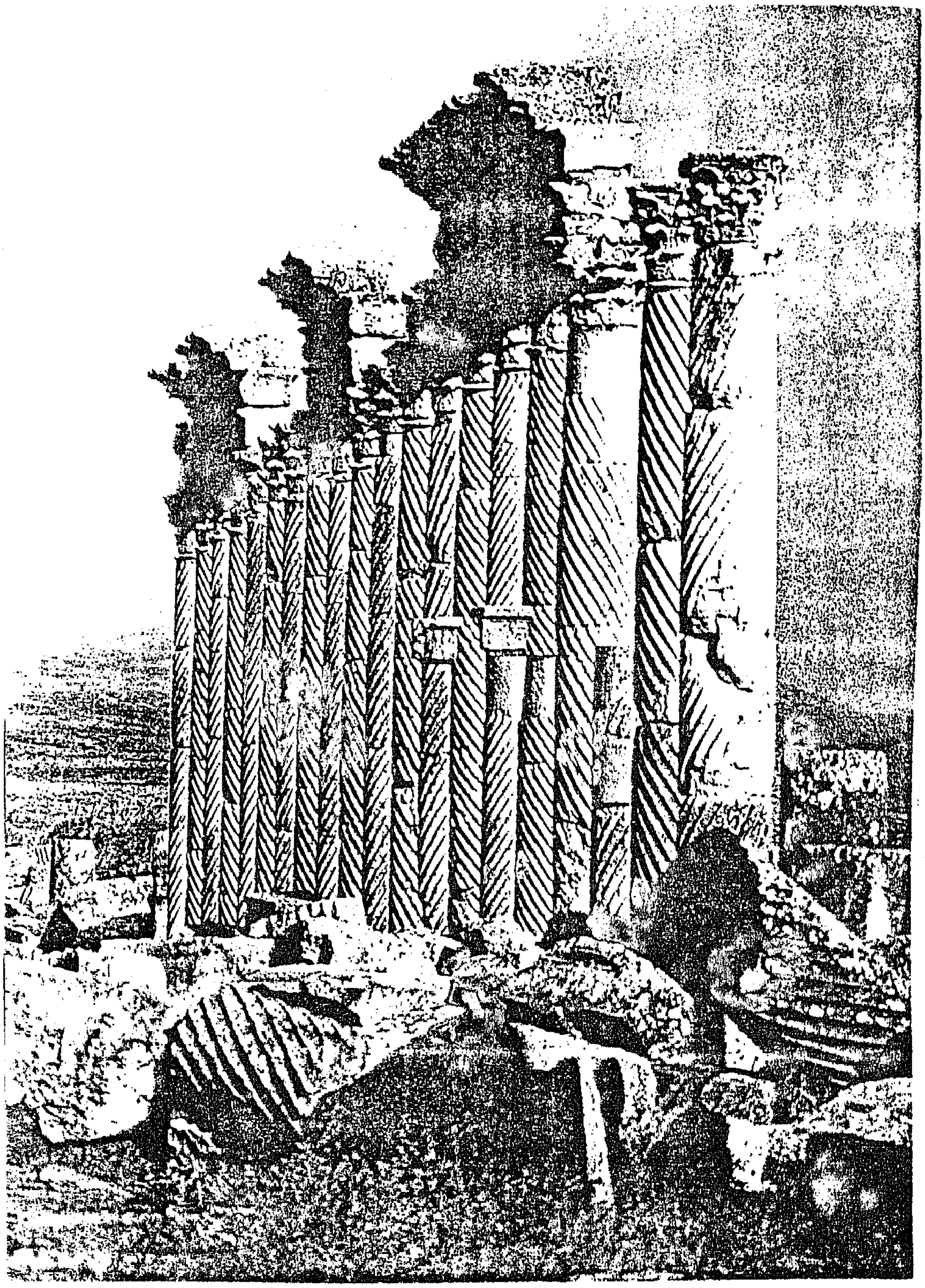
1 Zitadelle
2 Nord-Süd-Achse
3 Kleine Säulenstraße
4 Thermen
5 Agora/Forum
6 Tempel des Zeus Belos
7 Nymphäum
8 Justinianischer Rundbau
9 Atriumskirche
10 Triclinos-Gebäude
11 Ostkathedrale
12 Römische Villa
13 Theater
14 Khan/Museum



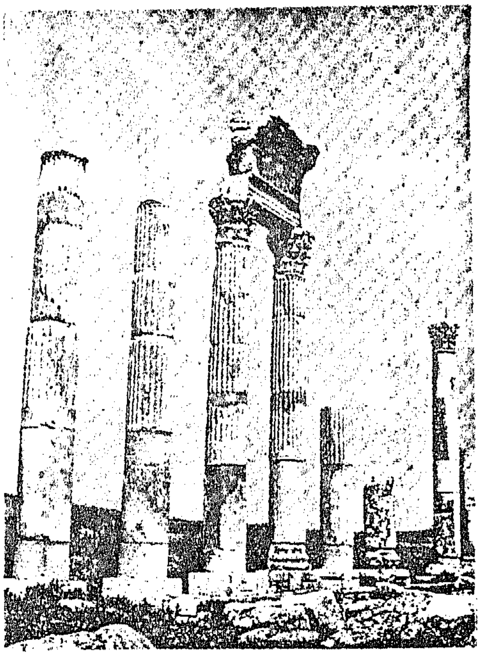
شكل ٢٢



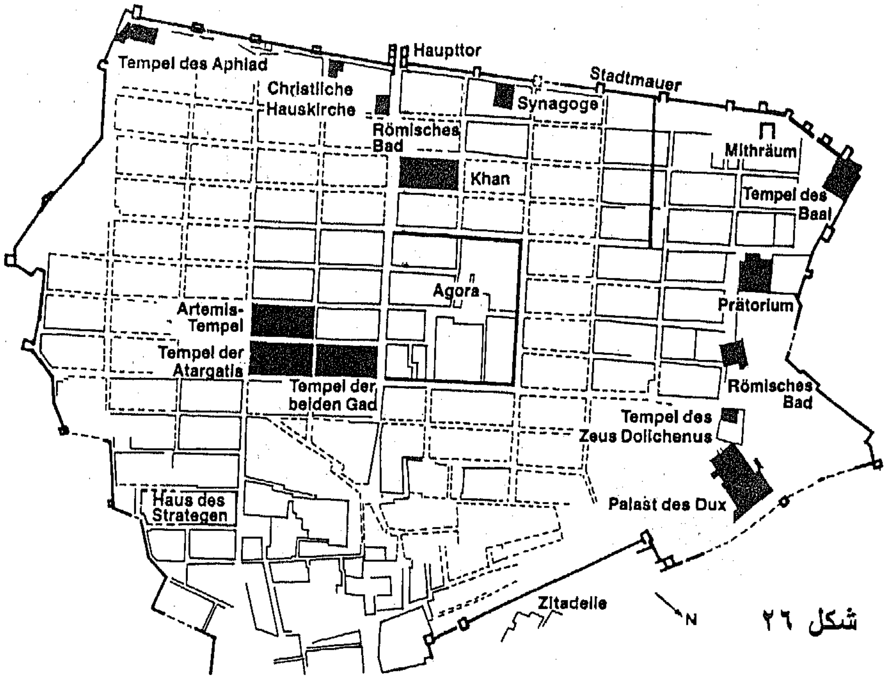
شكل ٢٣



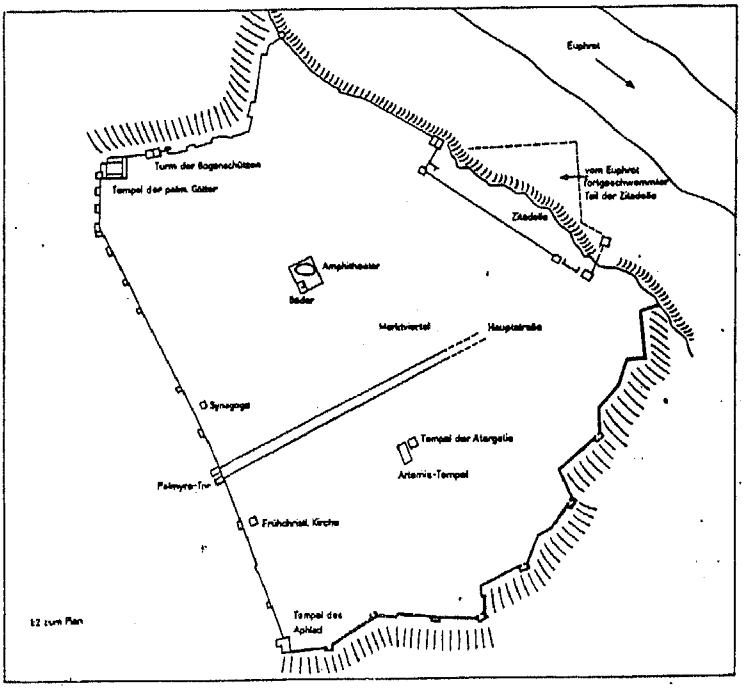
شكل ٢٤



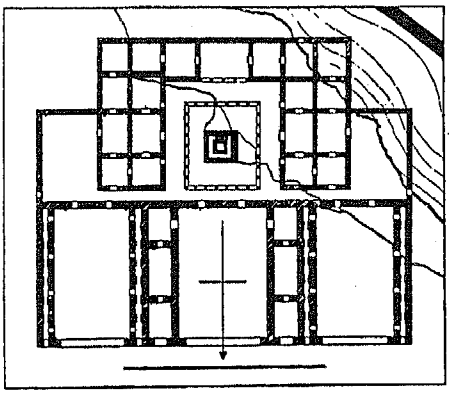
شكل ٢٥


Tempel des Aphlad
Haupttor
Christliche Hauskirche
Stadtmauer
Synagoge
Römisches Bad
Mithräum
Khan
Tempel des Baal
Agora
Artemis-Tempel
Prätorium
Tempel der Atargatis
Tempel der beiden Gad
Römisches Bad
Tempel des Zeus Dolichenus
Haus des Strategen
Palast des Dux
Zitadelle
N

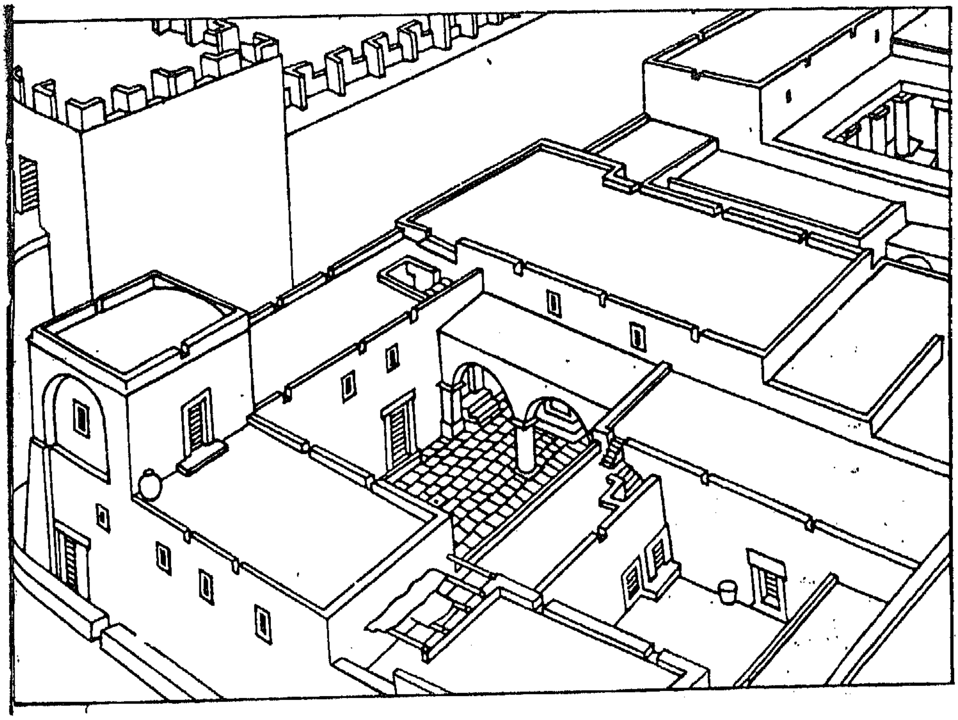
شكل ٢٦


Euphrat
Turm der Bogenschützen
Tempel der palm. Götter
vom Euphrat
fortgeschwemmter
Teil der Zitadelle
Zitadelle
Amphitheater
Bäder
Marktviertel
Hauptstraße
Synagoge
Tempel der Atargatis
Artemis-Tempel
Palmyra-Tor
Frühchristl. Kirche
Tempel des
Aphlad

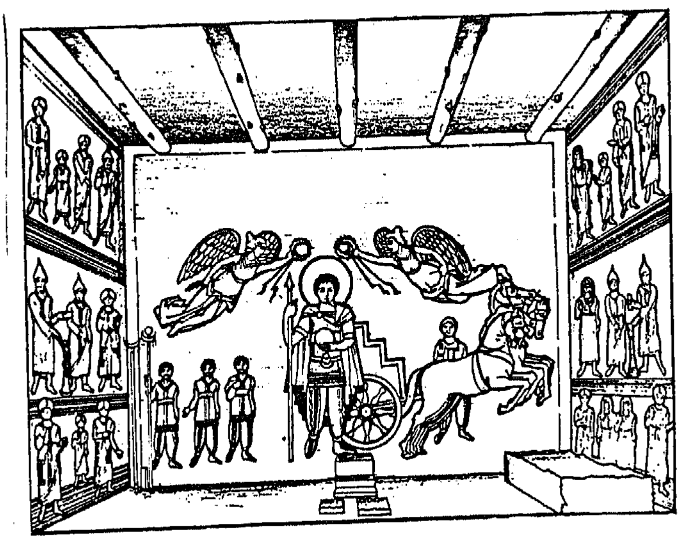
شكل ٢٧



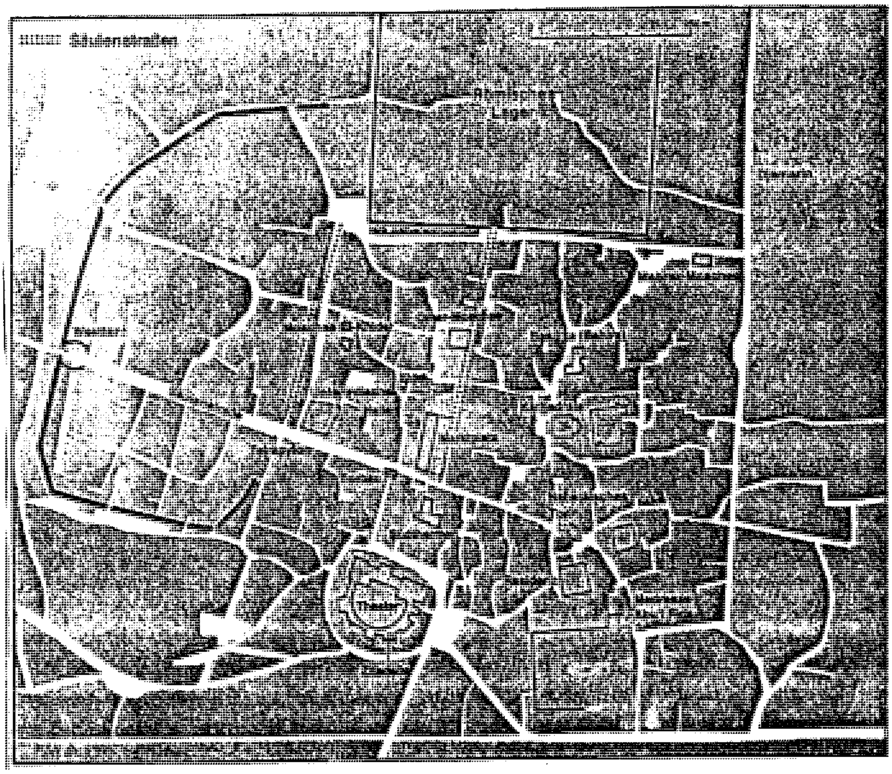
شكل ٢٨



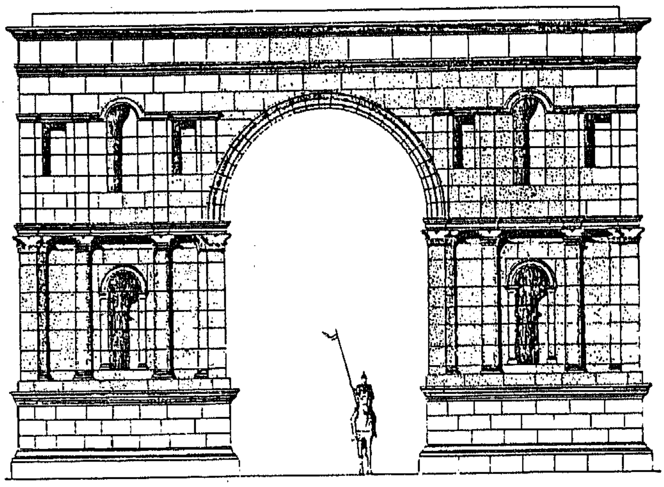
شكل ٢٩



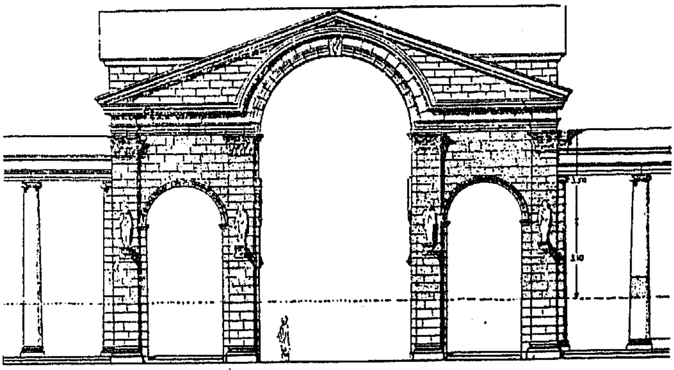
شكل ٣٠



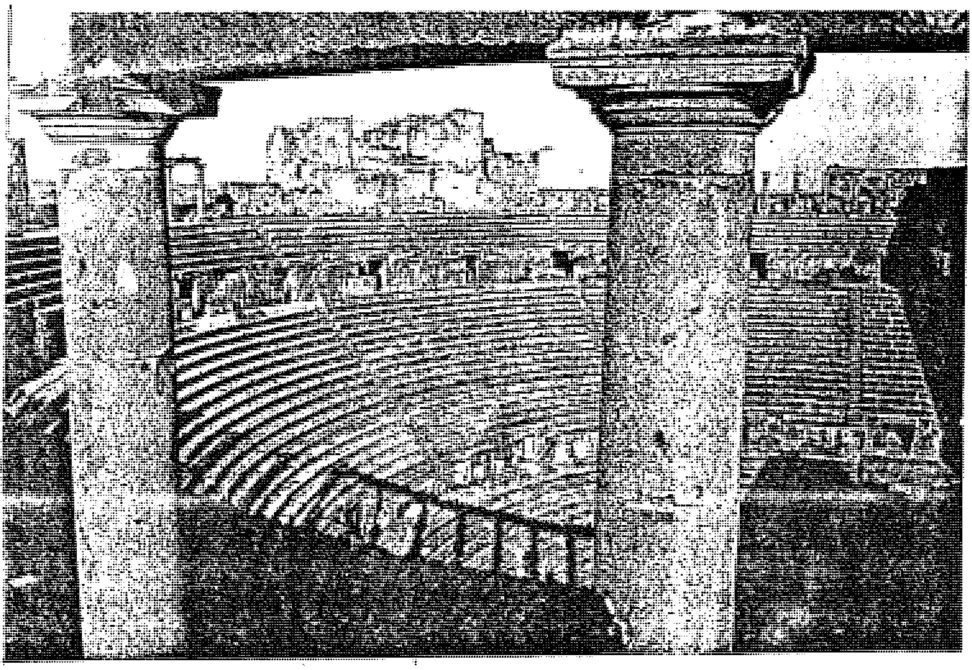
شكل ٣١



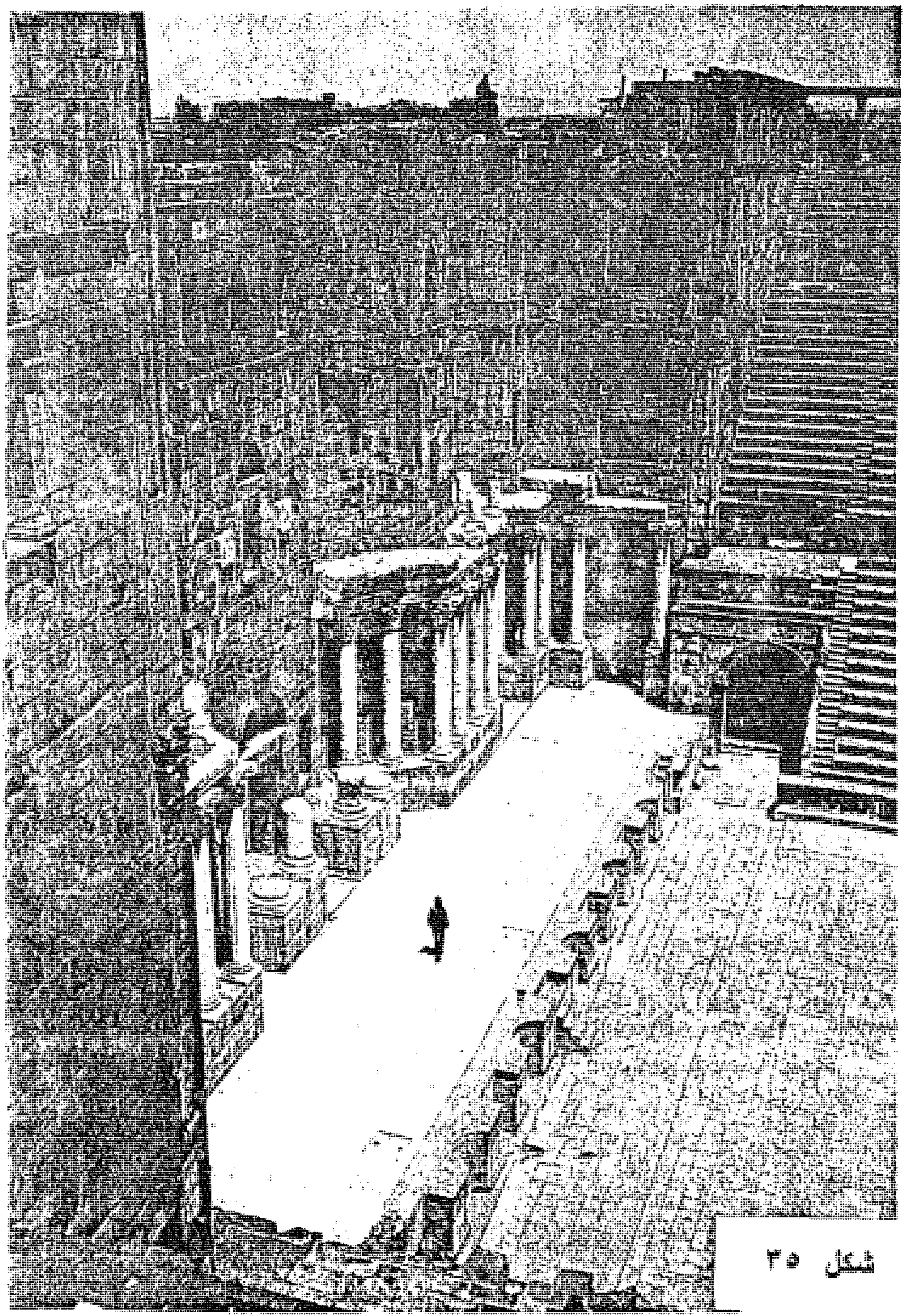
شكل ٣٢



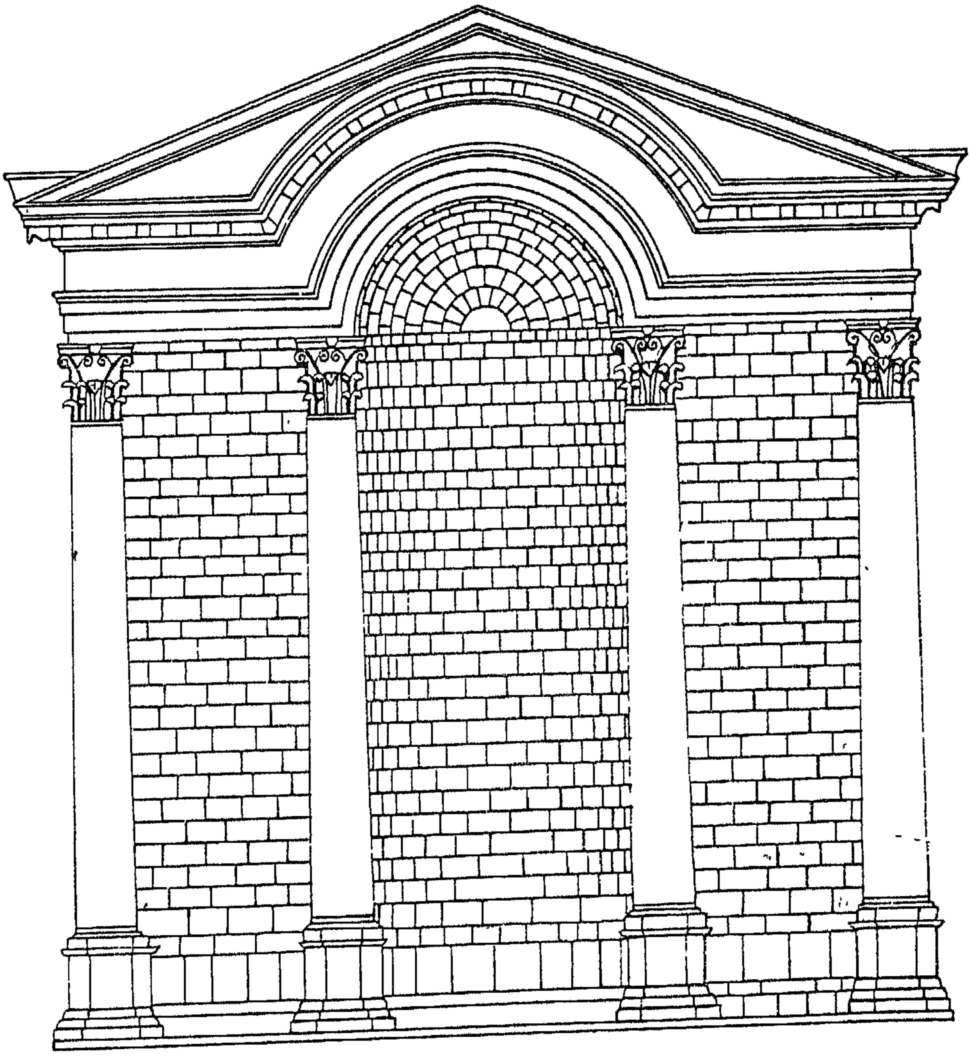
شكل ٣٣



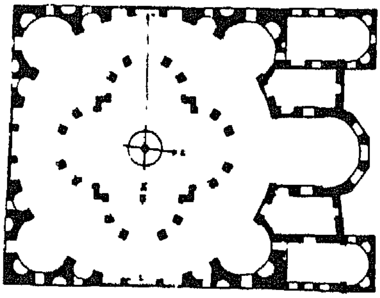
شكل ٣٤



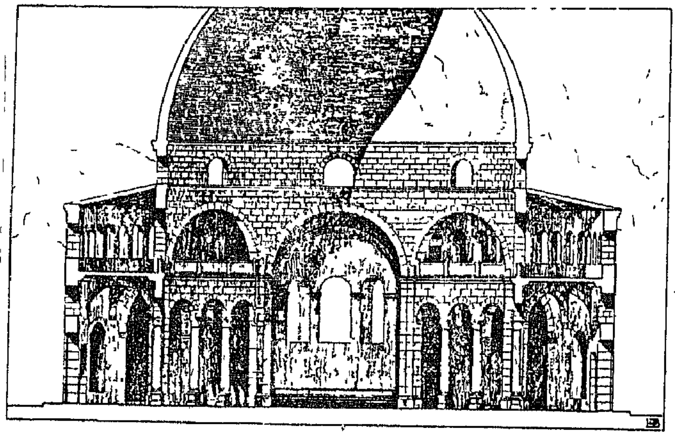
شكل ٣٥



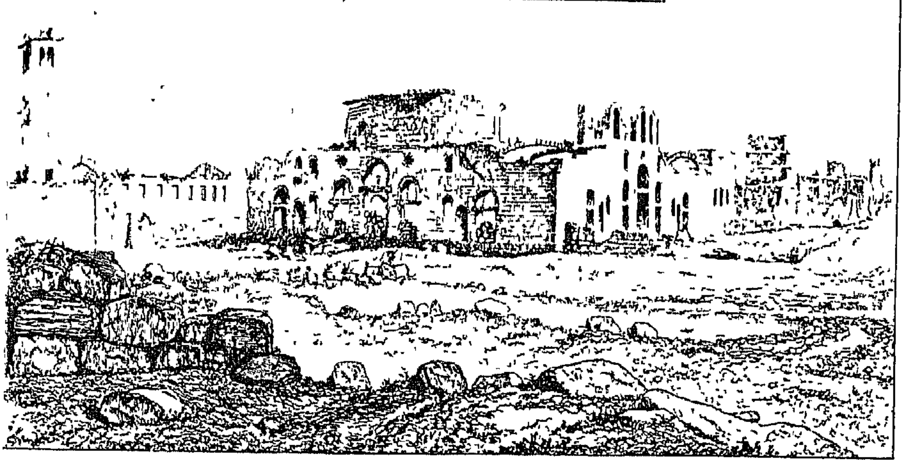
شكل ٣٦

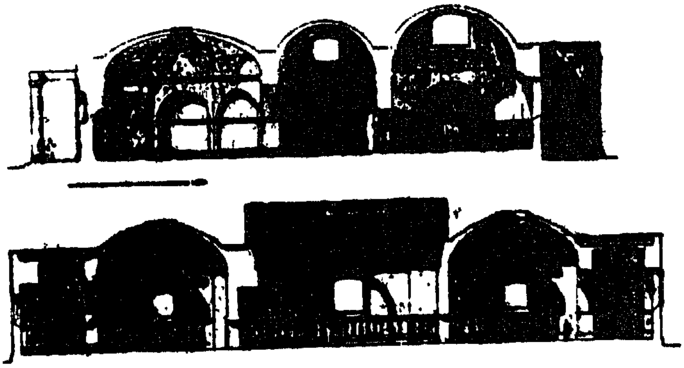


شكل ٣٧

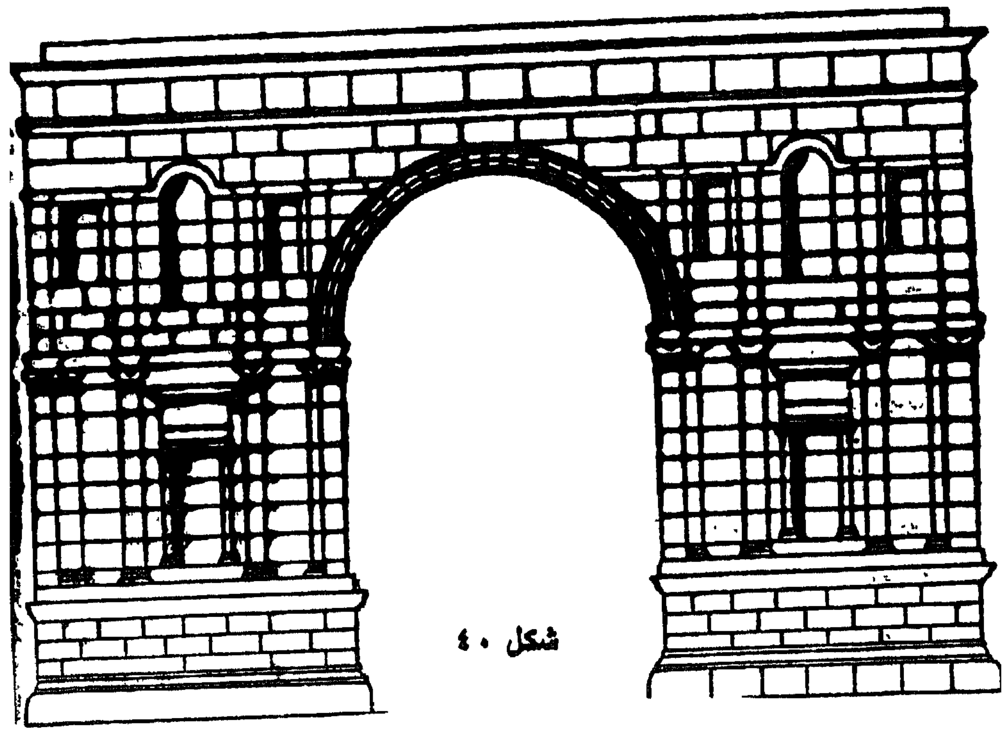


شكل ٣٨

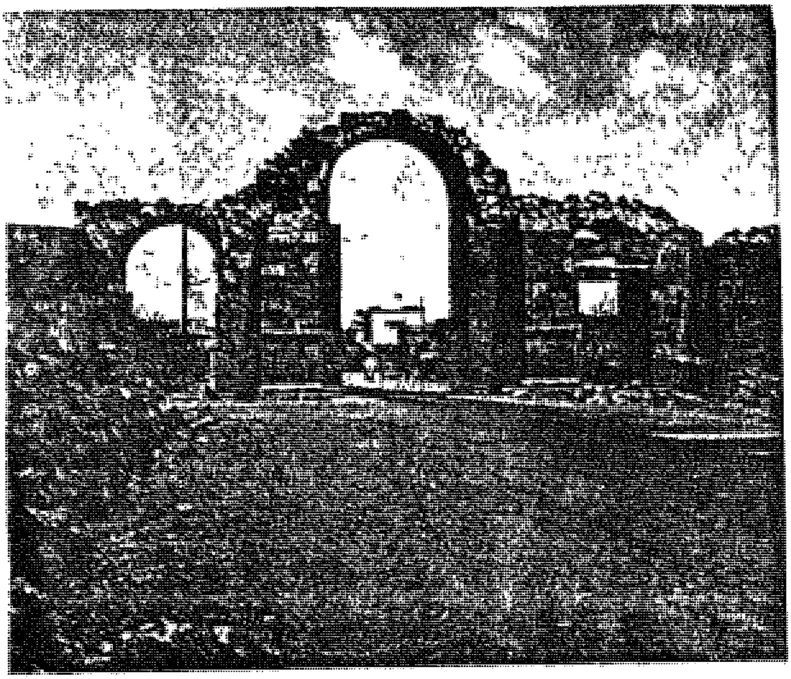




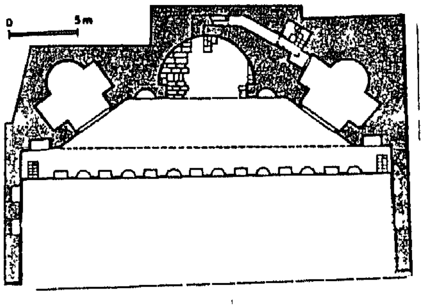
شکل ۳۹

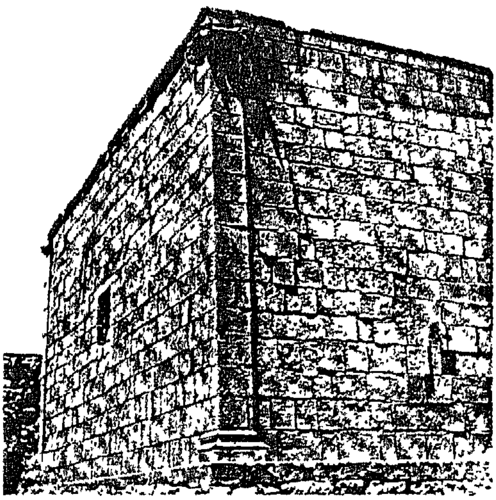


شکل ۴۰

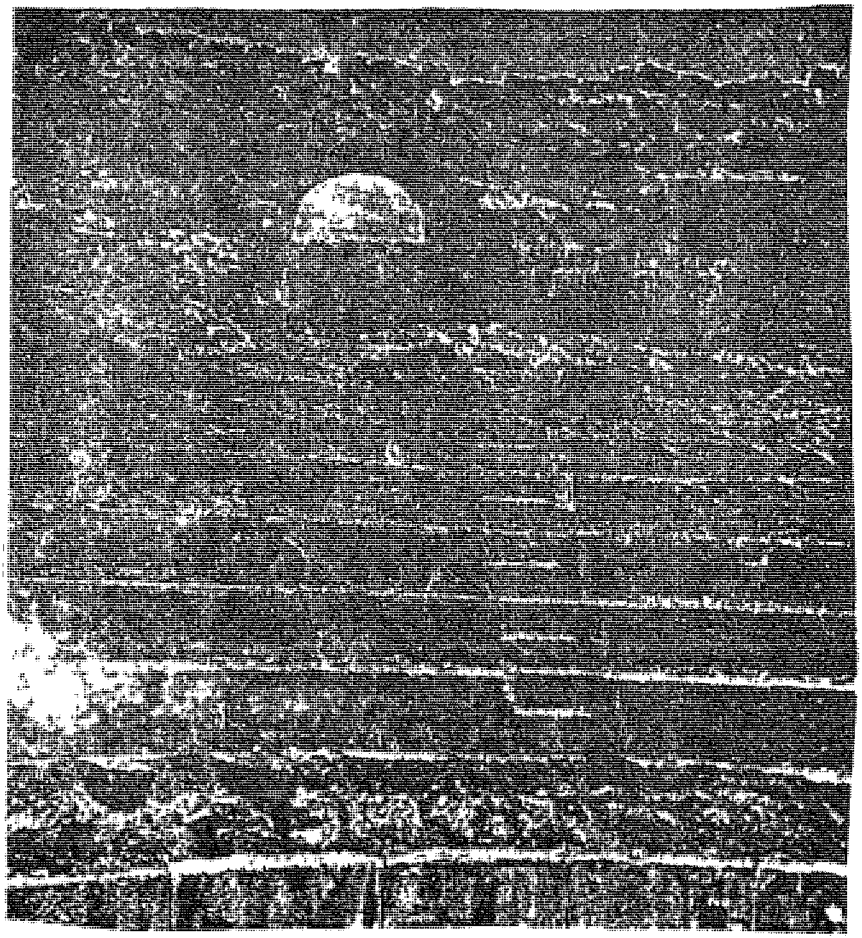


شكل ٤١

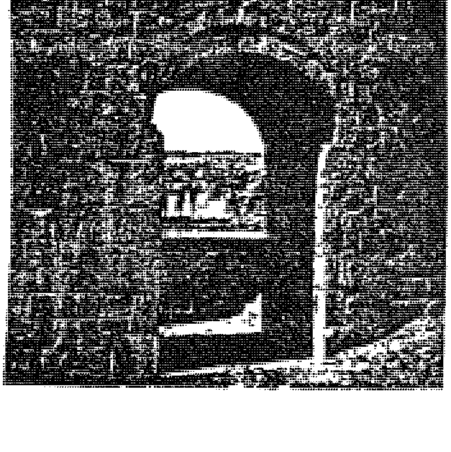




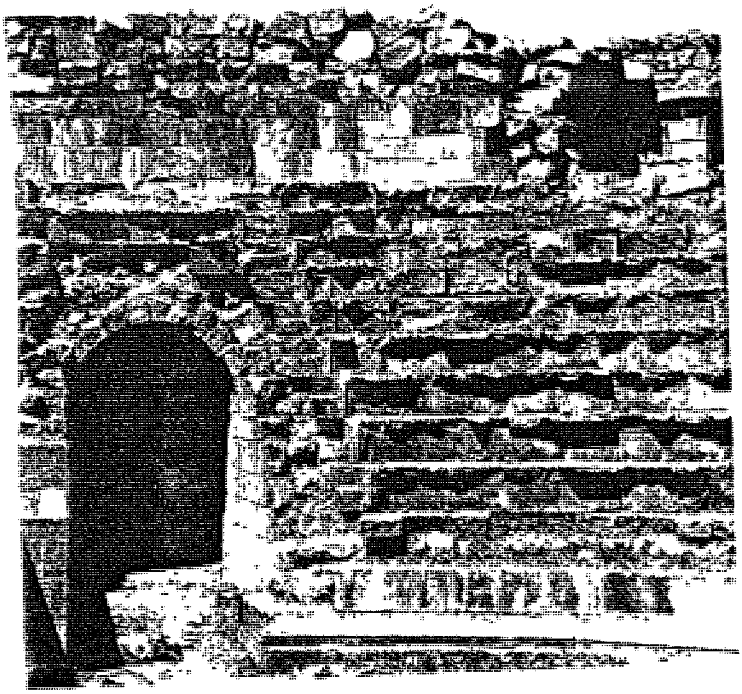
شكل ٤٢



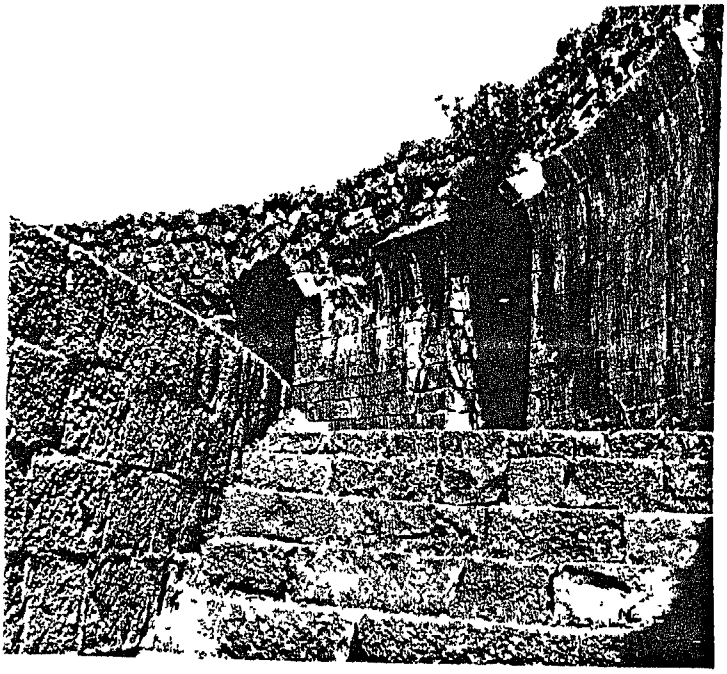
شكل ٤٣



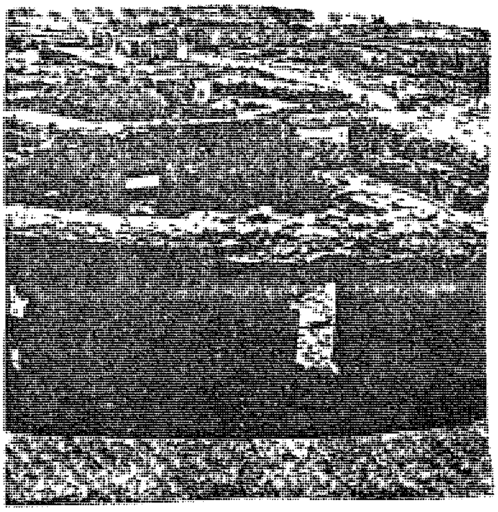
شكل ٤٤



شكل ٤٥



شكل ٤٦



شكل ٤٧



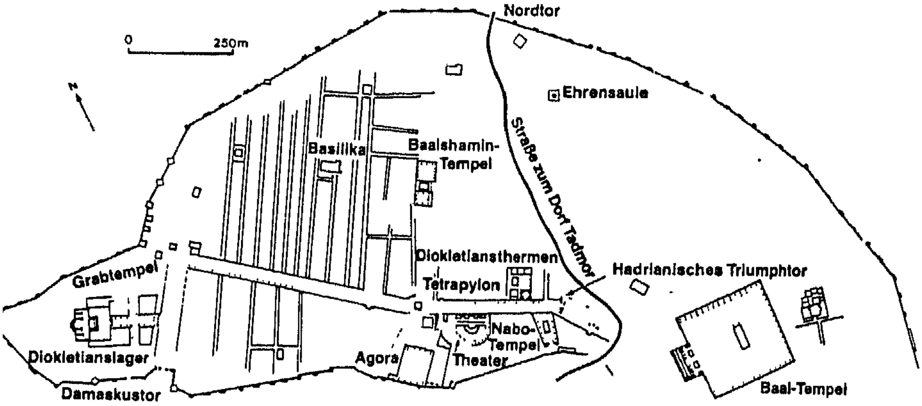
شكل ٤٨



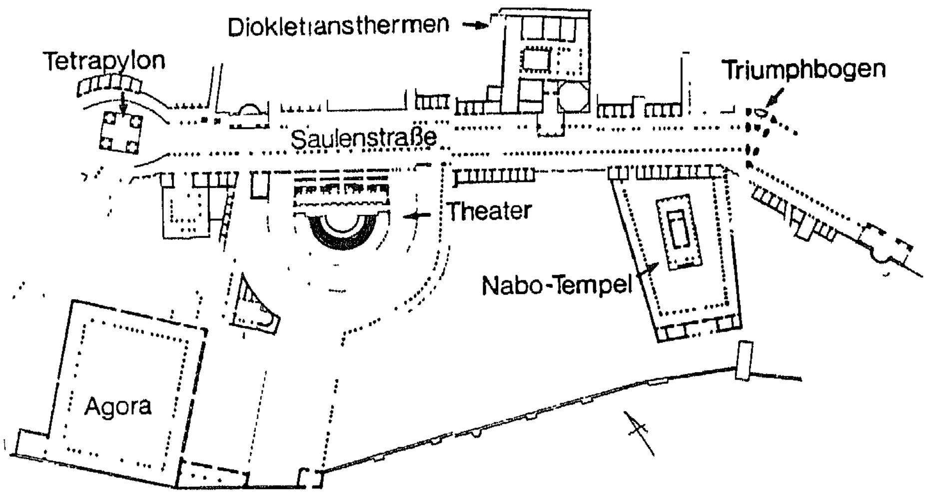
شكل ٤٩



شكل ٥٠


Nordtor
0
250m
N
Ehrensaule
Straße zum Dorf Tadmor
Basilika
Baalshamin-
Tempel
Grabtempel
Diokletiansthermen
Tetrapylon
Hadrianisches Triumphtor
Nabo-
Tempel
Agora
Theater
Diokletianslager
Damaskustor
Baal-Tempel

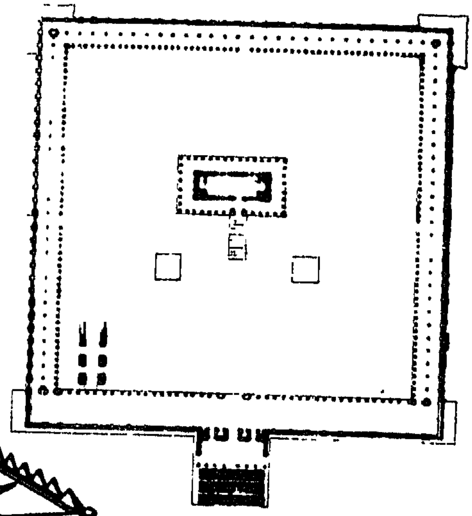
شكل ٥١


Diokletıansthermen
Tetrapylon
Triumphbogen
Saulenstraße
Theater
Nabo-Tempel
Agora

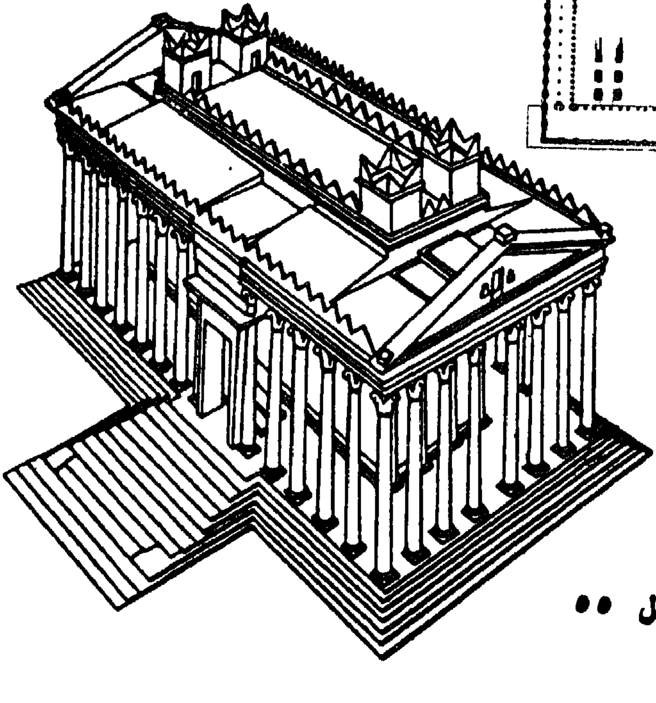
شكل ٥٢



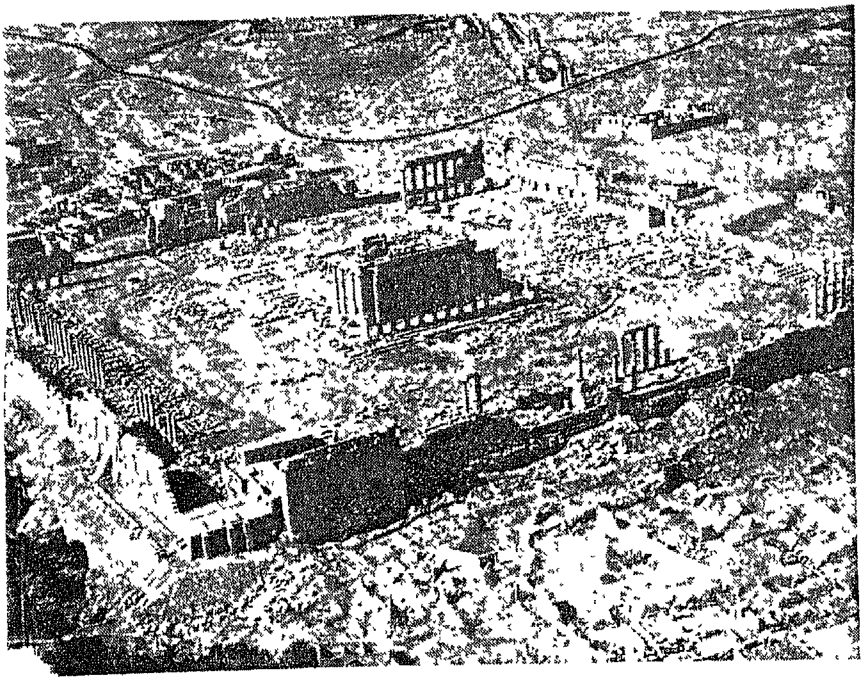
شكل ٥٣



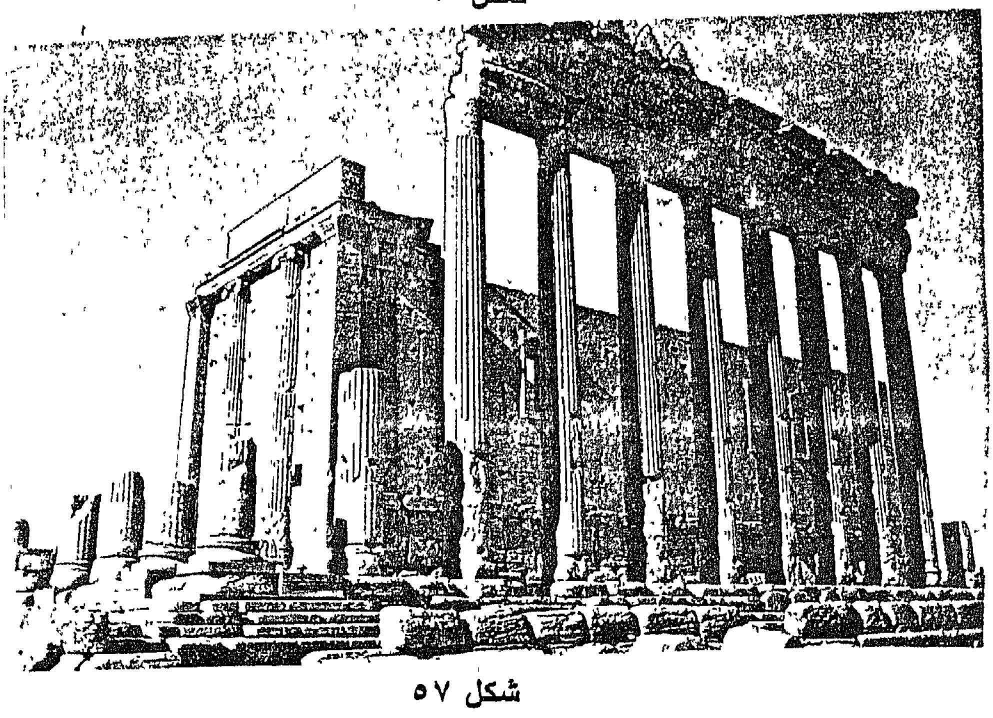
شكل ٥٤



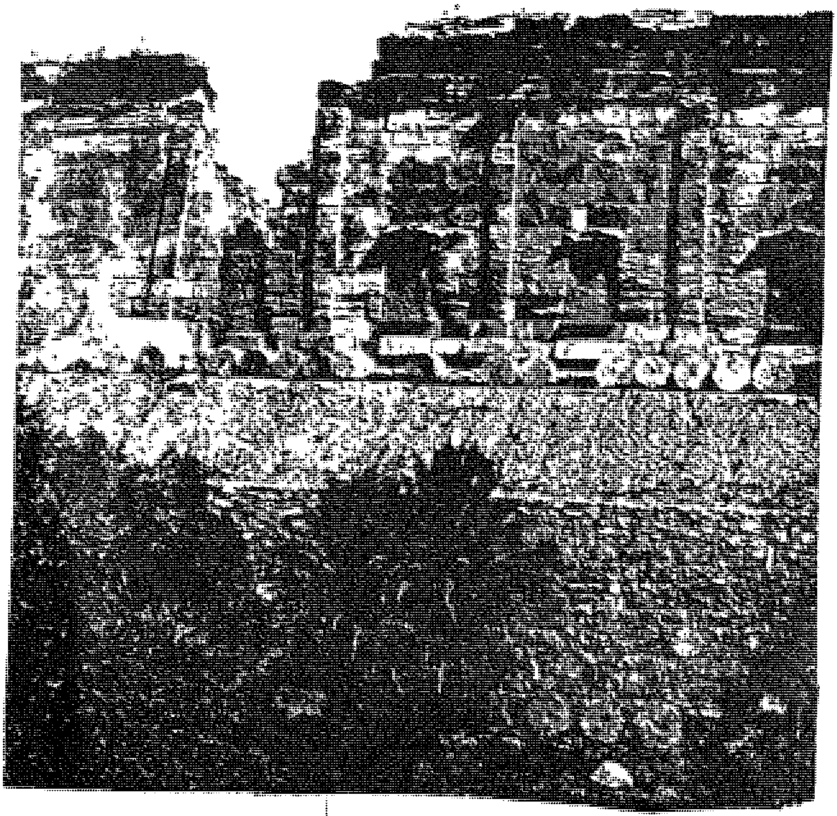
شكل ٥٥



شكل ٥٦



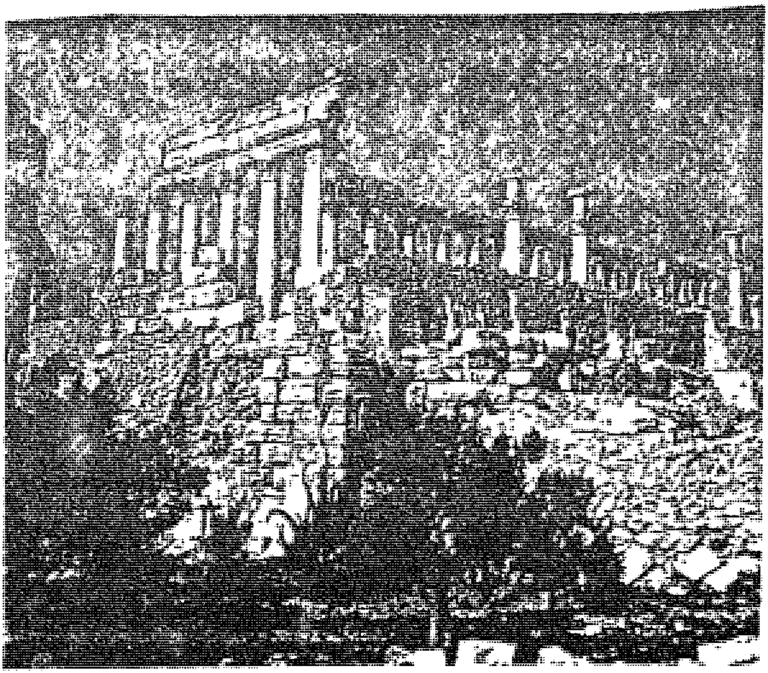
شكل ٥٧



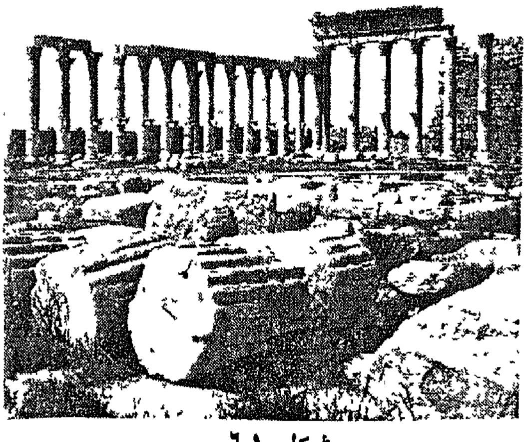
شكل ٥٨



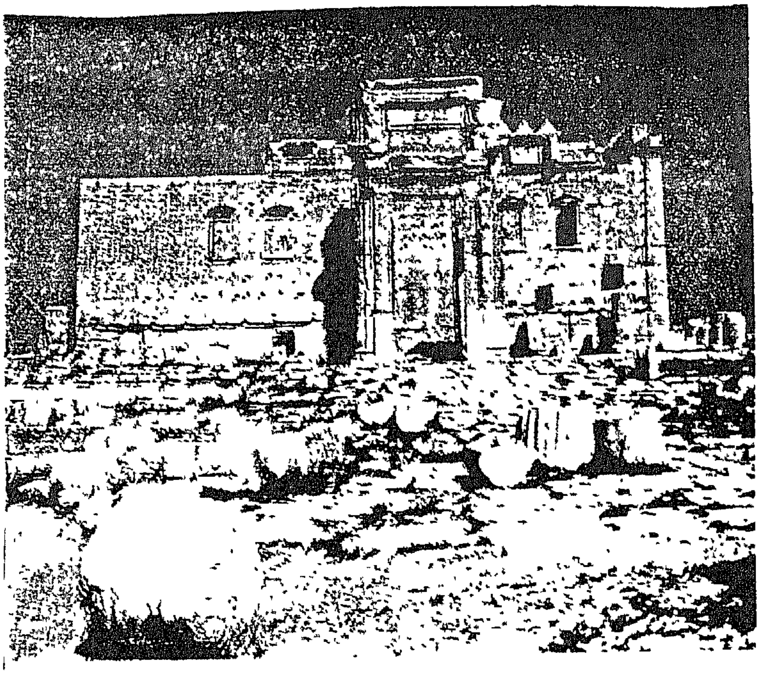
شكل ٥٩



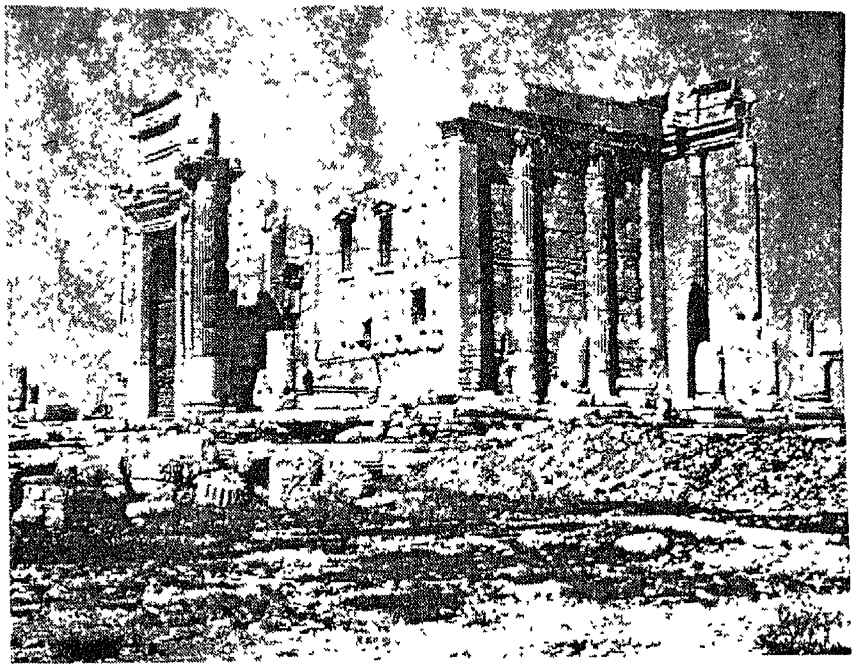
شكل ٦٠



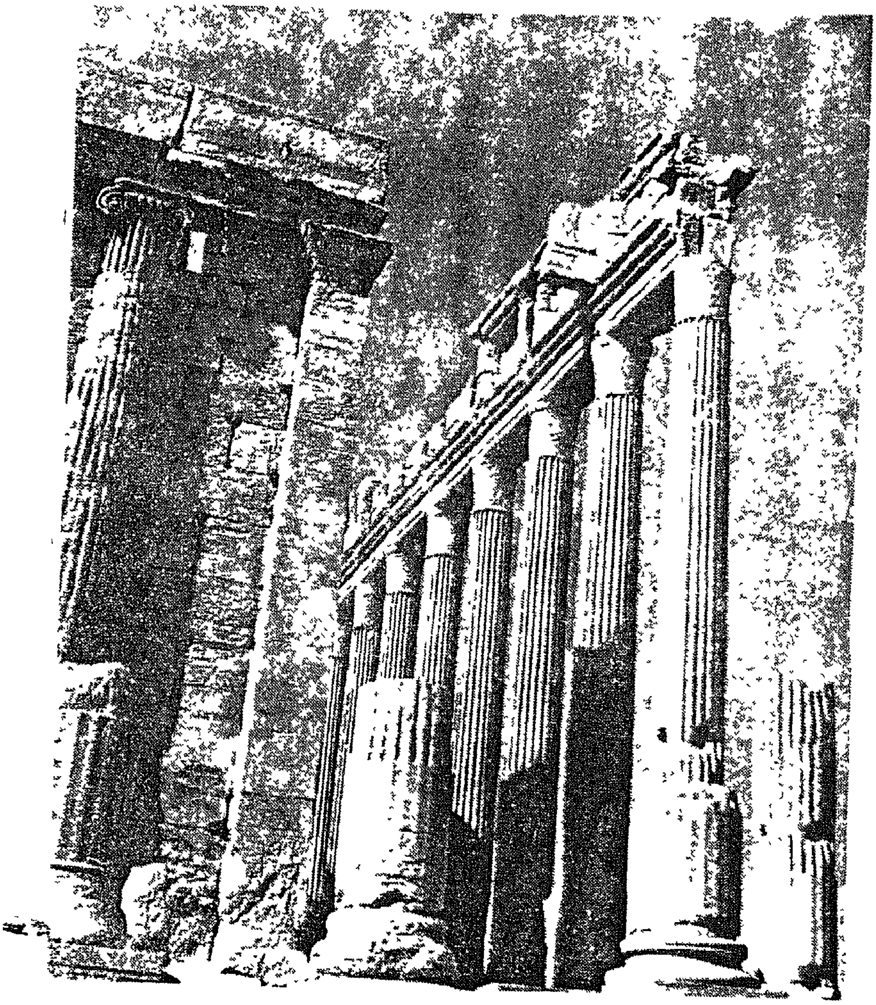
شكل ٦١



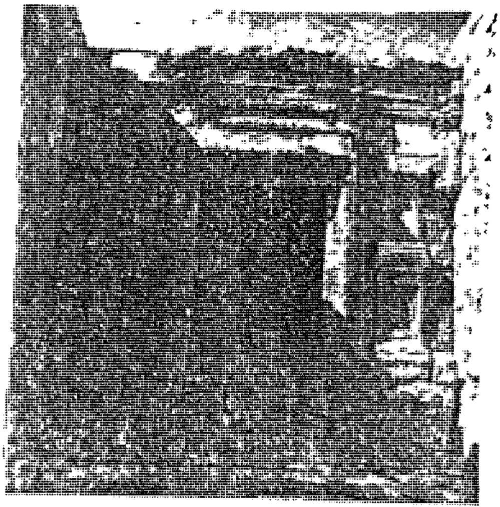
شكل ٦٢



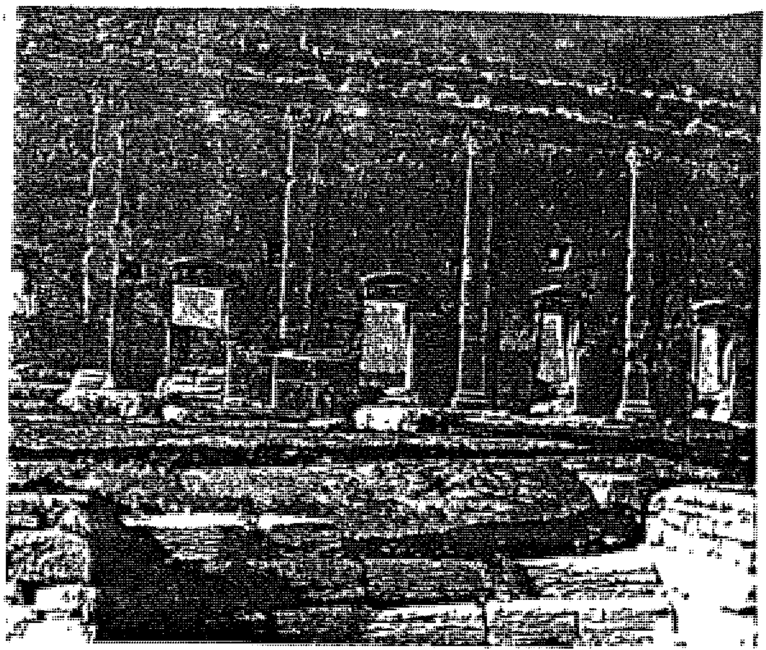
شكل ٦٣



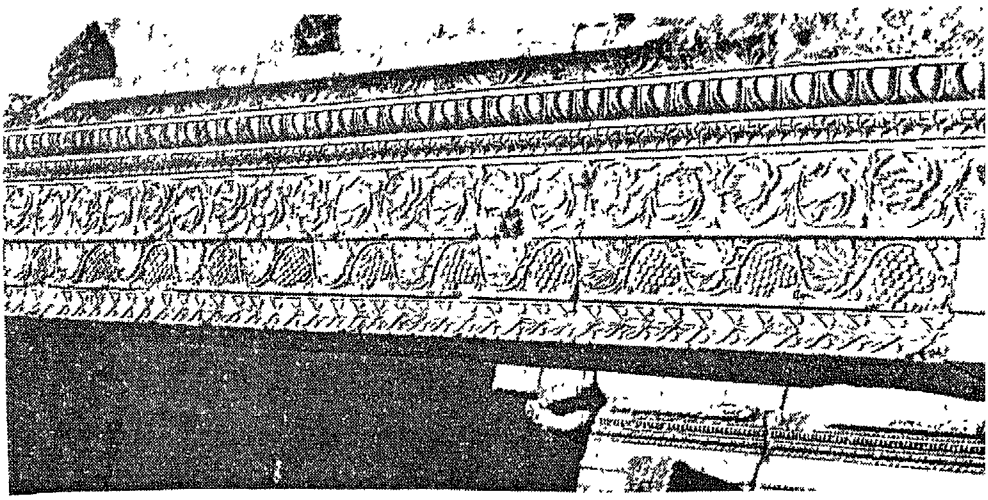
شكل ٦.٤



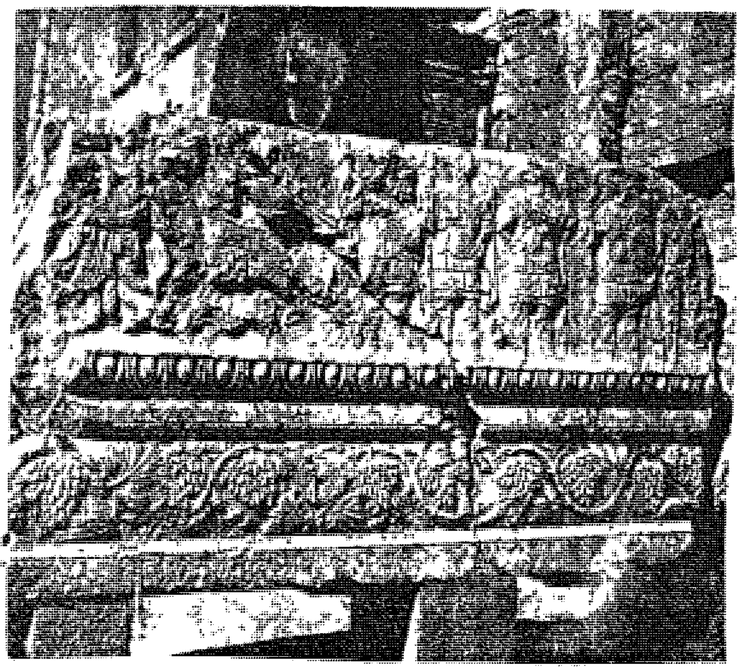
شكل ٦٥



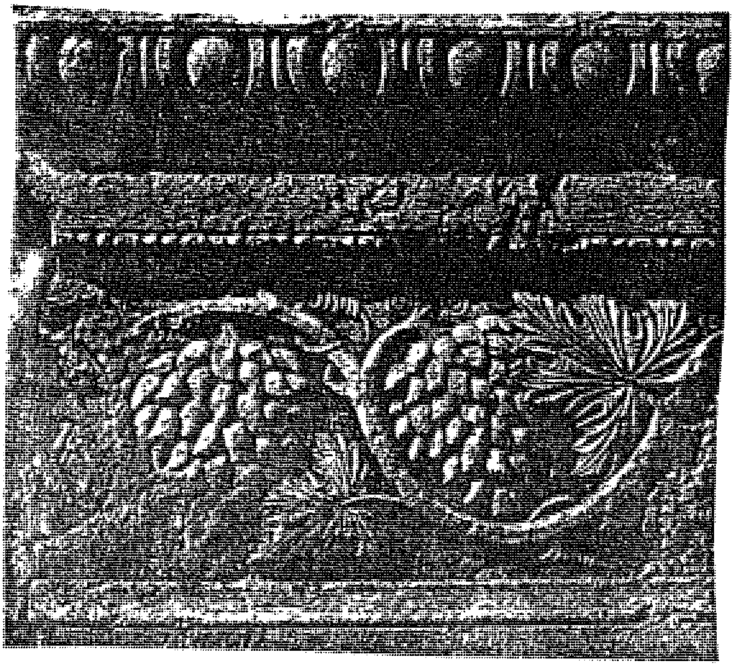
شكل ٦٦



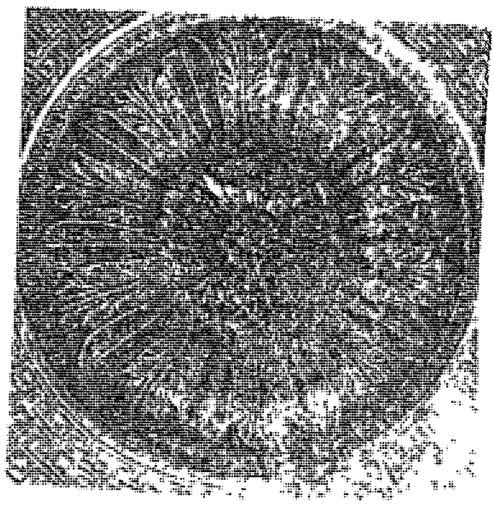
شكل ٦٧



شكل ٦٨



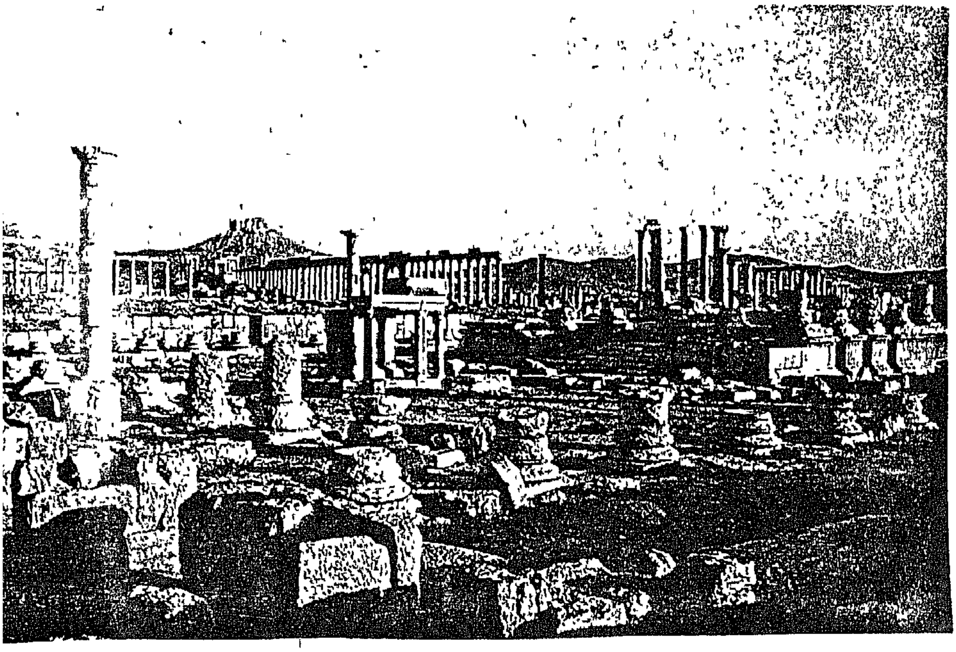
شكل ٦٩



شكل ٧٠



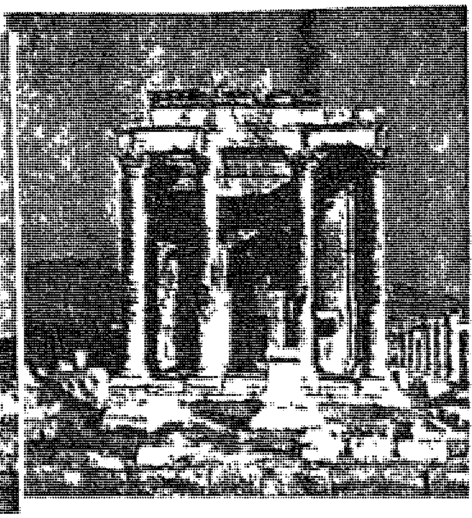
شكل ٧١



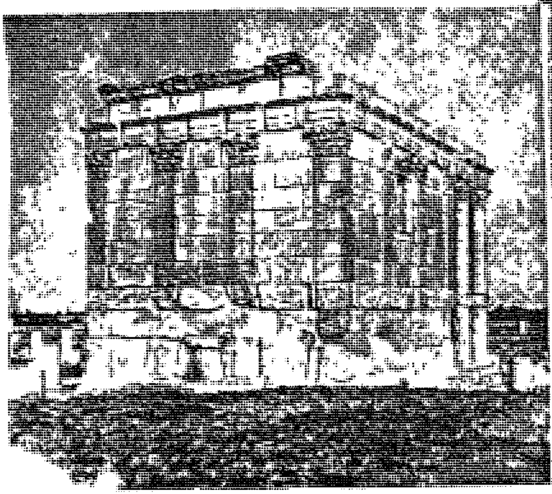
شكل ٧٢



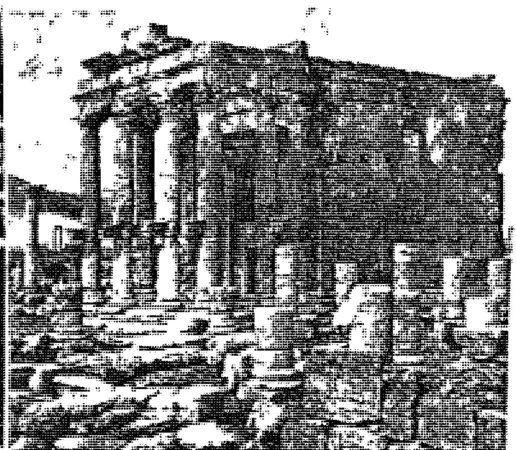
شكل ٧٣



شكل ٧٤



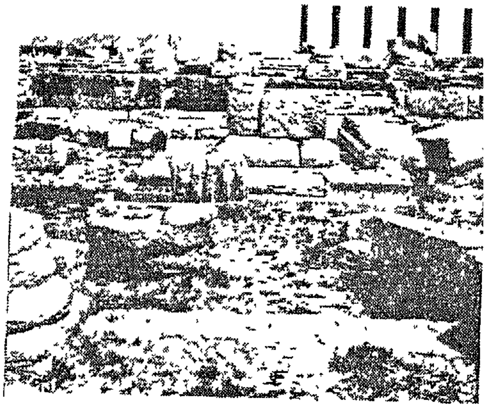
شكل ٧٥



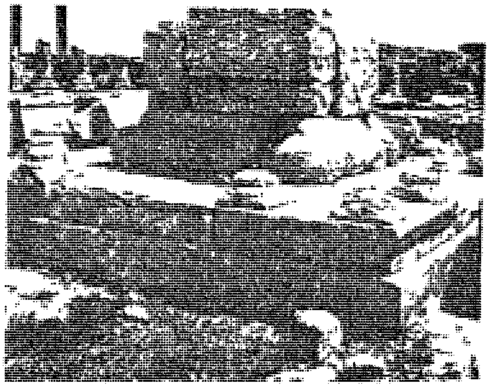
شكل ٧٦



شكل ٧٧



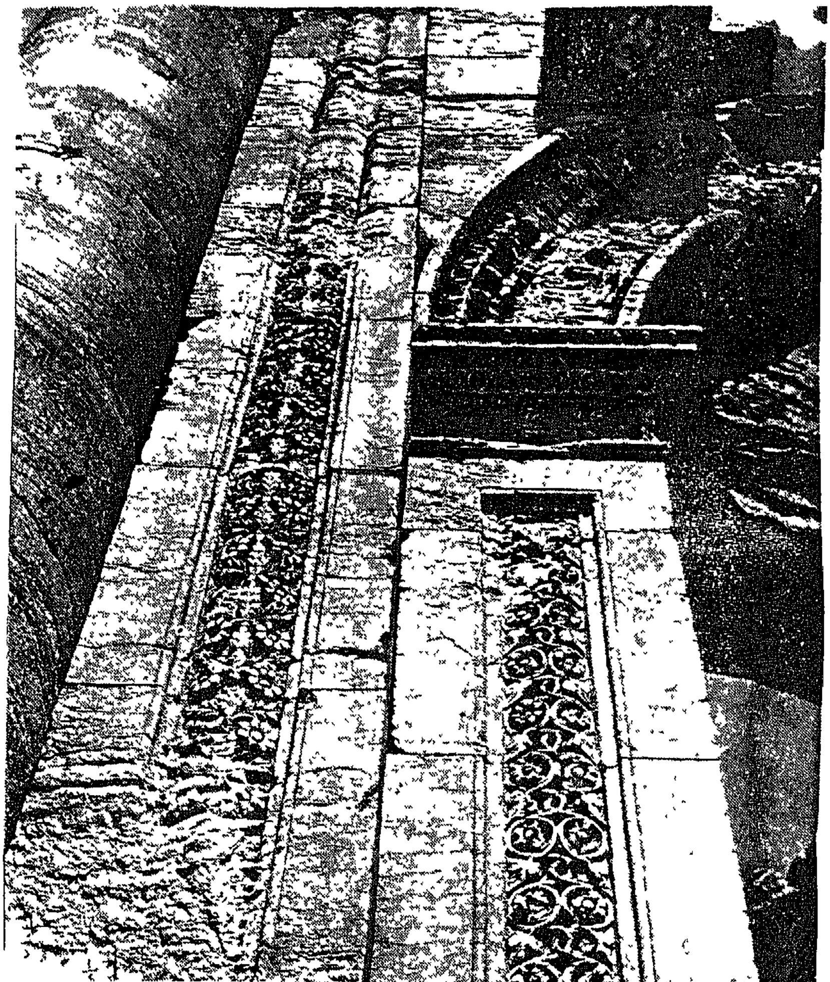
شكل ٧٨



شكل ٧٩



شكل ٨٠



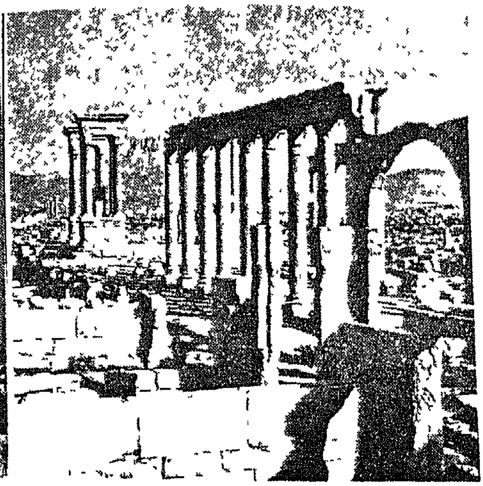
شكل ٨١



شكل ٨٢



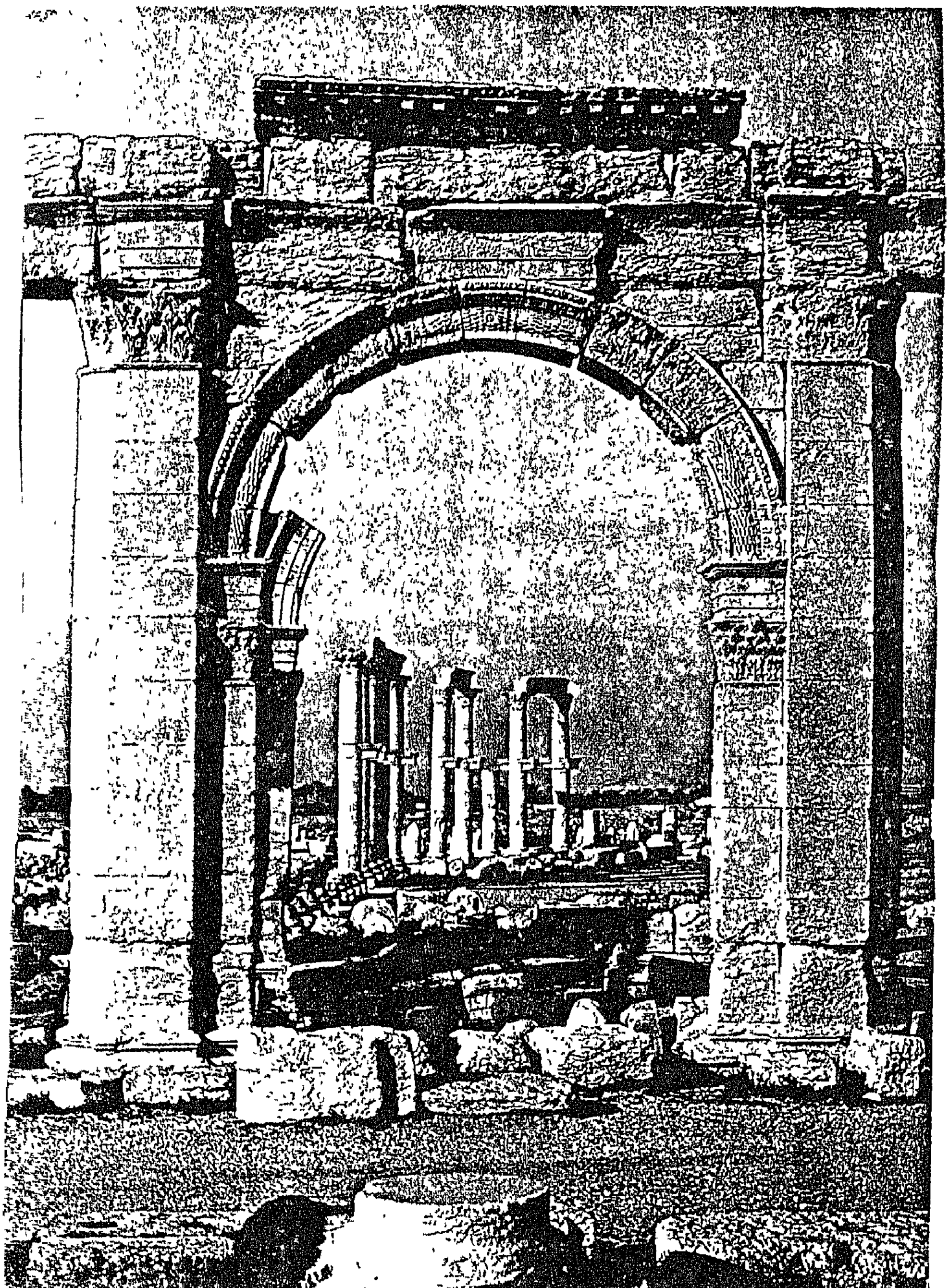
شكل ٨٣



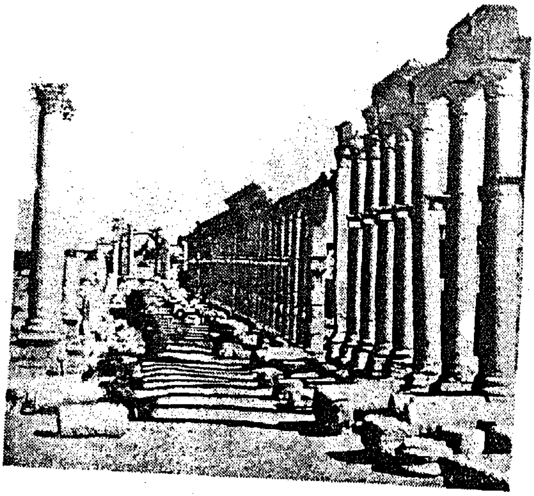
شكل ٨٤



شكل ٨٥



شكل ٨٦



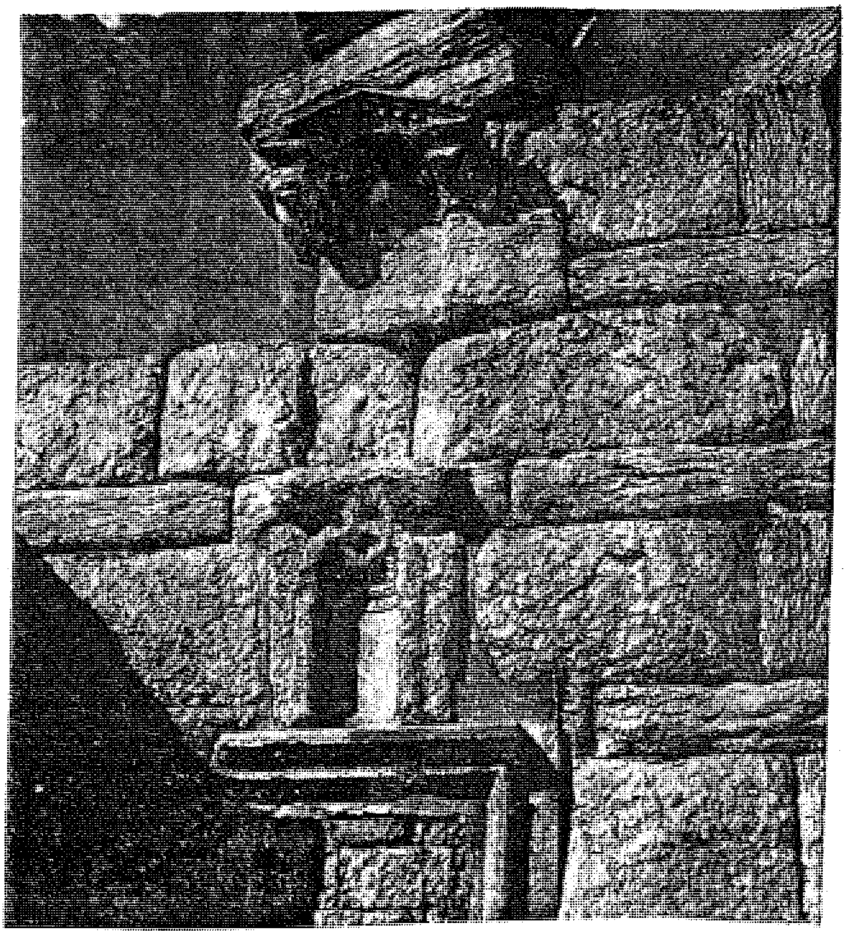
شكل ٨٧



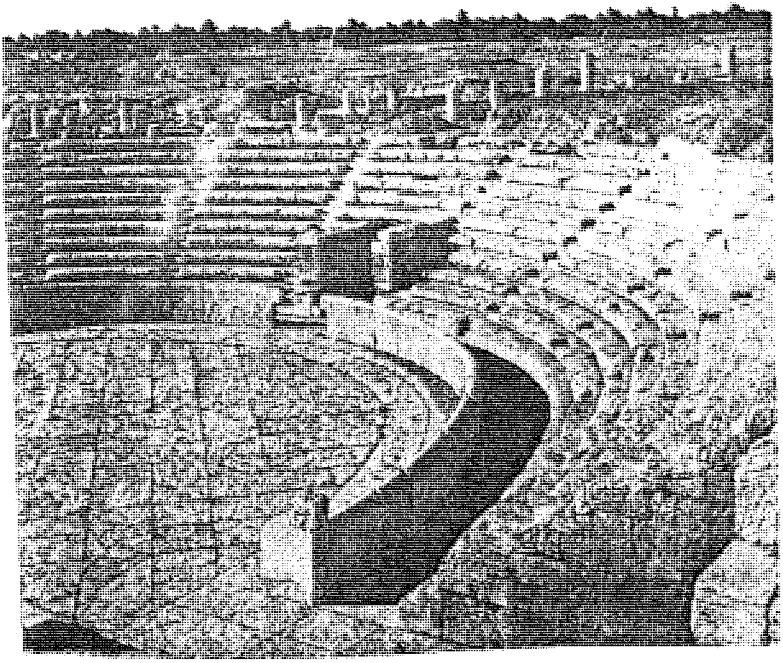
شكل ٨٨



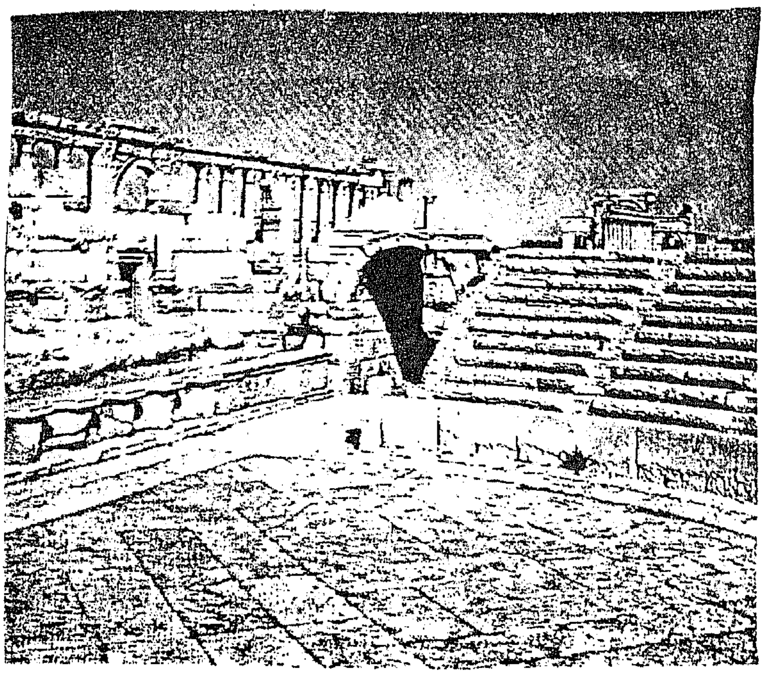
شكل ٨٩



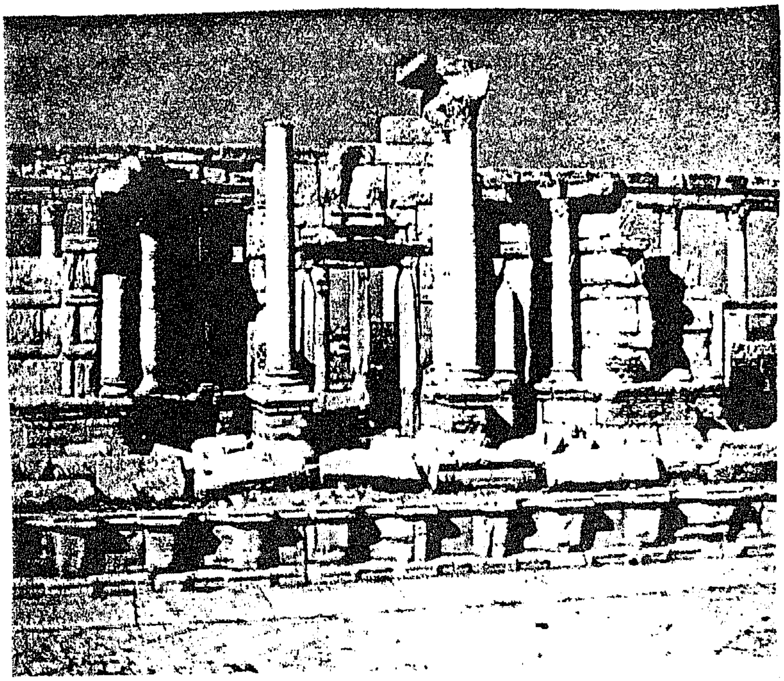
شكل ٩٠



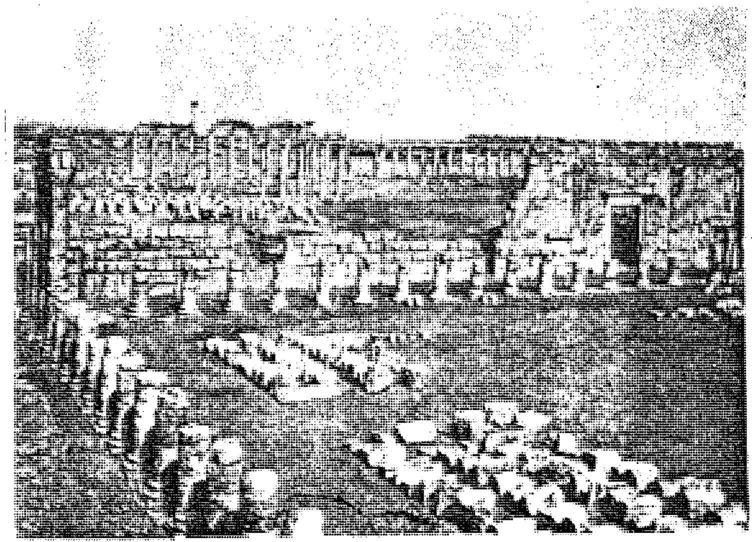
شكل ٩١



شكل ٩٢



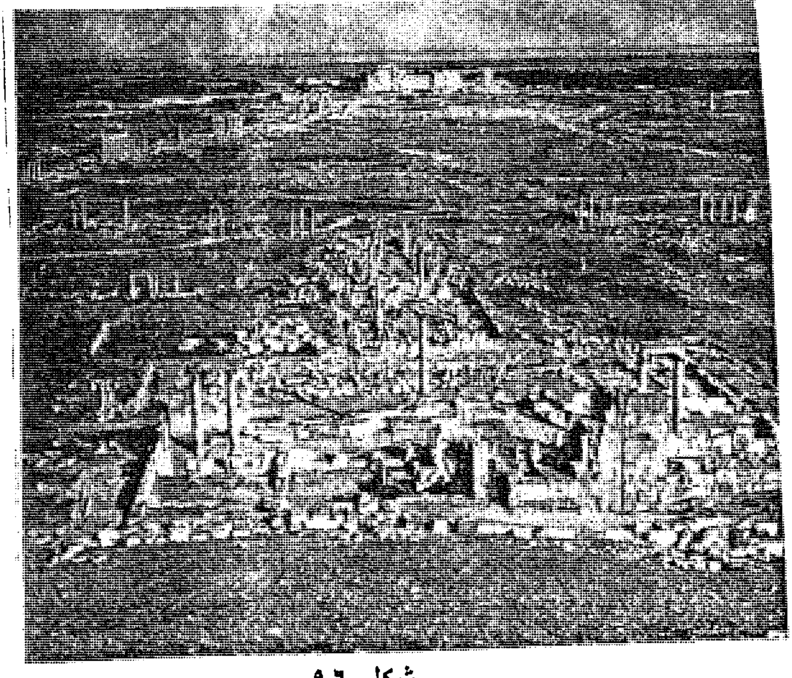
شكل ٩٣



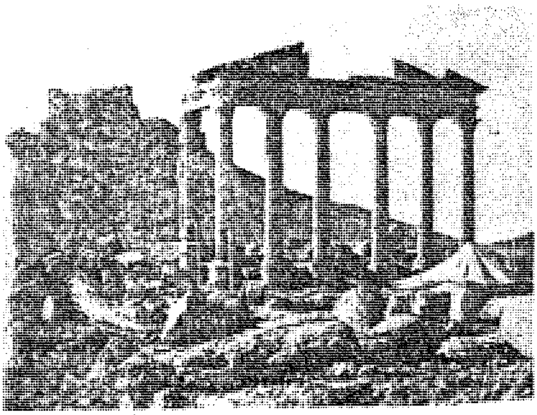
شكل ٩٤



شكل ٩٥



شكل ٩٦



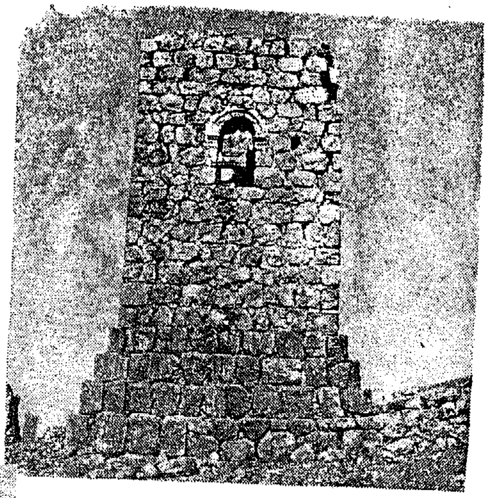
شكل ٩٧



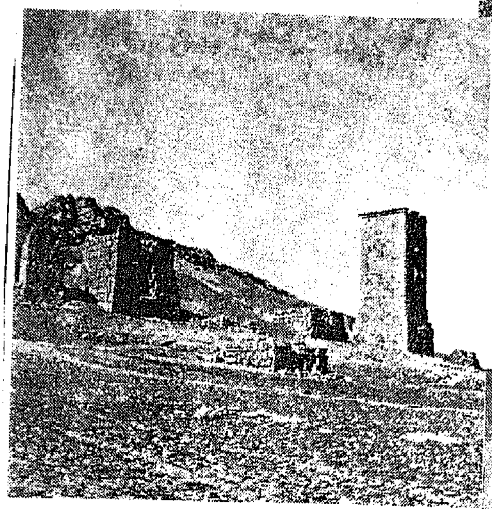
شكل ٩٨



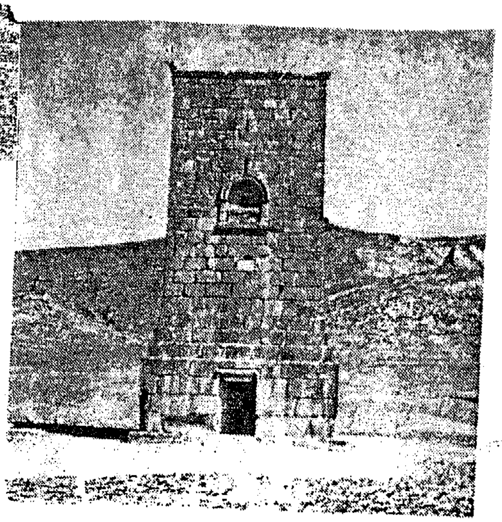
شكل ٩٩



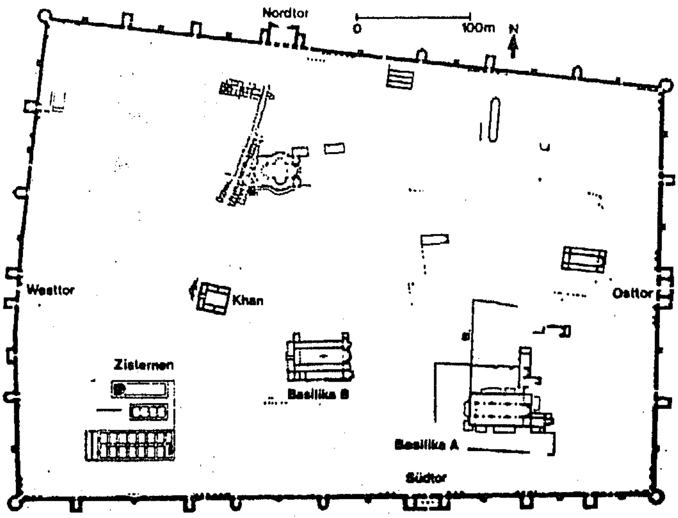
شكل ١٠٠



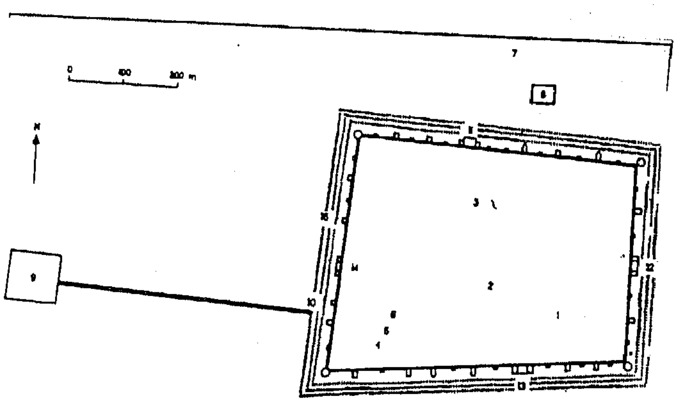
شكل ١٠١



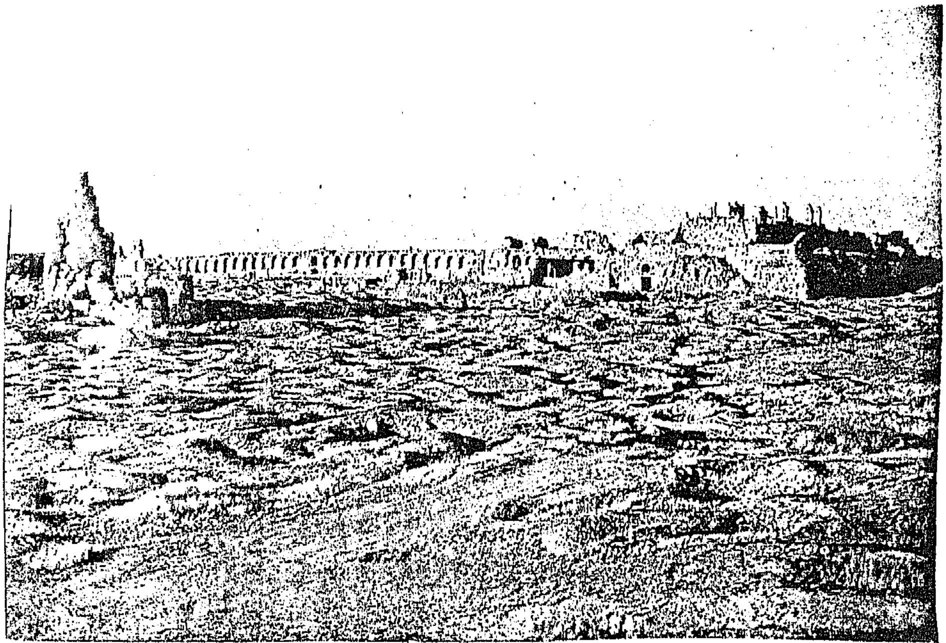
شكل ١٠٢



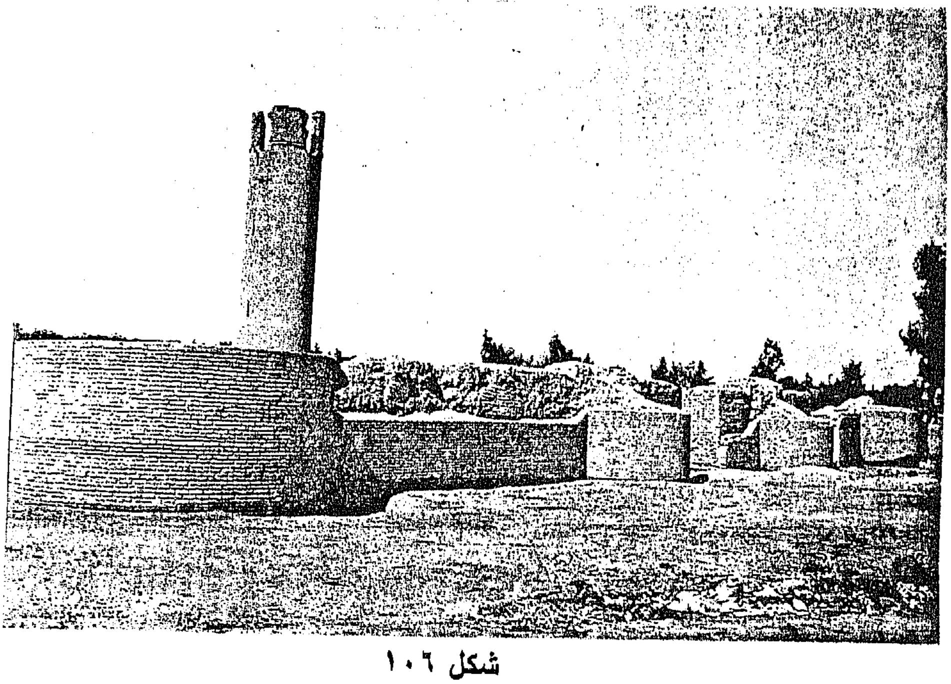
شكل ١٠٣



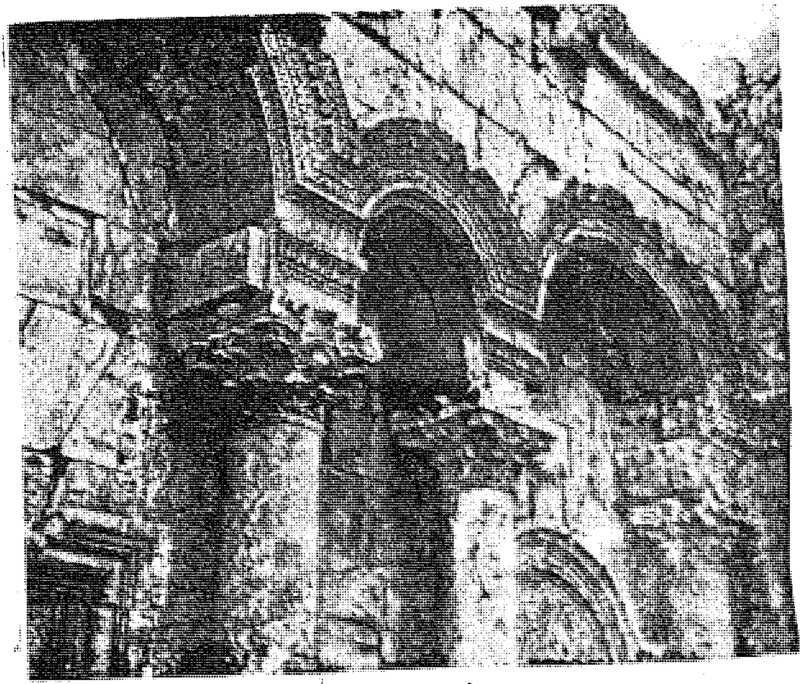
شكل ١٠٤



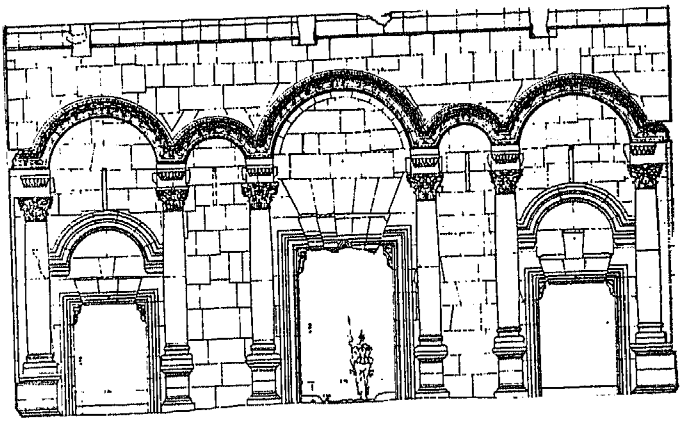
شكل ١٠٥



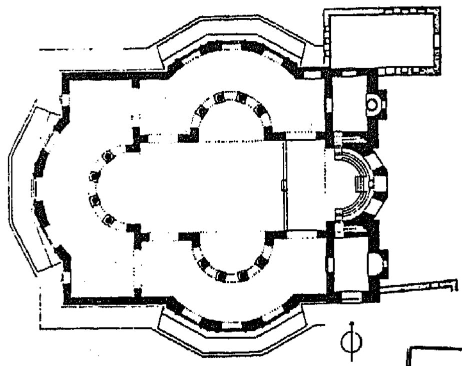
شكل ١٠٦

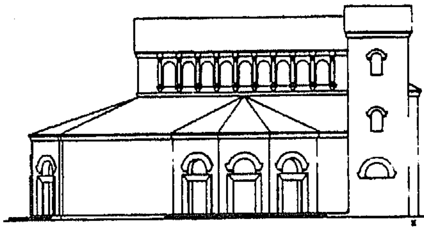


شكل ١٠٧

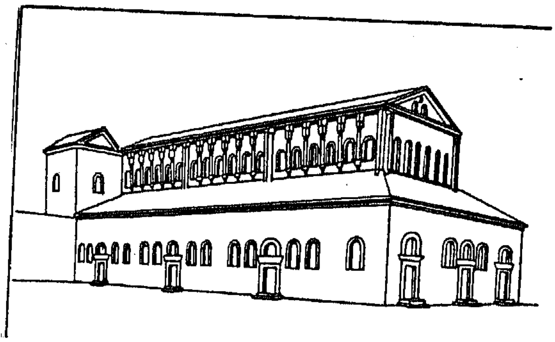


شكل ١٠٨

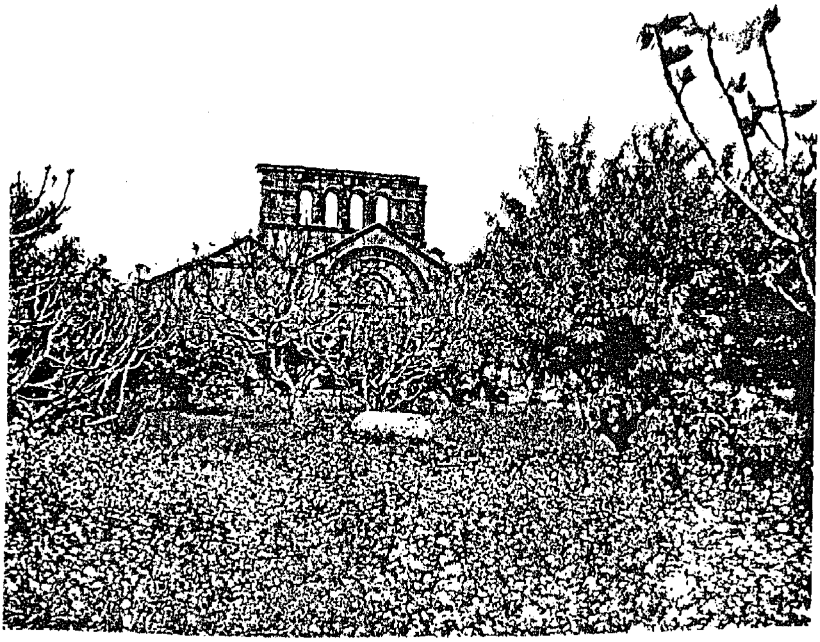




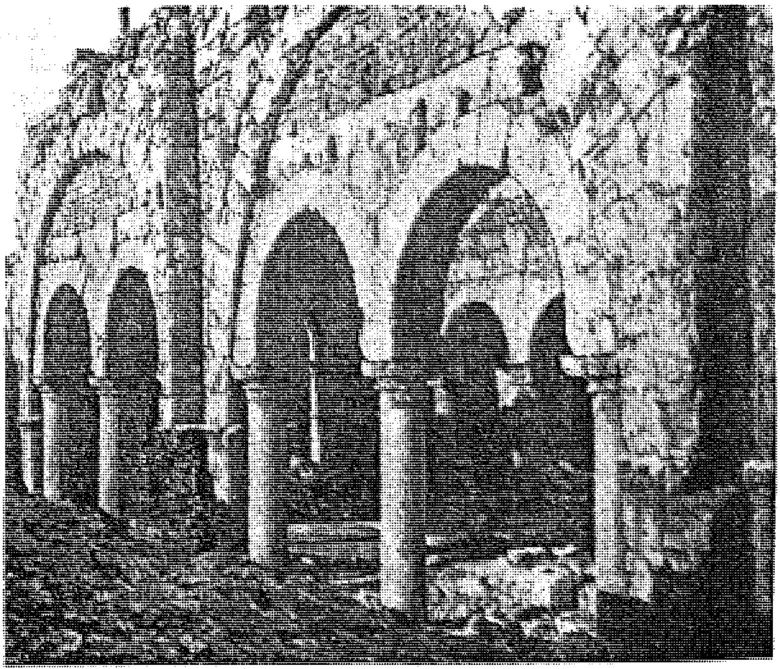
شكل ١٠٩



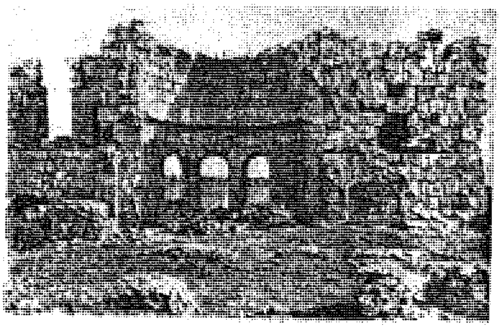
شكل ١١٠



شكل ١١١



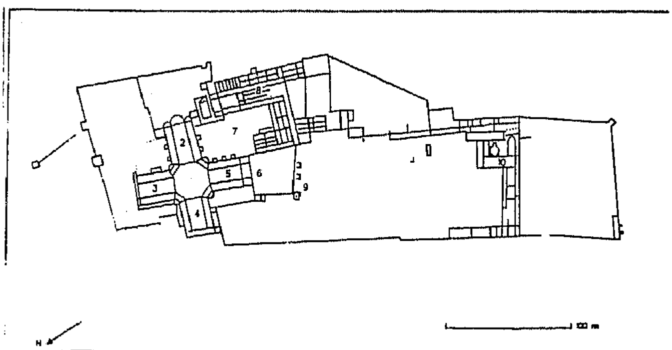
شكل ١١٢



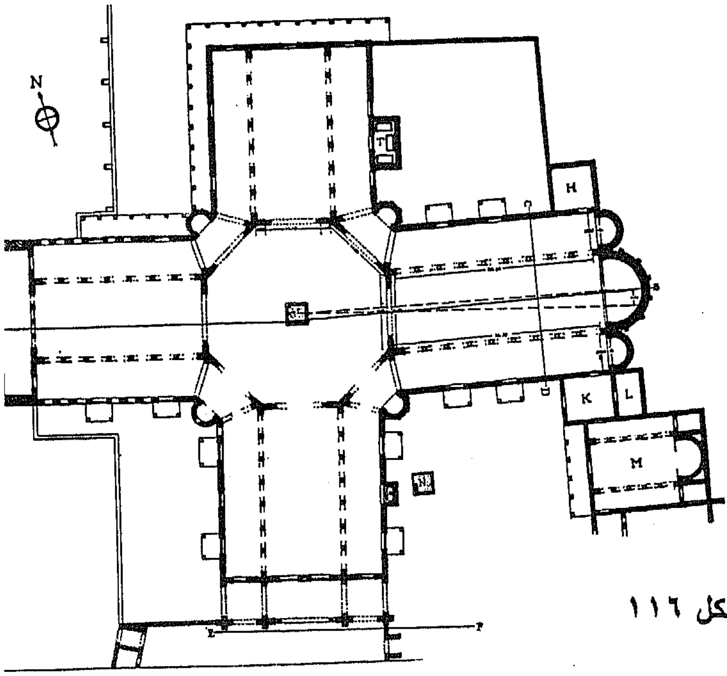
شكل ١١٣



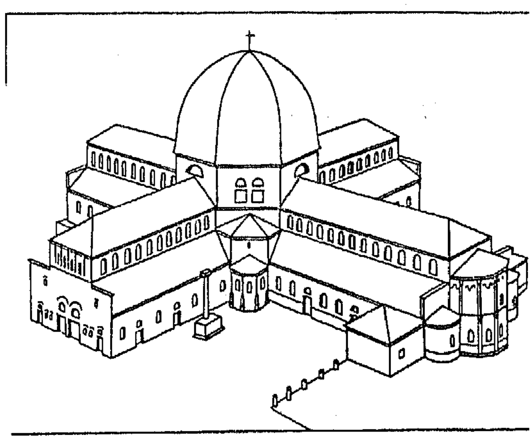
شكل ١١٤



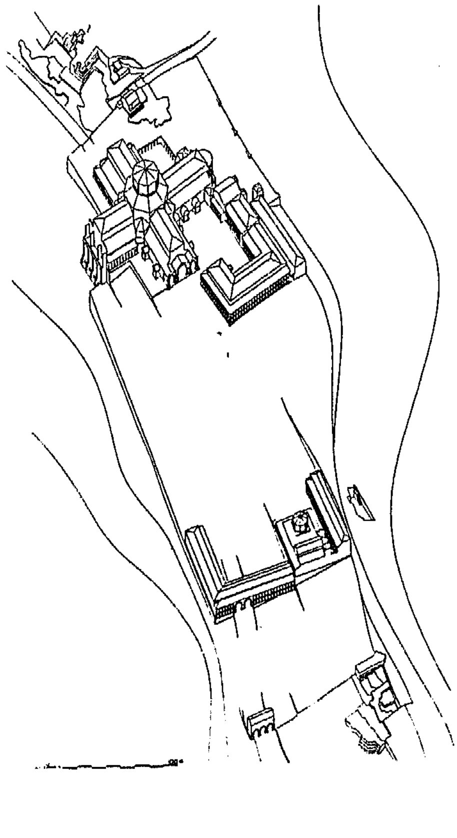
شكل ١١٥



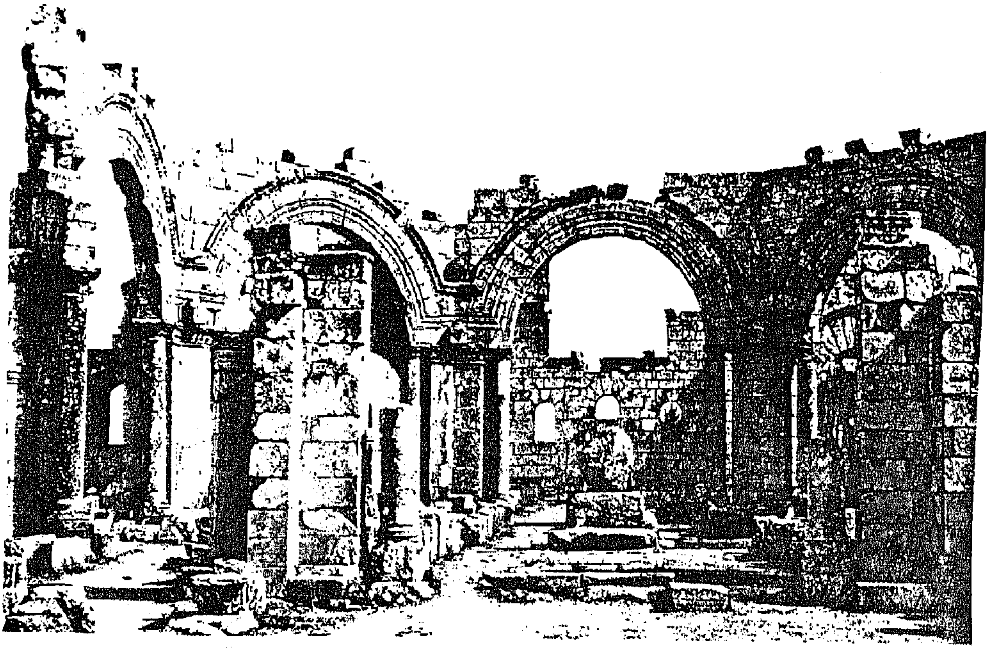
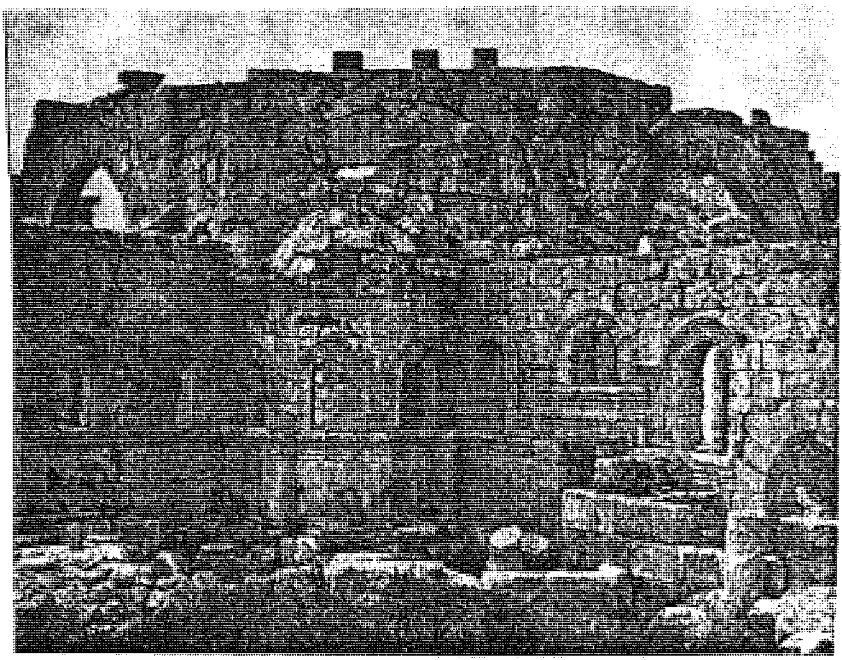
شكل ١١٦

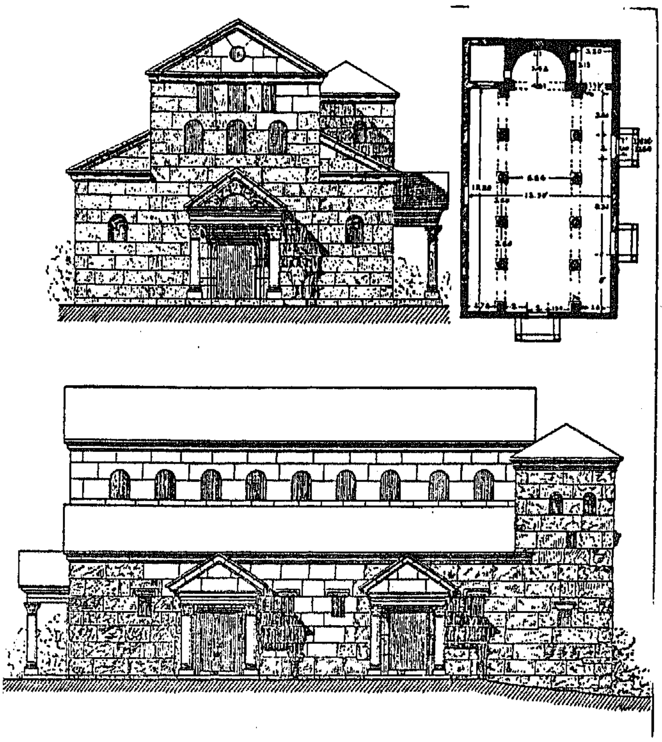


شكل ١١٧

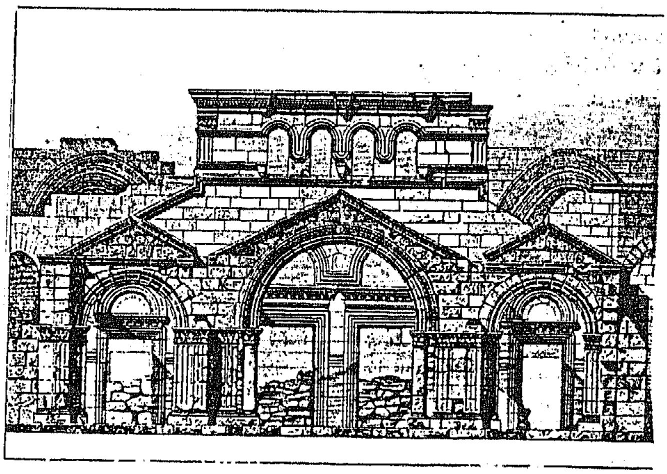


شكل ١١٨

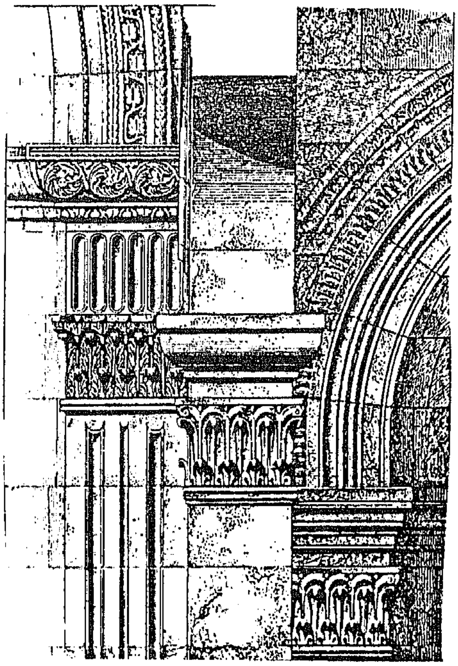

شكل ١١٩

شكل ١٢٠



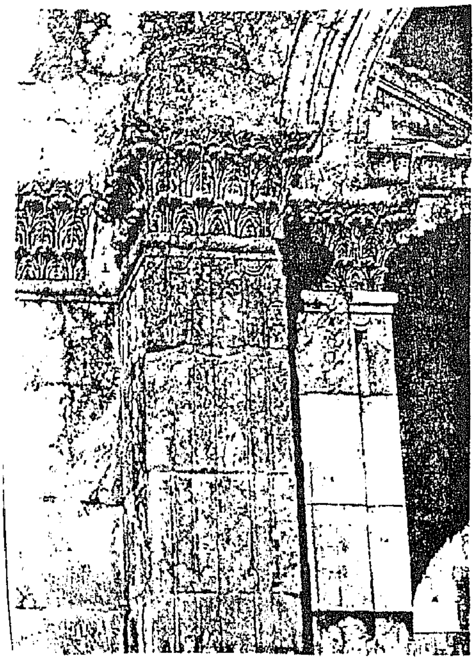
شكل ١٢١



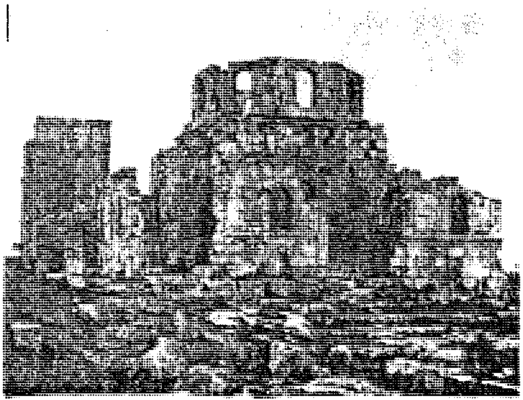
شكل ١٢٢



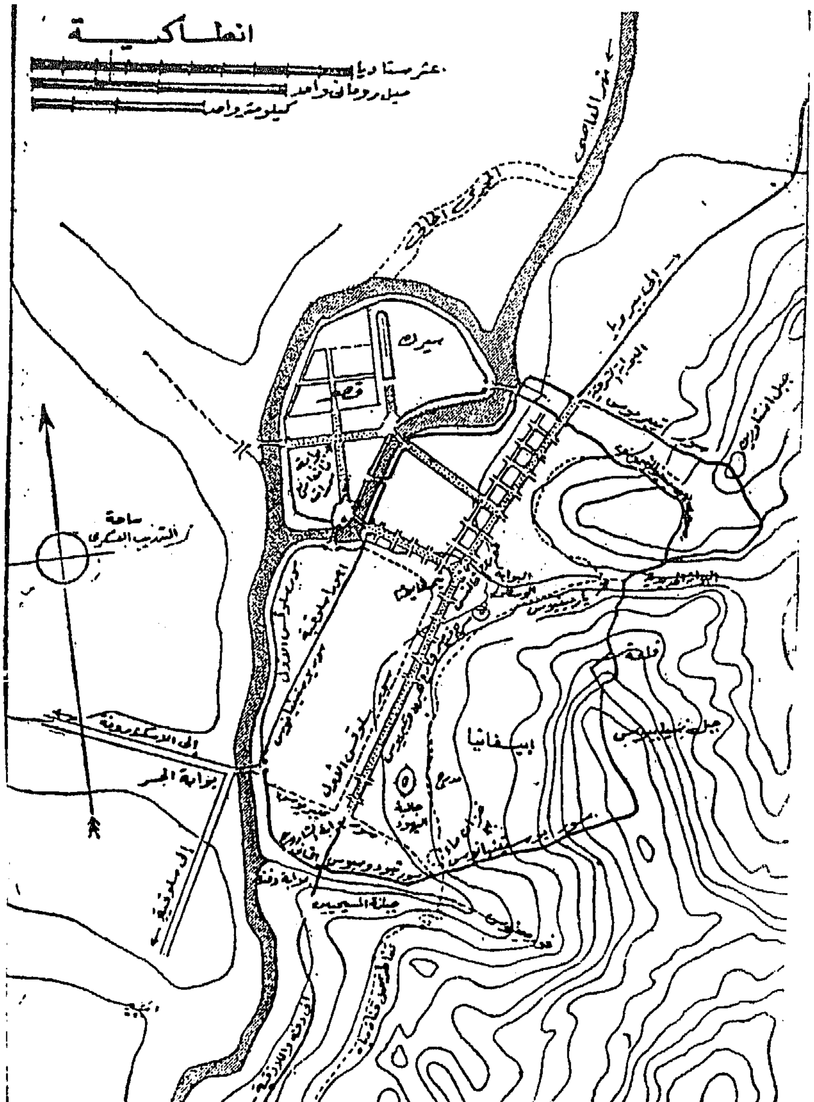
شكل ١٢٣



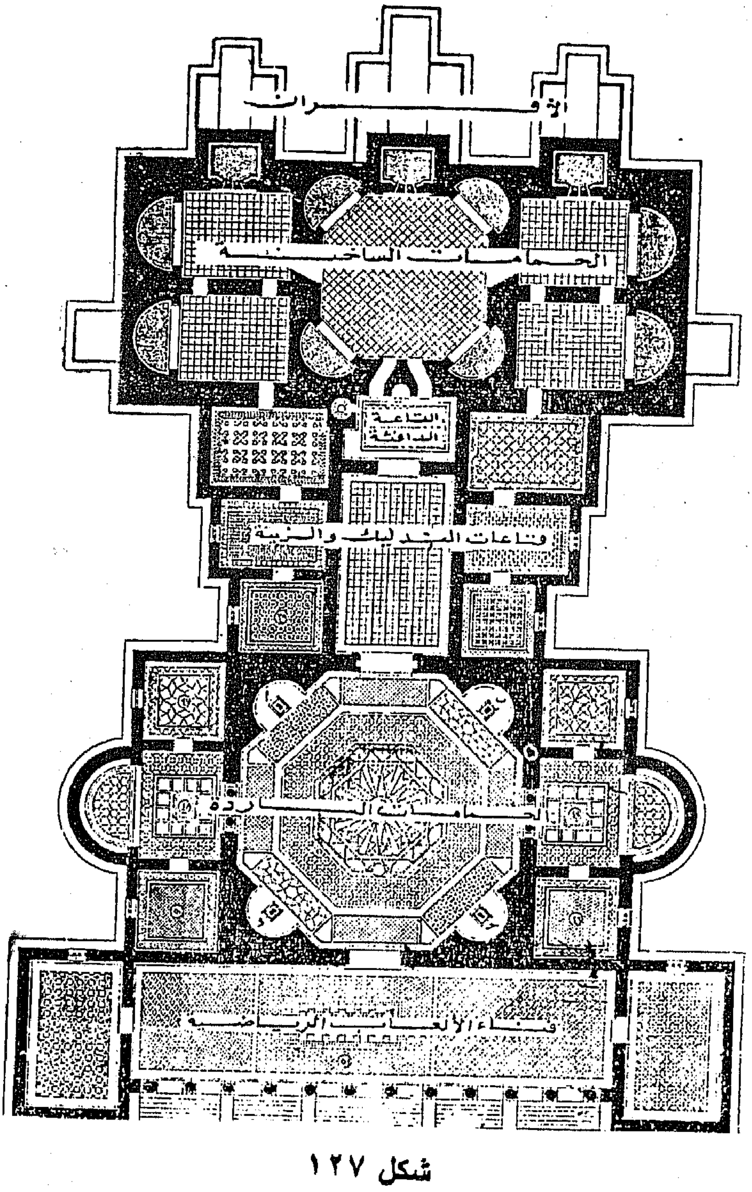
شكل ١٢٤



شكل ١٢٥


انطاكية
عشر ستاديا
ميل روماني واحد
كيلومتر واحد
نهر العاصي
ساحة التدريب العسكري
بوابة الجسر
قصر
سيرك
إبيفانيا
قلعة
جبل سيلبيوس
حارة اليهود

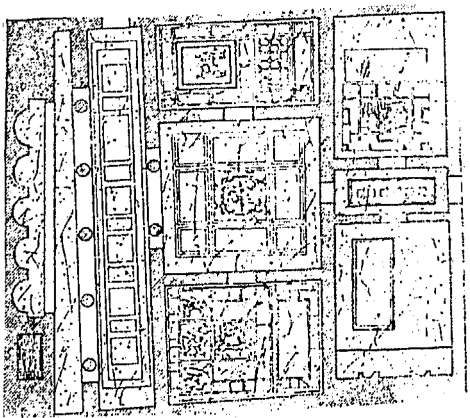
شكل ١٢٦


الأفران
الحمامات الساخنة
القاعة الدافئة
قاعات التدليك والزينة
الحمامات الباردة
فناء الألعاب الرياضية

شكل ١٢٧

شكل ١٢٨

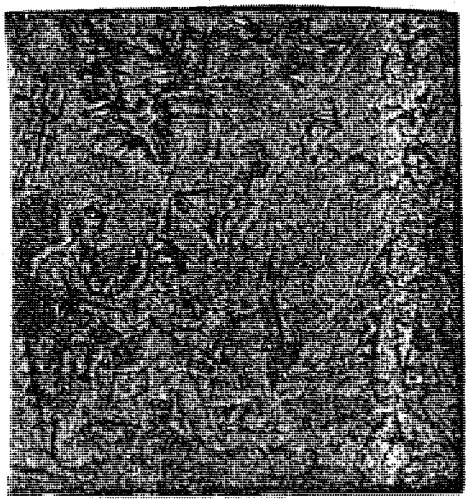




شكل ١٢٩



شكل ١٣٠



شكل ١٣١



شكل ١٣٢



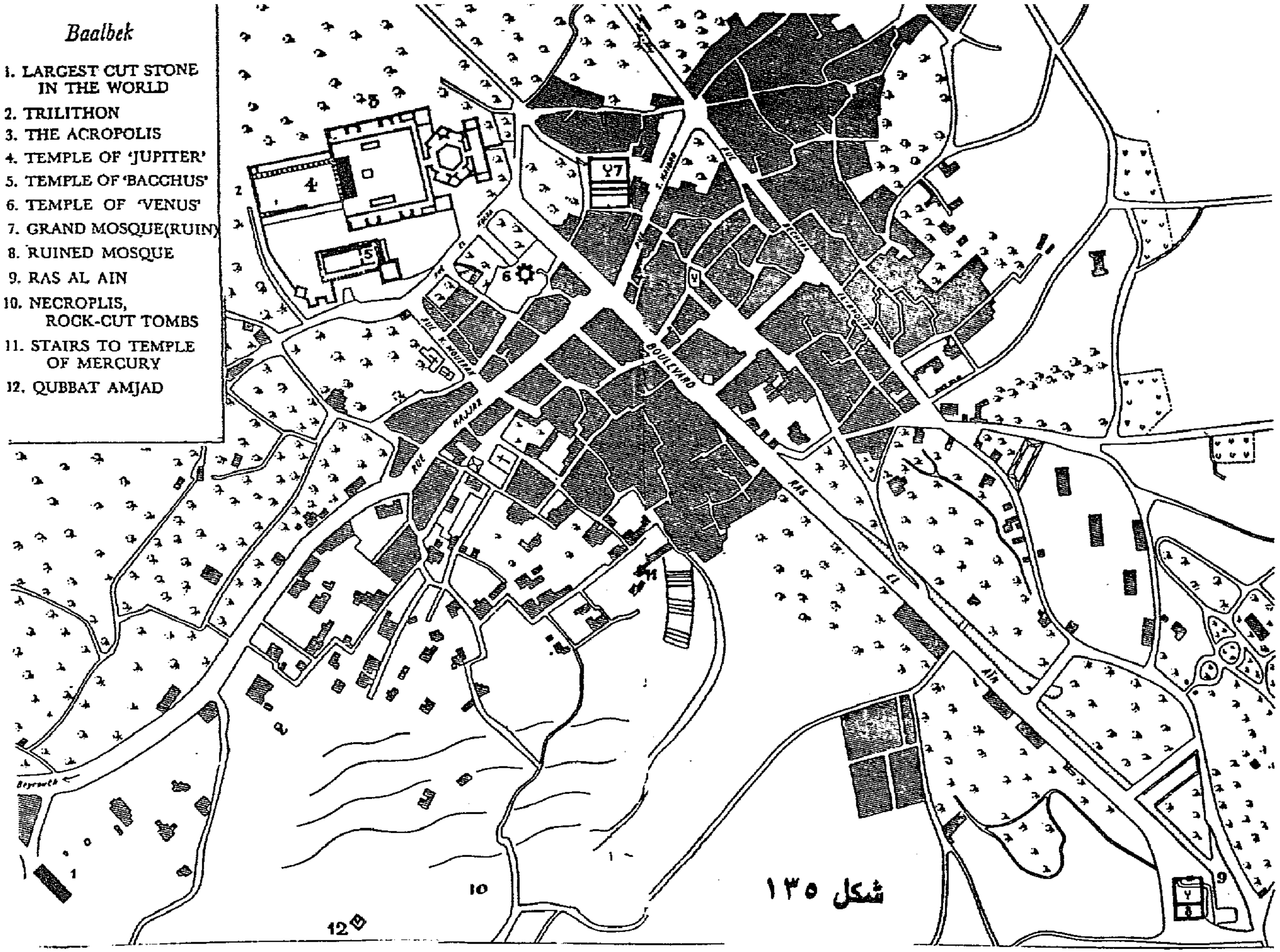
شکل ۱۳۳



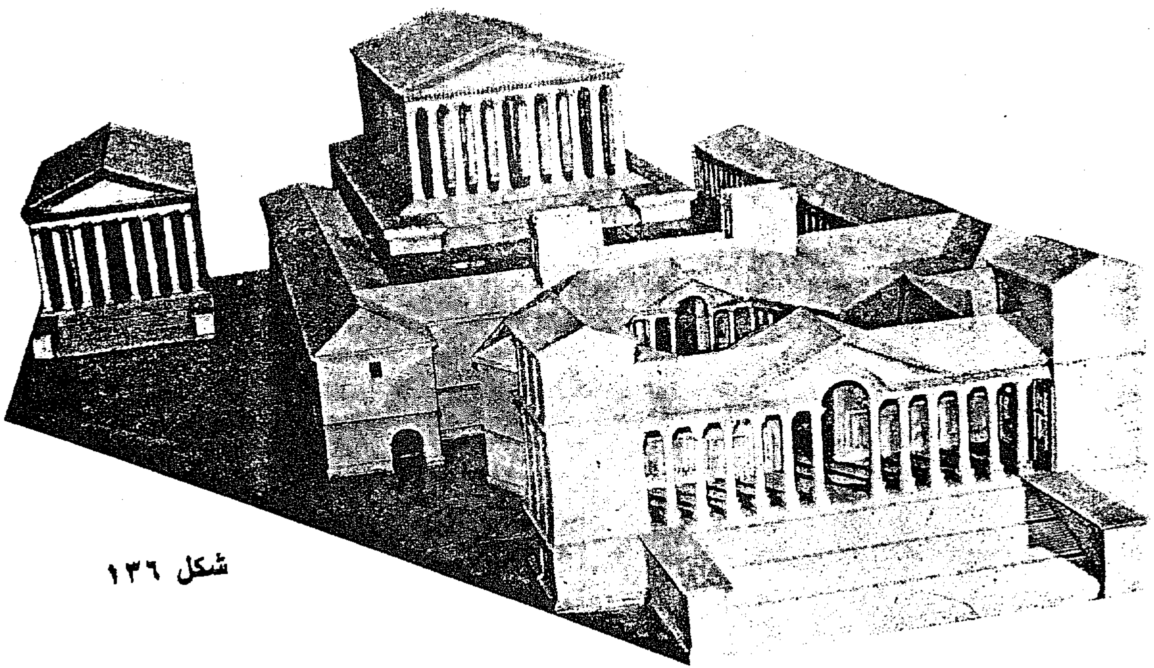
شكل ١٣٤



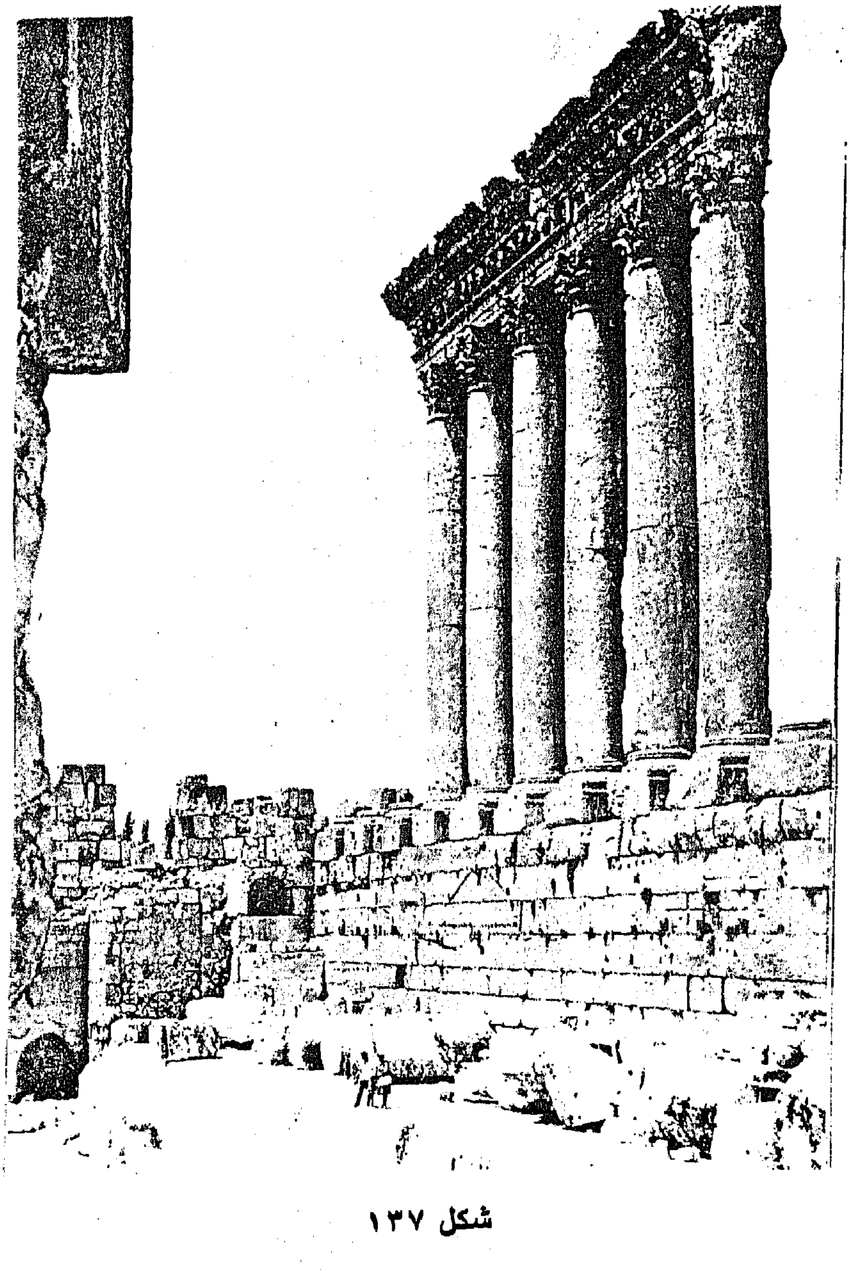



Baalbek
1. LARGEST CUT STONE IN THE WORLD
2. TRILITHON
3. THE ACROPOLIS
4. TEMPLE OF 'JUPITER'
5. TEMPLE OF 'BACCHUS'
6. TEMPLE OF 'VENUS'
7. GRAND MOSQUE(RUIN)
8. RUINED MOSQUE
9. RAS AL AIN
10. NECROPLIS, ROCK-CUT TOMBS
11. STAIRS TO TEMPLE OF MERCURY
12. QUBBAT AMJAD
BOULEVARD
RUE MAJJAR
RAS AL AIN
Beyrouth

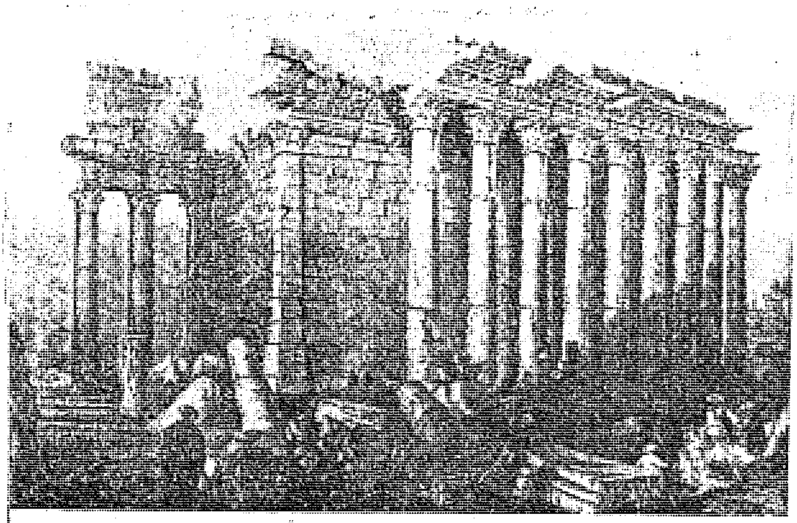
شکل ۱۳۵



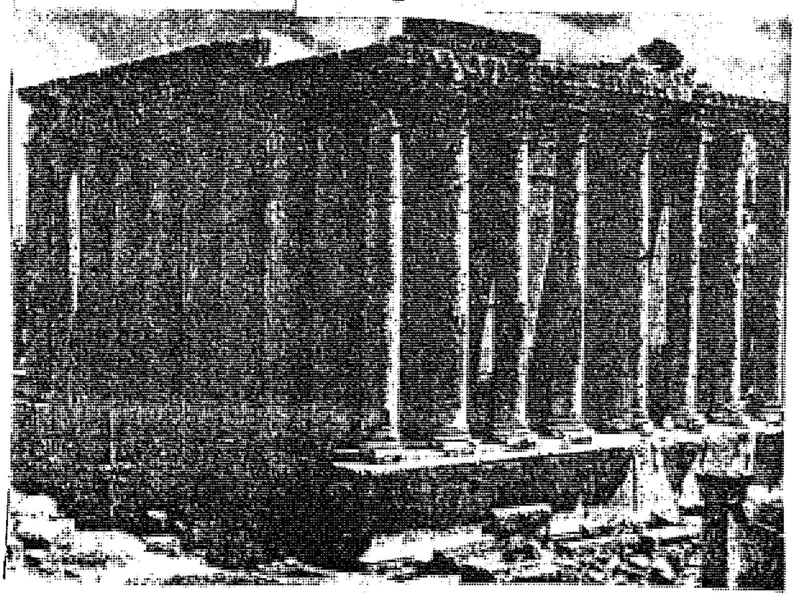
شكل ١٣٦

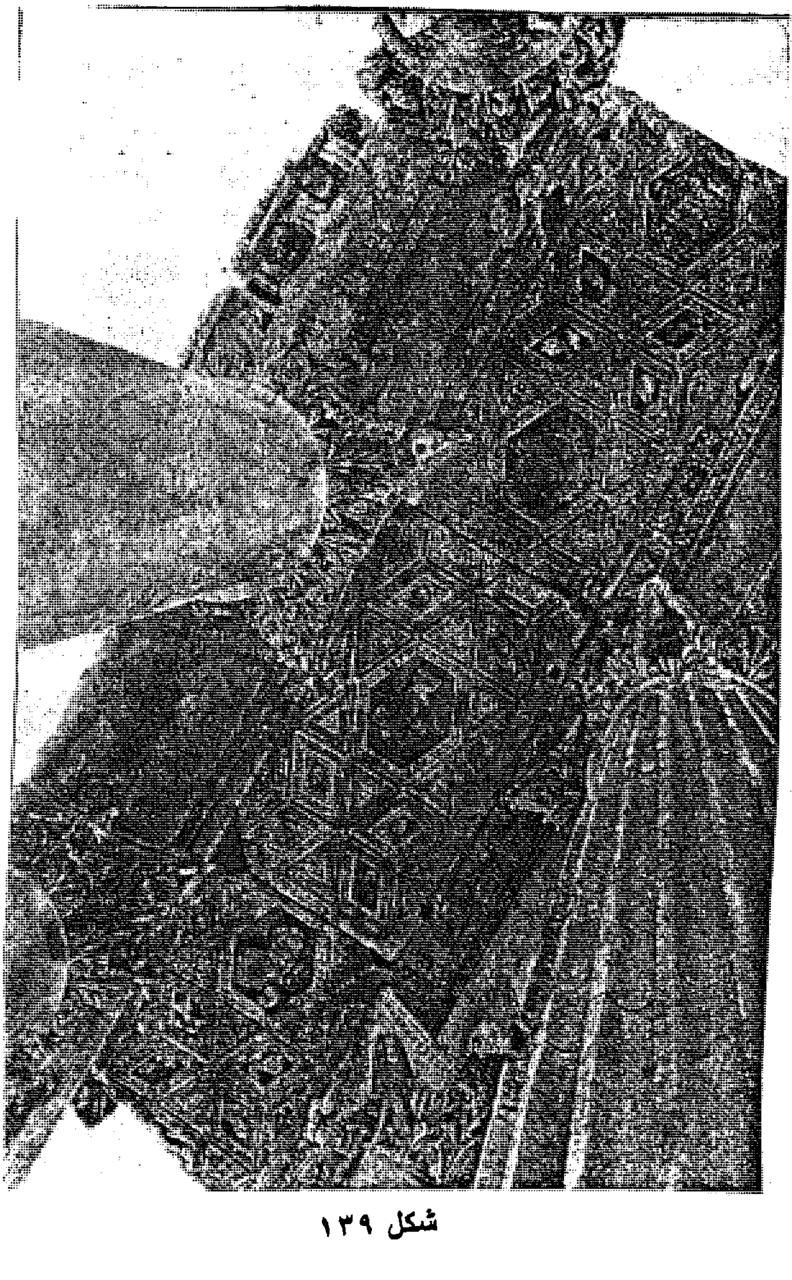


شکل ۱۳۷

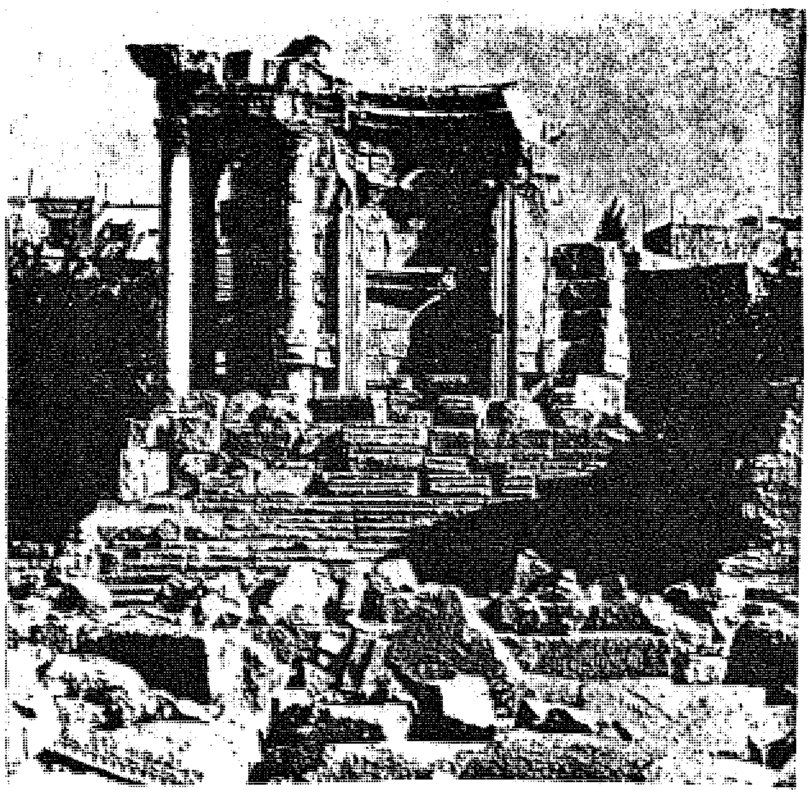


شكل ١٣٨

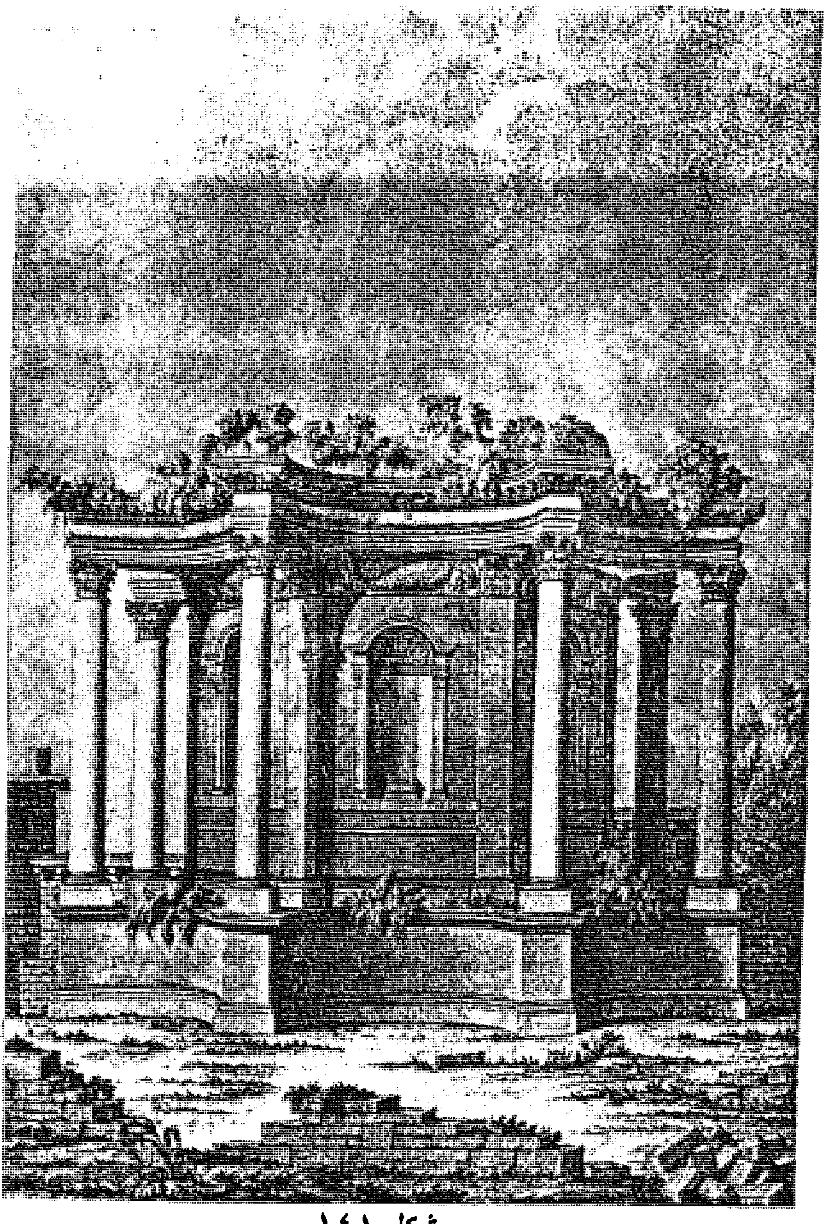




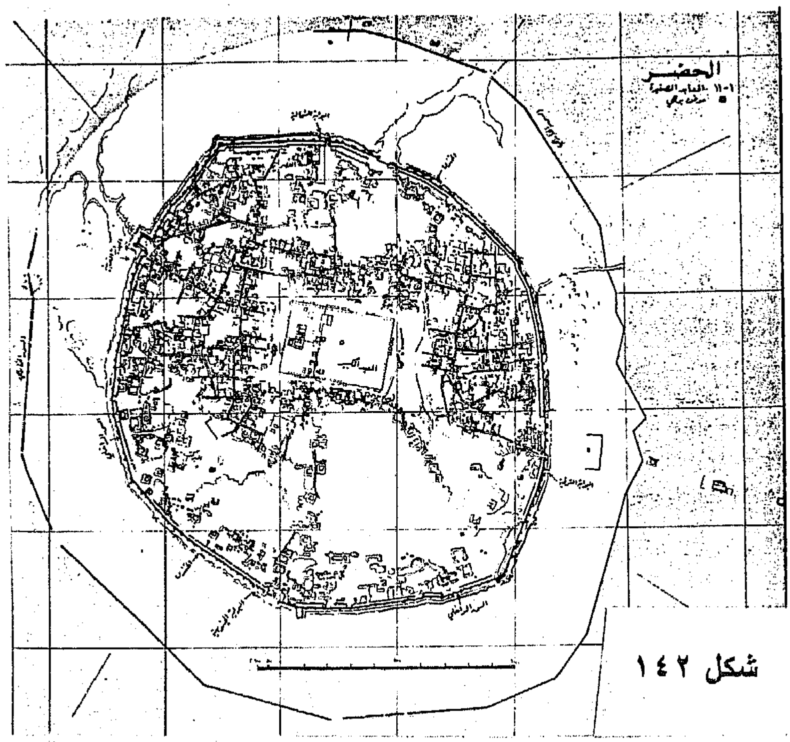
شكل ١٣٩



شكل ١٤٠



شكل ١٤١



شكل ١٤٢



شكل ١٤٣



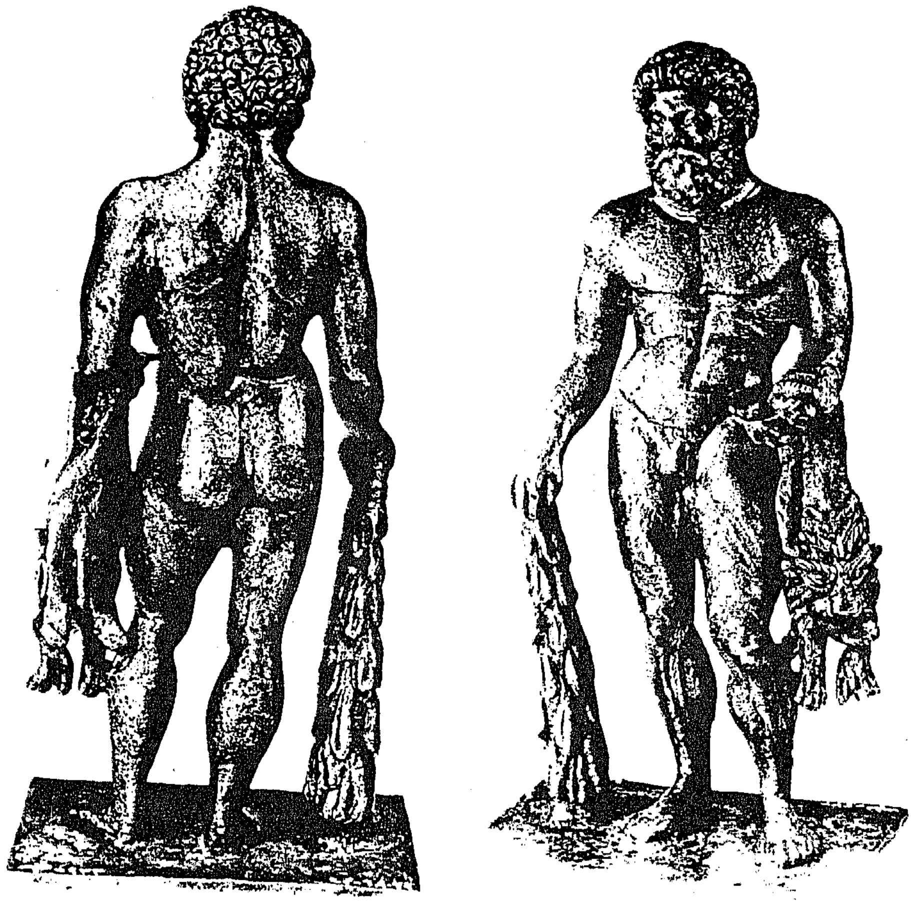
شكل ١٤٤



شكل ١٤٥



شكل ١٤٦



شكل ١٤٧

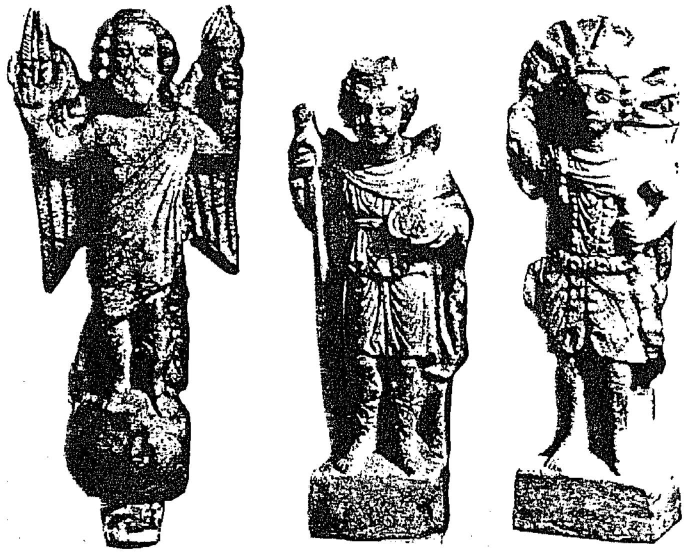


شكل ١٤٨

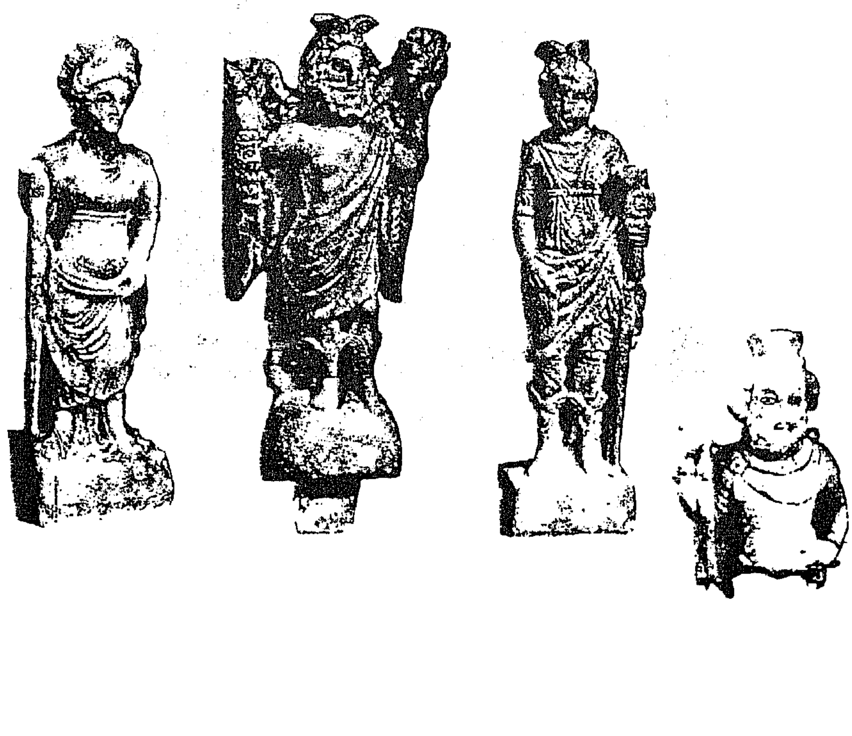




شكل ١٤٩

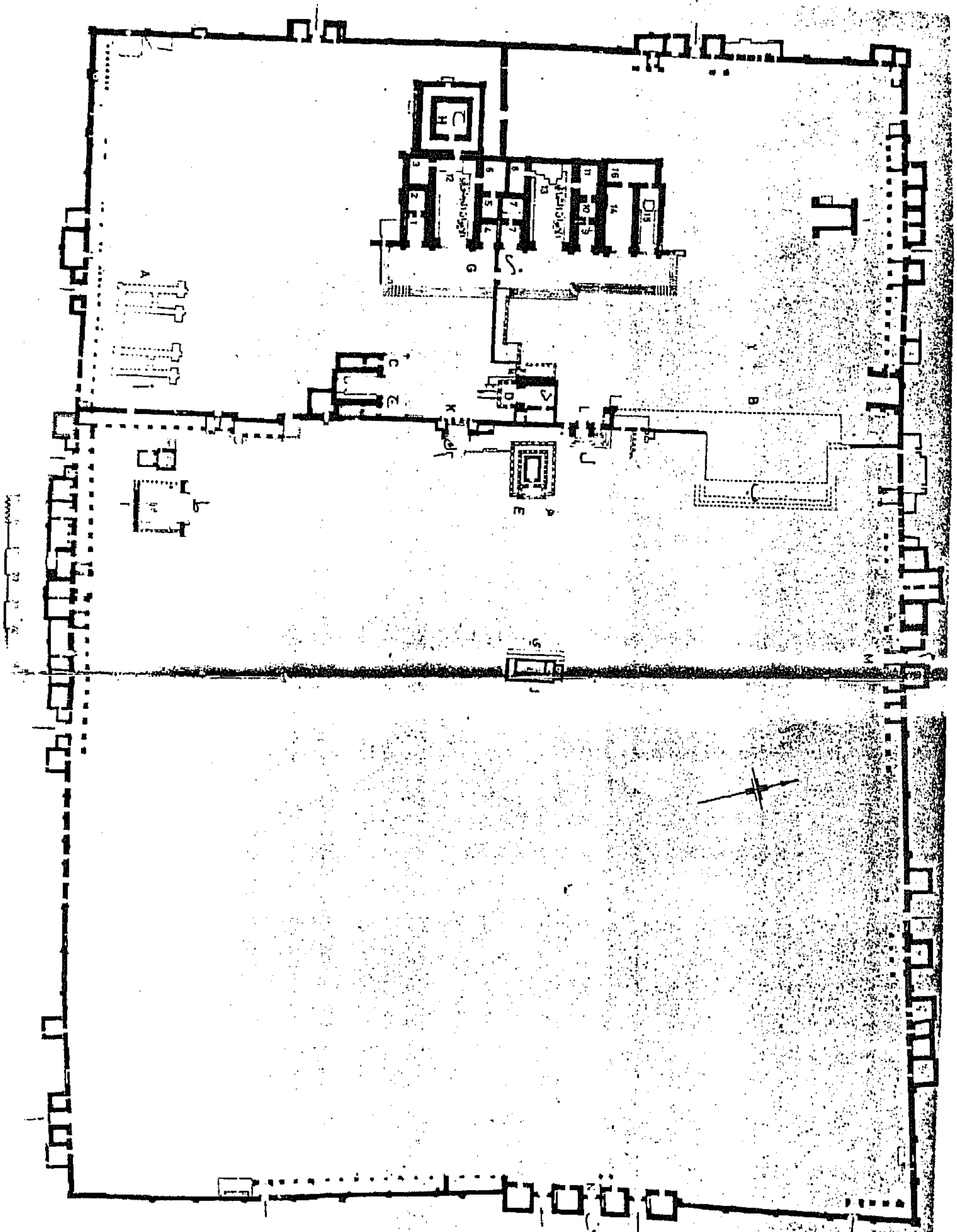


شكل ١٥٠

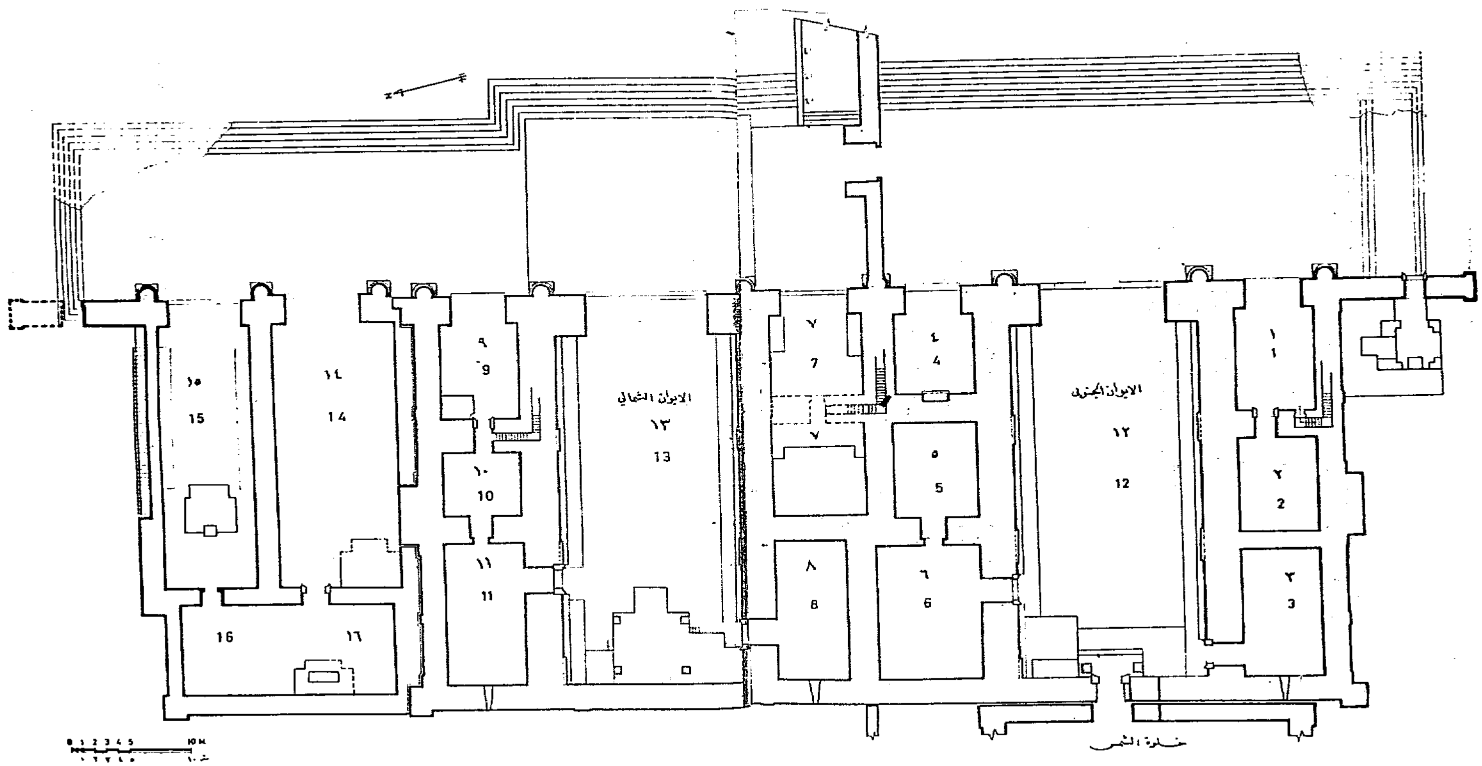




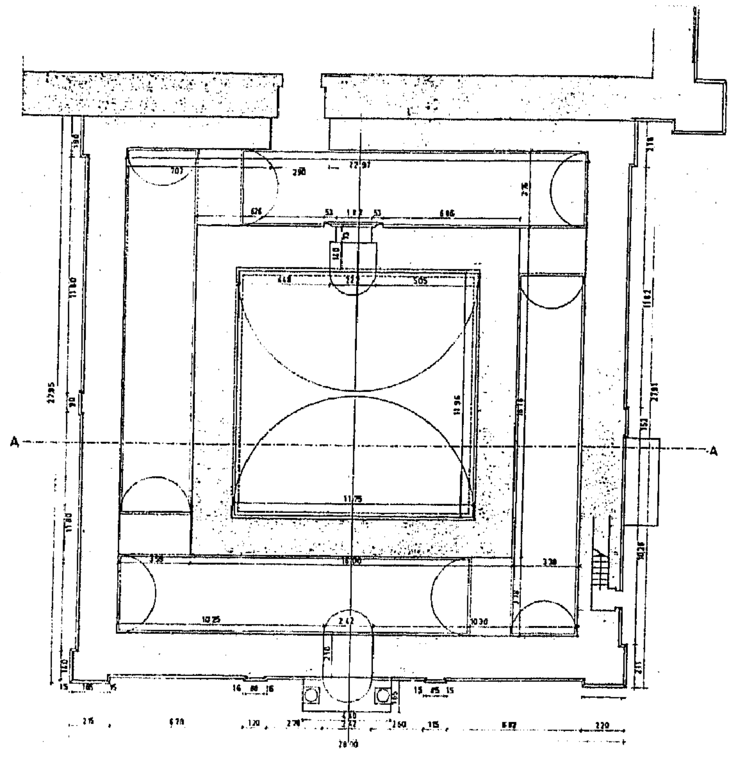
شكل ١٥١



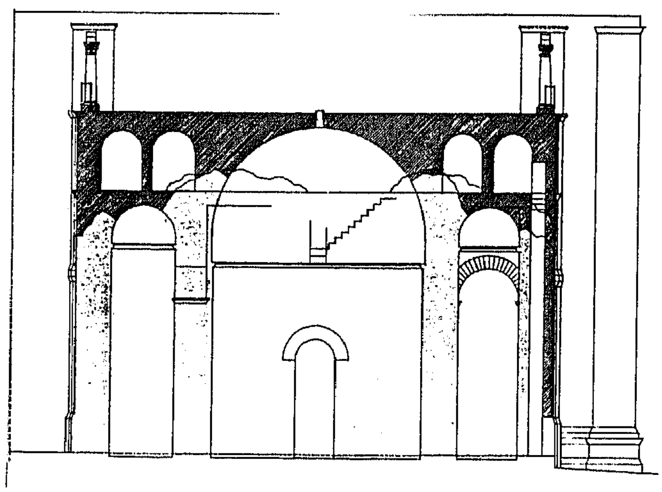
شكل ١٥٢

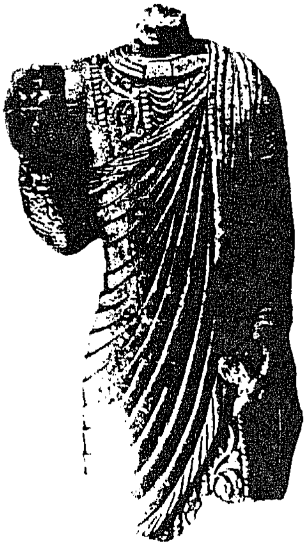


شكل ١٥٣



شكل ١٥٤





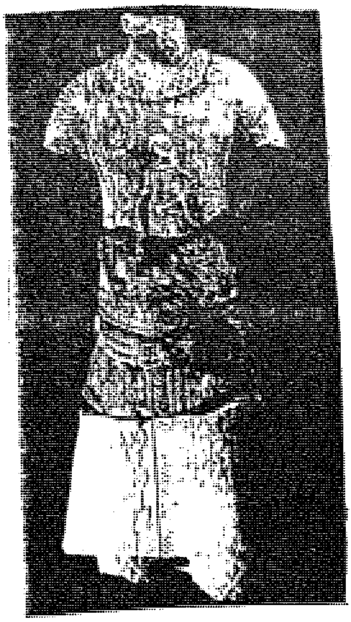
شكل ١٥٧



شكل ١٥٦



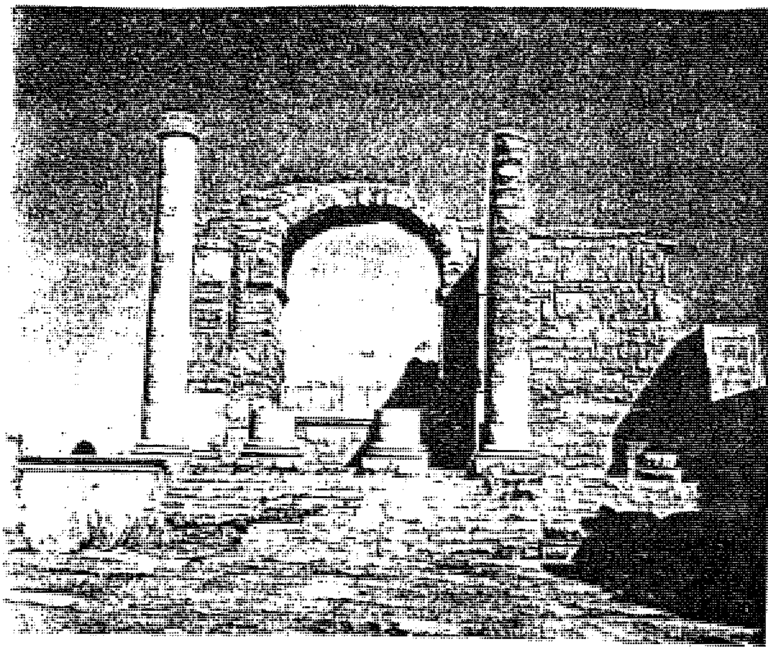
شكل ١٥٥

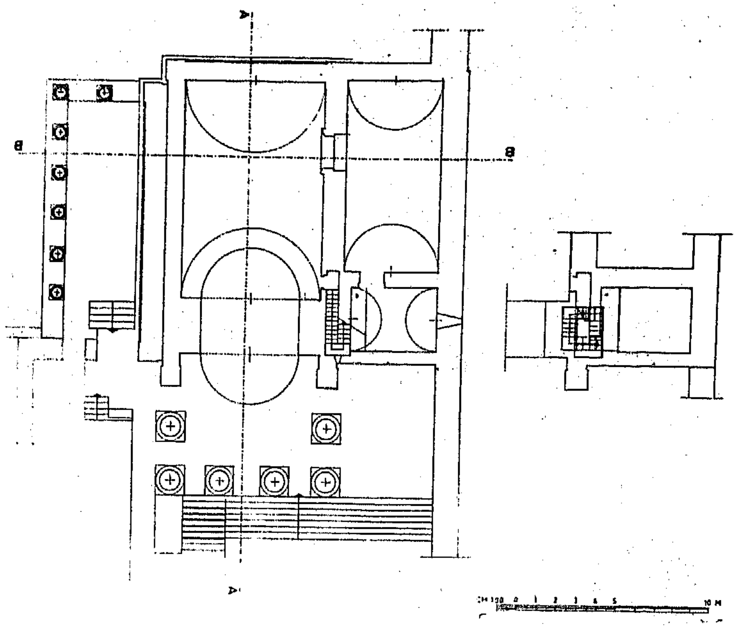


شكل ١٥٨

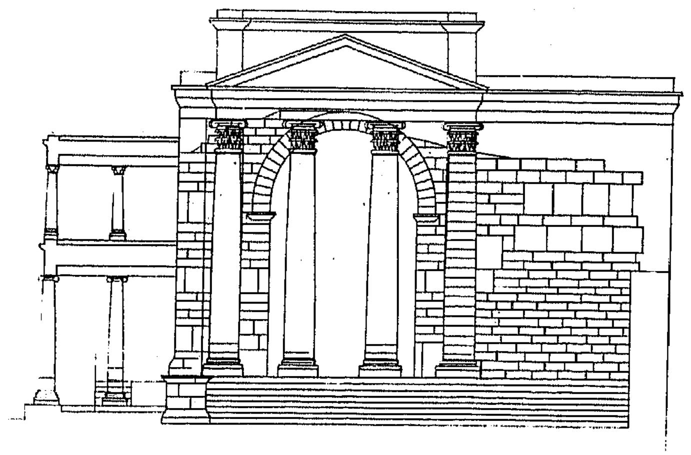


شكل ١٥٩

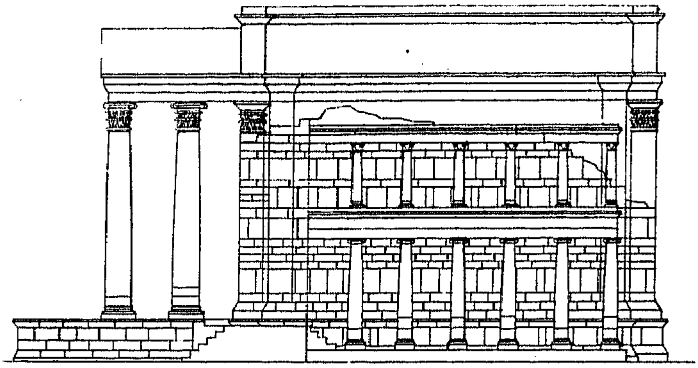




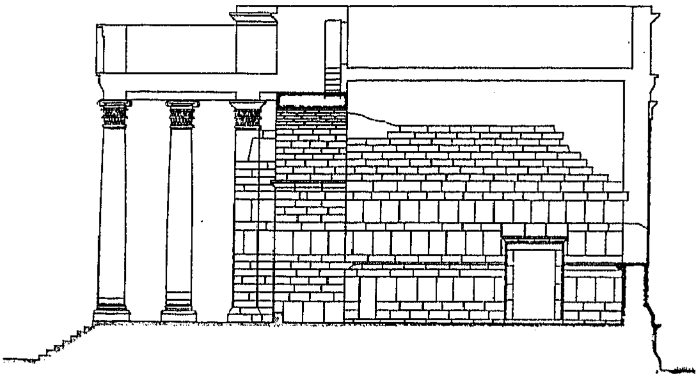
شكل ١٦٠



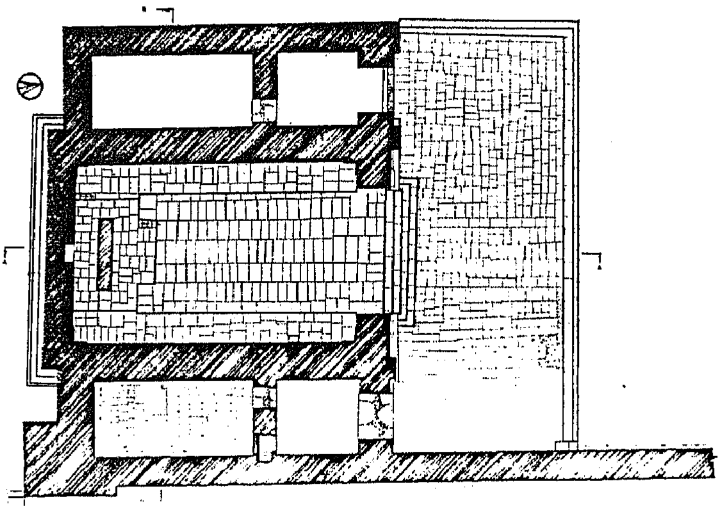
شكل ١٦١



شكل ١٦٢



شكل ١٦٣

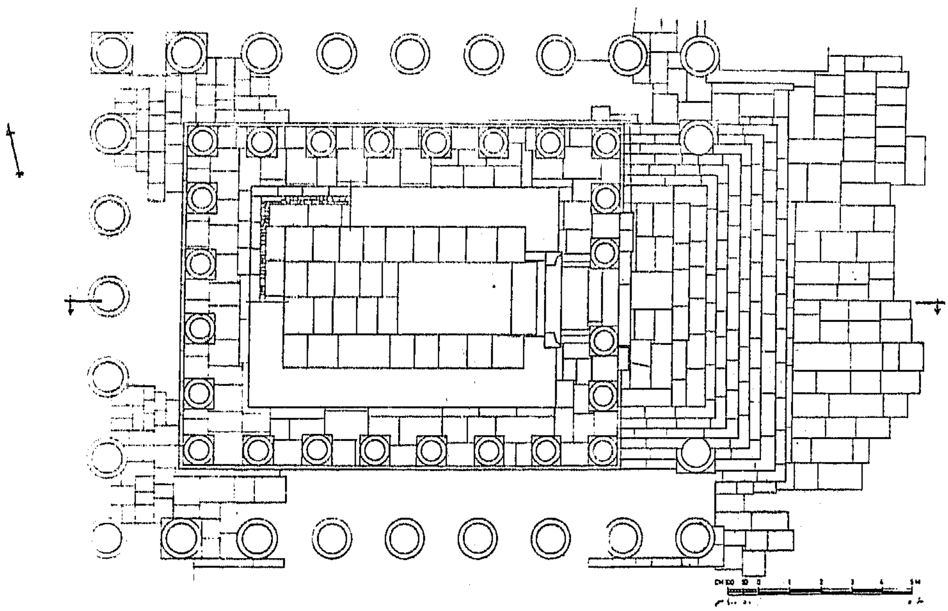


شكل ١٦٤

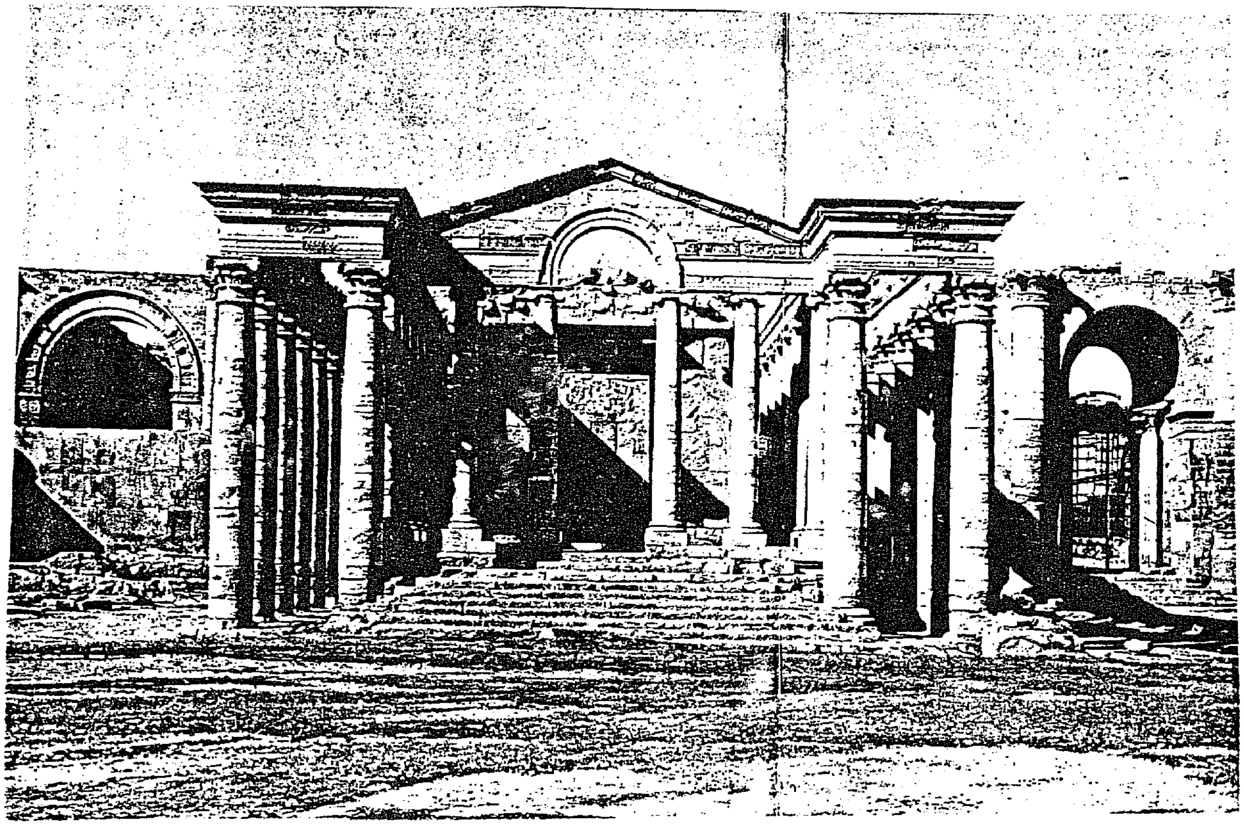




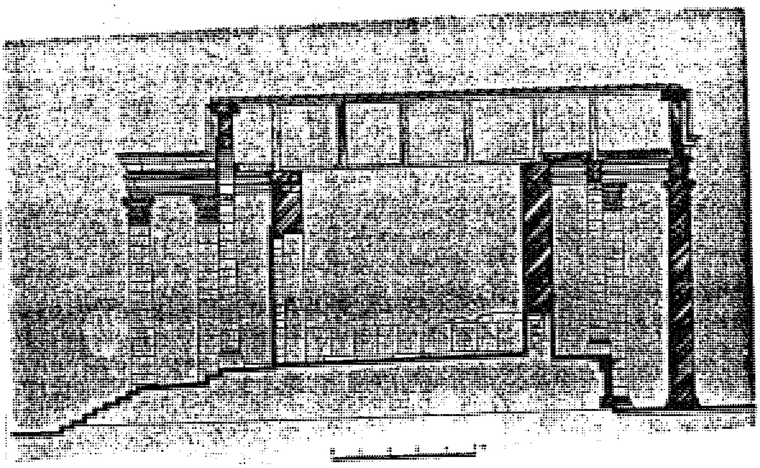
شكل ١٦٥



شكل ١٦٦



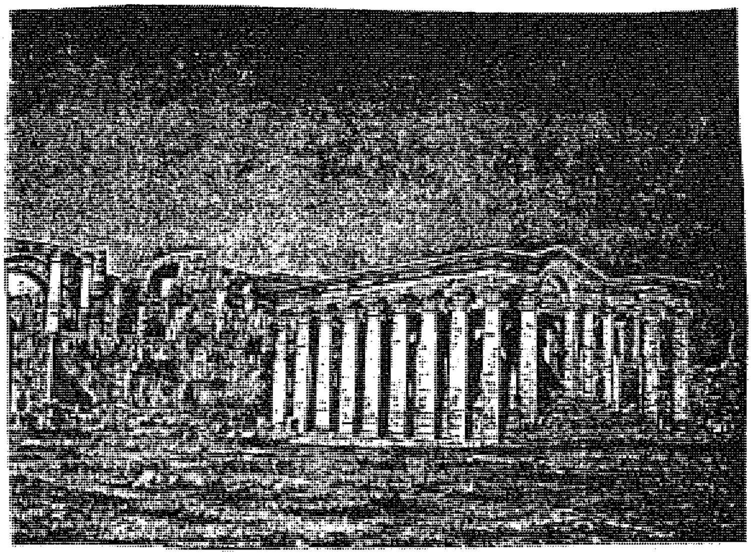
شكل ١٦٧



شكل ١٦٨



شكل ١٦٩



شكل ١٧٠



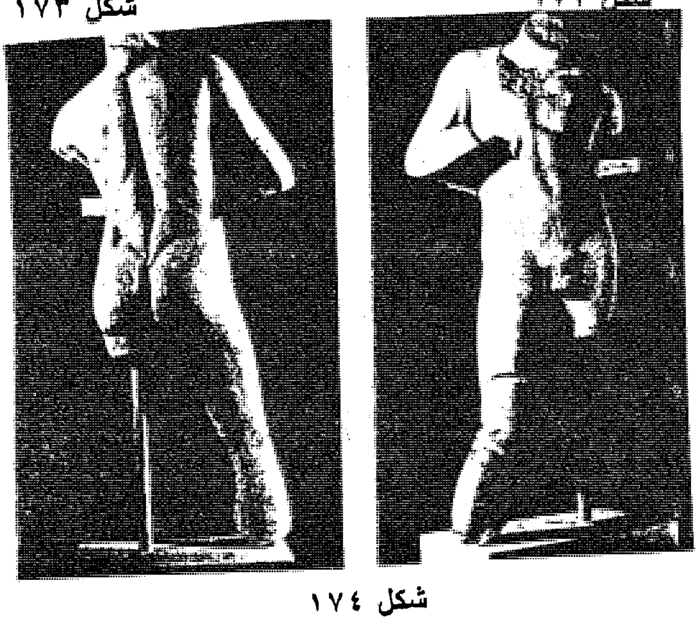
شكل ١٧١



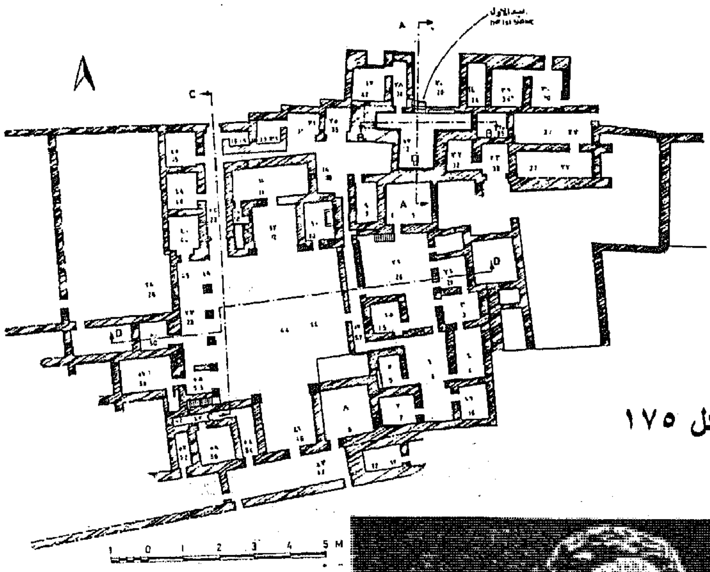
شكل ١٧٢



شكل ١٧٣



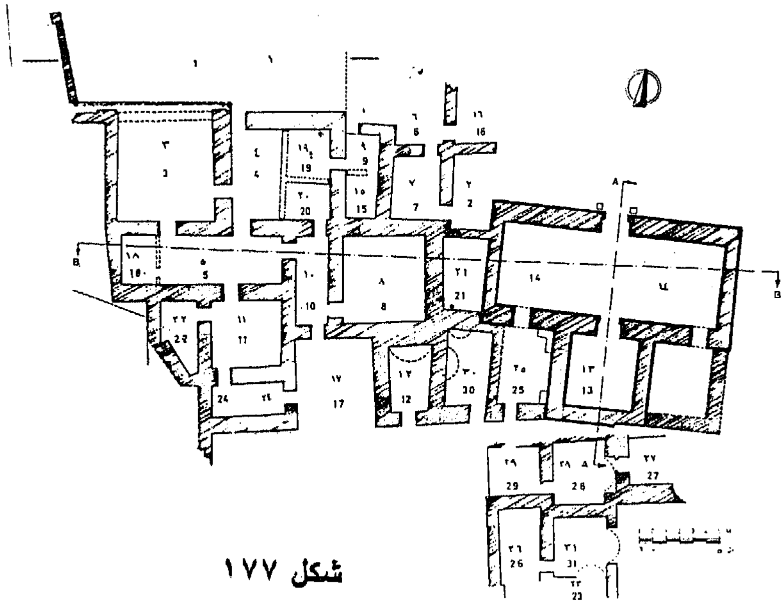
شكل ١٧٤



شكل ١٧٥



شكل ١٧٦



شكل ١٧٧



شكل ١٧٨



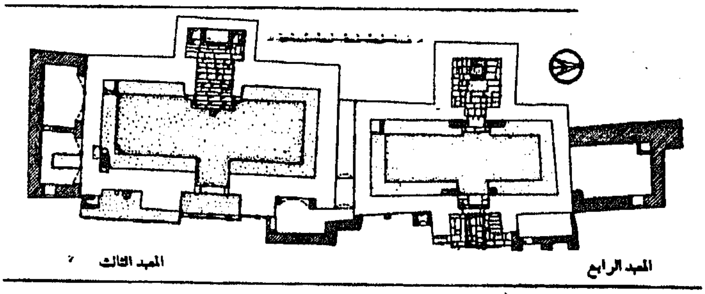
شكل ١٧٩



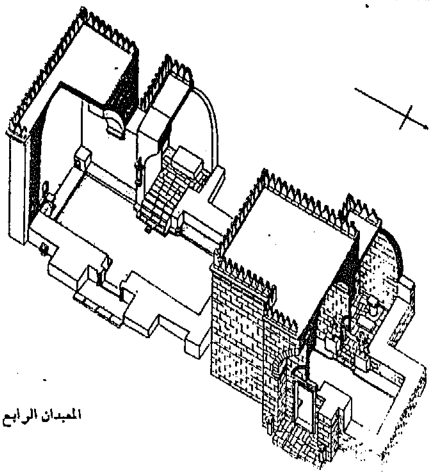
شكل ١٨٠



شكل ١٨١



شكل ١٨٢



شكل ١٨٣



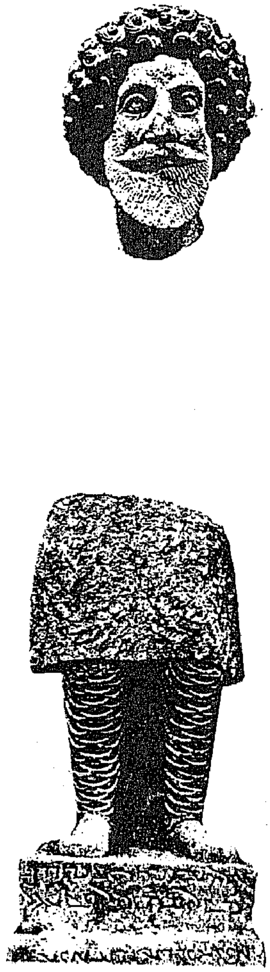
شكل ١٨٤



شكل ١٨٥



شكل ١٨٦



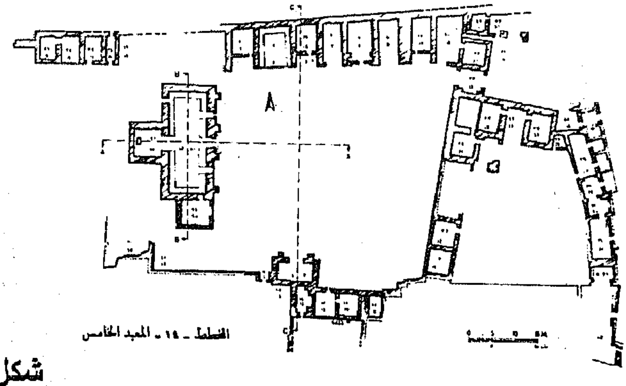
شكل ١٨٧



شكل ١٨٨

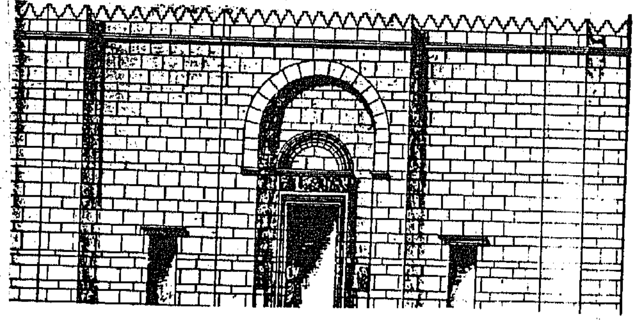


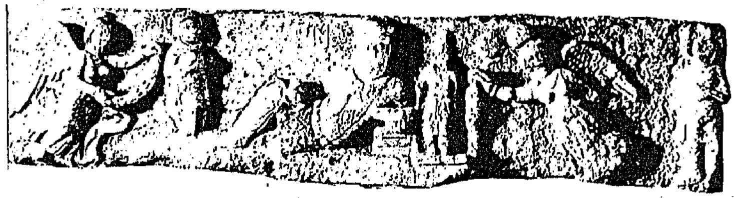
شكل ١٨٩



شكل ١٩٠

المخطط ـ ١٥ : واجهة المعبد الخامس





شكل ١٩١





شكل ١٩٢



شكل ١٩٣



شكل ١٩٤



شكل ١٩٥



شكل ١٩٦

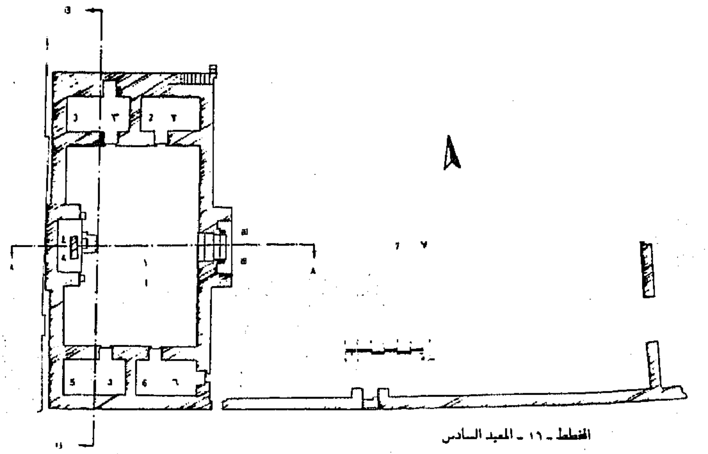


شكل ١٩٧





شكل ١٩٨



شكل ١٩٩





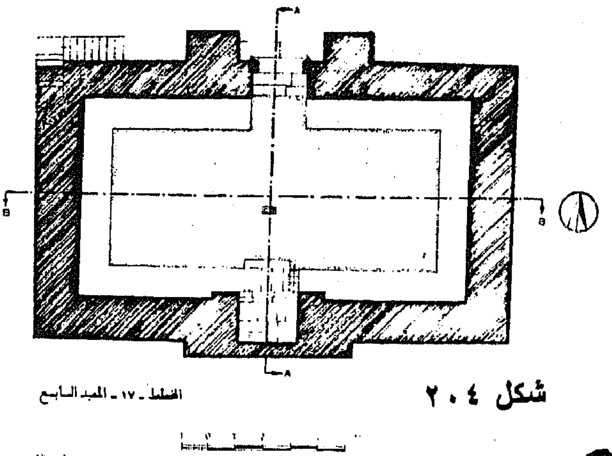
شكل ٢٠٠ شكل ٢٠١



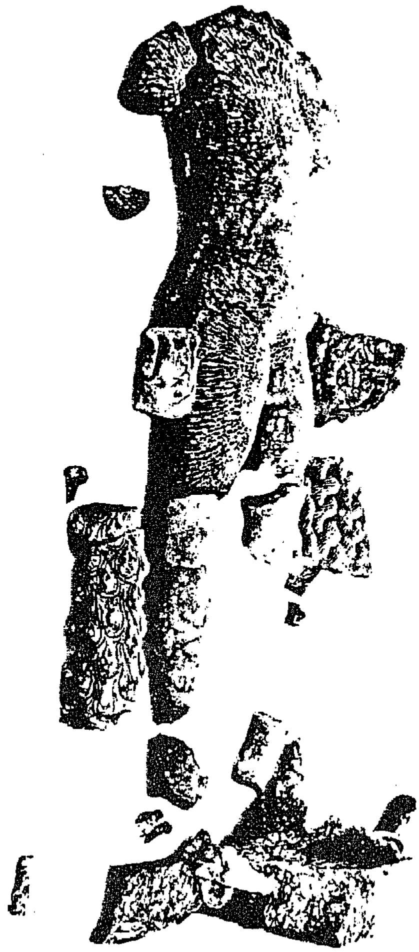
شكل ٢٠٢



شكل ٢٠٣



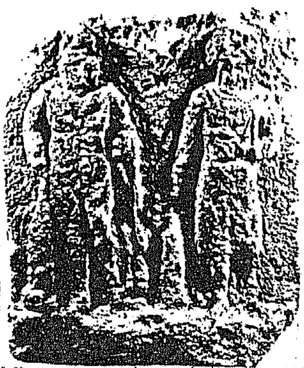
شكل ٢٠٤



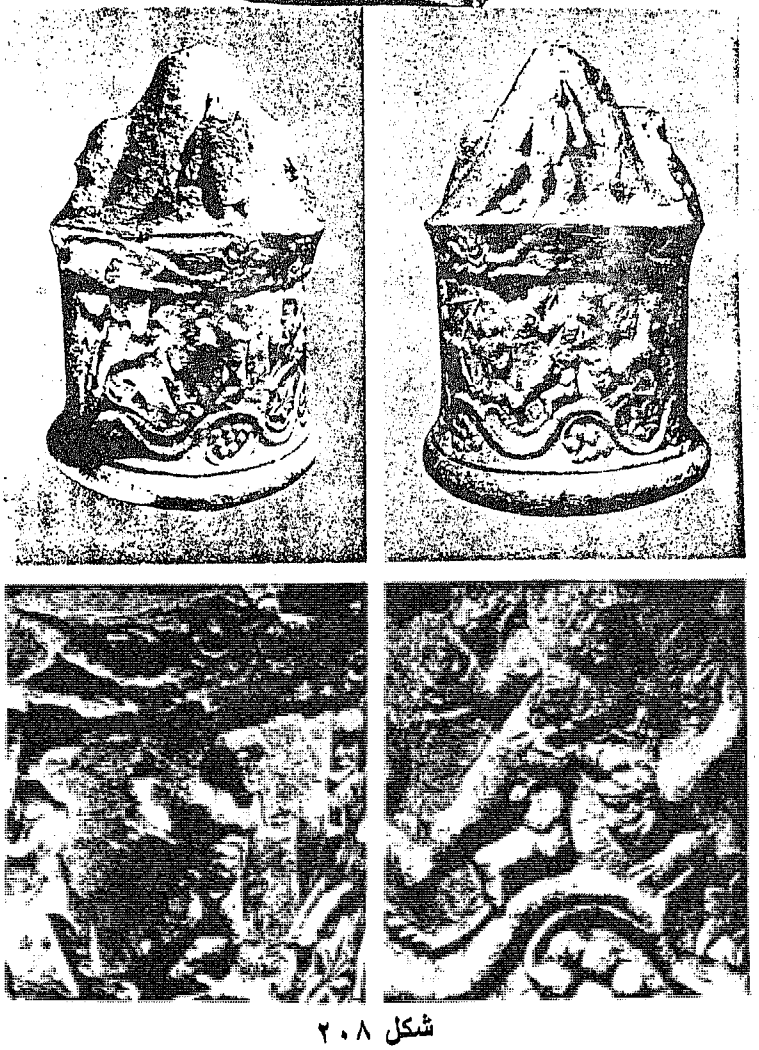
شكل ٢٠٥



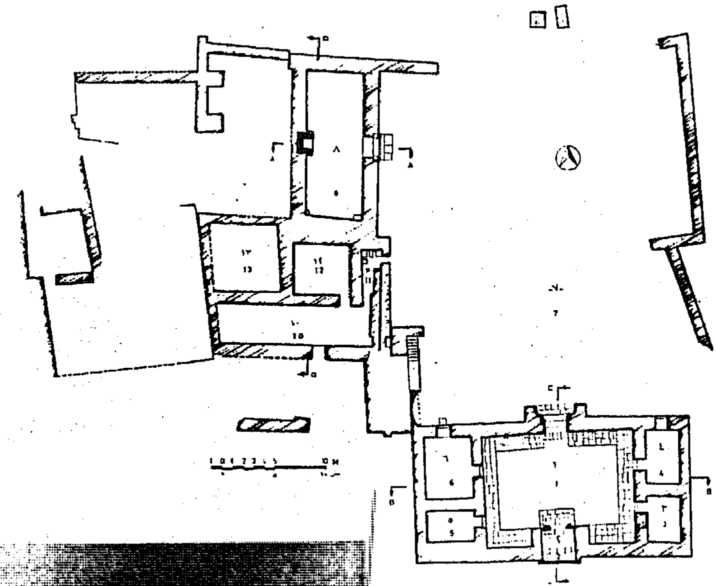
شكل ٢٠٦



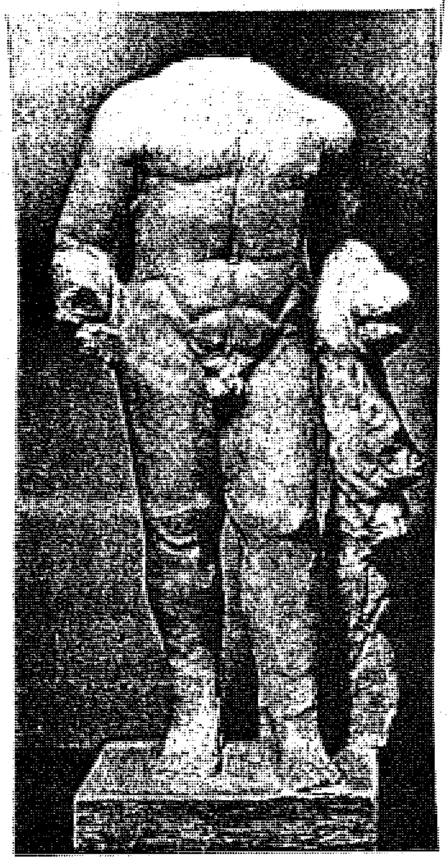
شكل ٢٠٧



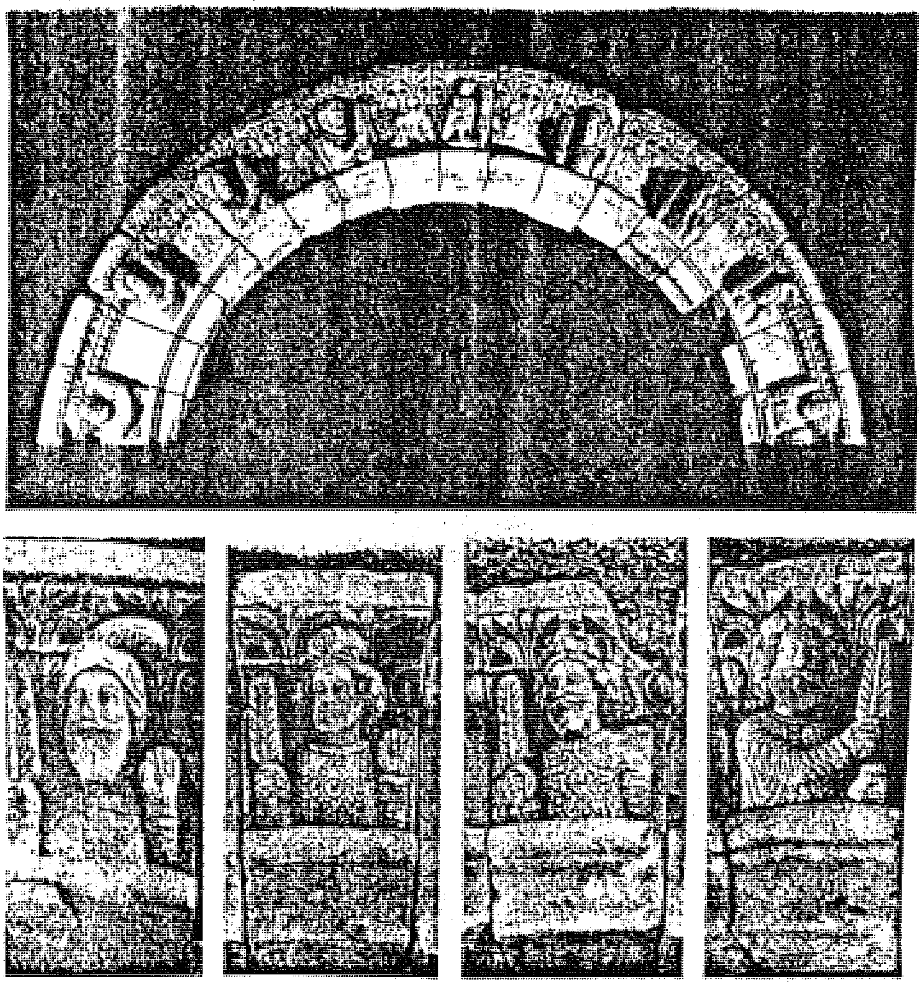
شكل ٢٠٨



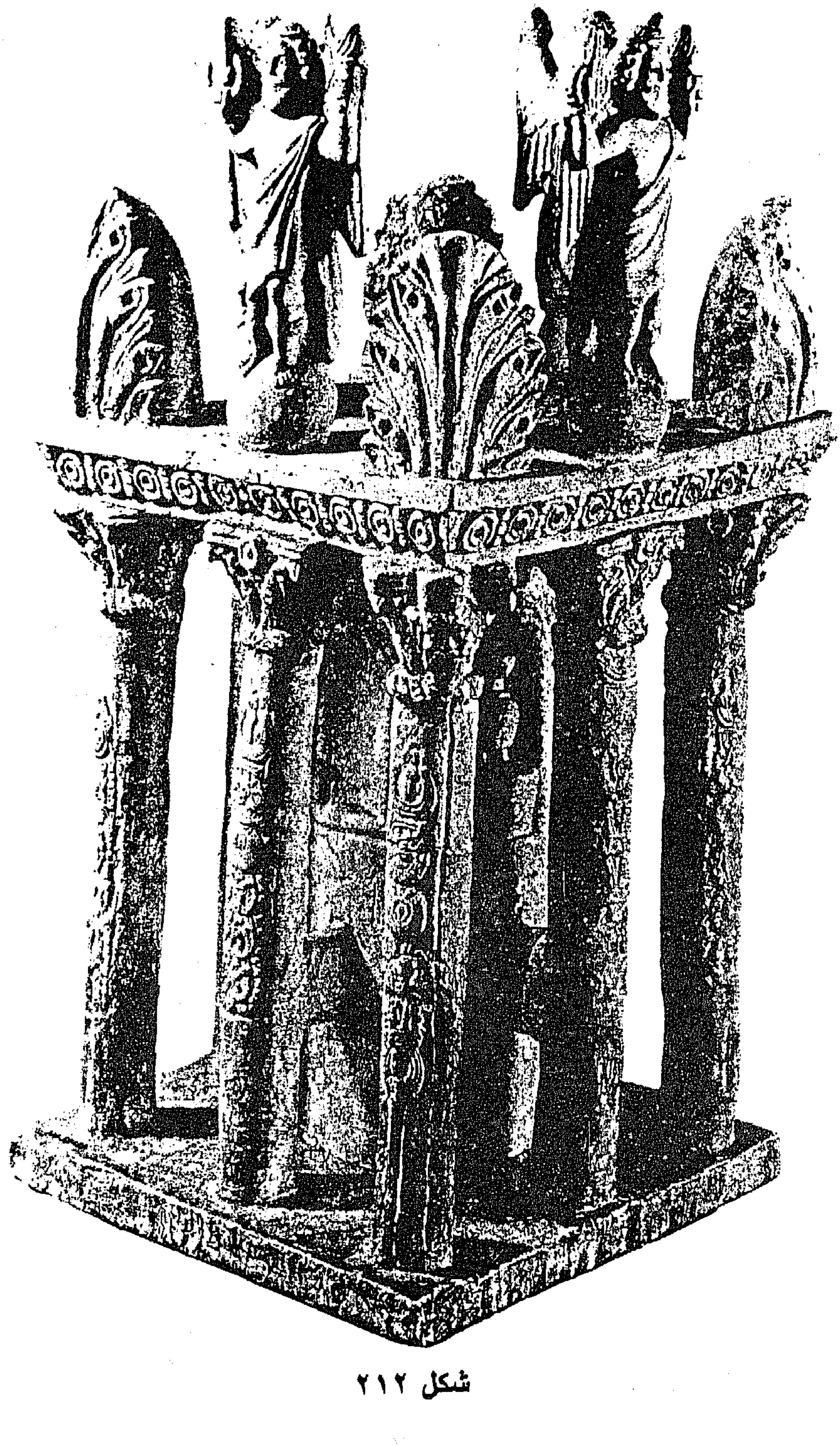
شكل ٢٠٩



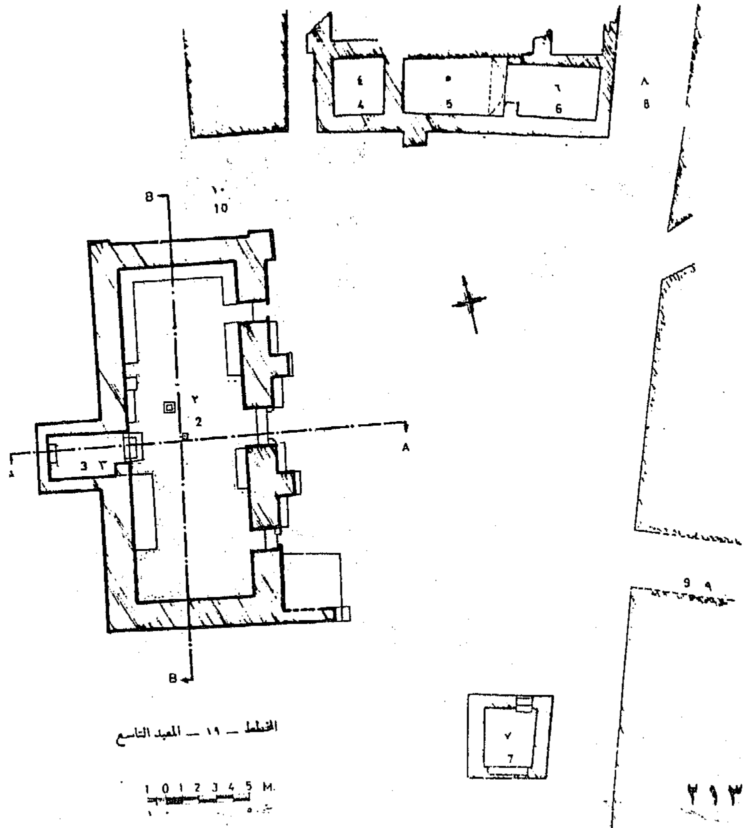
شكل ٢١٠



شكل ٢١١



شكل ٢١٢

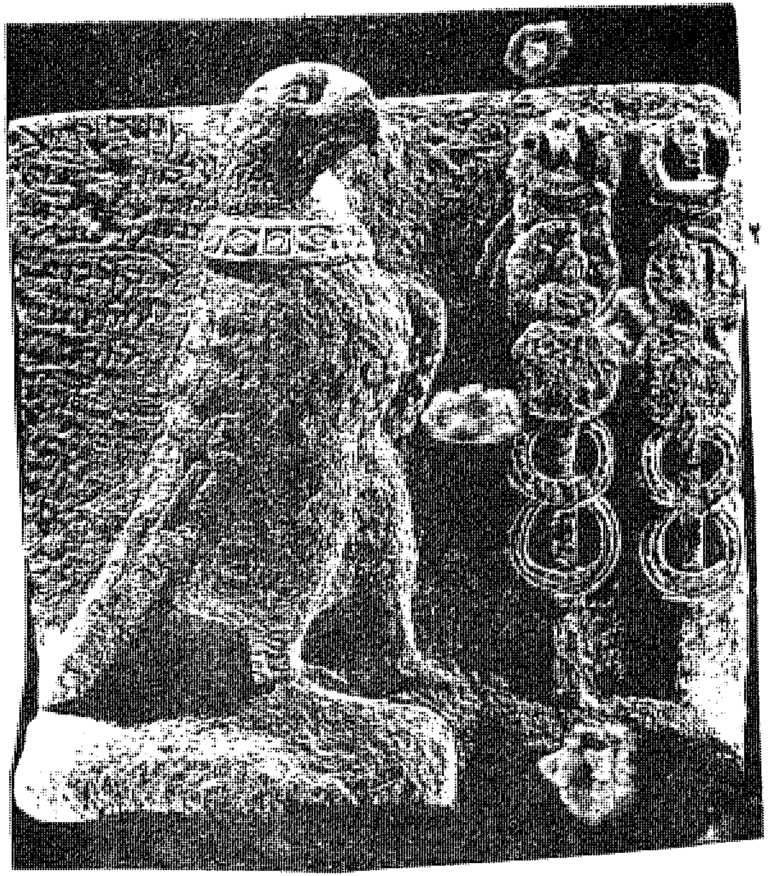


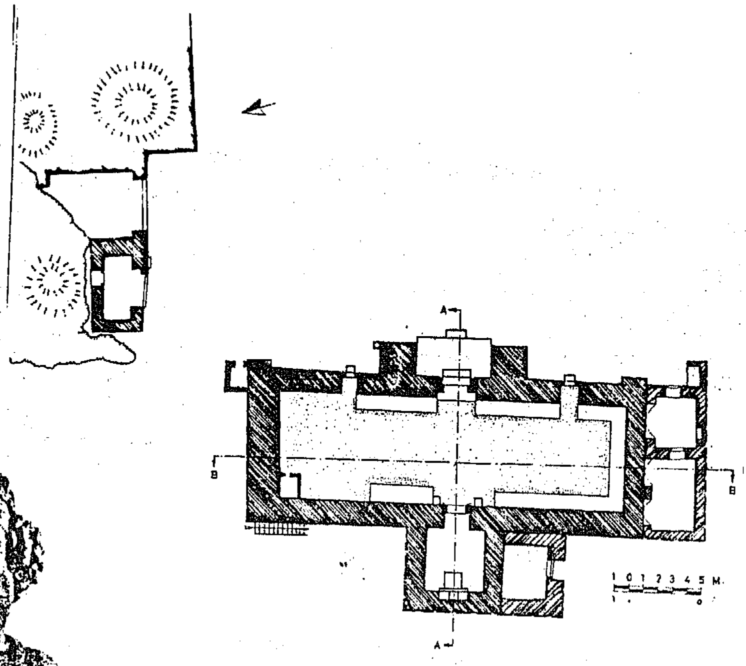
شكل ٢١٣



شكل ٢١٤


شكل ٢١٥


شكل ٢١٦



شكل ٢١٧



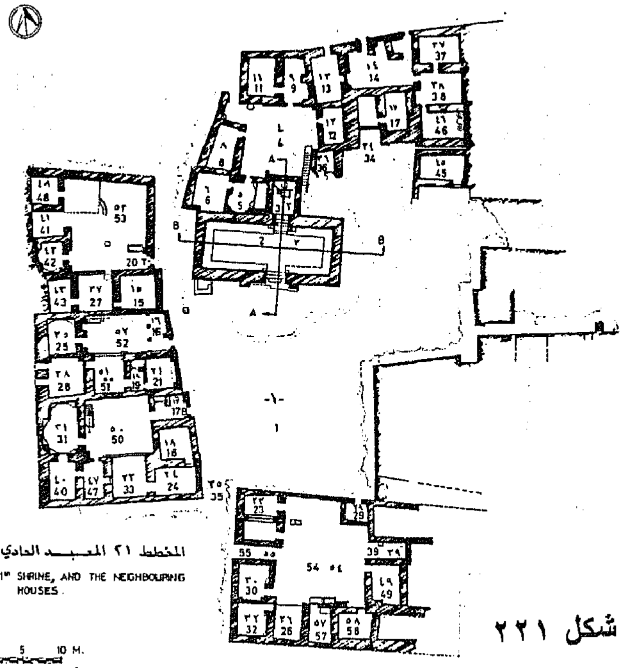
شكل ٢١٨



شكل ٢١٩



شكل ٢٢٠

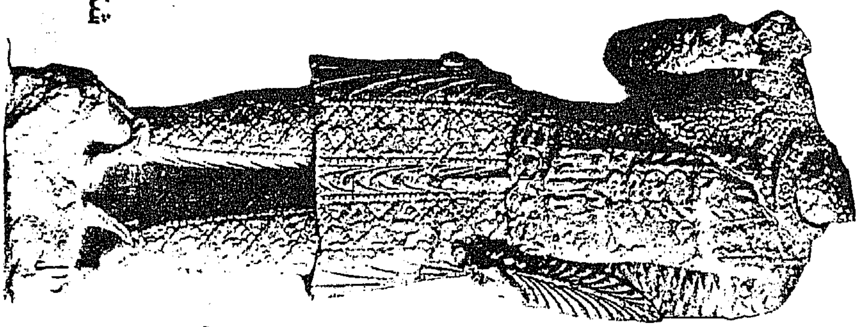


المخطط ١٢ المعبد الحادي عشر والدور المجاورة

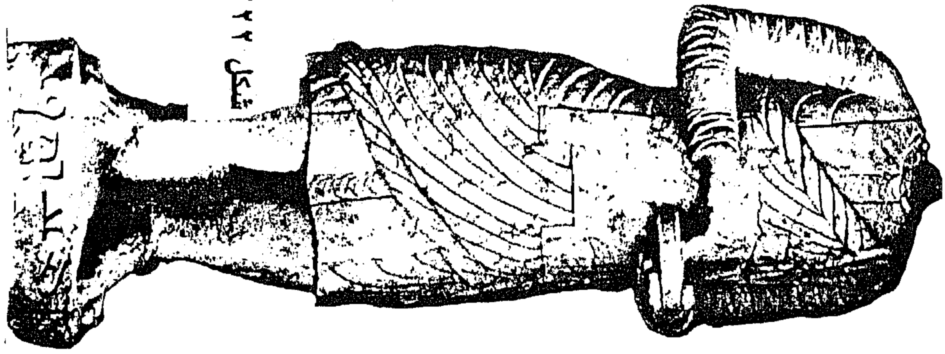
PLAN XII _THE 11th SHRINE, AND THE NEIGHBOURING HOUSES.

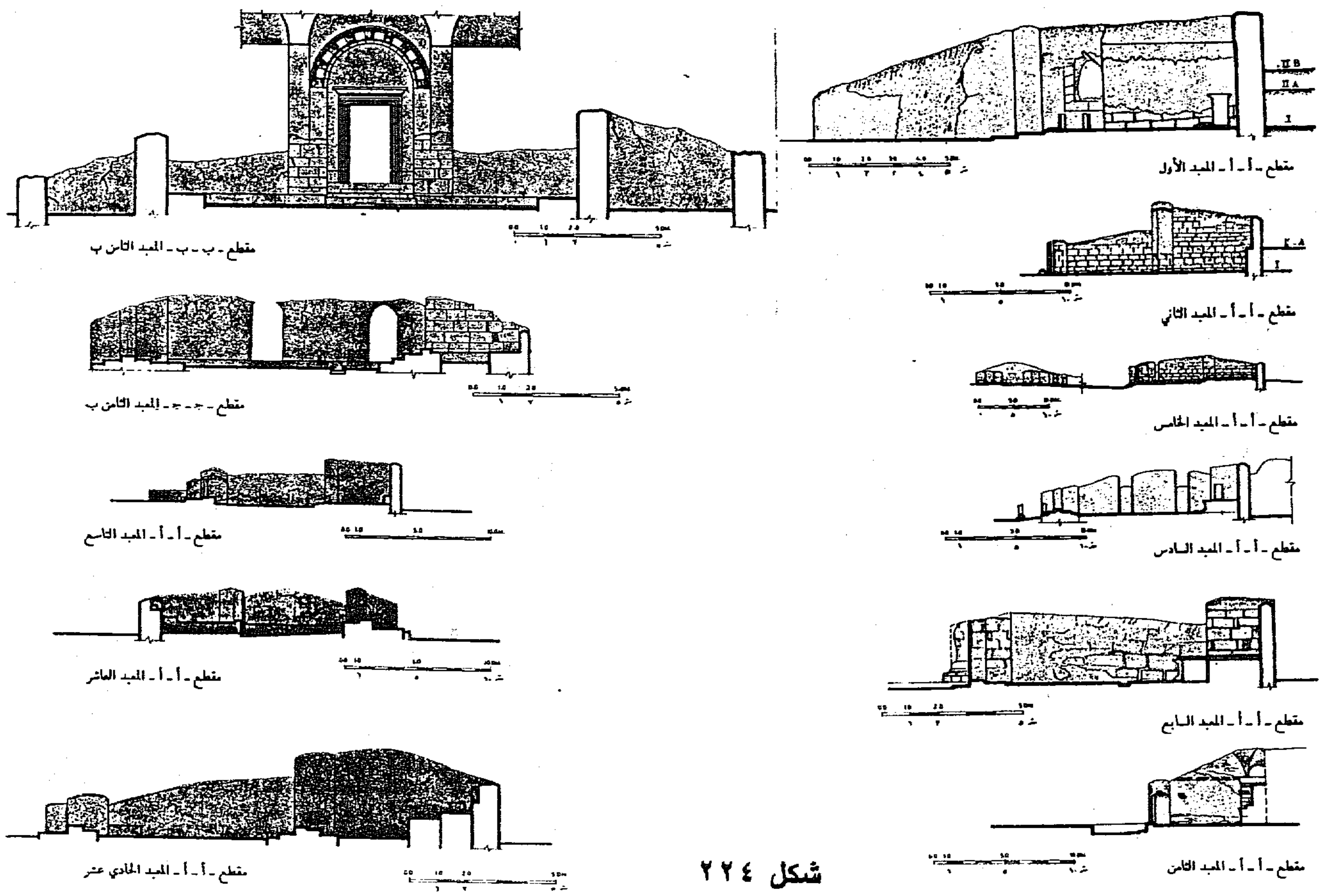
شكل ٢٢١

شكل ٢٢٣

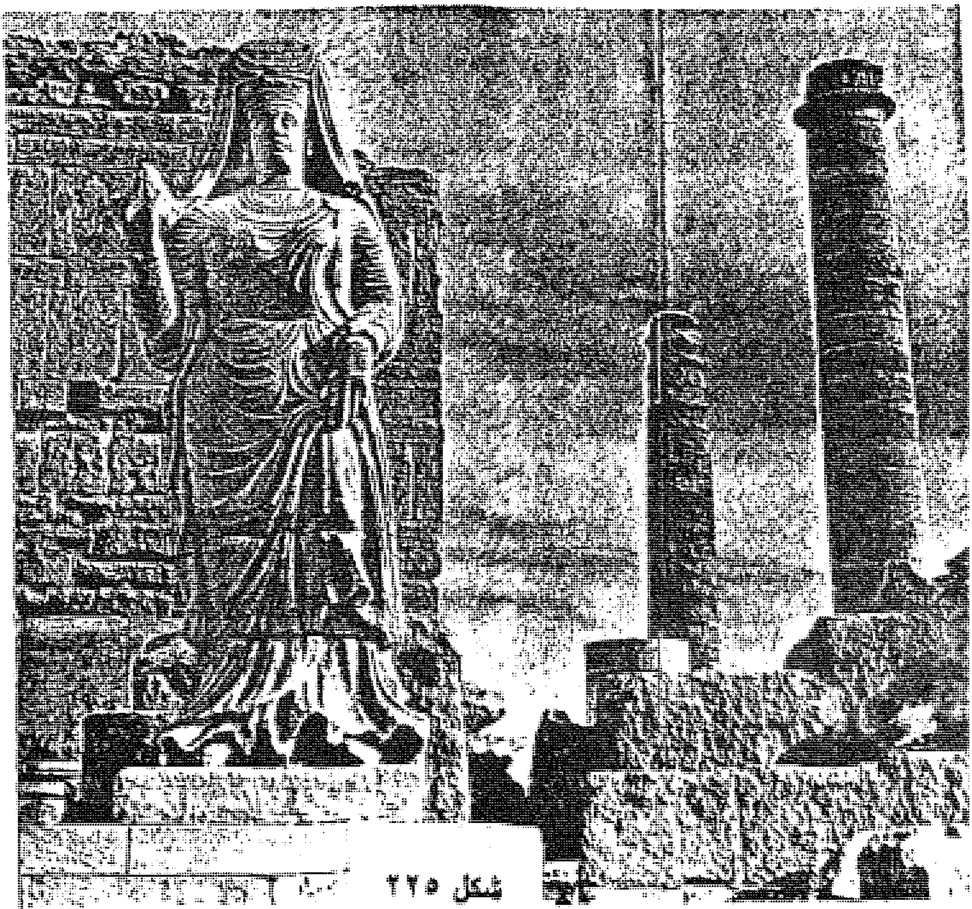


شكل ٢٢٢




مقطع - أ - أ - المعبد الأول
مقطع - أ - أ - المعبد الثاني
مقطع - أ - أ - المعبد الخامس
مقطع - أ - أ - المعبد السادس
مقطع - أ - أ - المعبد السابع
مقطع - أ - أ - المعبد الثامن
مقطع - ب - ب - المعبد الثامن ب
مقطع - جـ - جـ - المعبد الثامن ب
مقطع - أ - أ - المعبد التاسع
مقطع - أ - أ - المعبد العاشر
مقطع - أ - أ - المعبد الحادي عشر

شكل ٢٢٤



شكل ٢٢٥







شكل ٢٢٦






شكل ٢٢٧


شكل ٢٢٨

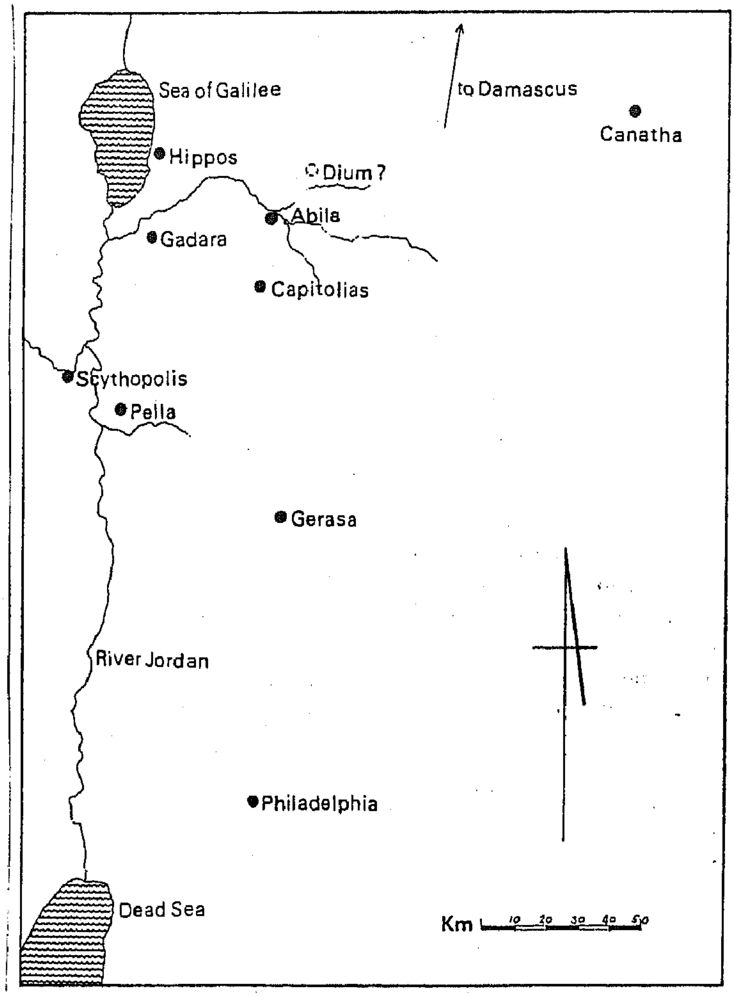

شكل ٢٢٩



شكل ٢٣٠

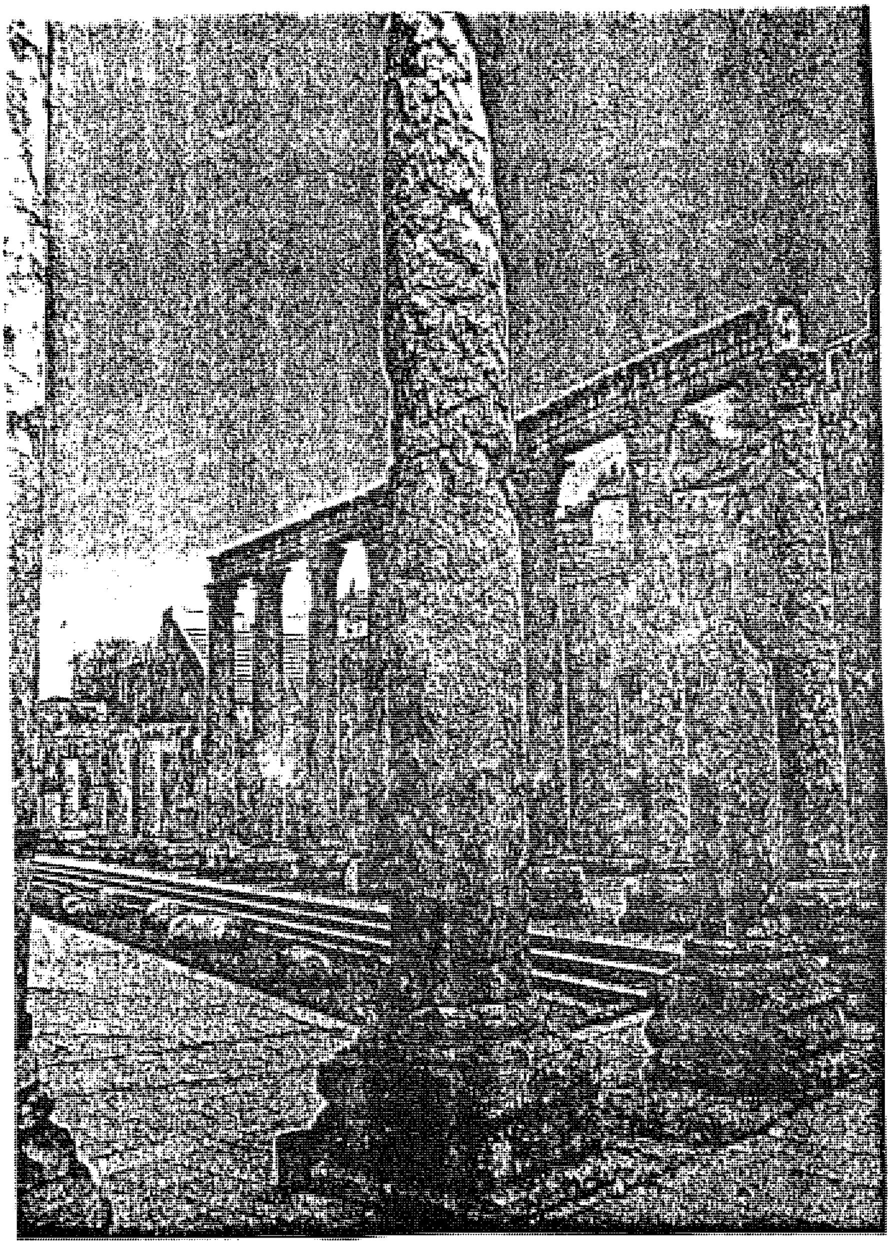


شكل ٢٣١

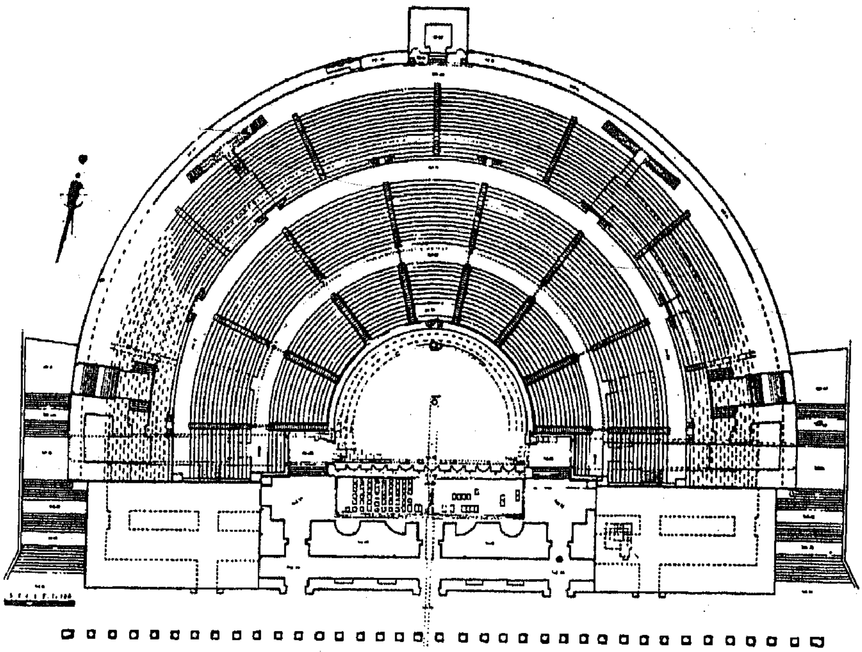


Sea of Galilee
to Damascus
Canatha
Hippos
Dium ?
Abila
Gadara
Capitolias
Scythopolis
Pella
Gerasa
River Jordan
Philadelphia
Dead Sea
Km 10 20 30 40 50

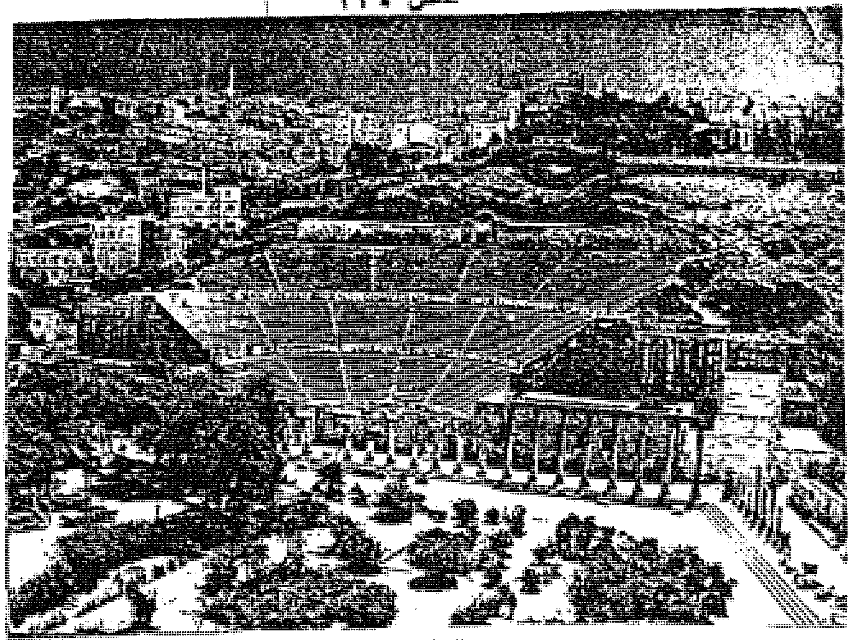
شکل ۲۳۲



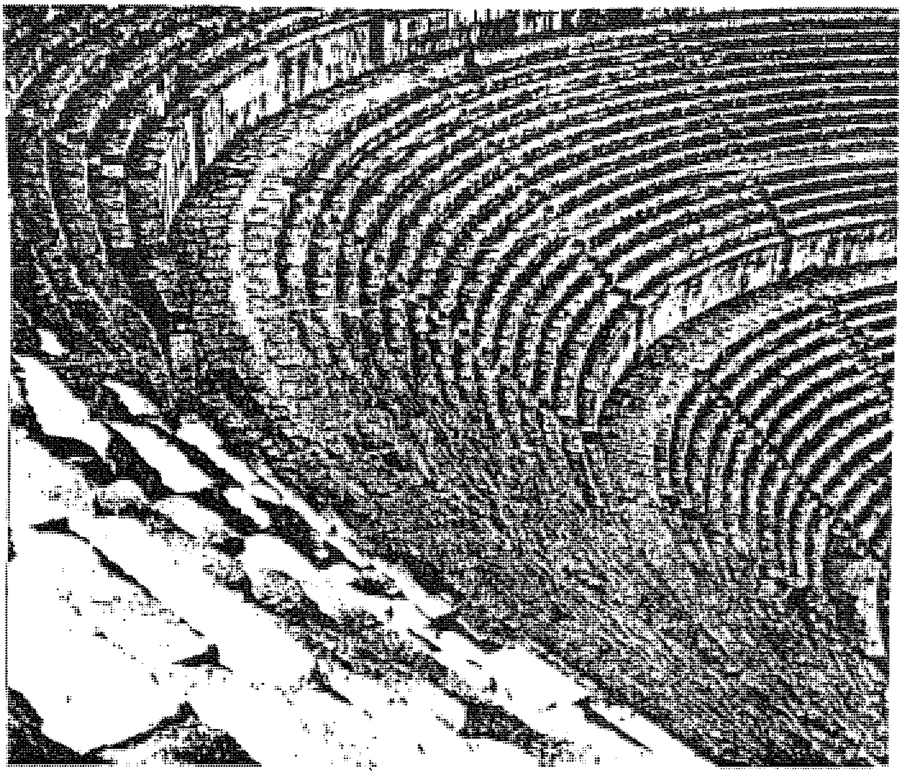
شكل ٢٣٣



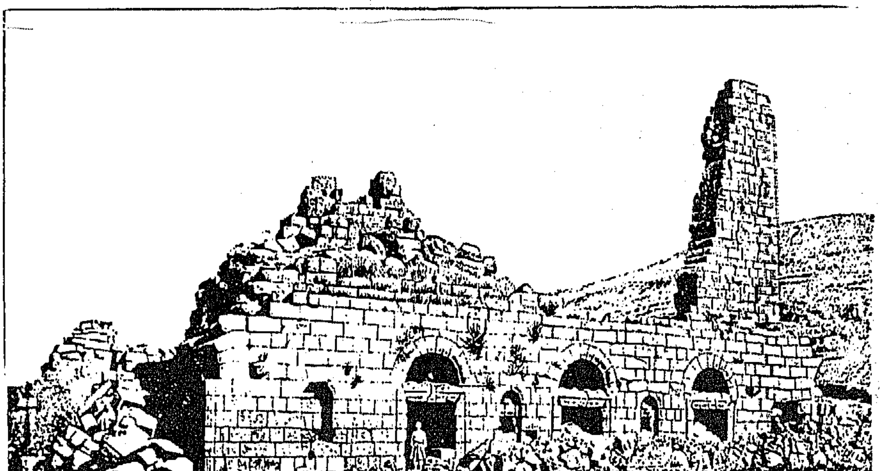
شكل ٢٣٤



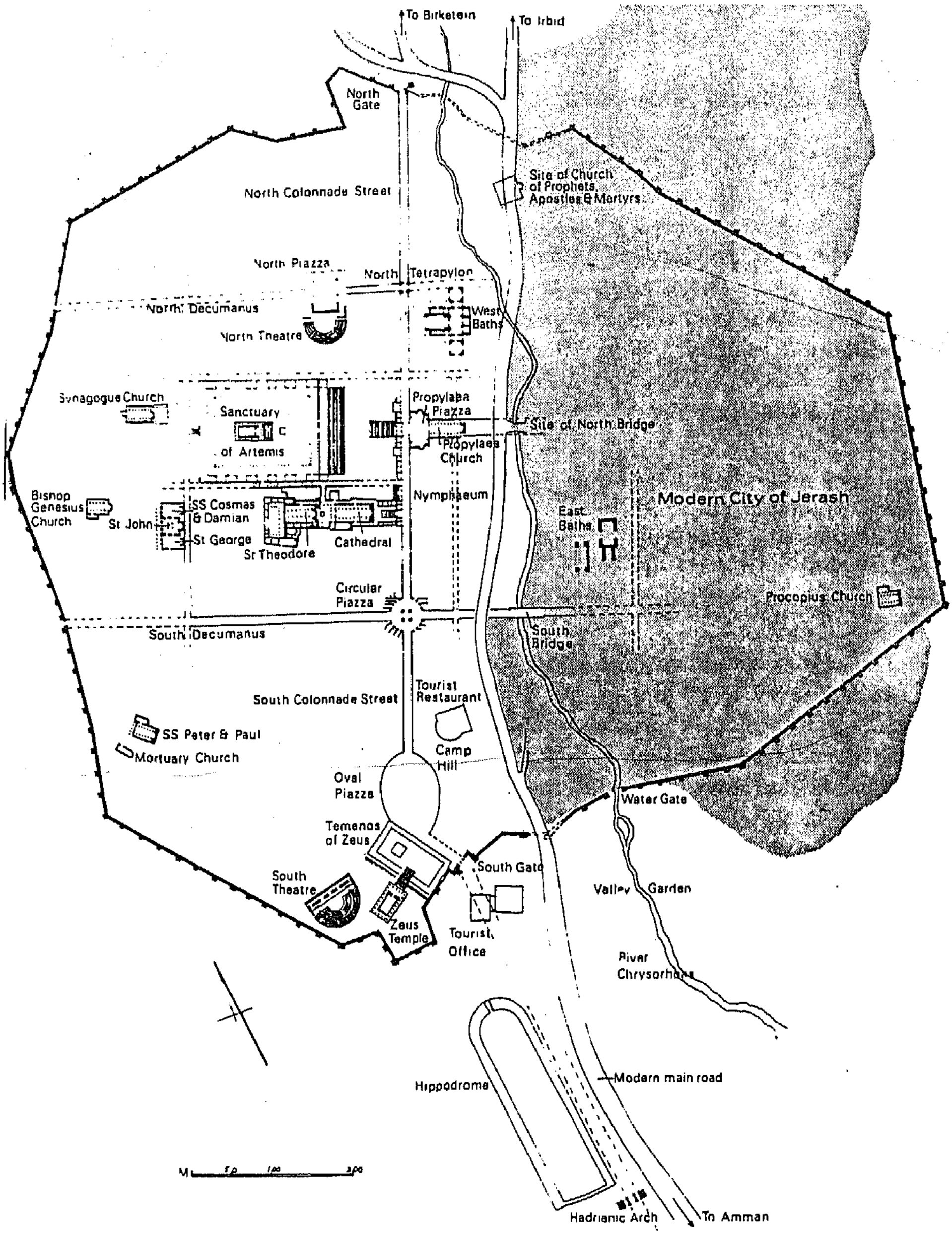
شكل ٢٣٥



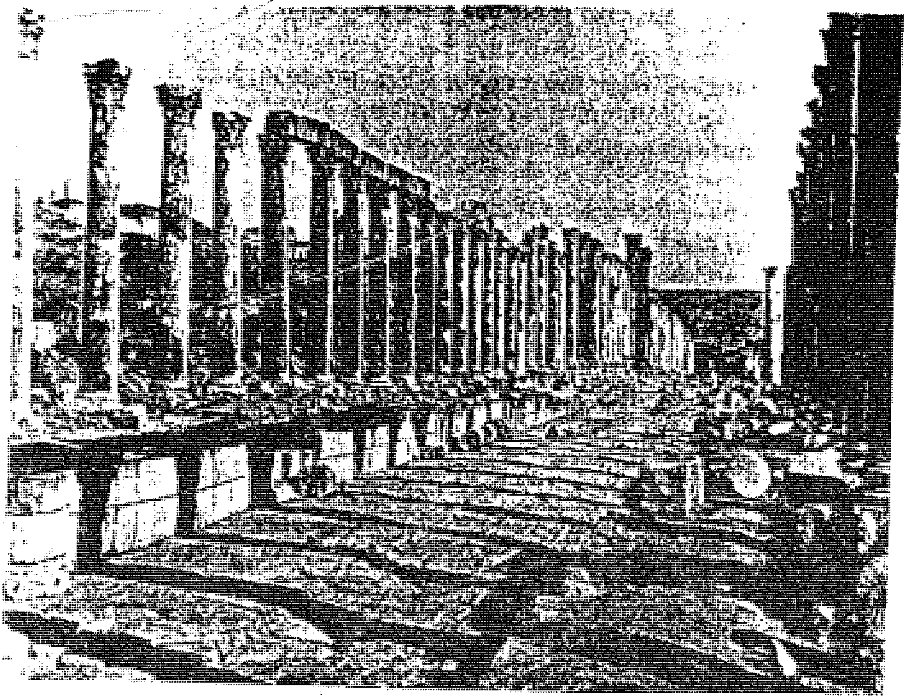
شكل ٢٣٦



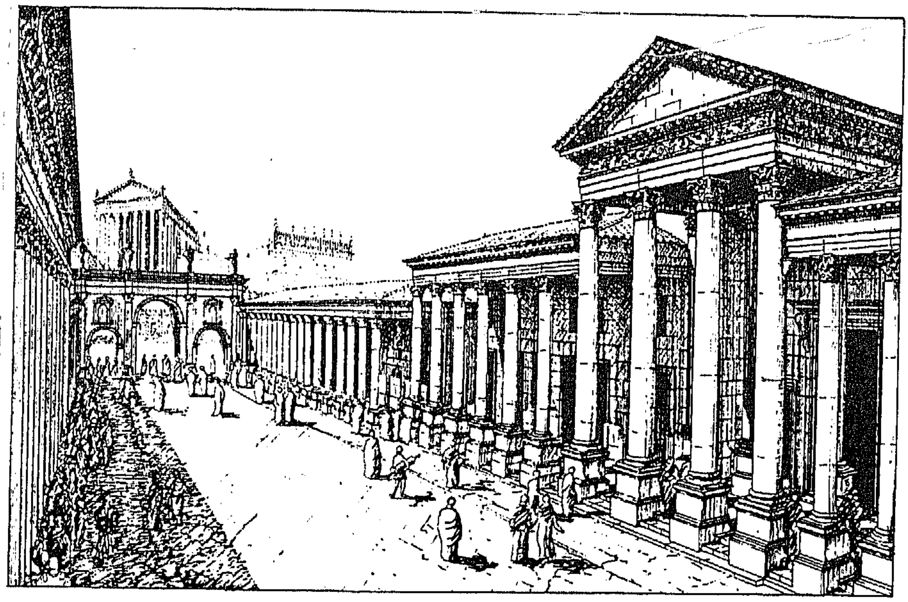
شكل ٢٣٧


To Birketein
To Irbid
North Gate
North Colonnade Street
Site of Church of Prophets, Apostles & Martyrs
North Piazza
North Tetrapylon
North Decumanus
West Baths
North Theatre
Synagogue Church
Sanctuary of Artemis
Propylaea Piazza
Site of North Bridge
Propylaea Church
Bishop Genesius Church
SS Cosmas & Damian
St John
St George
St Theodore
Cathedral
Nymphaeum
Modern City of Jerash
East Baths
Circular Piazza
Procopius Church
South Decumanus
South Bridge
South Colonnade Street
Tourist Restaurant
SS Peter & Paul
Mortuary Church
Camp Hill
Oval Piazza
Water Gate
Temenos of Zeus
South Gate
South Theatre
Valley Garden
Zeus Temple
Tourist Office
River Chrysorhoas
Hippodrome
Modern main road
Hadrianic Arch
To Amman

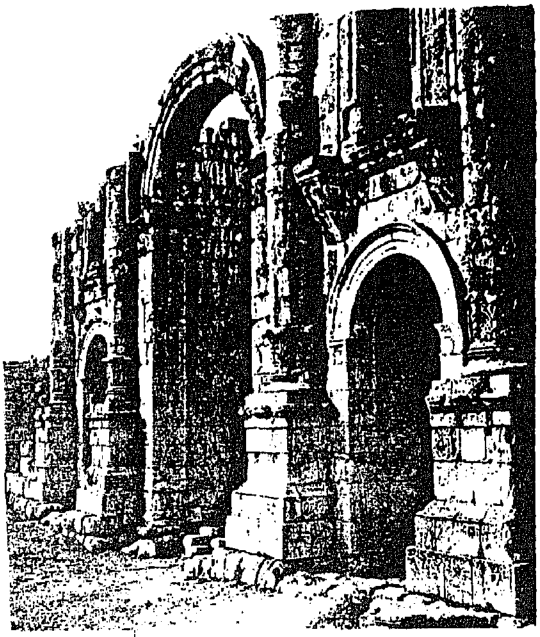
شكل ٢٣٨



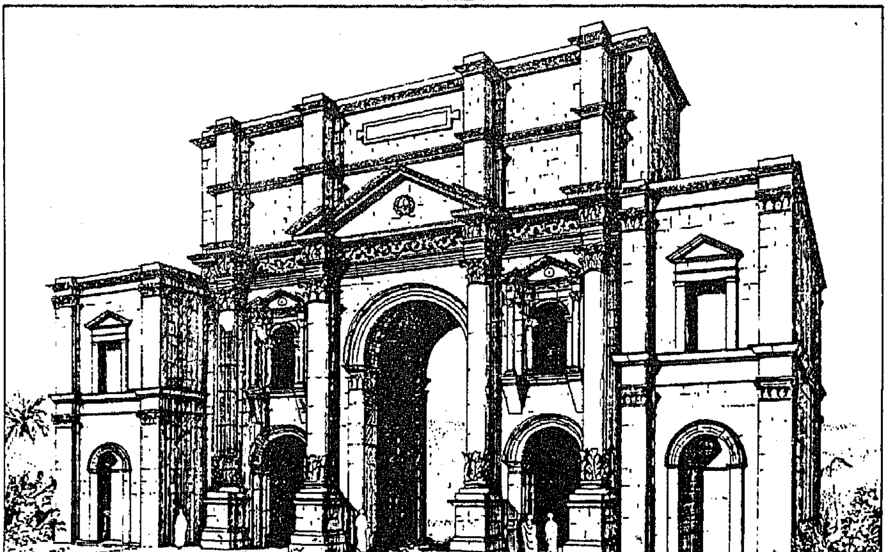
شكل ٢٣٩



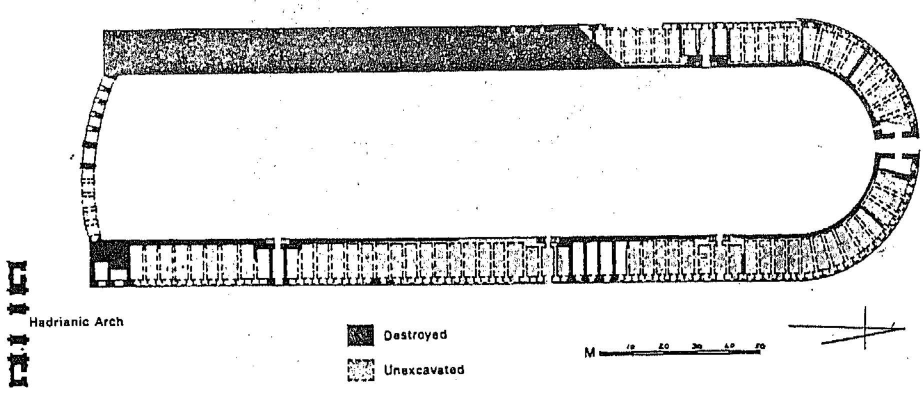
شكل ٢٤٠



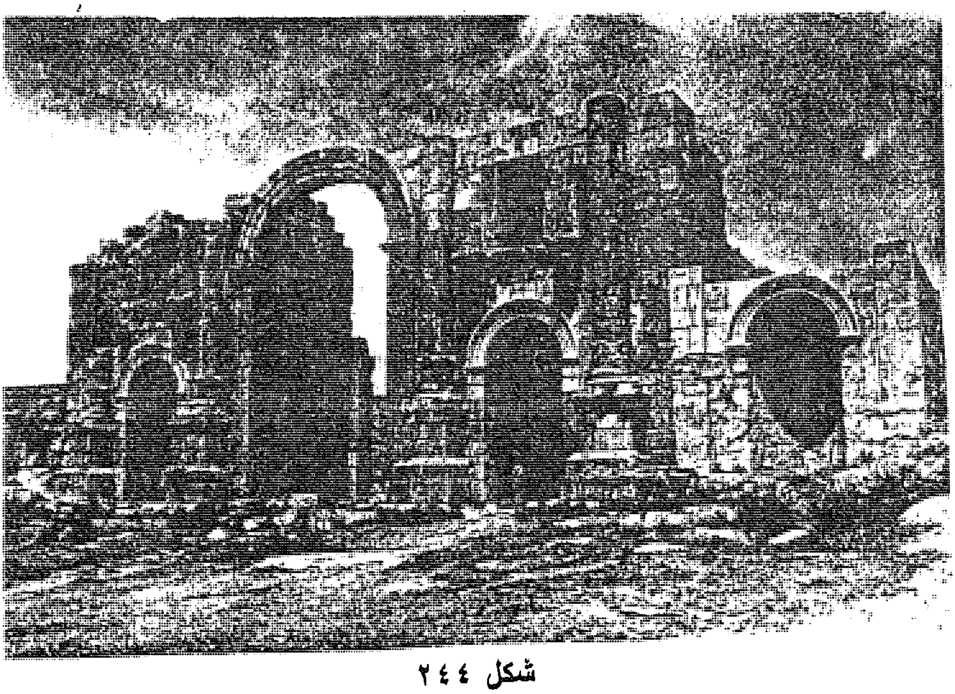
شكل ٢٤١



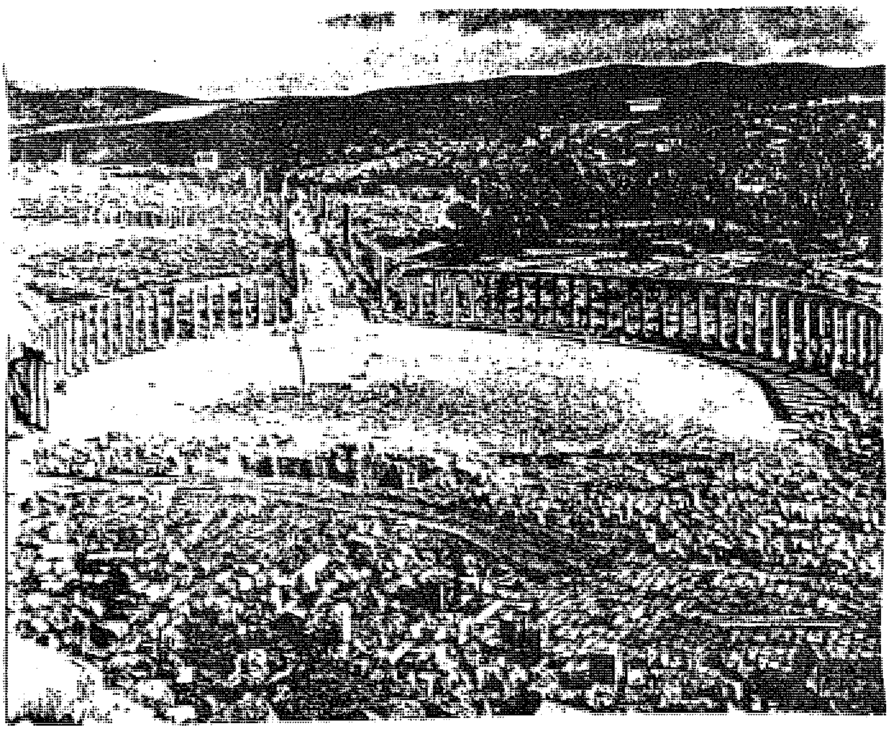
شكل ٢٤٢



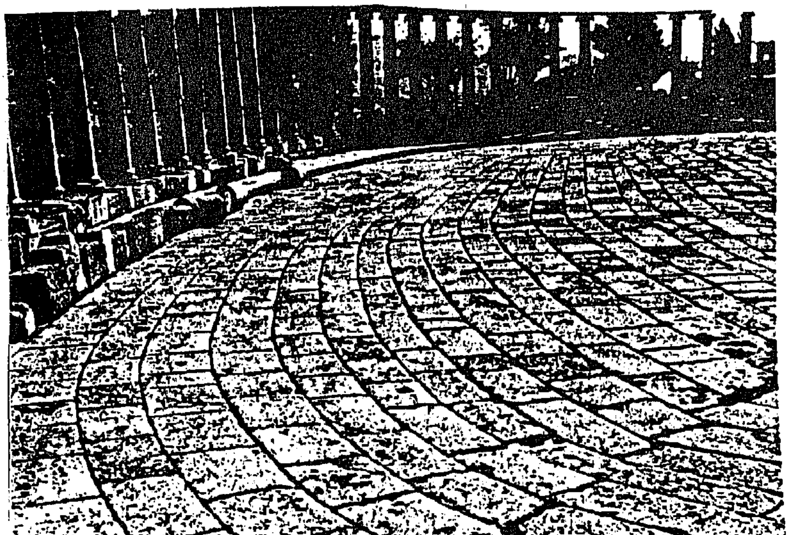
شكل ٢٤٣



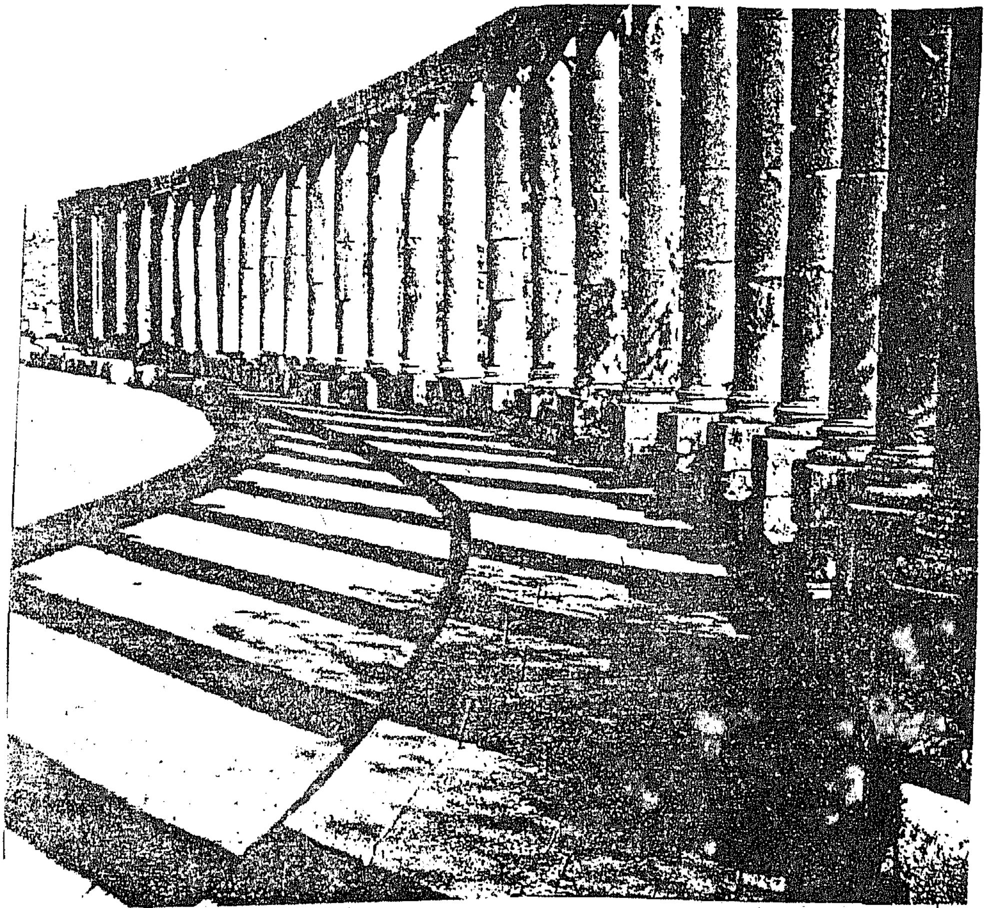
شكل ٢٤٤



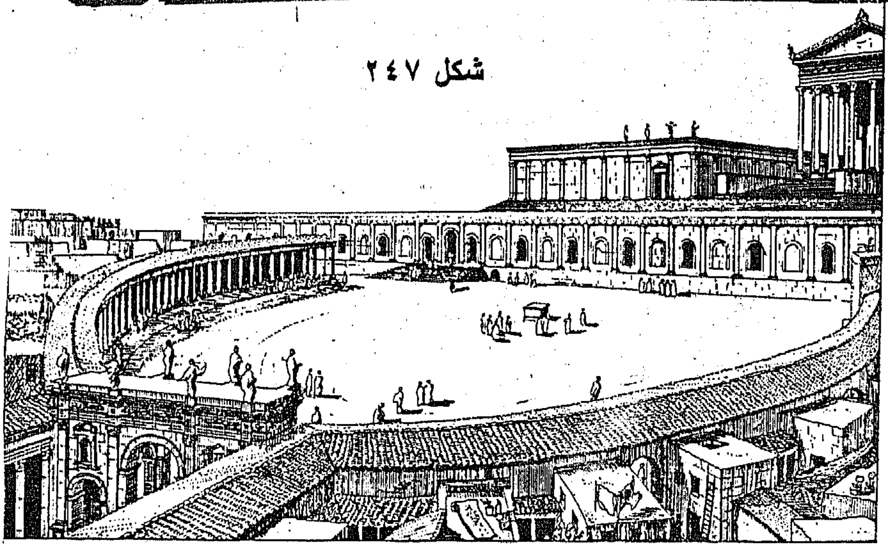
شكل ٢٤٥

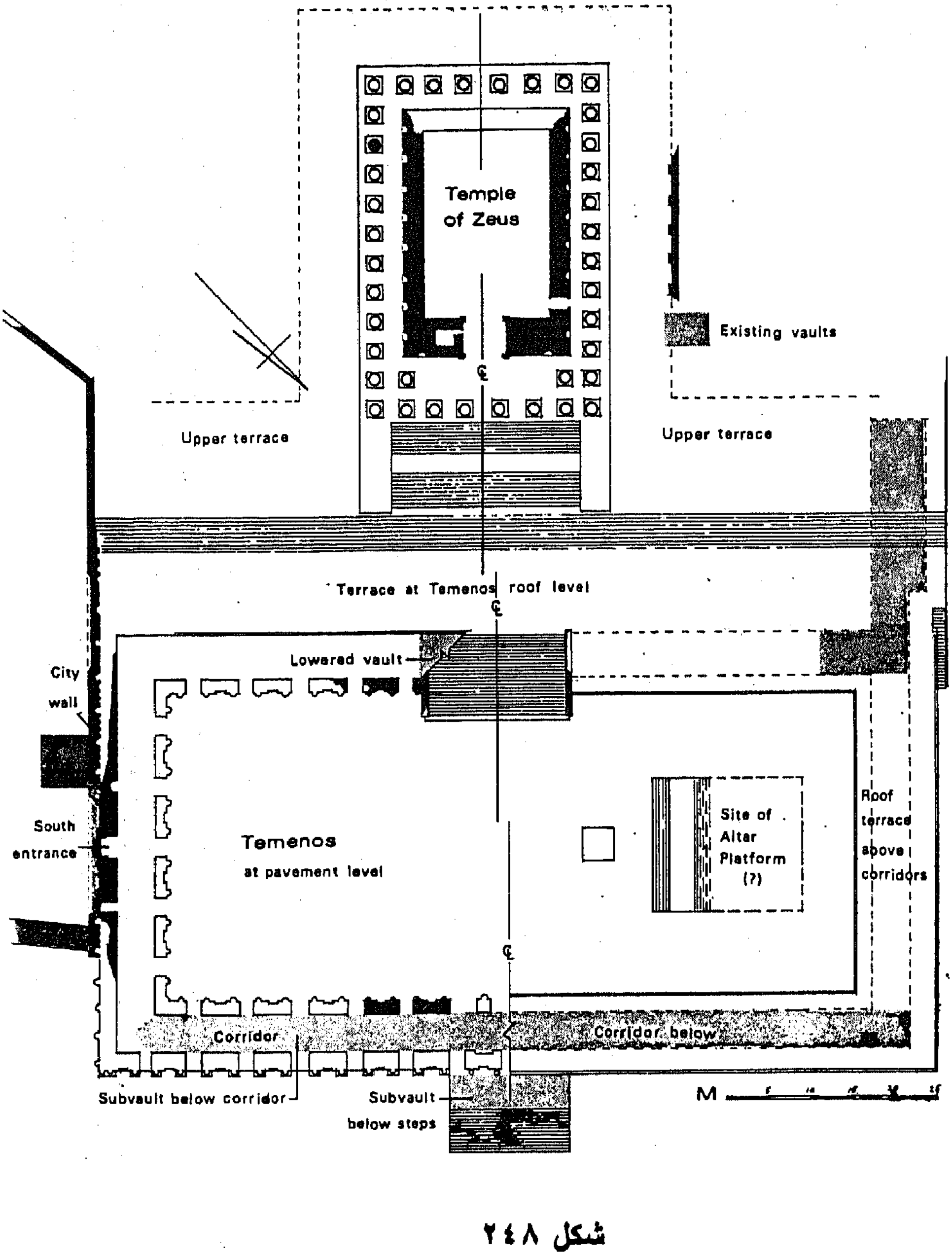


شكل ٢٤٦

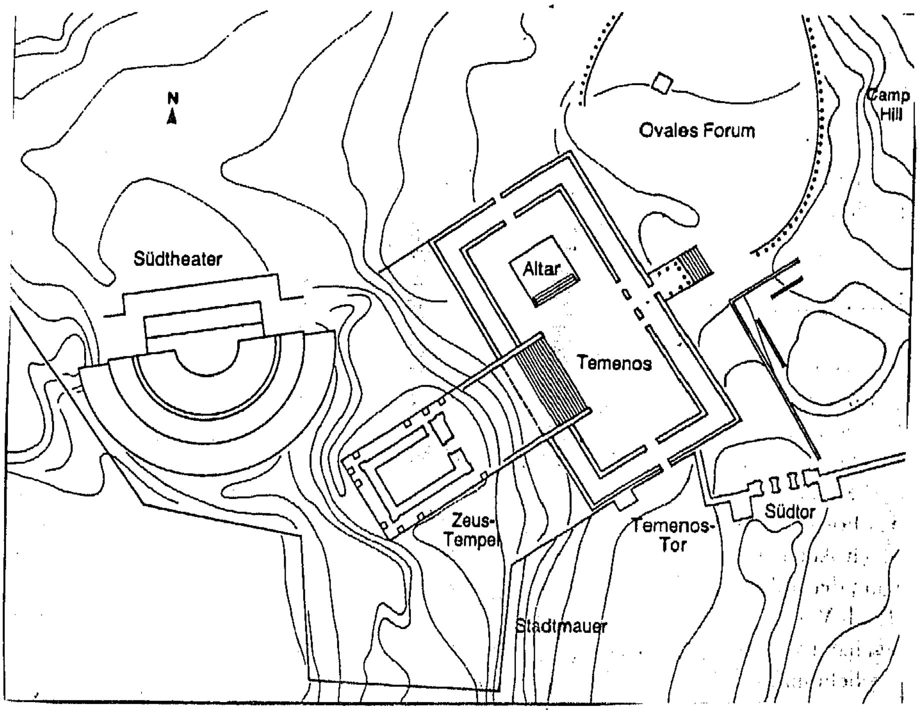


شكل ٢٤٧

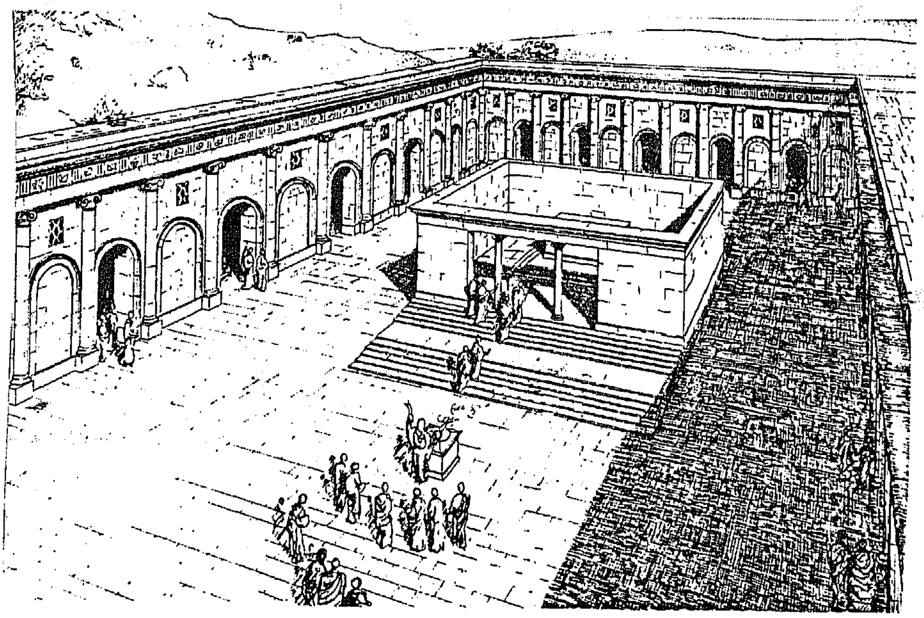



Temple
of Zeus
Existing vaults
Upper terrace
Upper terrace
Terrace at Temenos roof level
Lowered vault
City
wall
South
entrance
Temenos
at pavement level
Site of
Altar
Platform
(?)
Roof
terrace
above
corridors
Corridor
Corridor below
Subvault below corridor
Subvault
below steps
M

شكل ٢٤٨

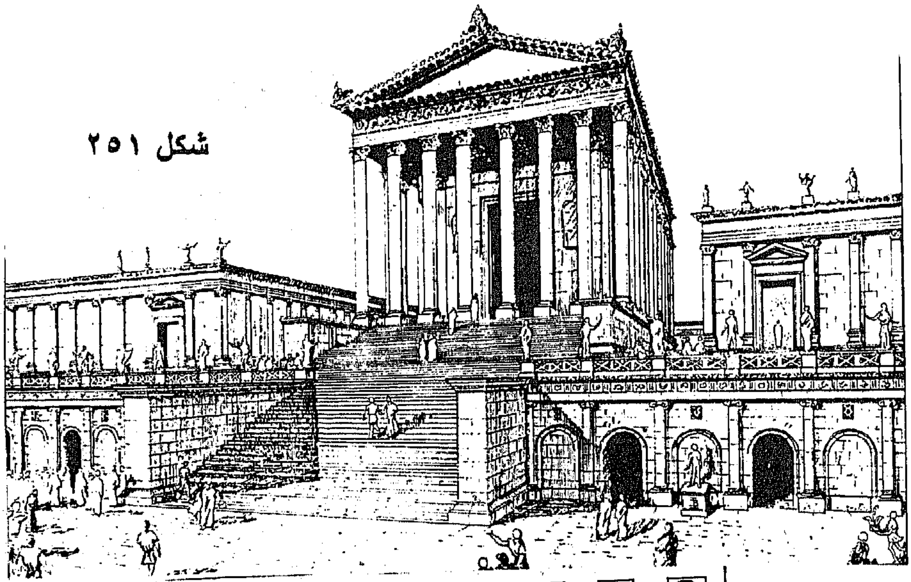


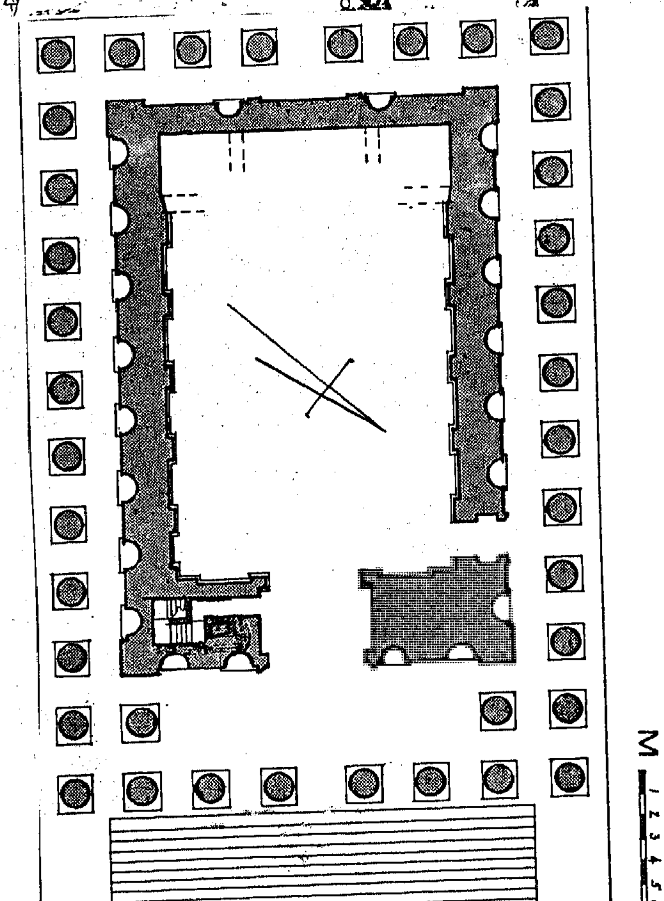
شكل ٢٤٩



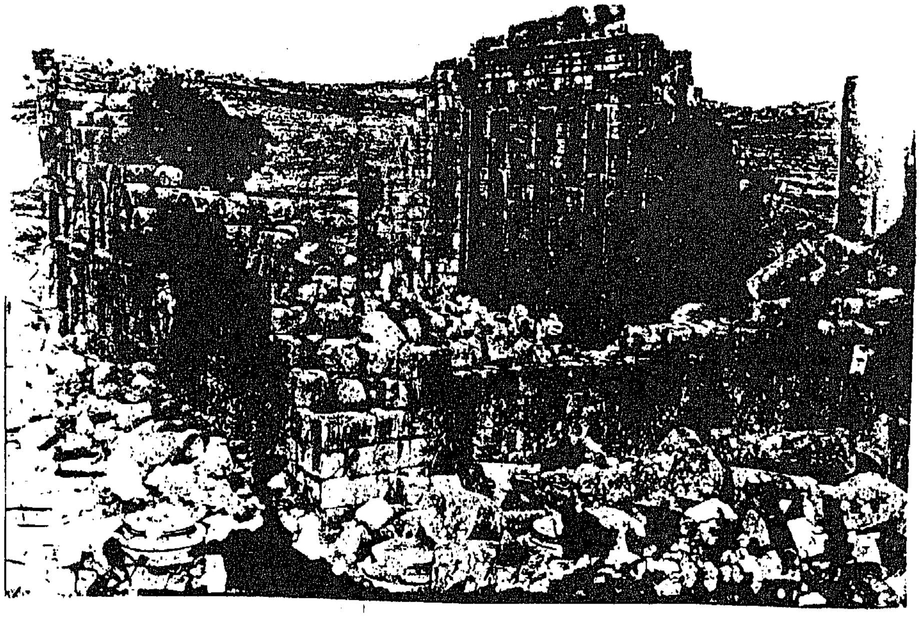
شكل ٢٥٠

شکل ۲۵۱

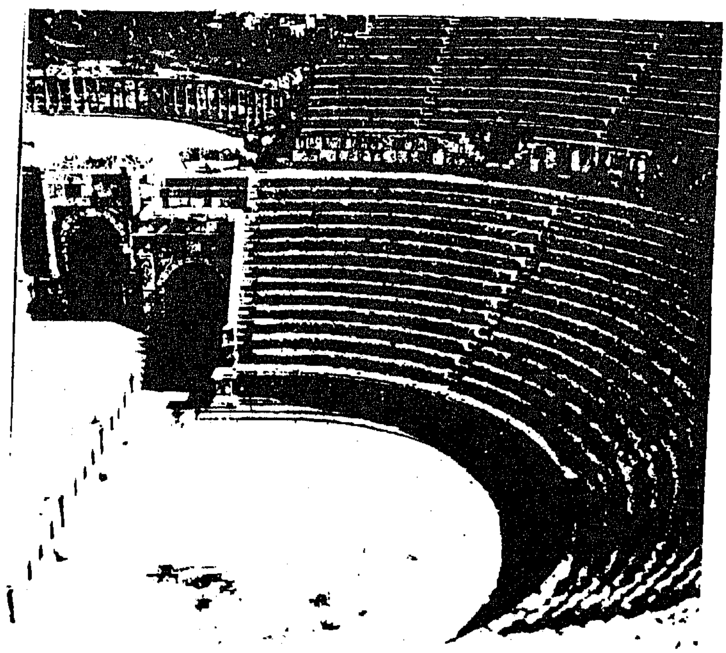




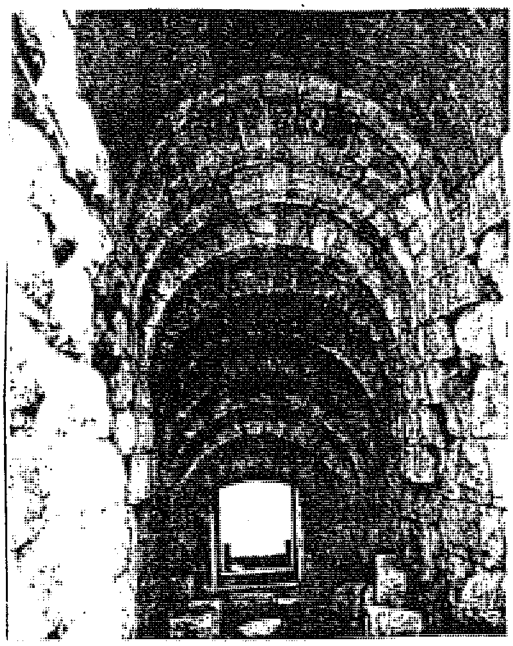
شکل ۲۵۲

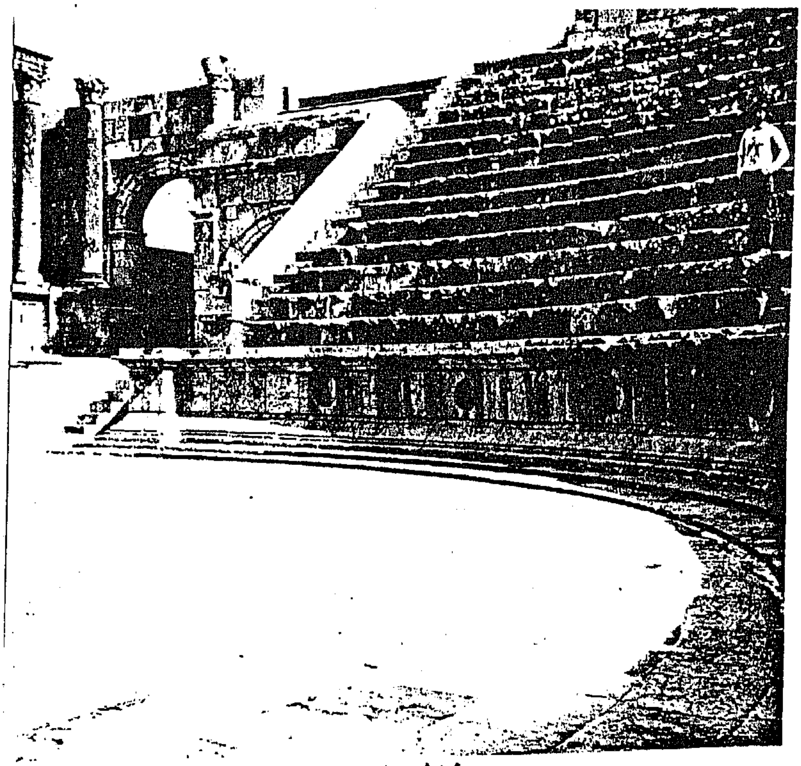


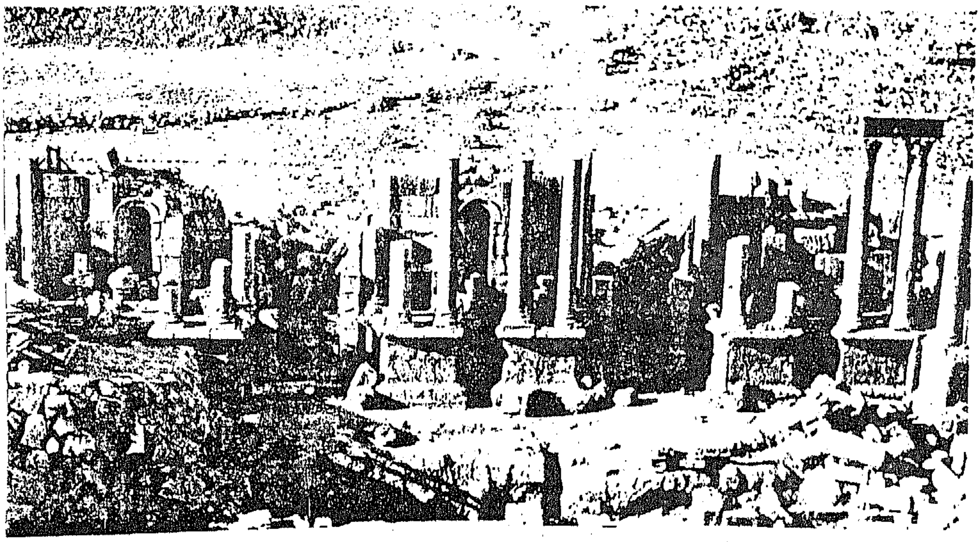
شكل ٢٥٣



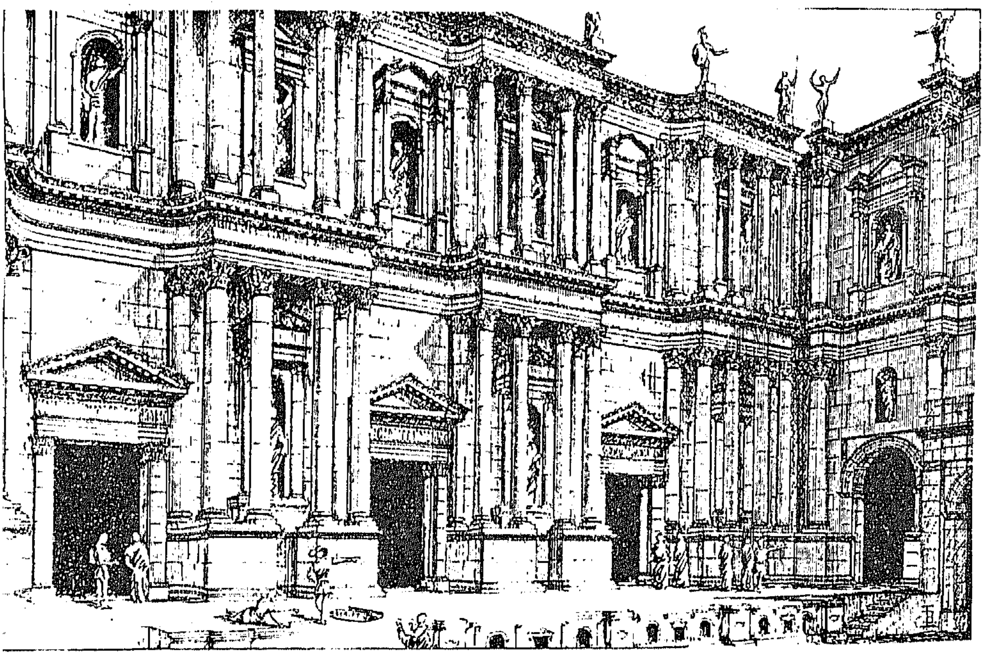
شكل ٢٥٤


شكل ٢٥٥

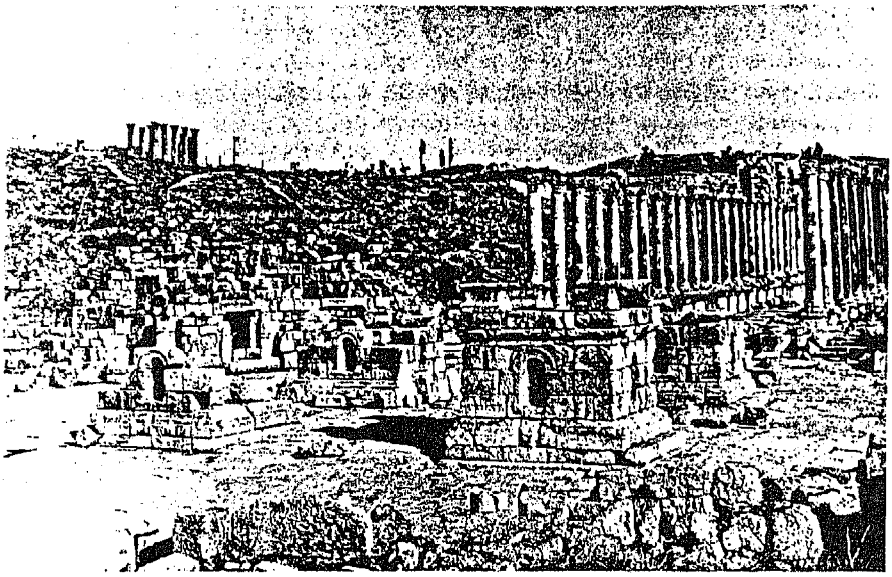

شكل ٢٥٦



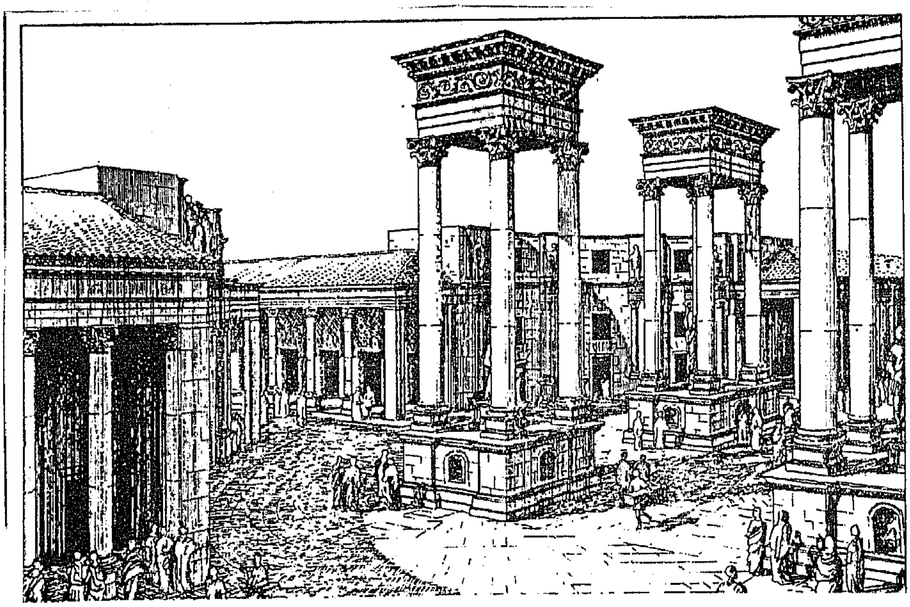
شكل ٢٥٧



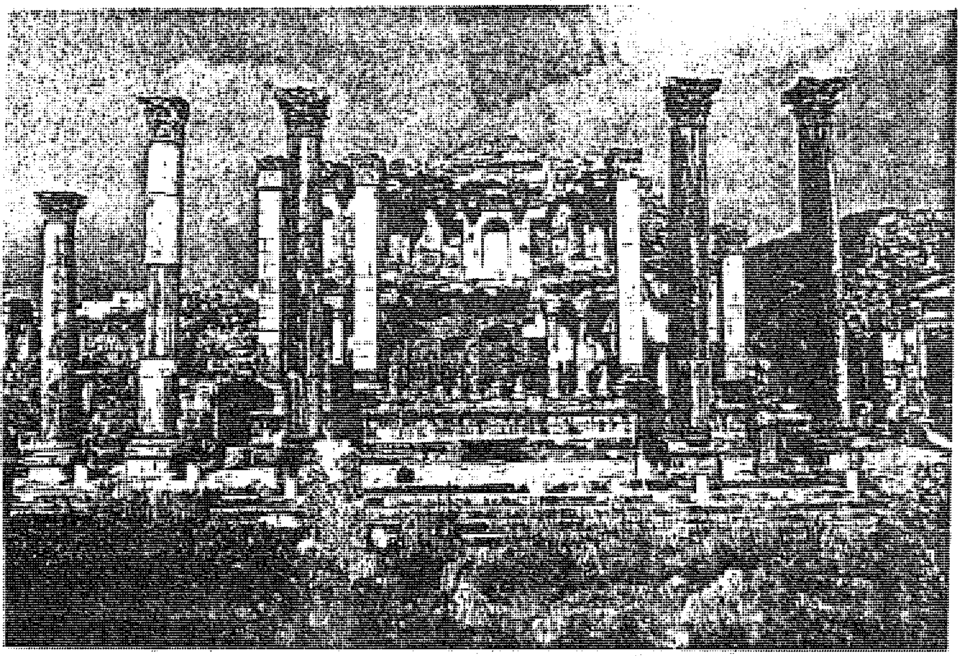
شكل ٢٥٨



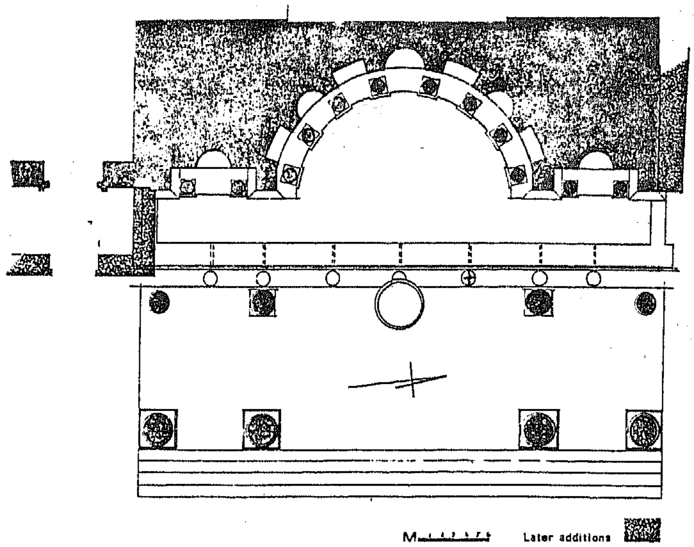
شكل ٢٥٩



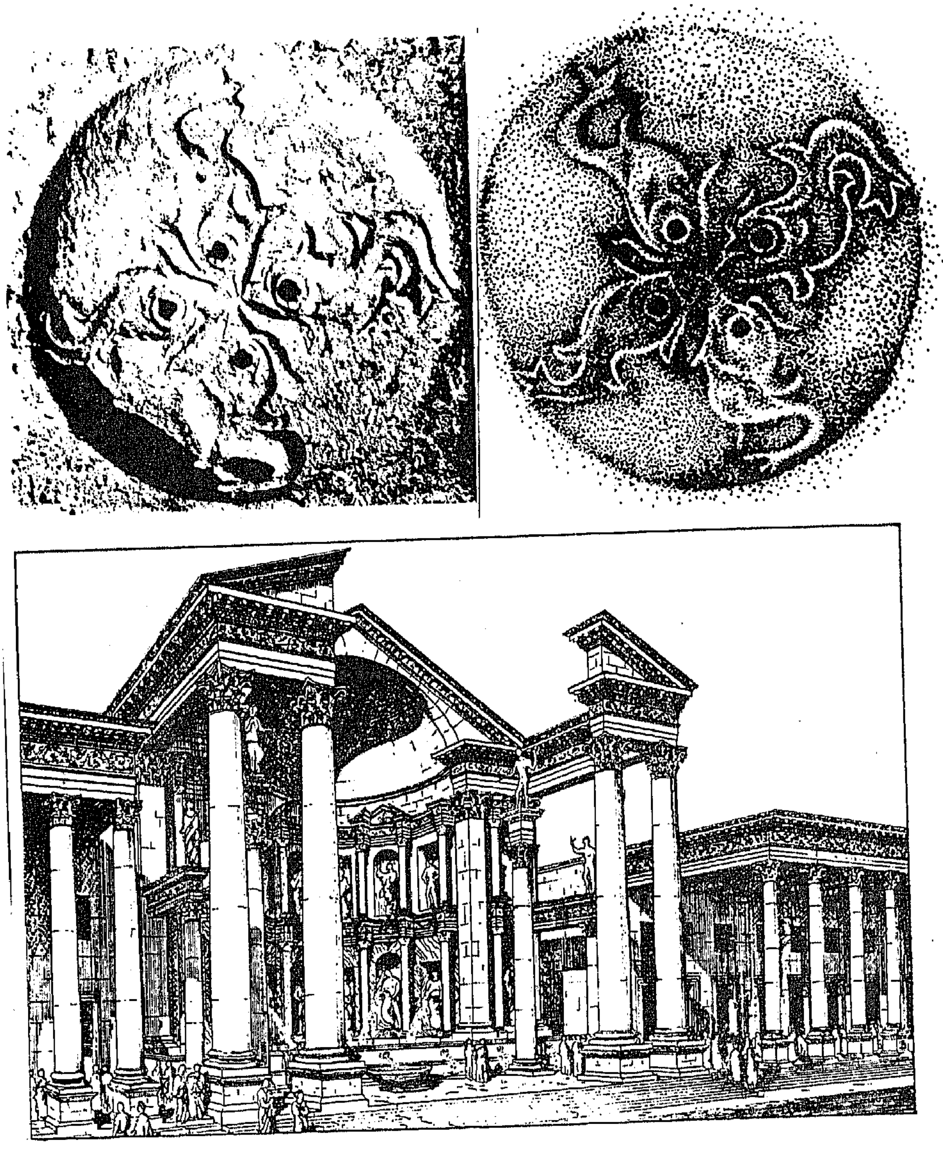
شكل ٢٦٠



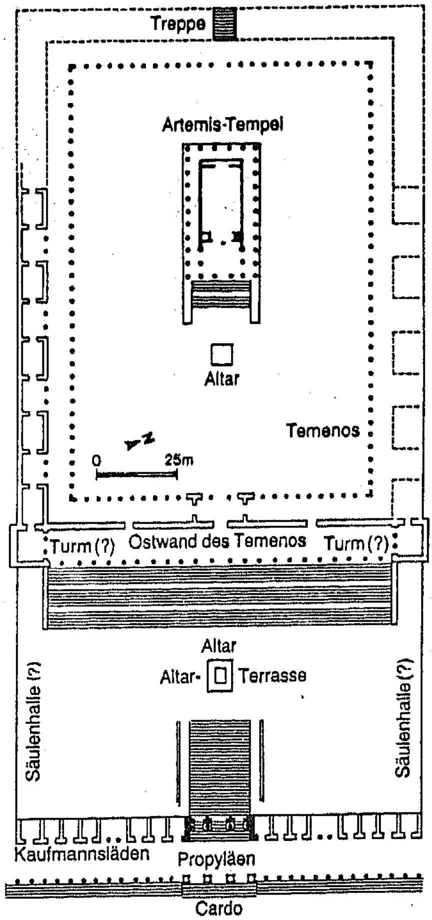
شكل ٢٦١



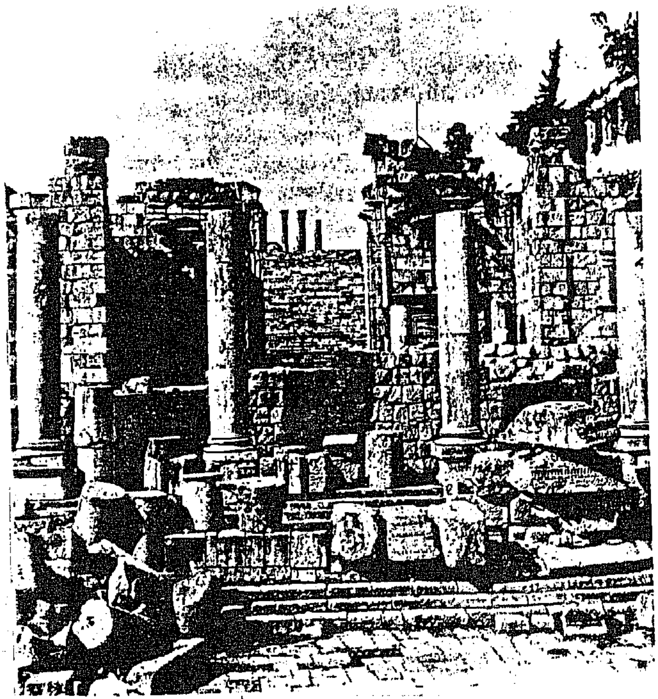
شكل ٢٦٢



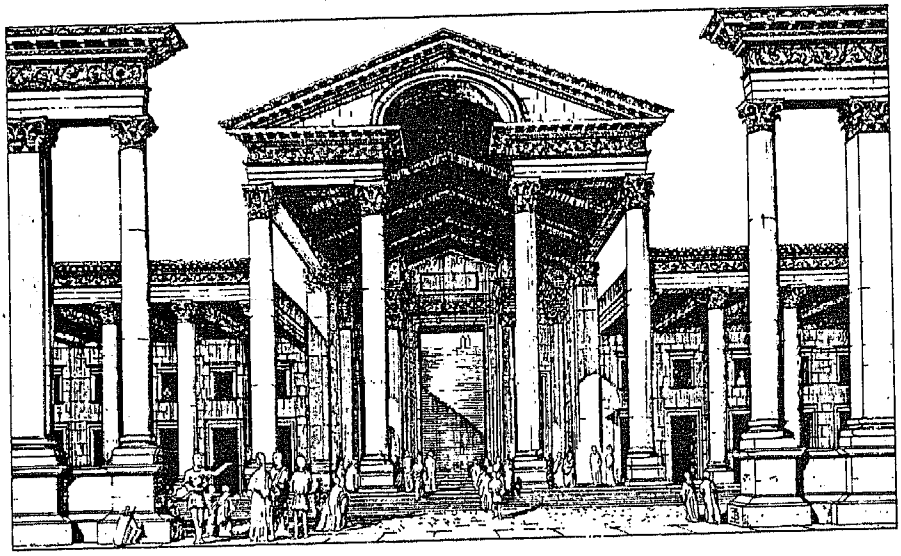
شكل ٢٦٣


Treppe
Artemis-Tempel
Altar
Temenos
0
25m
Turm (?)
Ostwand des Temenos
Turm (?)
Altar
Altar-
Terrasse
Säulenhalle (?)
Säulenhalle (?)
Kaufmannsläden
Propyläen
Cardo

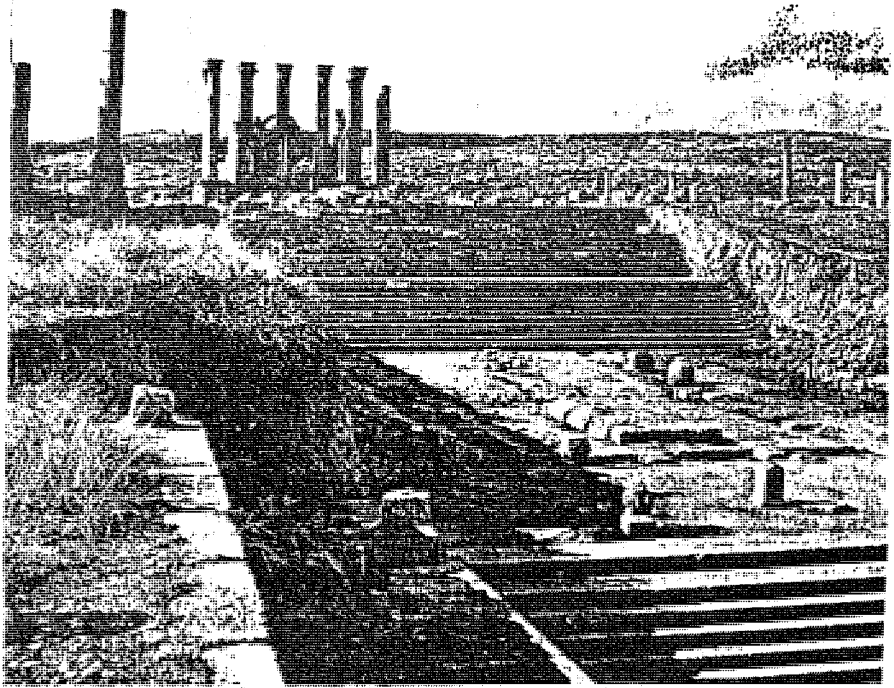
شكل ٢٦٤



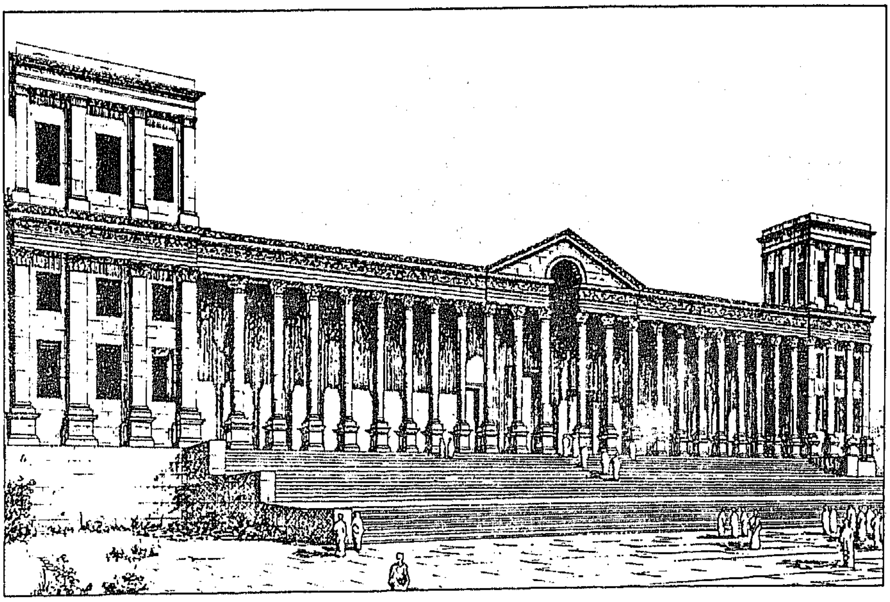
شكل ٢٦٥



شكل ٢٦٦



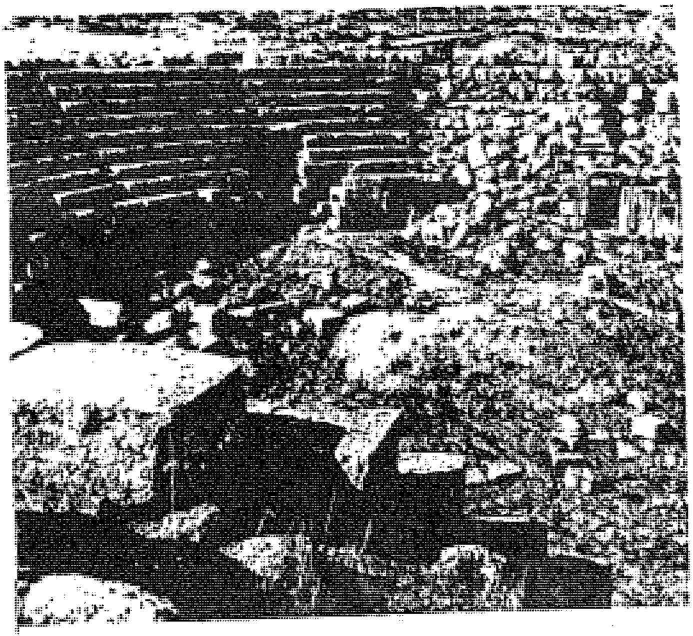
شكل ٢٦٧



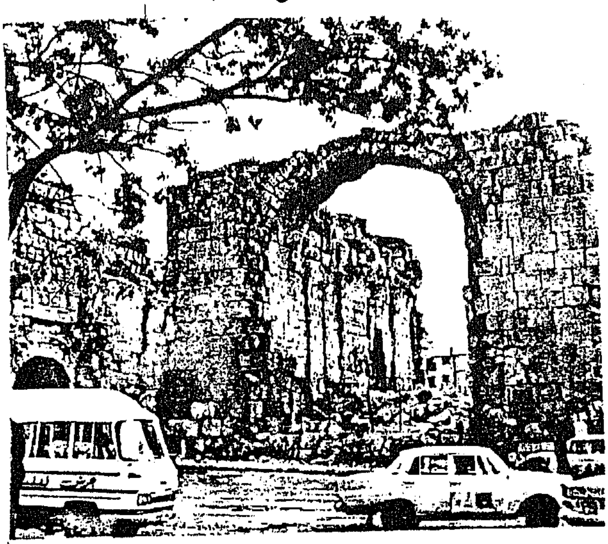
شكل ٢٦٨



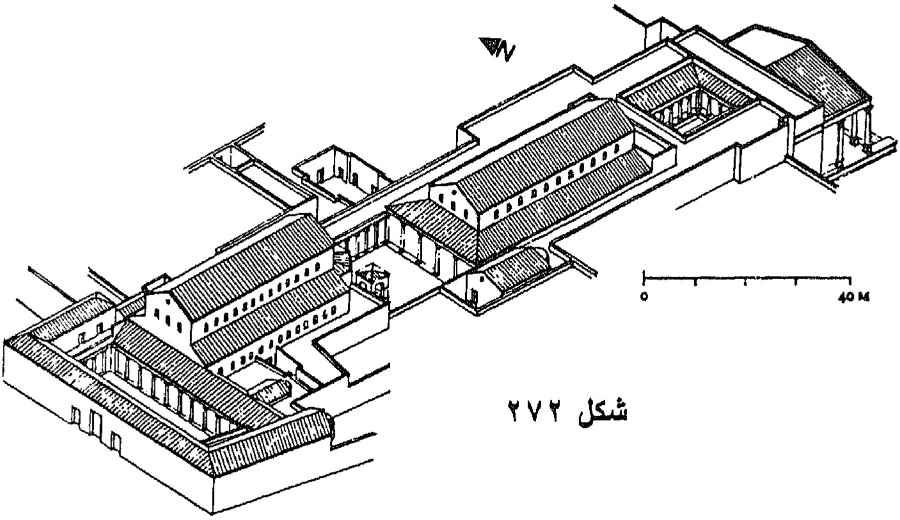
شكل ٢٦٩



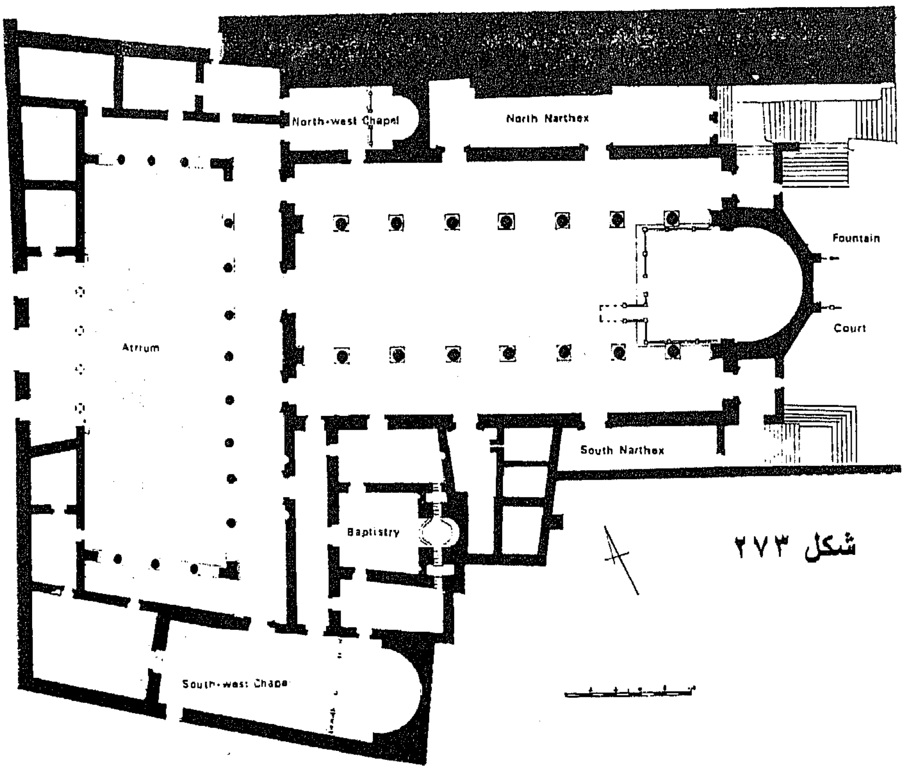
شكل ٢٧٠



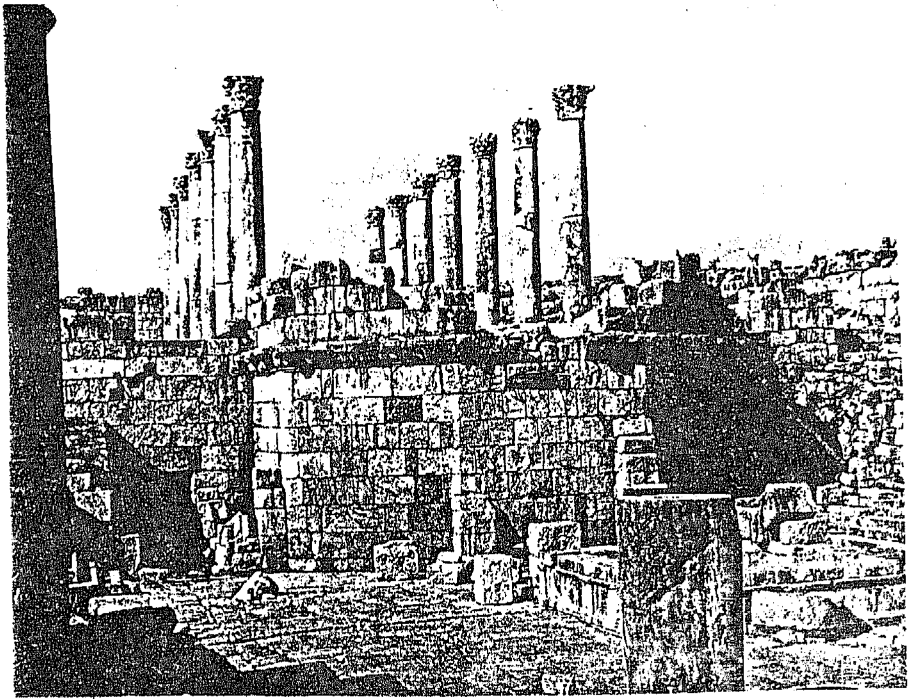
شكل ٢٧١



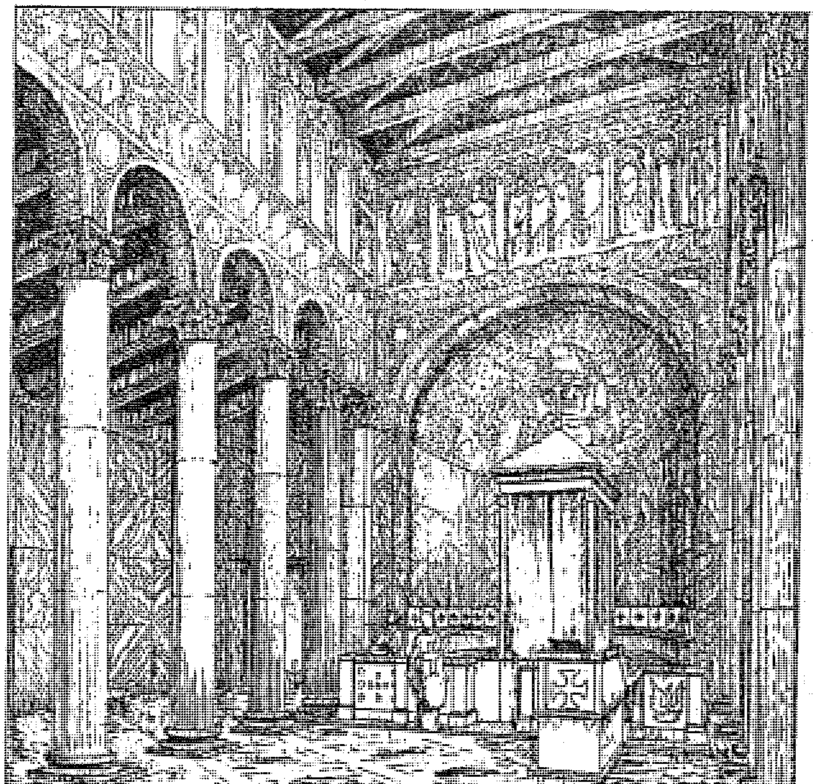
شكل ٢٧٢



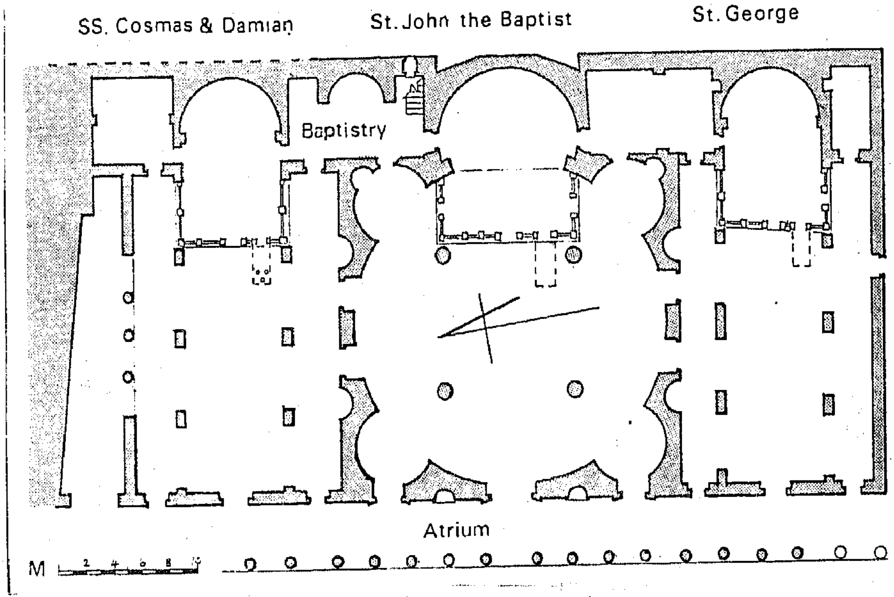
شكل ٢٧٣



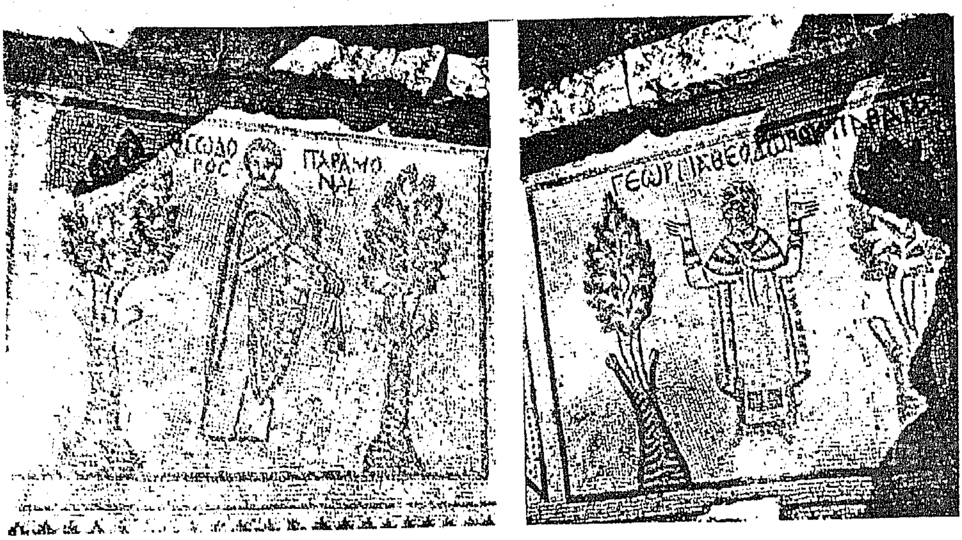
شكل ٢٧٤



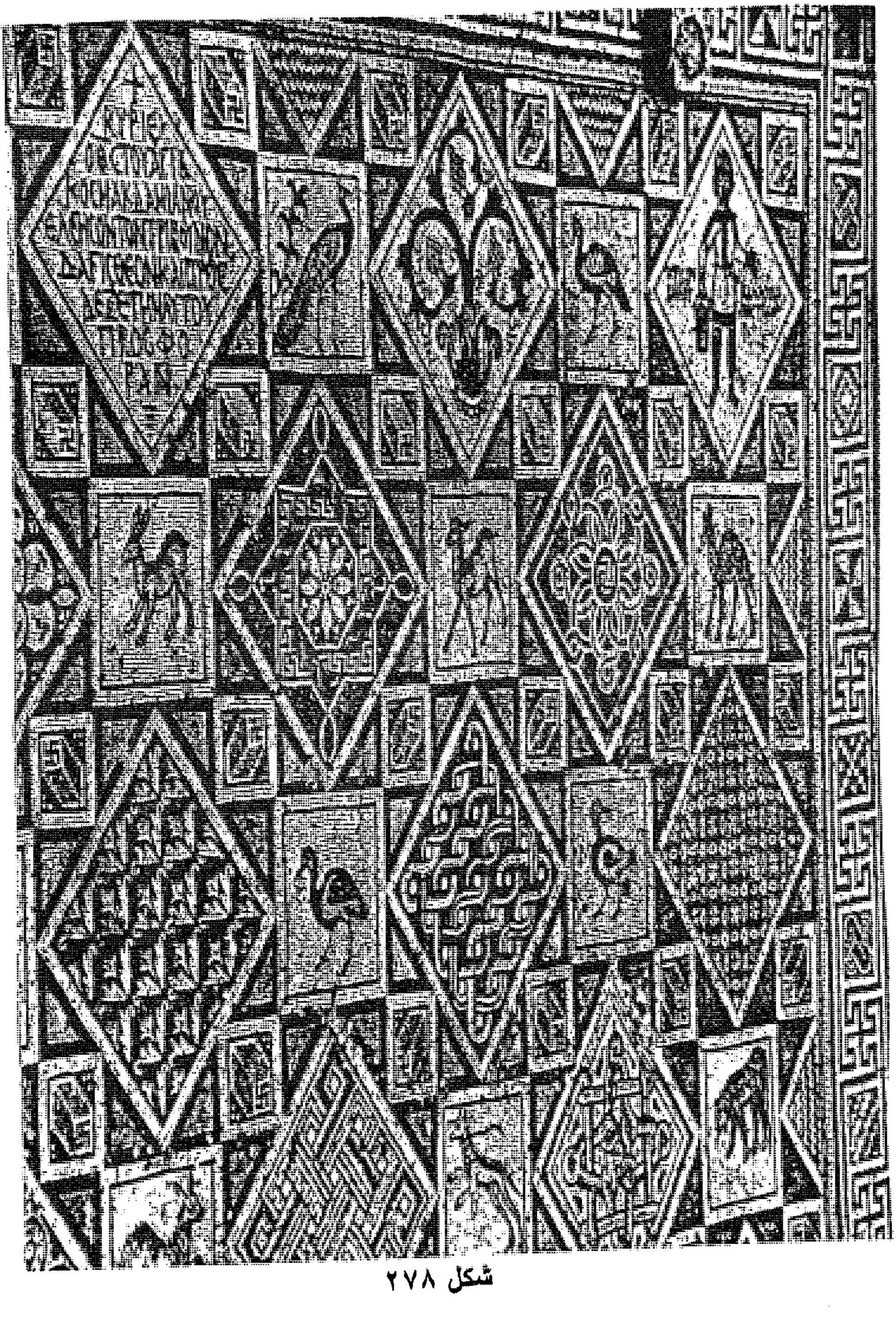
شكل ٢٧٥



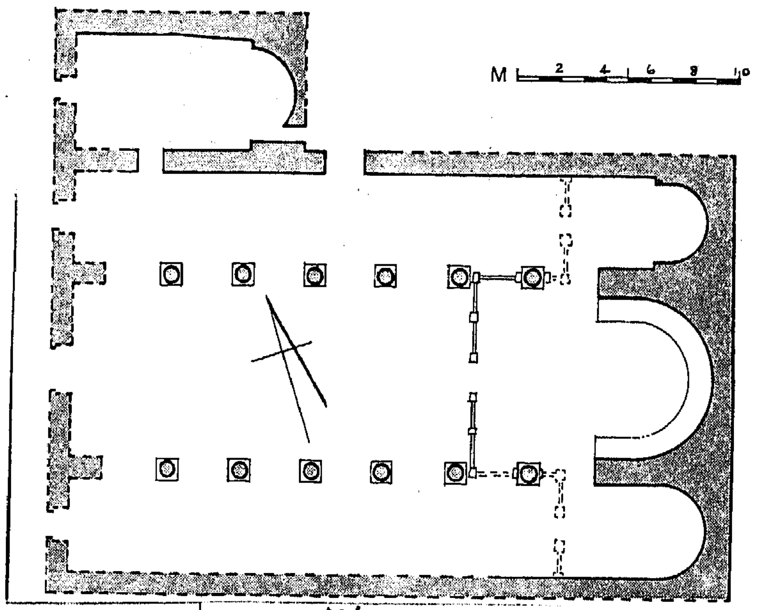
شكل ٢٧٦



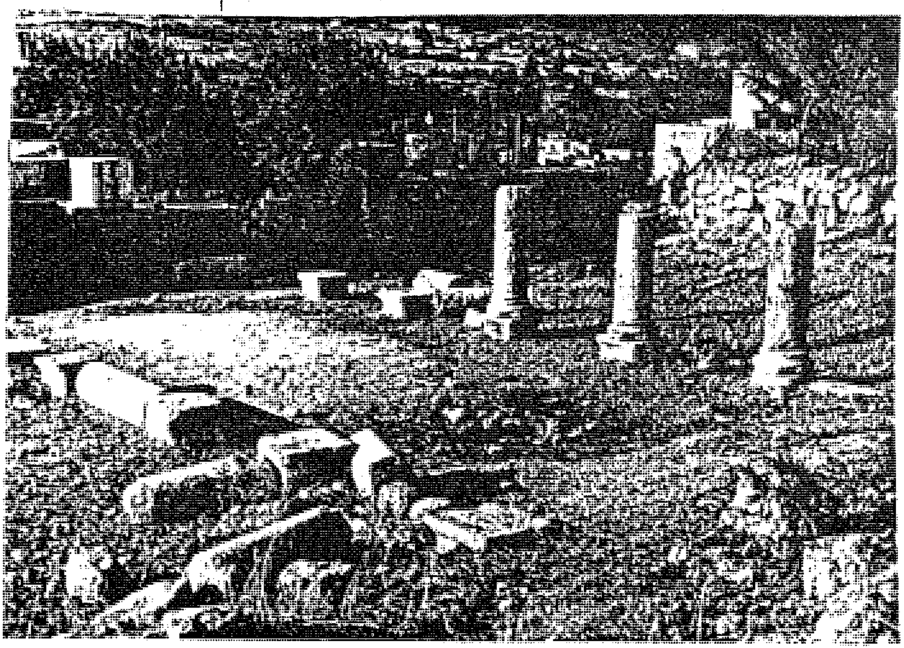
شكل ٢٧٧



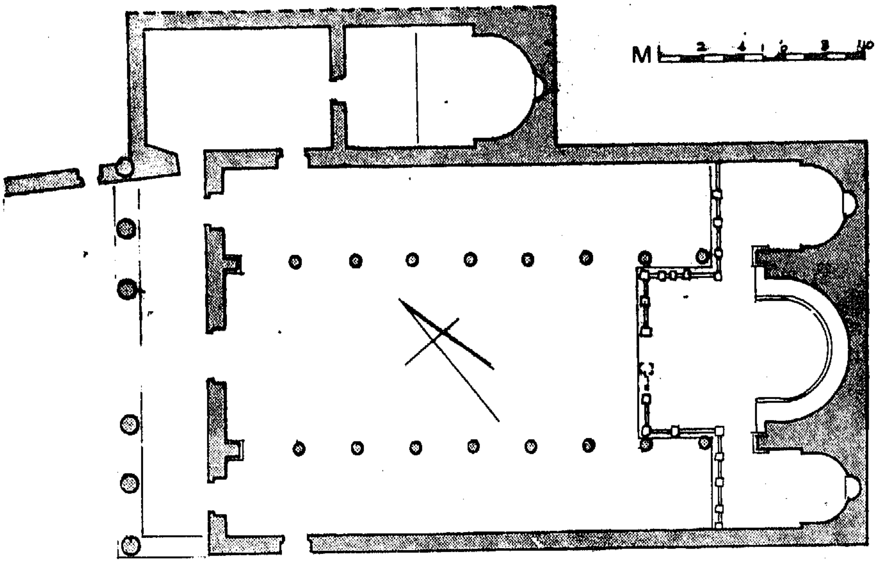
شكل ٢٧٨



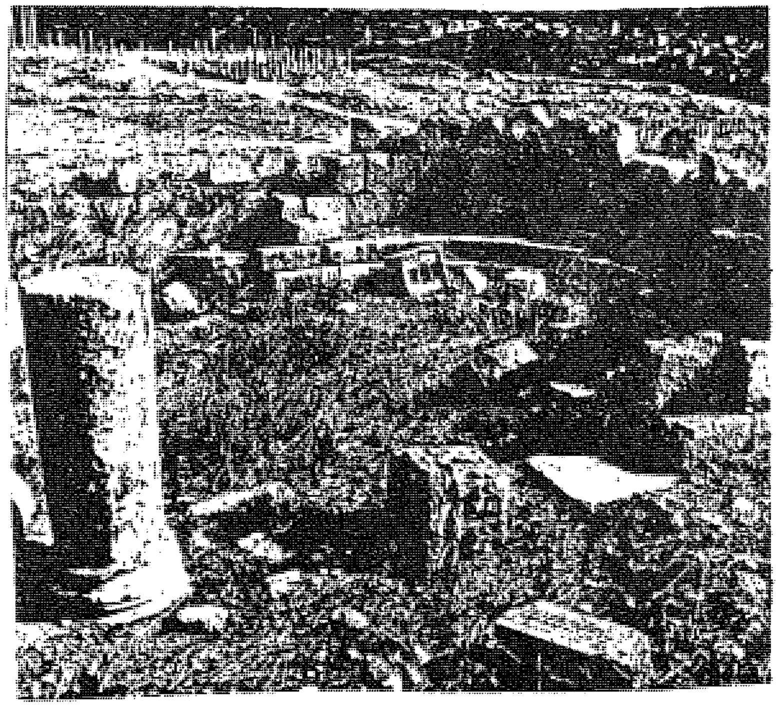
شكل ٢٧٩



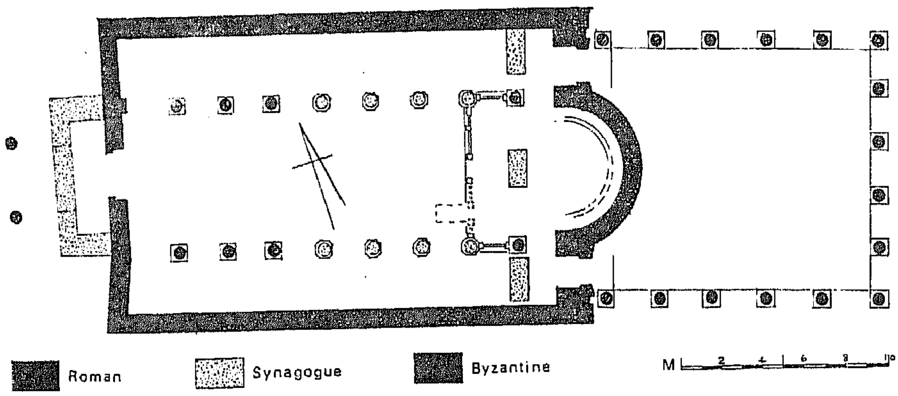
شكل ٢٨٠



شكل ٢٨١

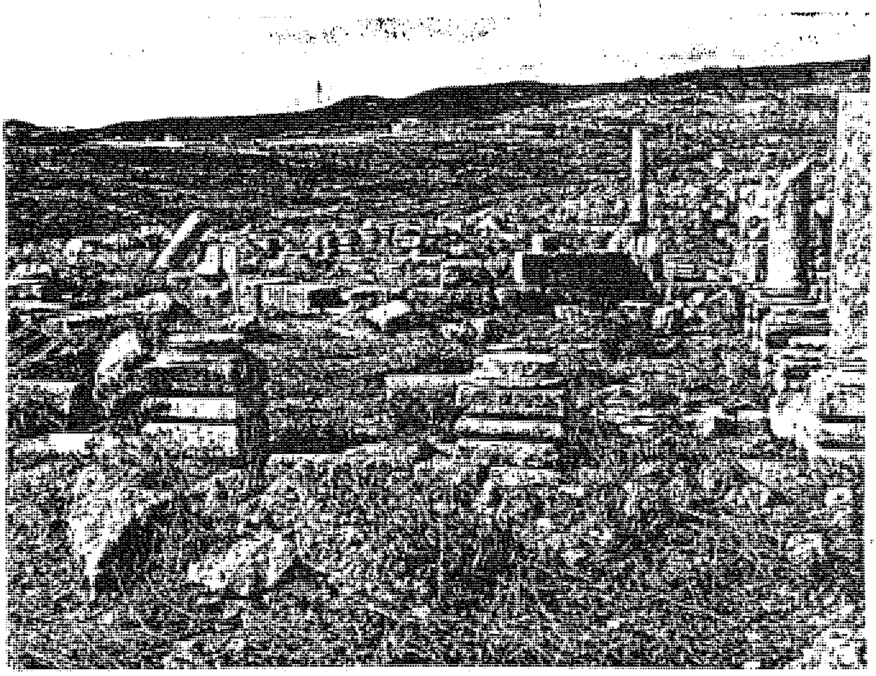


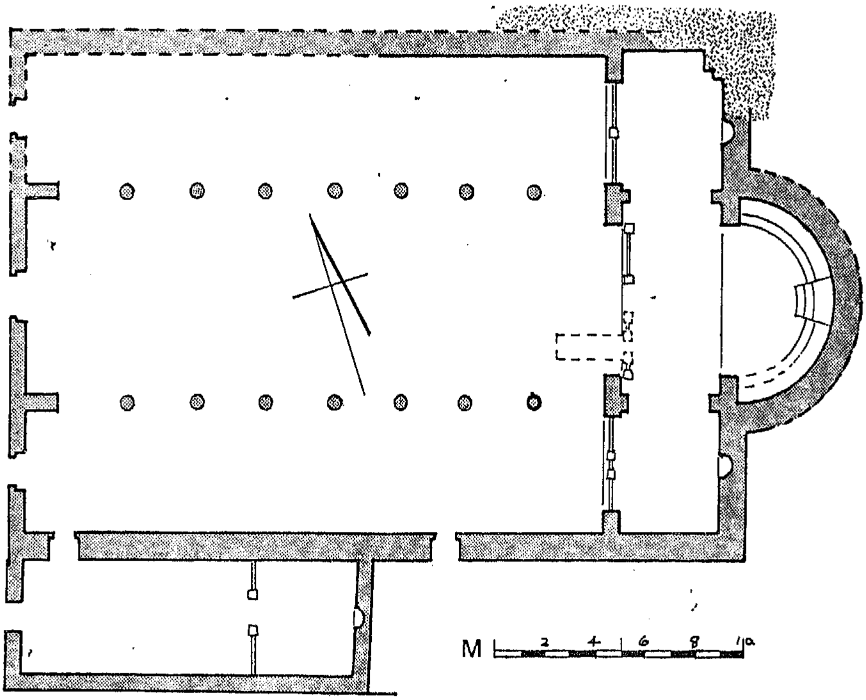
شكل ٢٨٢



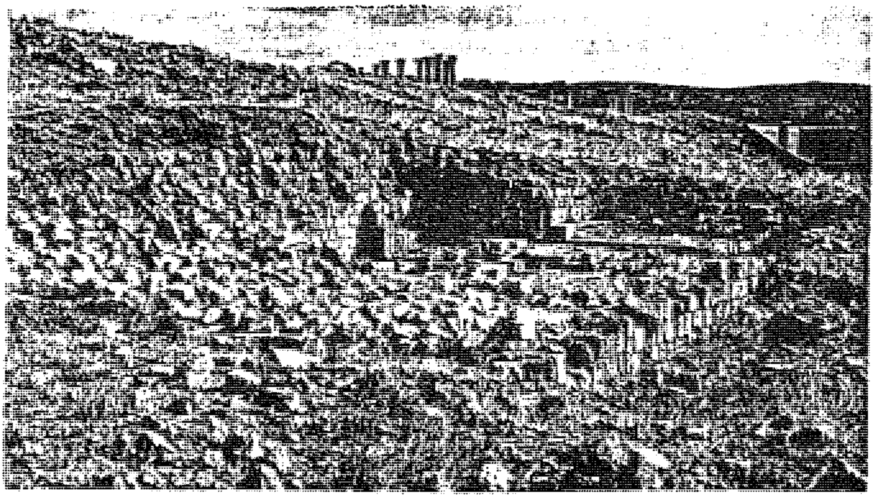
شكل ٢٨٣

شكل ٢٨٤

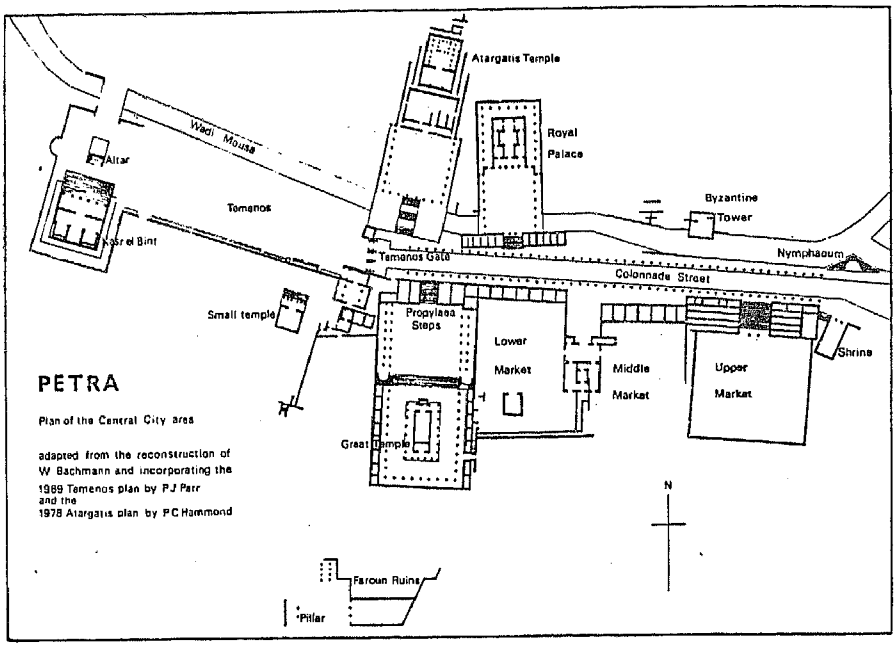




شكل ٢٨٥

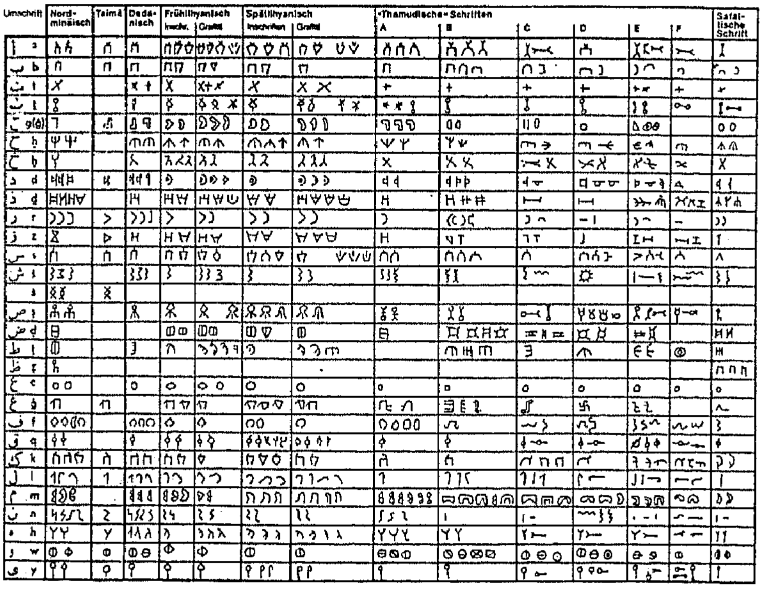


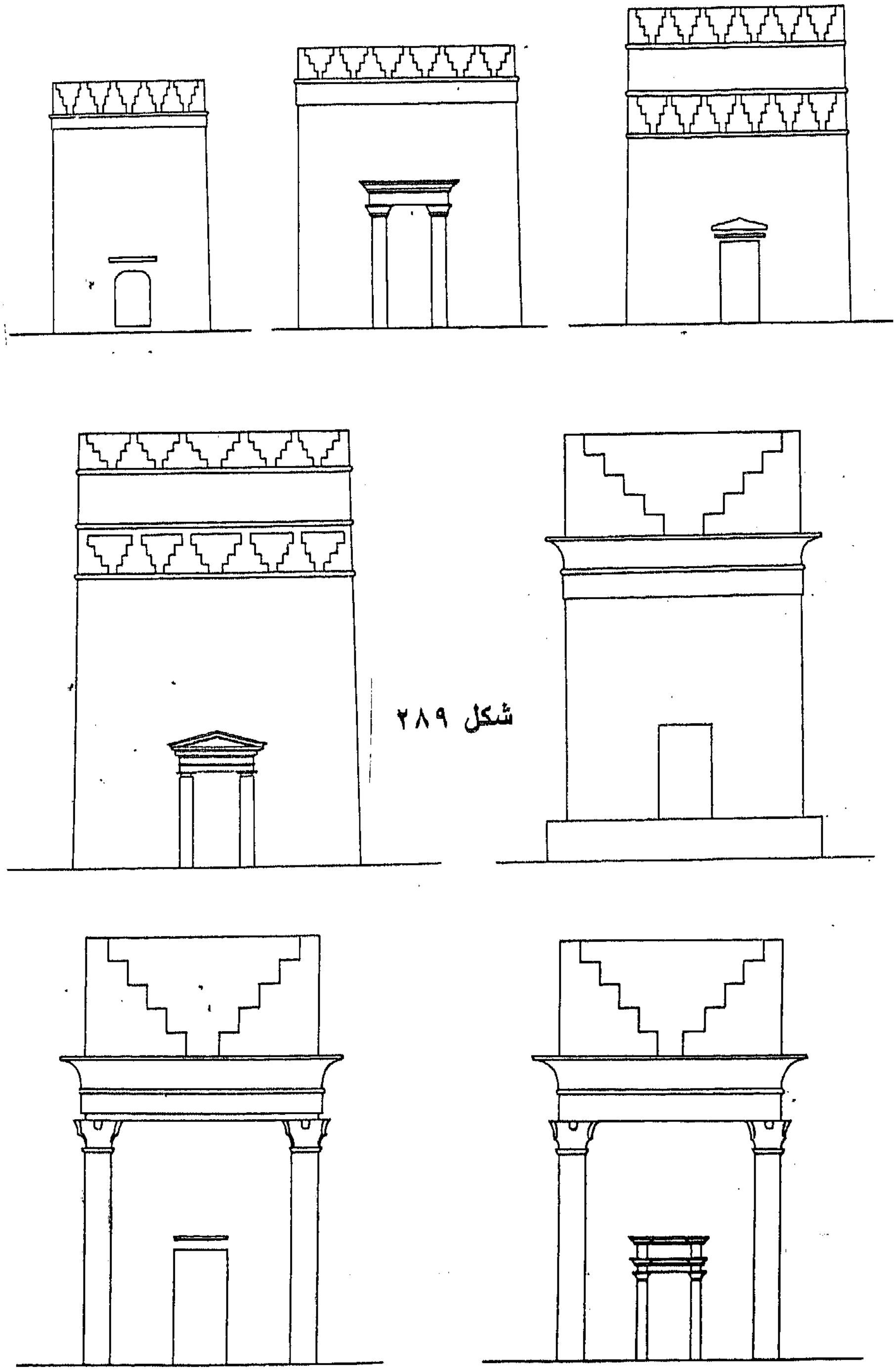
شكل ٢٨٦



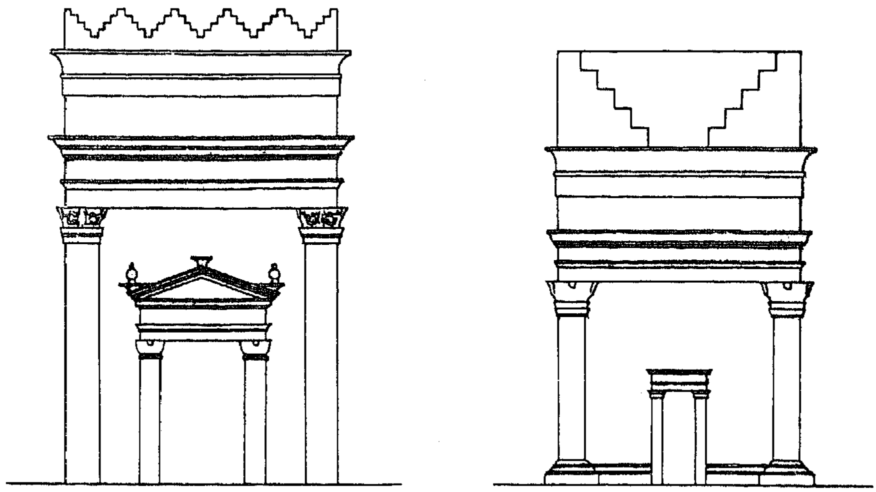
شکل ۲۸۷

شکل ۲۸۸

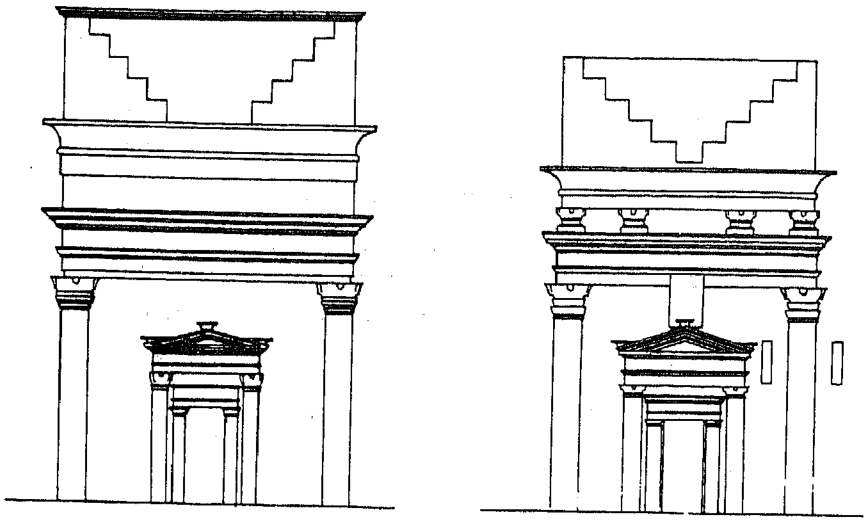


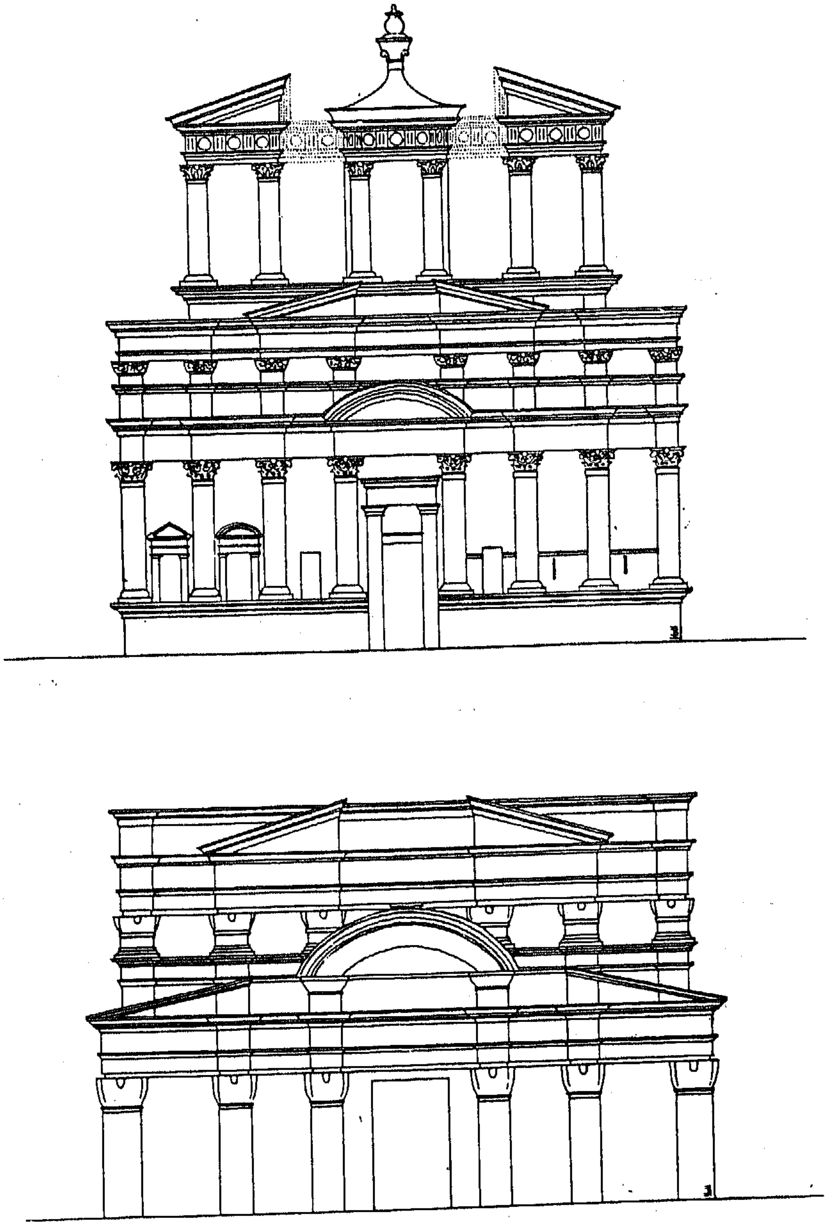


شكل ٢٨٩

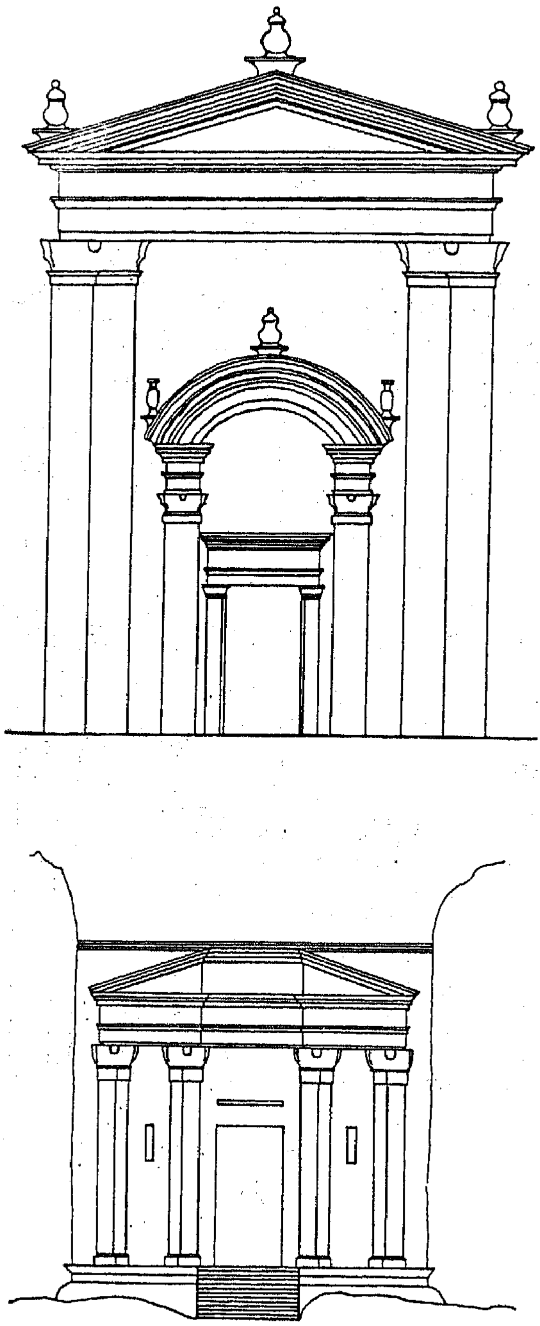


شكل ٢٩٠

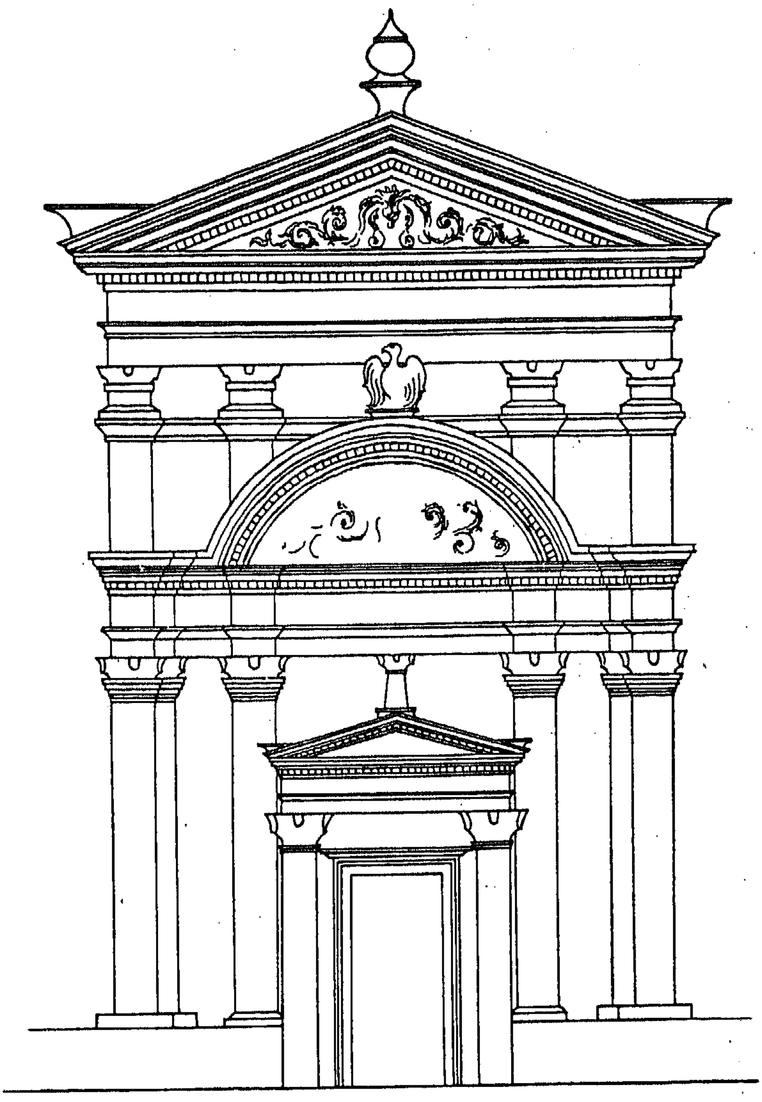




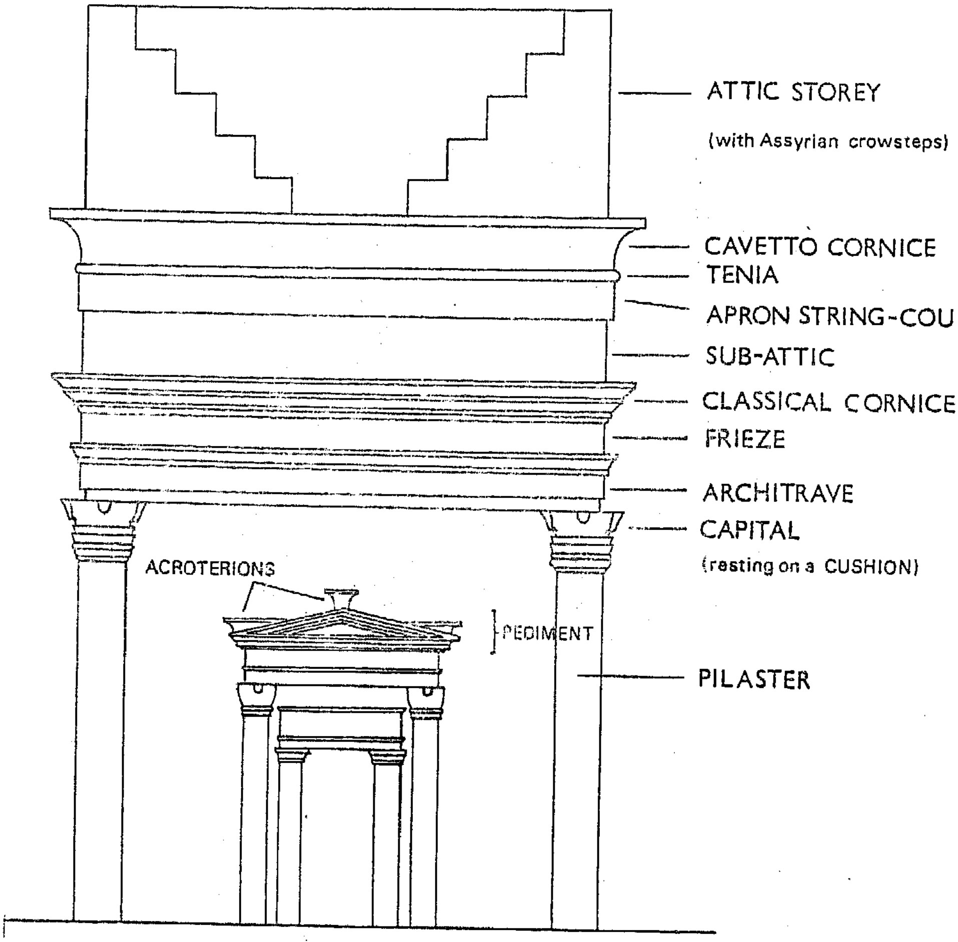
شکل ۲۹۱



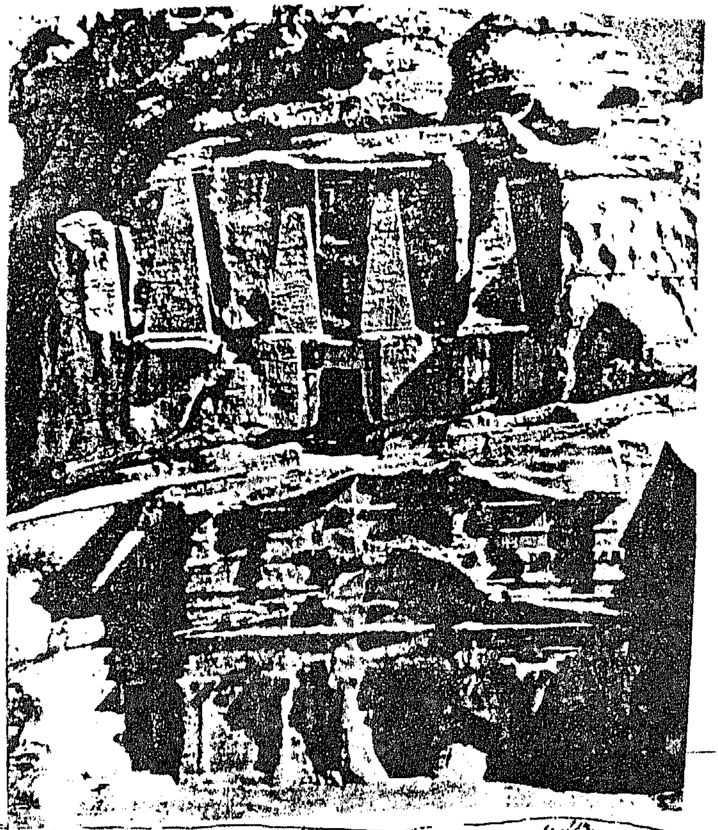
شكل ٢٩٢



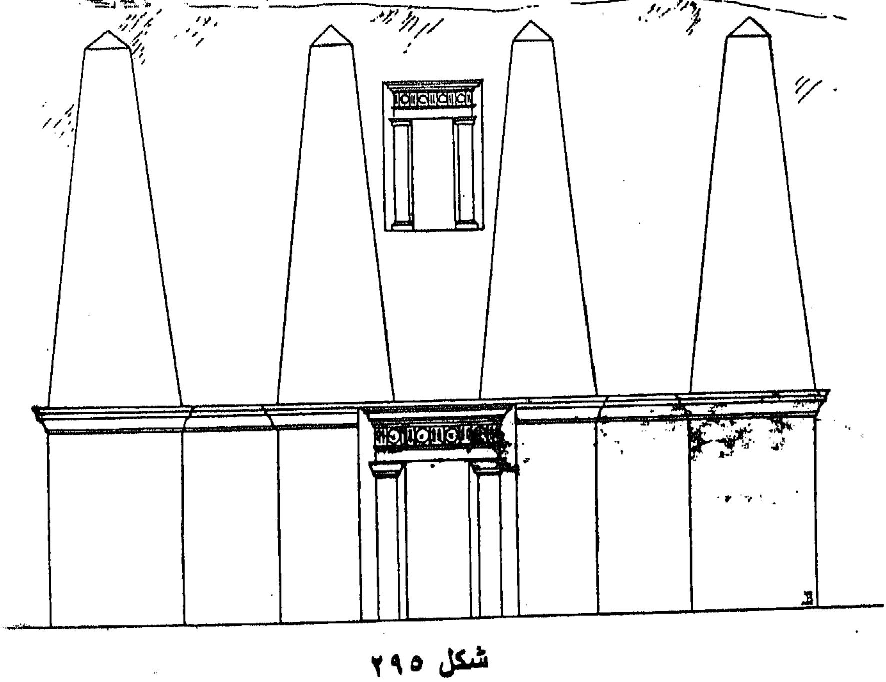
شکل ۲۹۳


ATTIC STOREY
(with Assyrian crowsteps)
CAVETTO CORNICE
TENIA
APRON STRING-COU
SUB-ATTIC
CLASSICAL CORNICE
FRIEZE
ARCHITRAVE
CAPITAL
(resting on a CUSHION)
ACROTERIONS
PEDIMENT
PILASTER

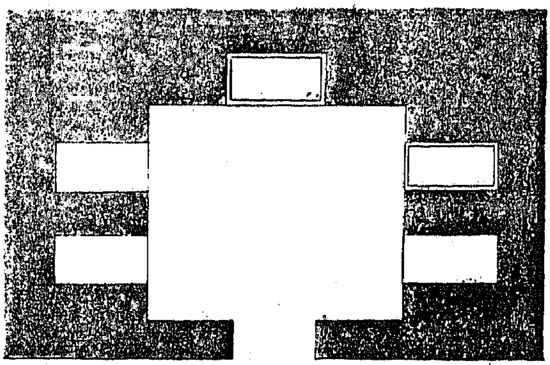
شكل ٢٩٤



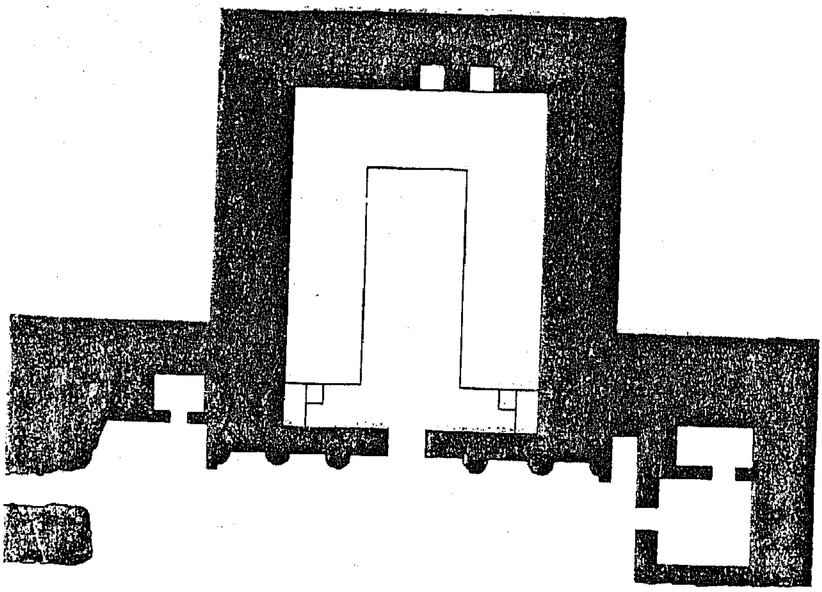
شكل ٢٩٦



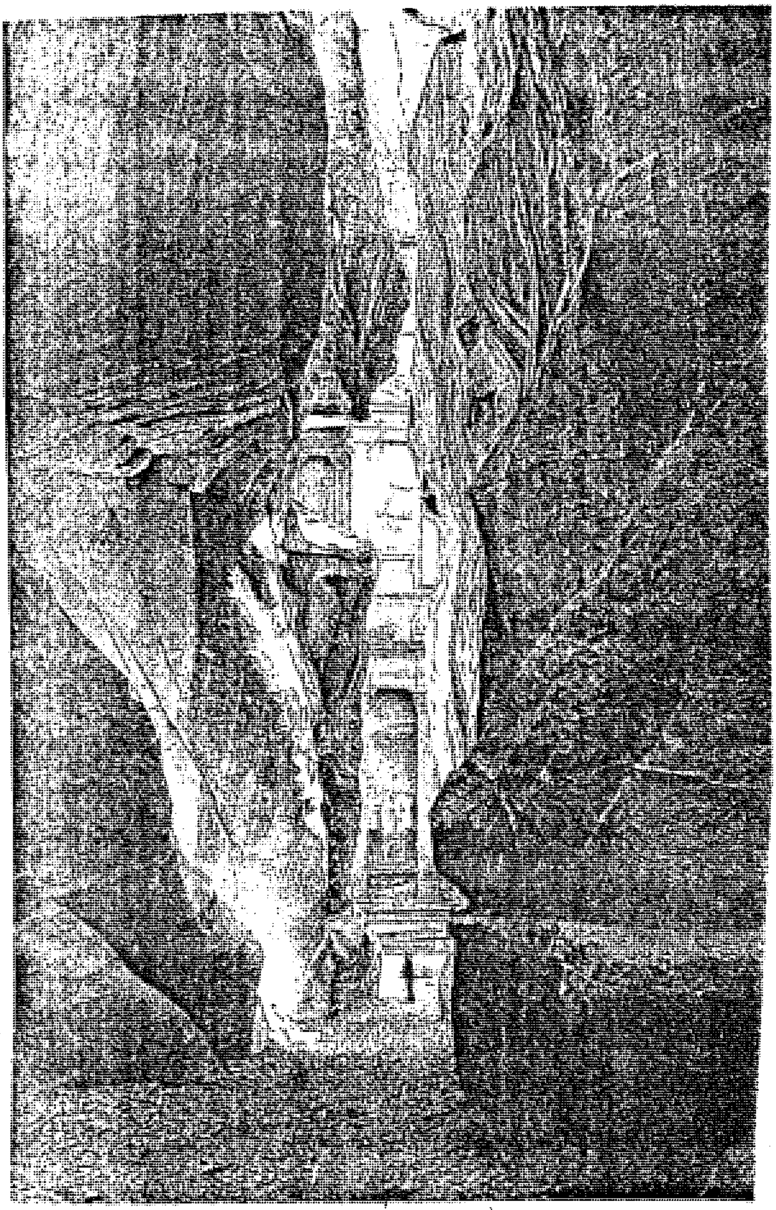
شكل ٢٩٥



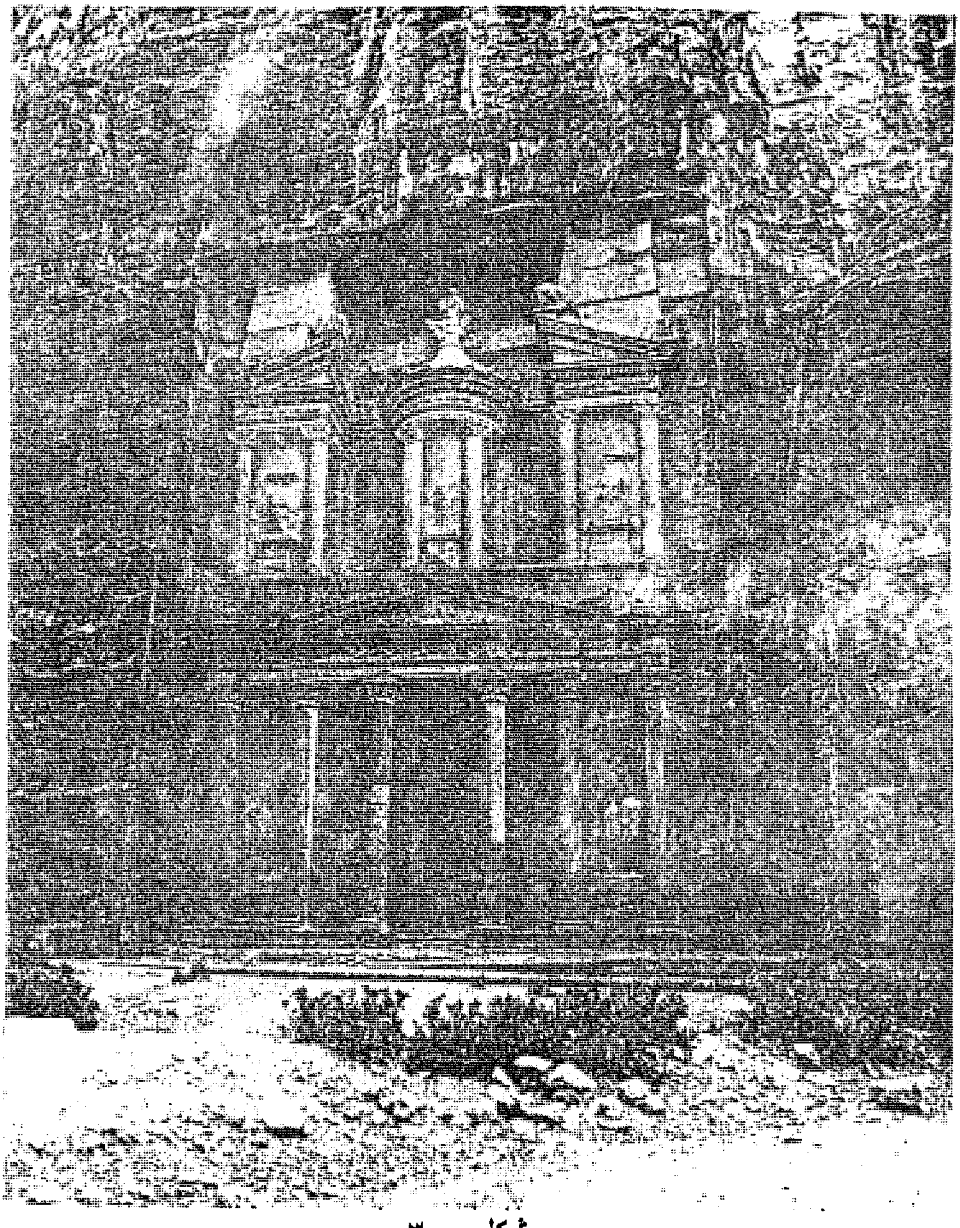
شكل ٢٩٧



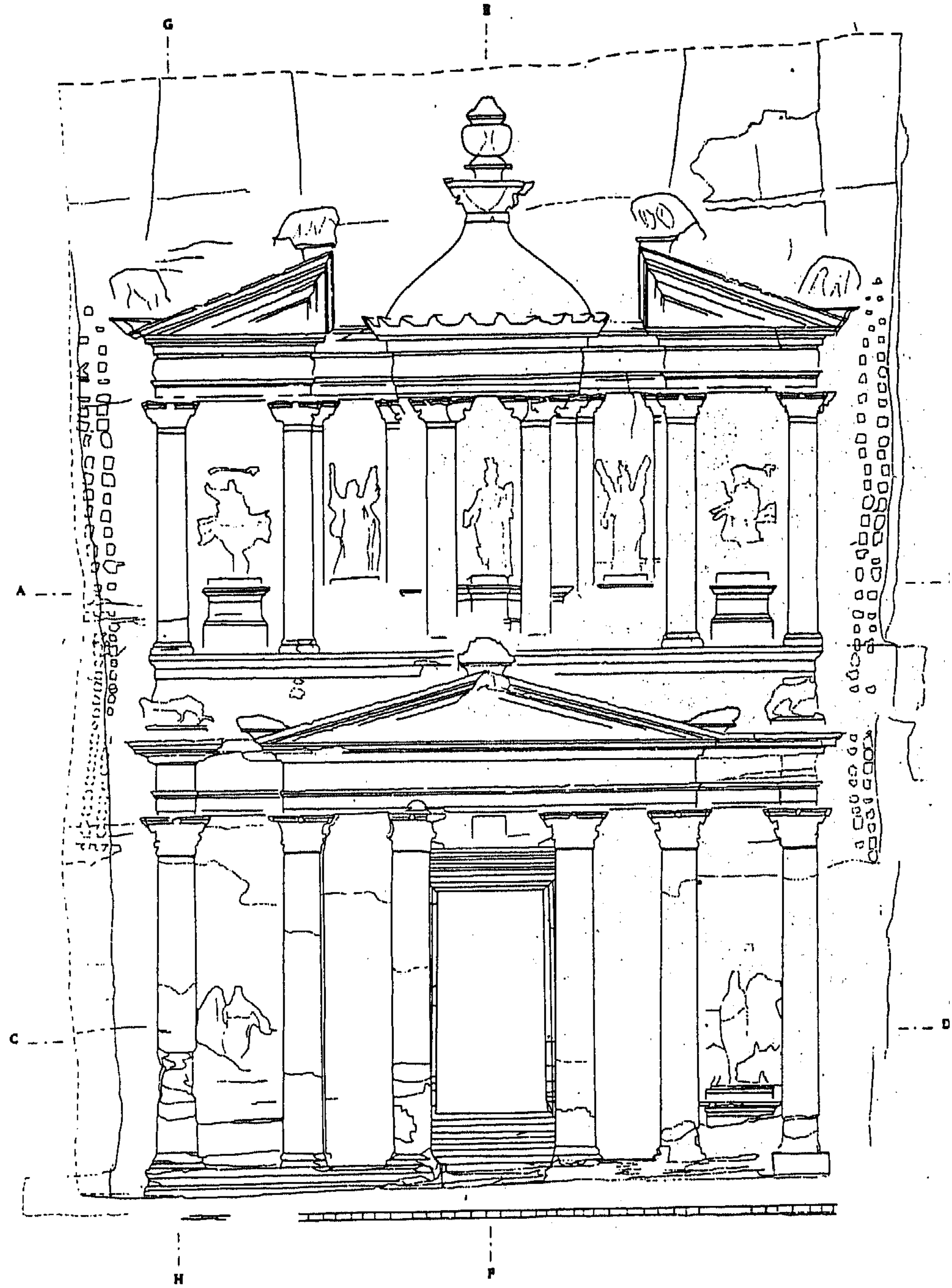
شكل ٢٩٨



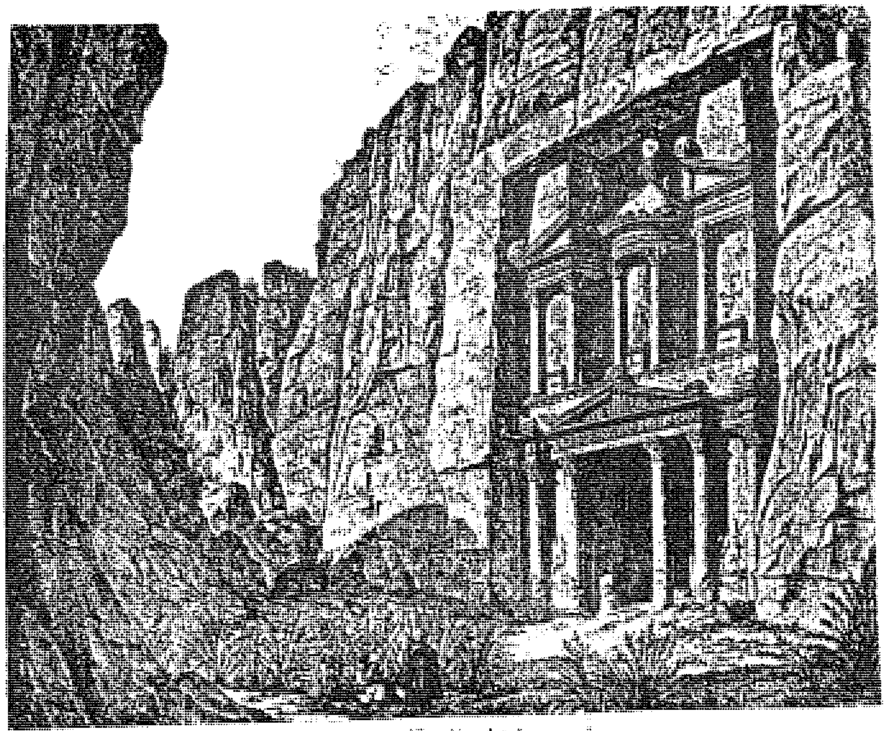
شكل ٢٩٩



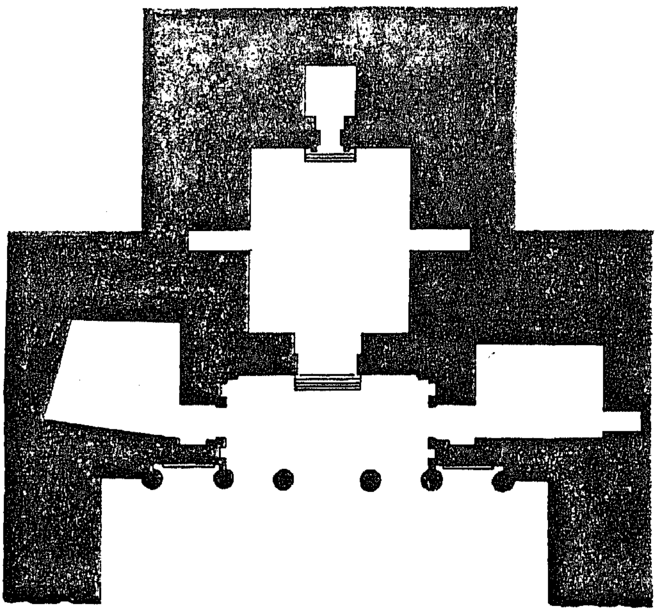
شكل ٣٠٠



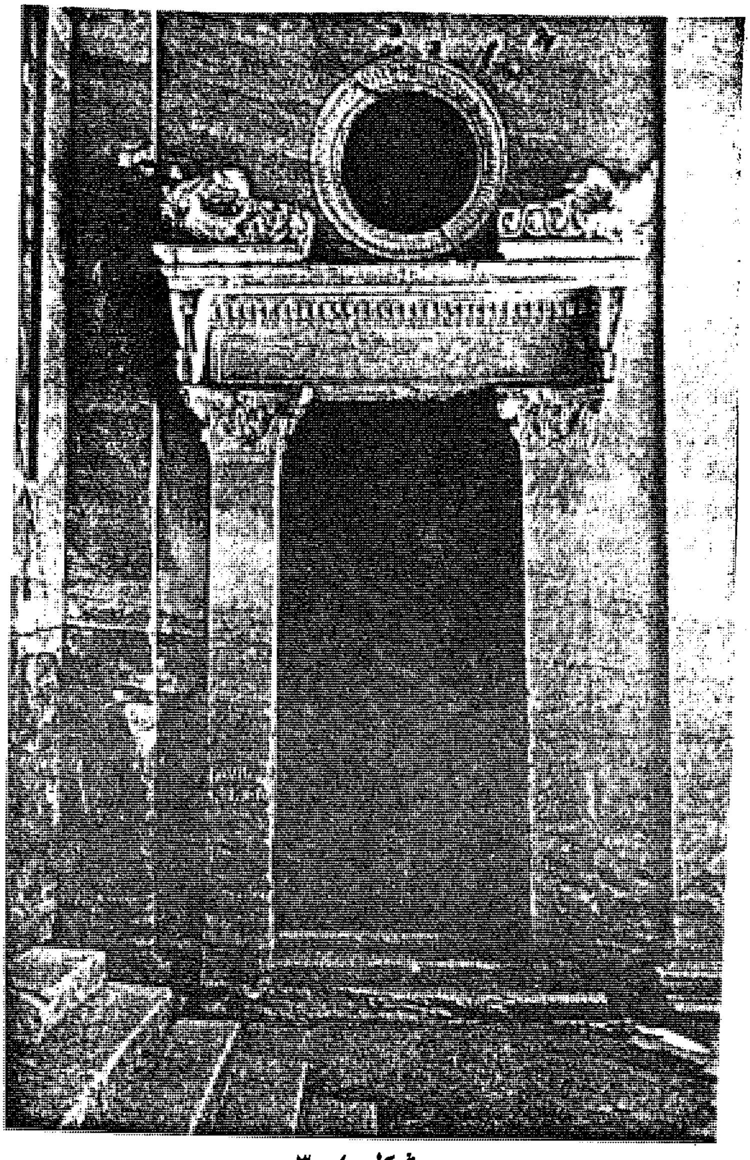
شكل ٣٠١



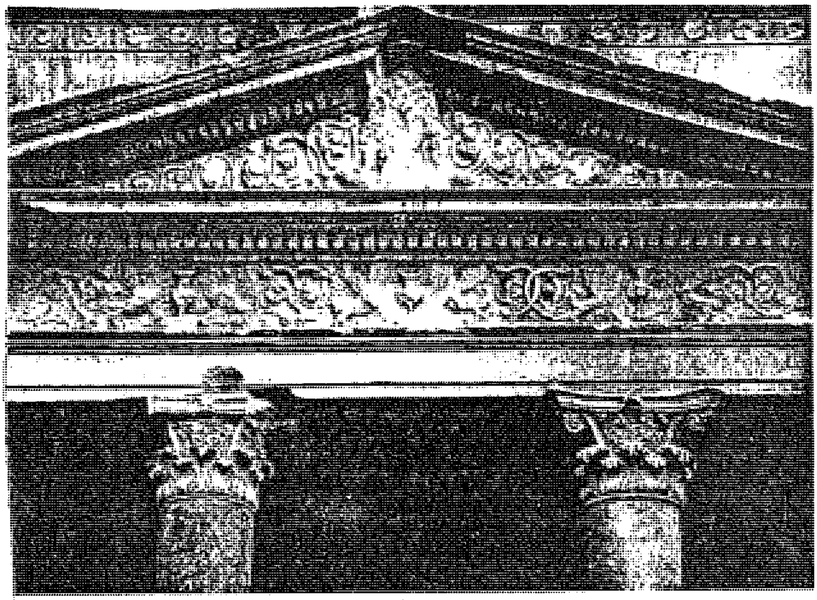
شكل ٣٠٢



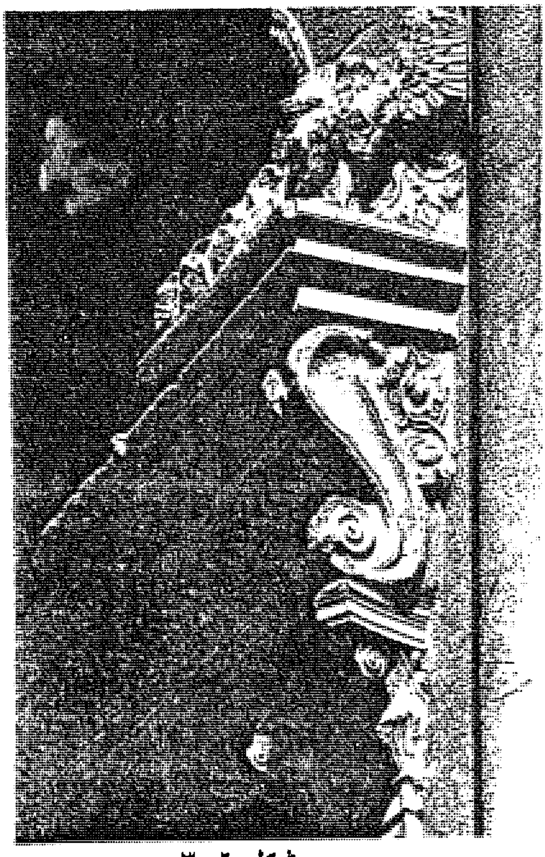
شكل ٣٠٣



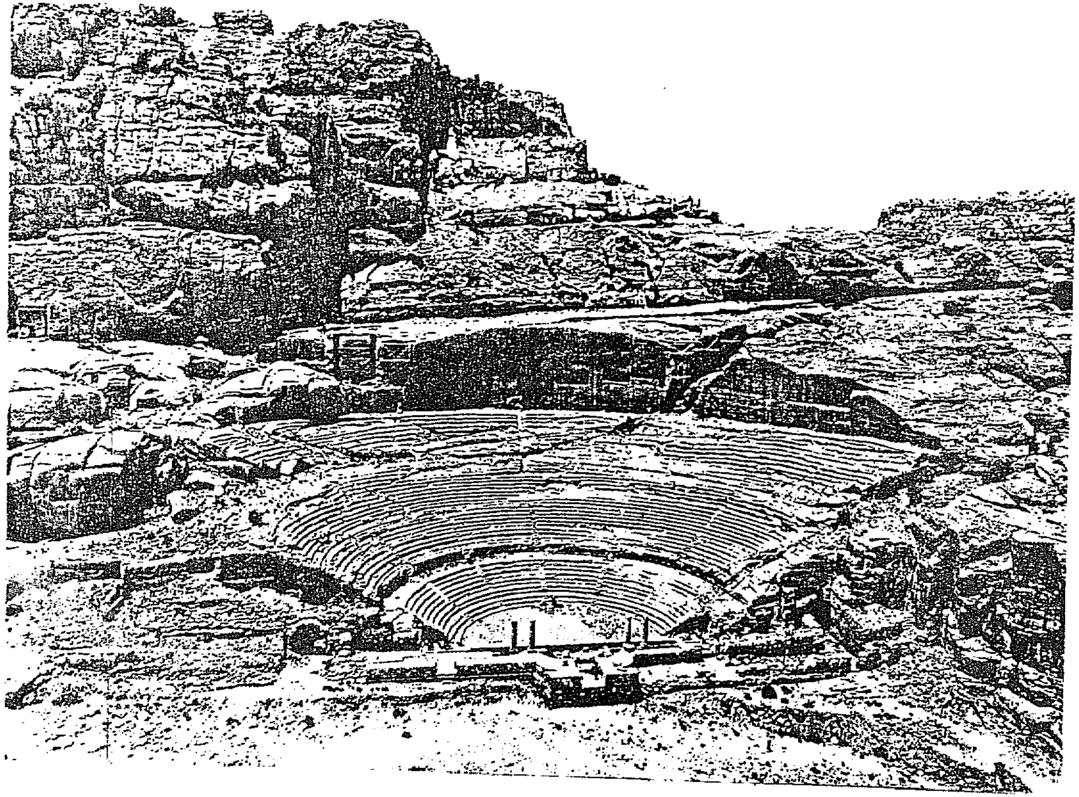
شكل ٣٠٤



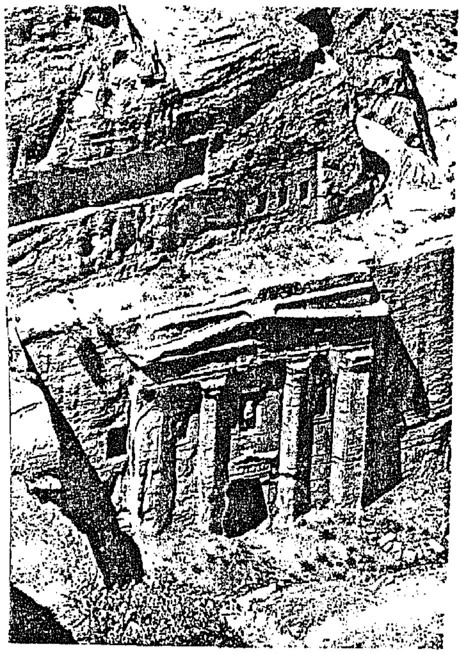
شكل ٣٠٥



شكل ٣٠٦

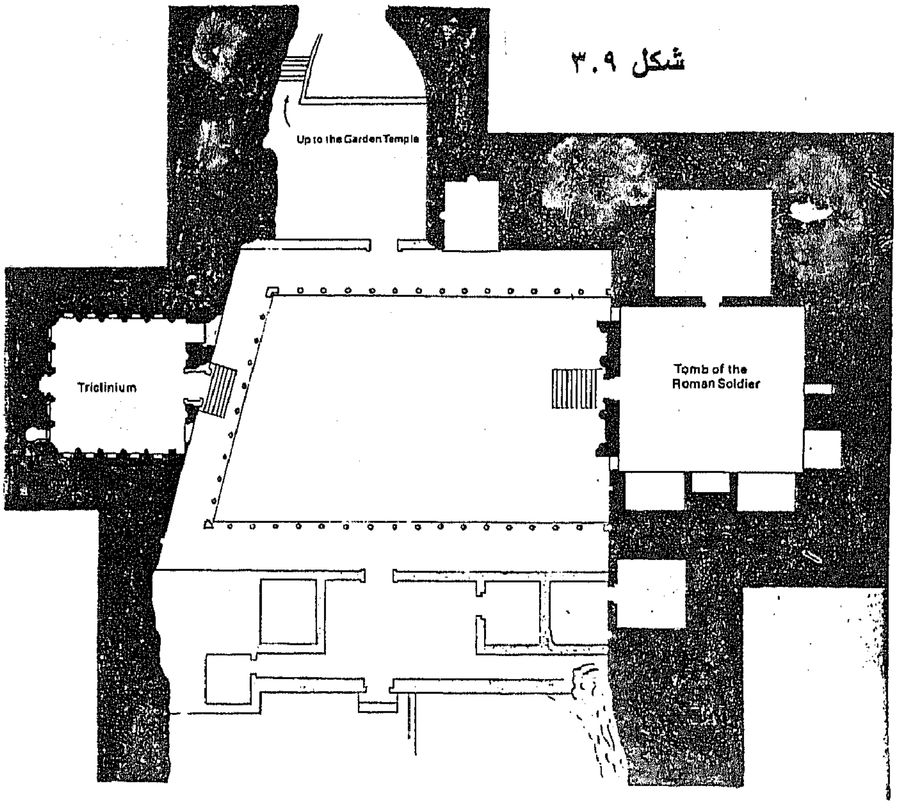


شكل ٣٠٧

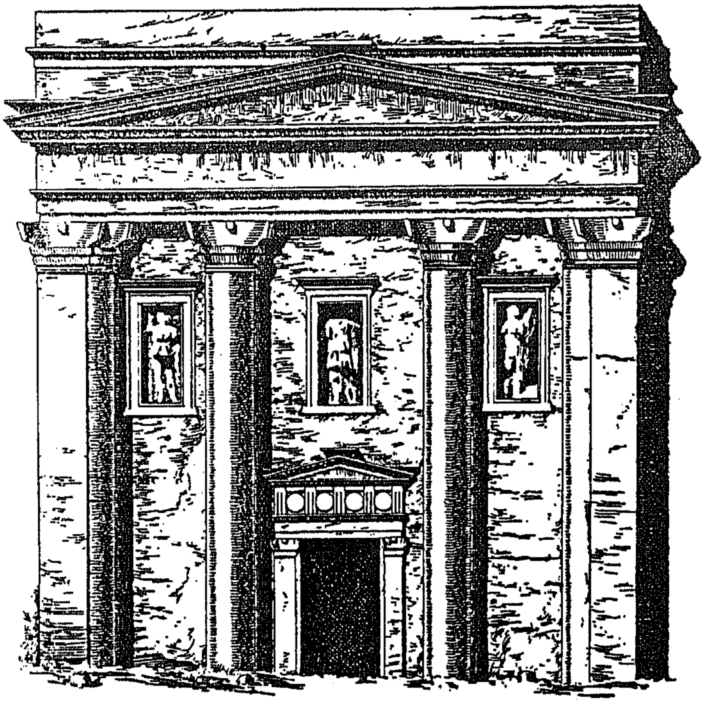


شكل ٣٠٨

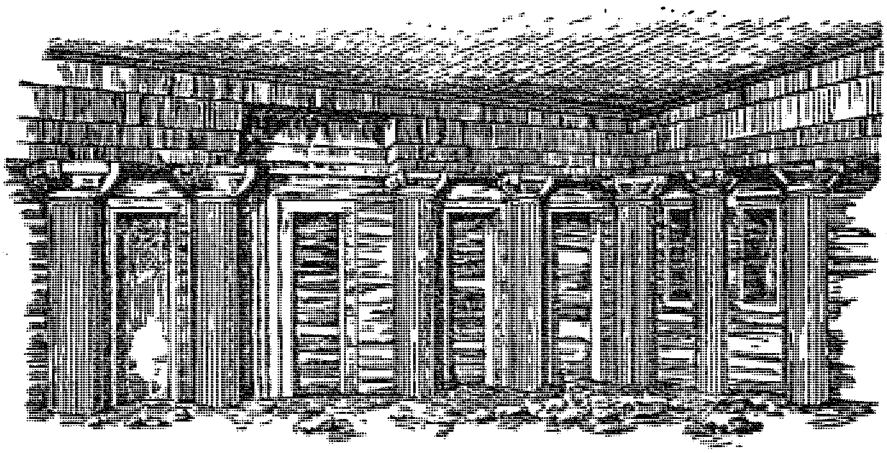
شكل ٣٠٩

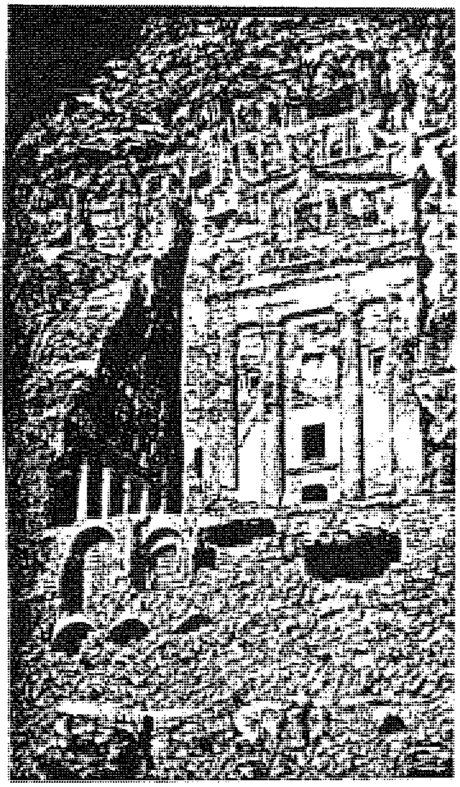


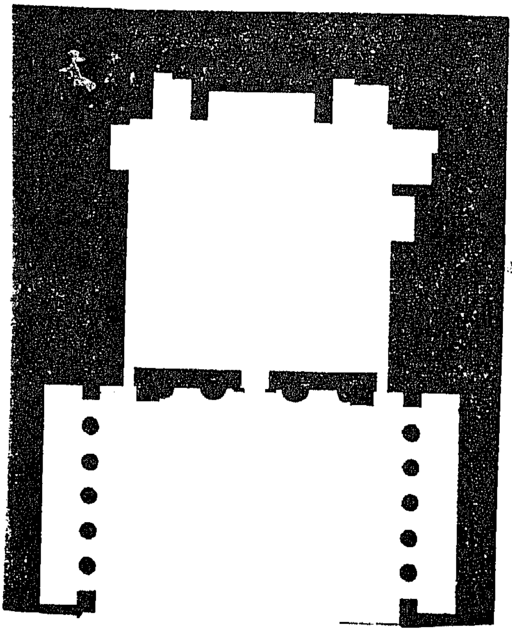
شكل ٣١٠

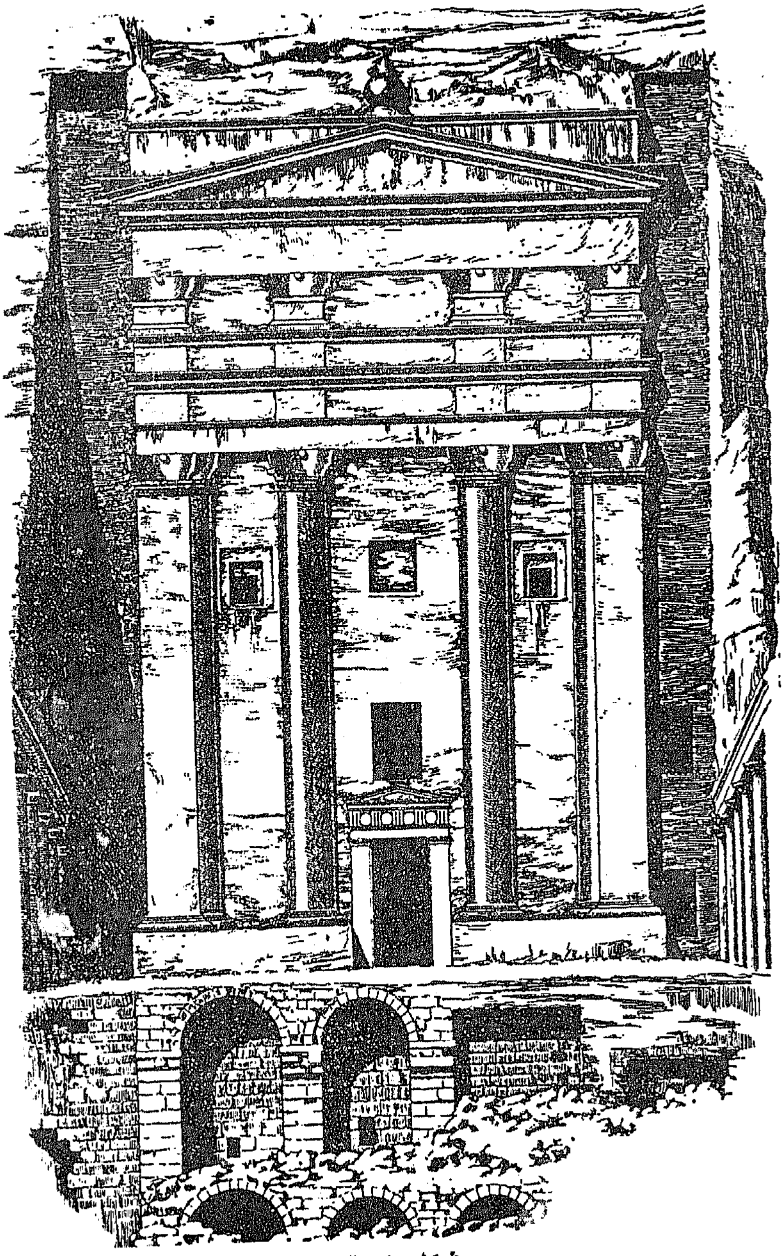


شكل ٣١١

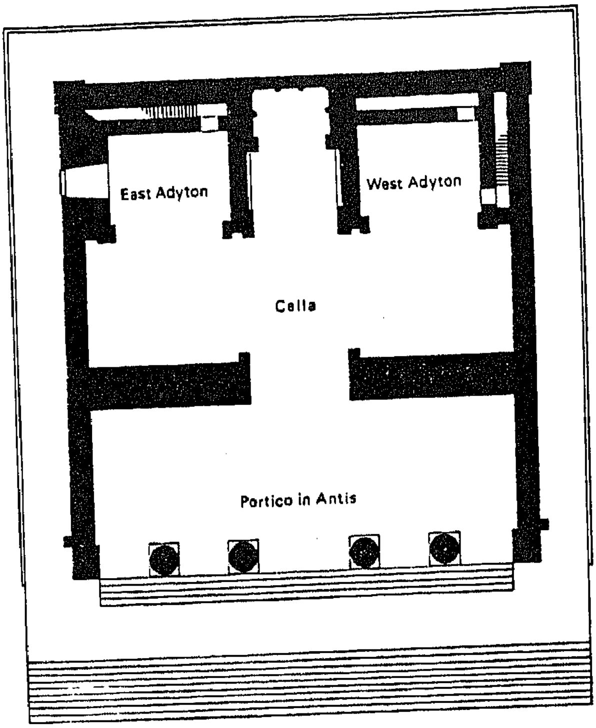



شكل ٣١٢

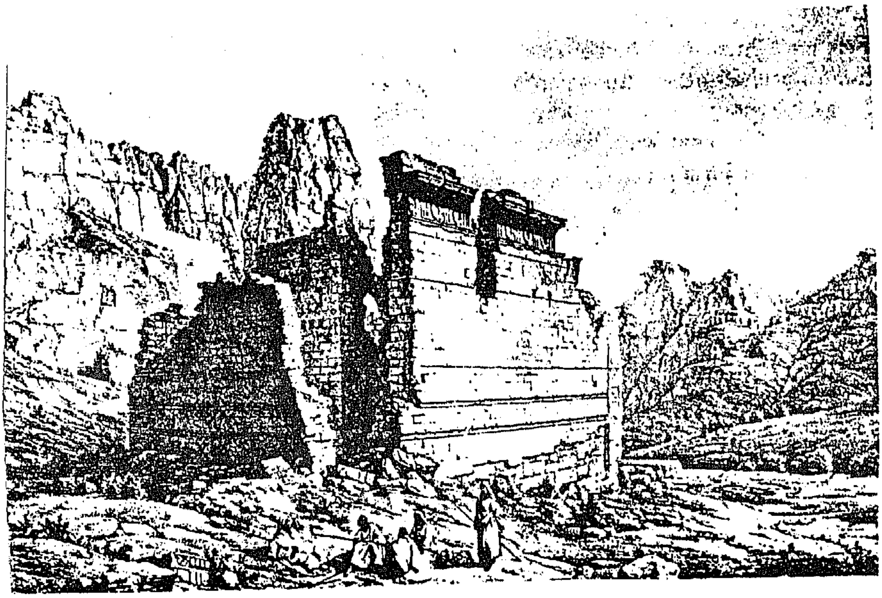

شكل ٣١٣



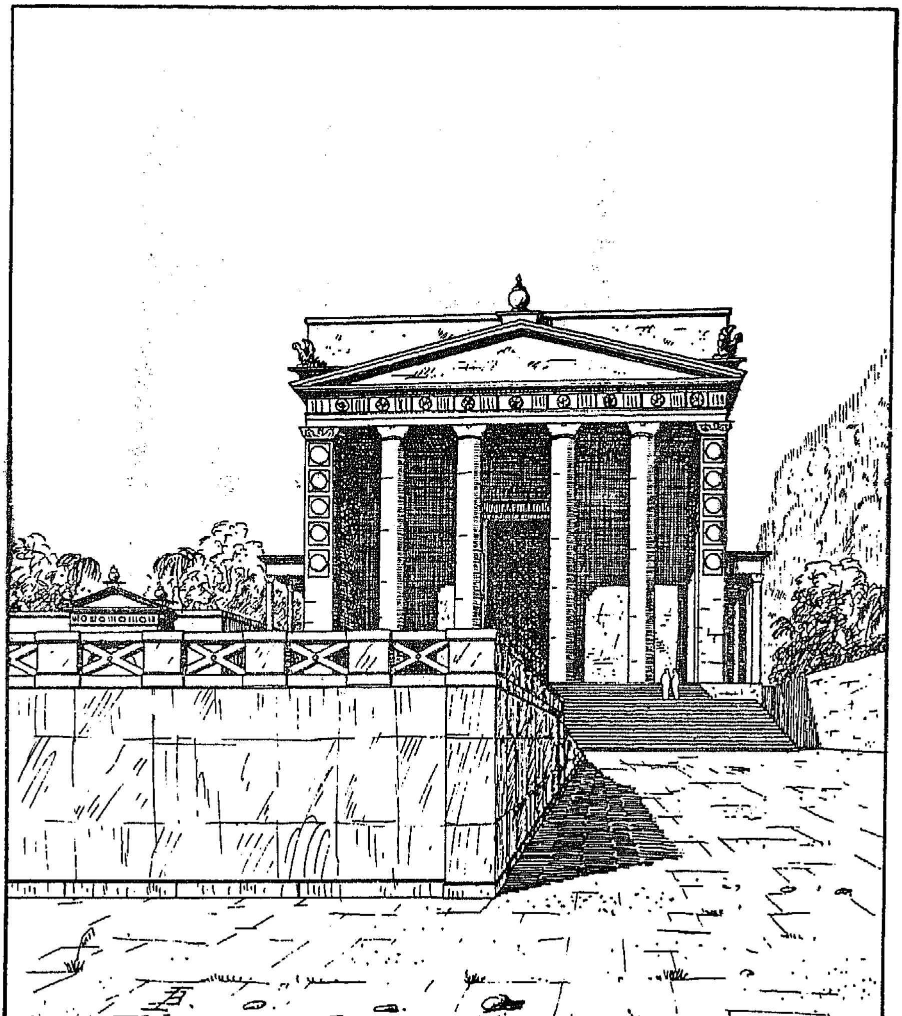
شكل ٣١٤



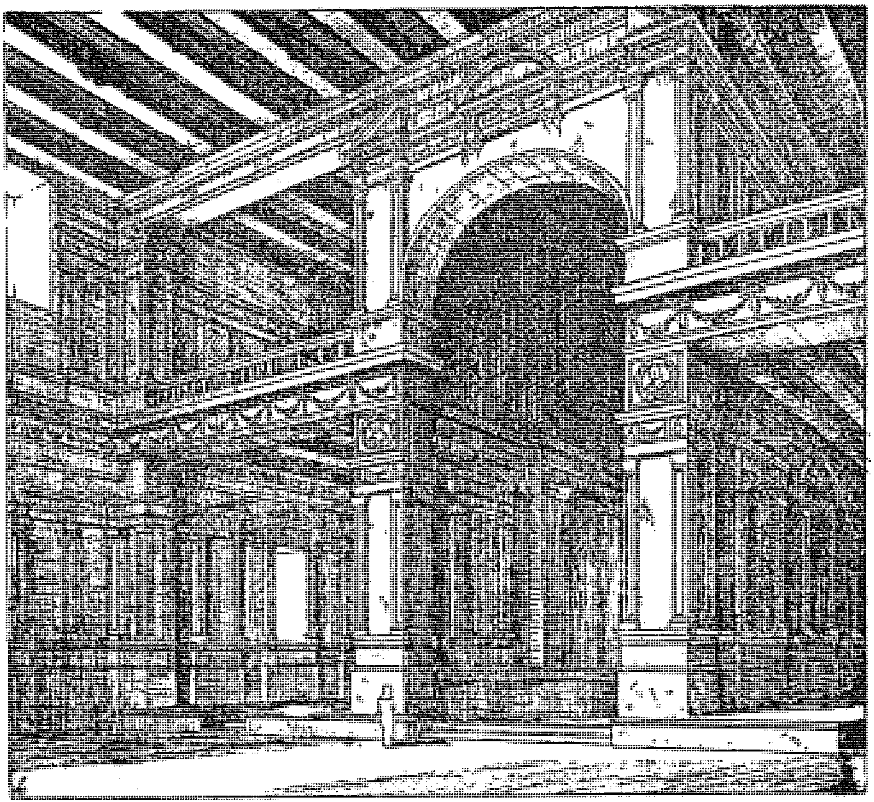
شكل ٣١٥



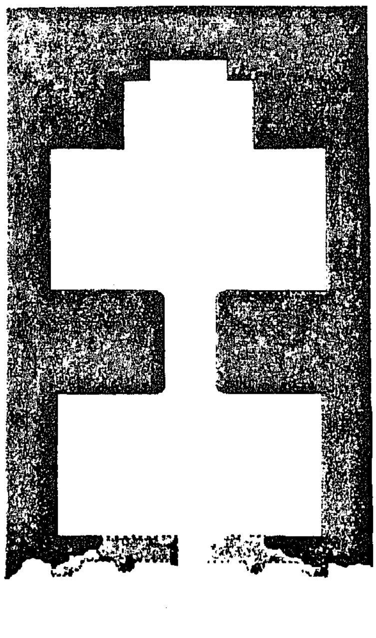
شكل ٣١٦



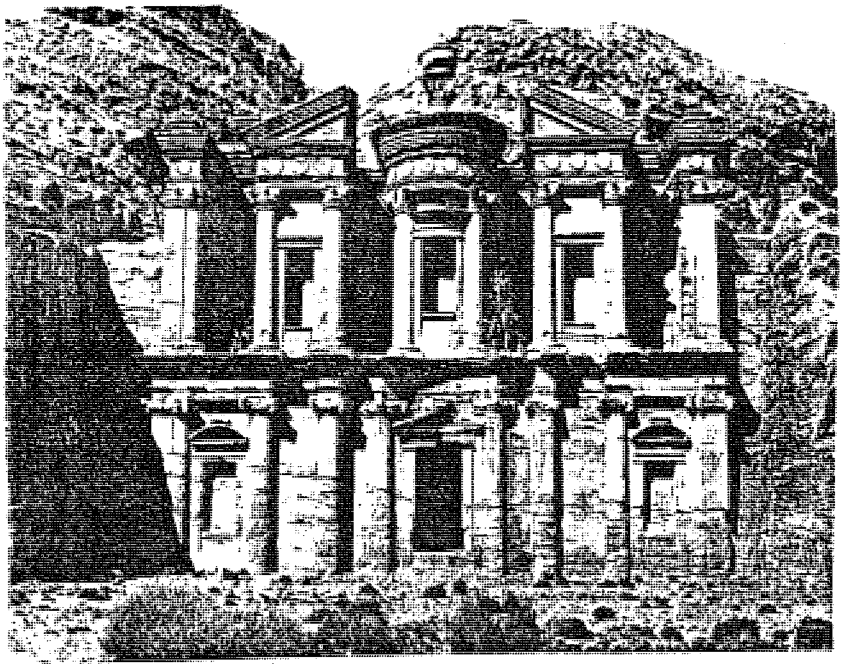
شکل ۳۱۷



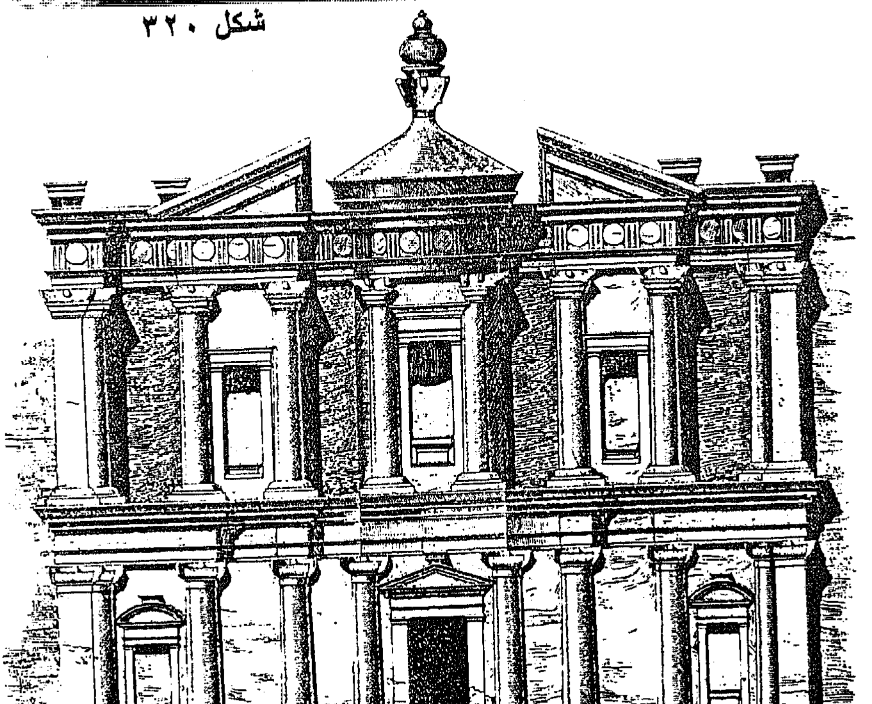
شكل ٣١٨



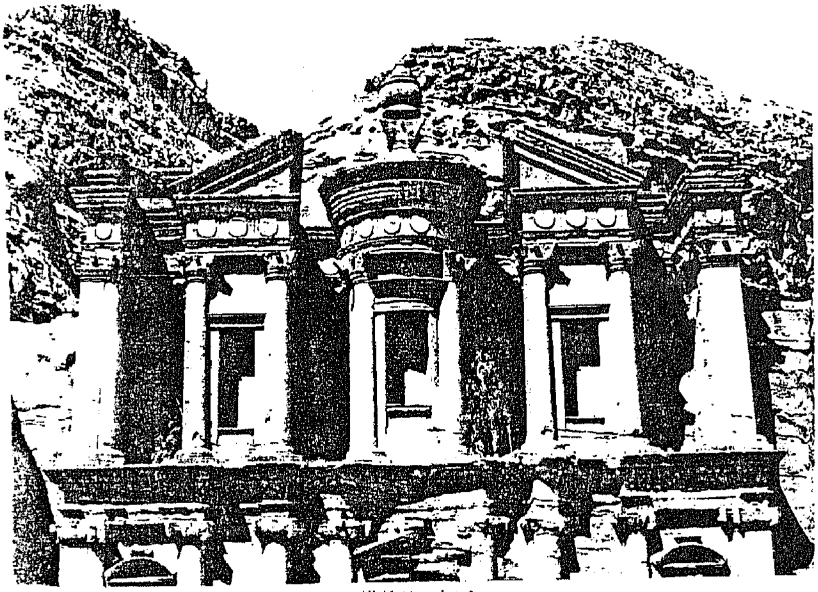
شكل ٣١٩



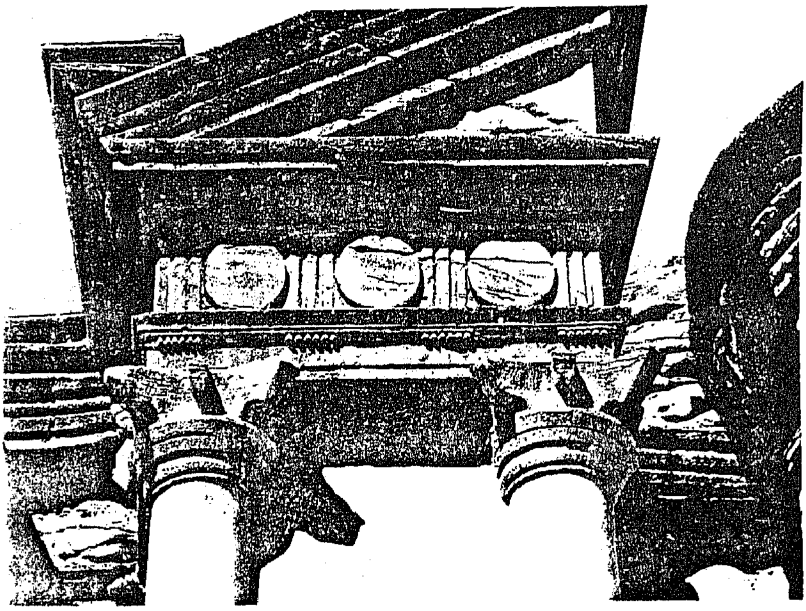
شكل ٣٢٠



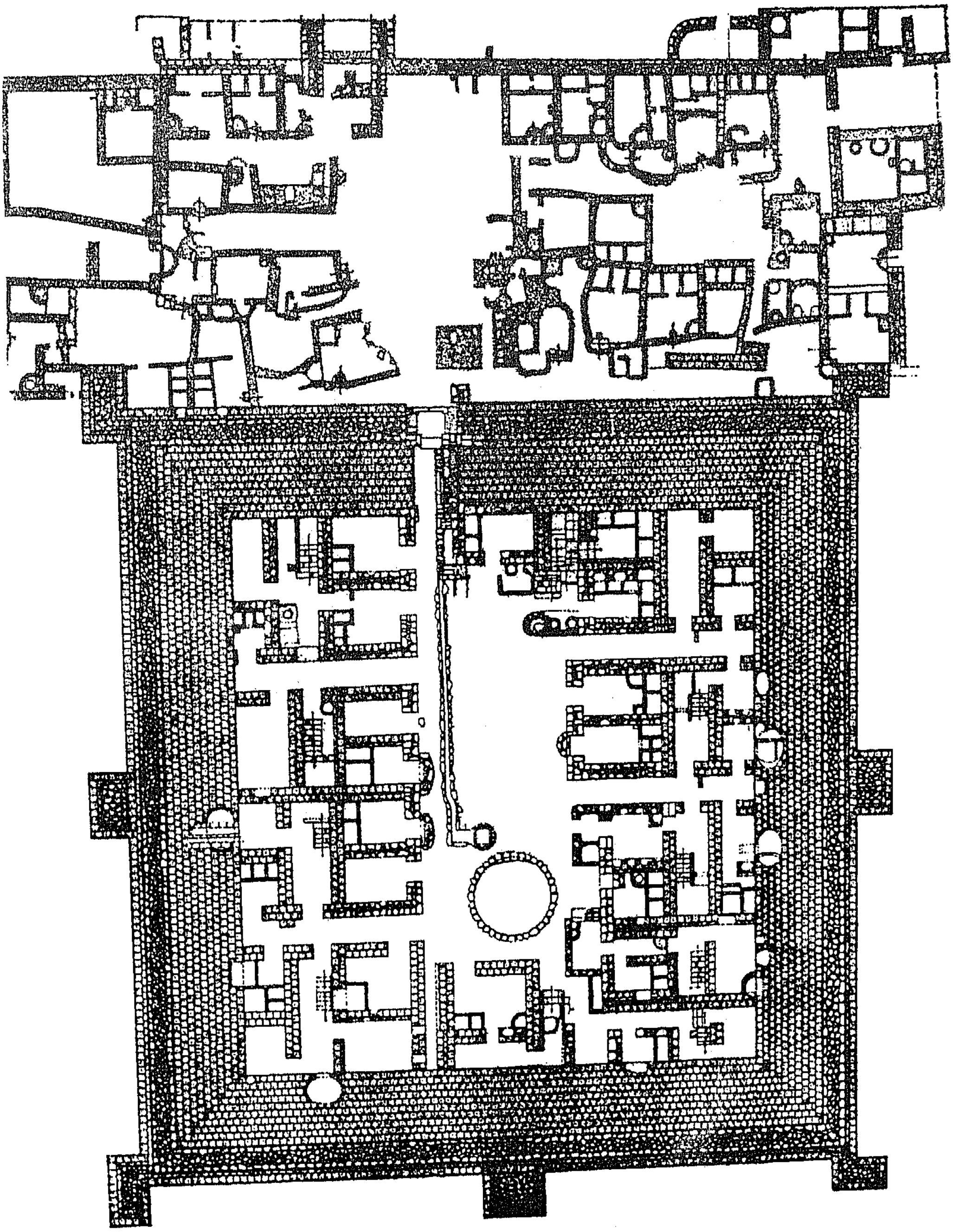
شكل ٣٢١



شكل ٣٢٢



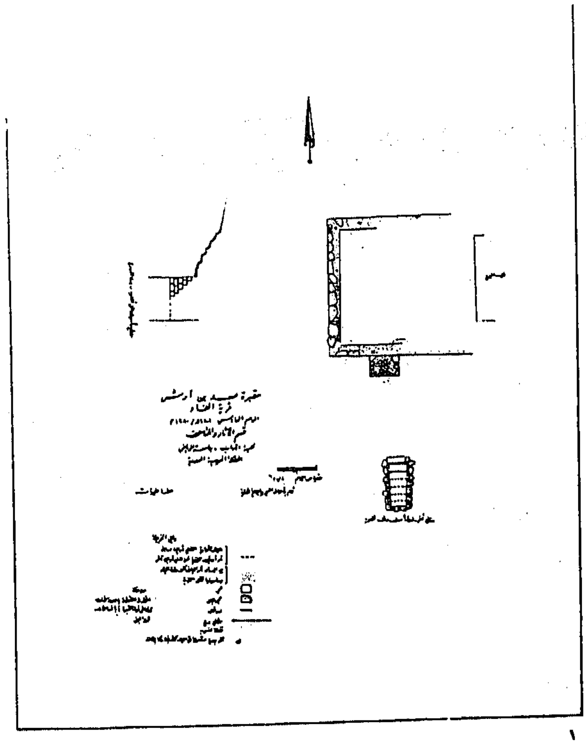
شكل ٣٢٣



شكل ٣٢٤



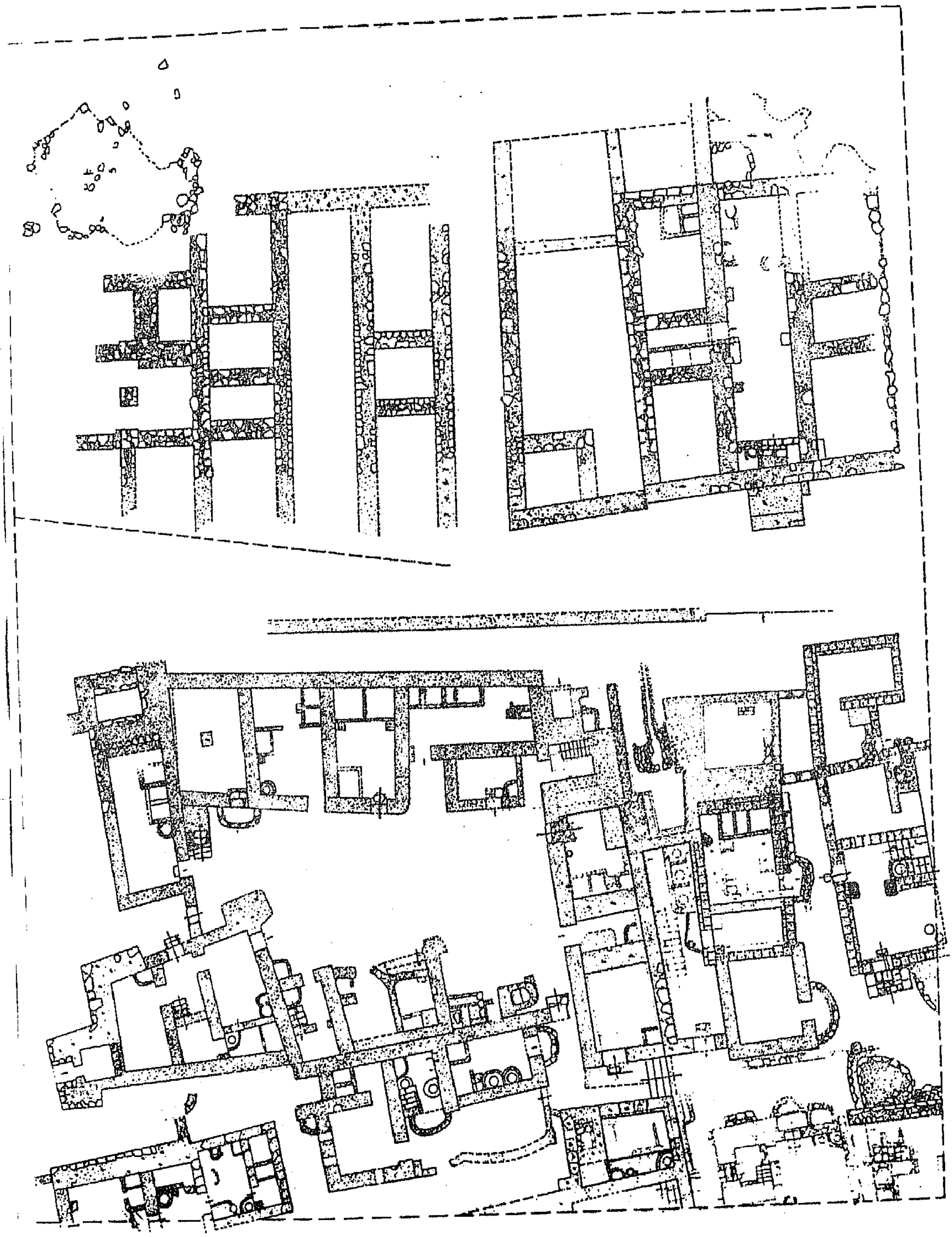
شكل ٣٢٥



١



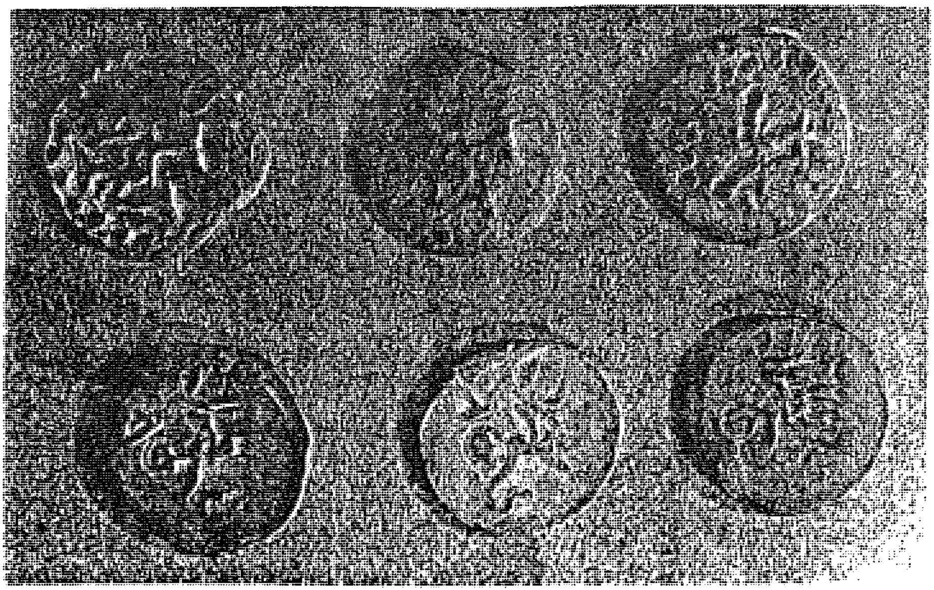
شكل ٣٢٦



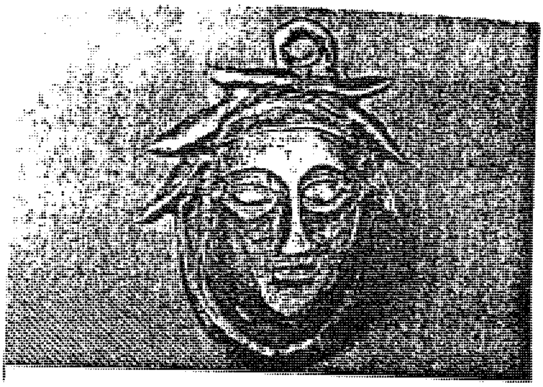
شکل ۳۲۷



شكل ٣٢٨



شكل ٣٢٩



شكل ٣٣٠

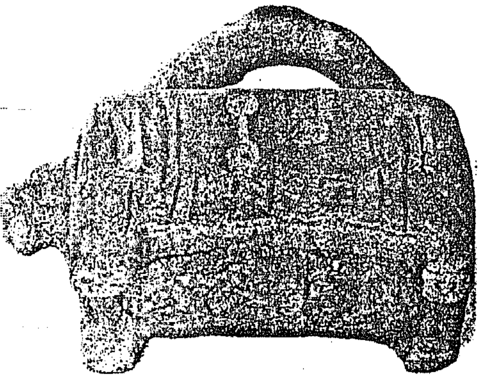


شكل ٣٣١

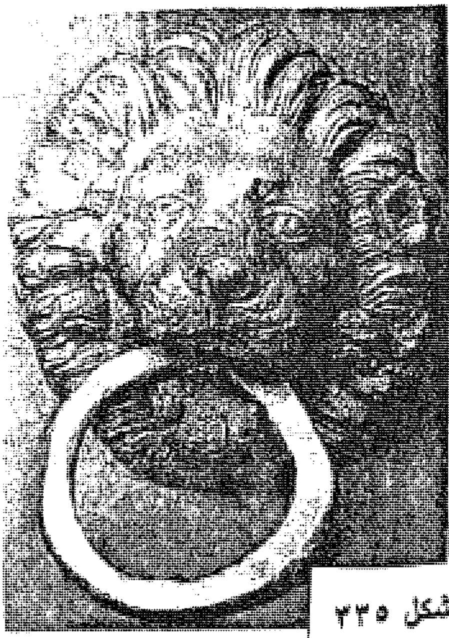


شكل ٣٣٢

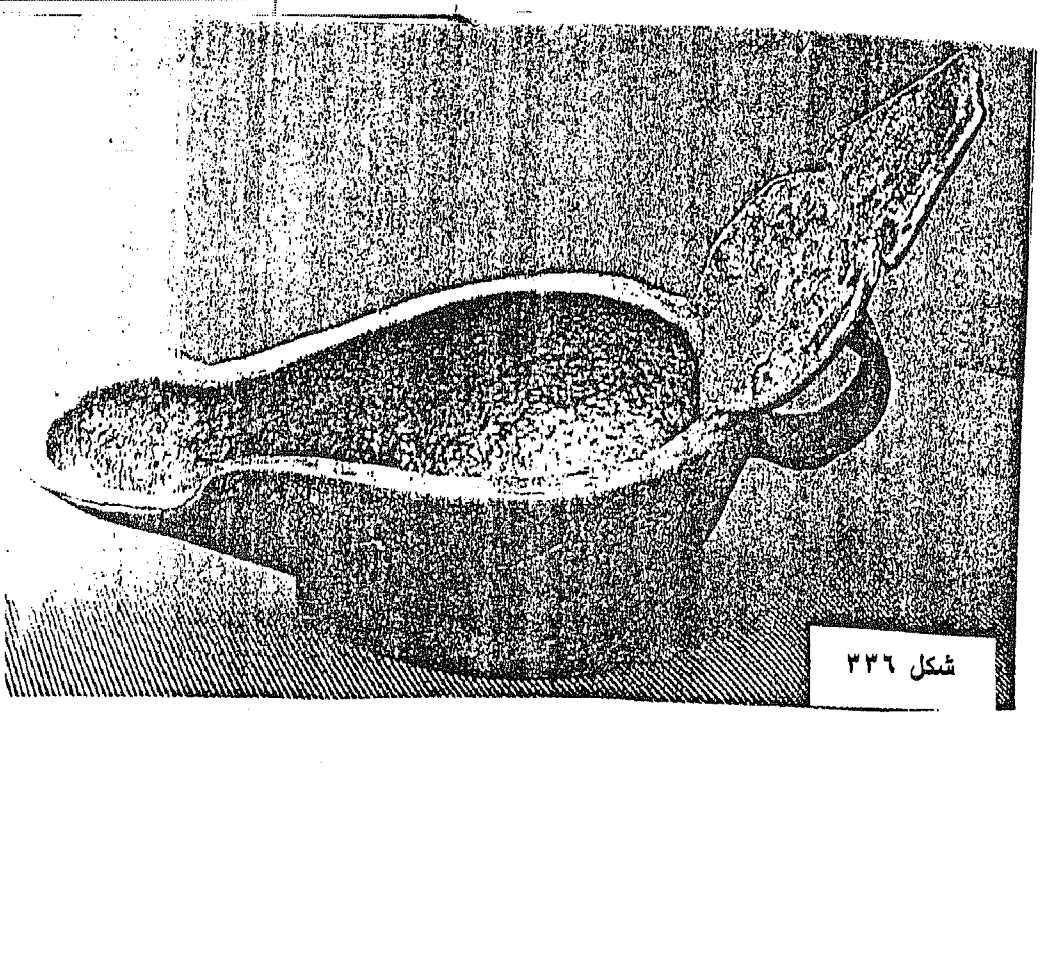

104



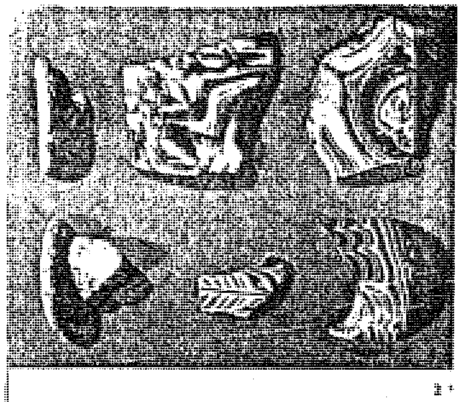
شكل ٣٣٤

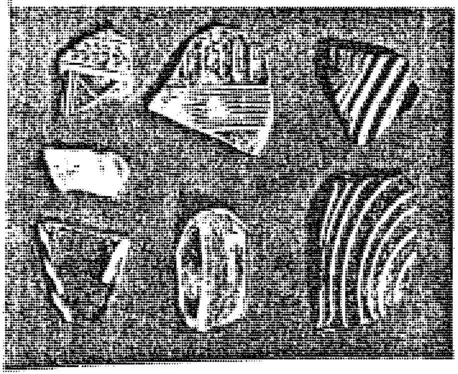


شكل ٣٣٥

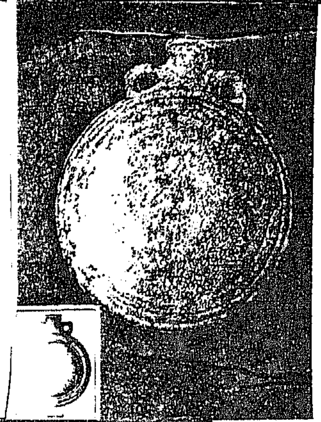


شكل ٣٣٦

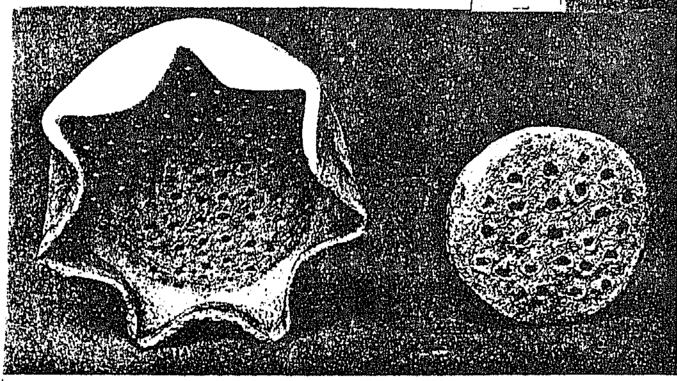






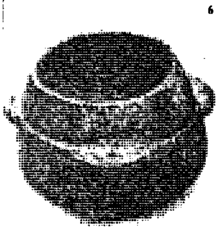


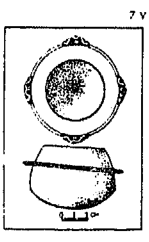
شكل ٣٣٧

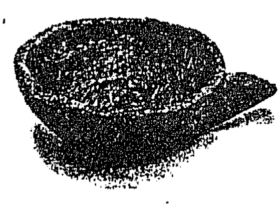


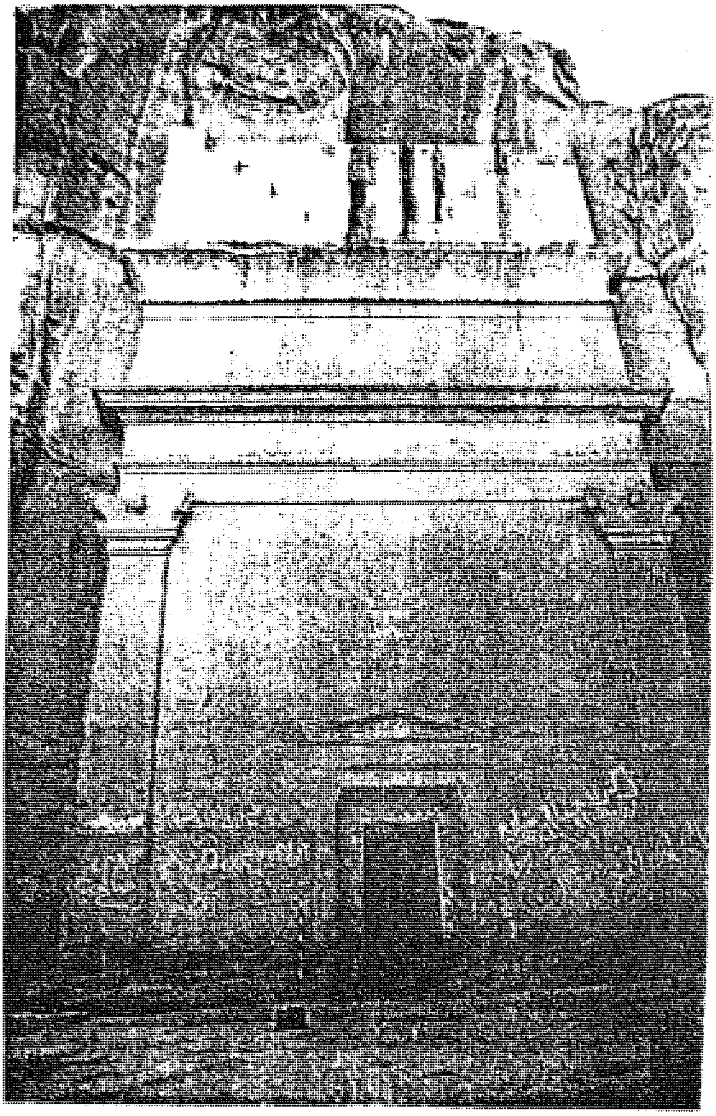
٥

٦ 6 ٧ 7 ٨ 8

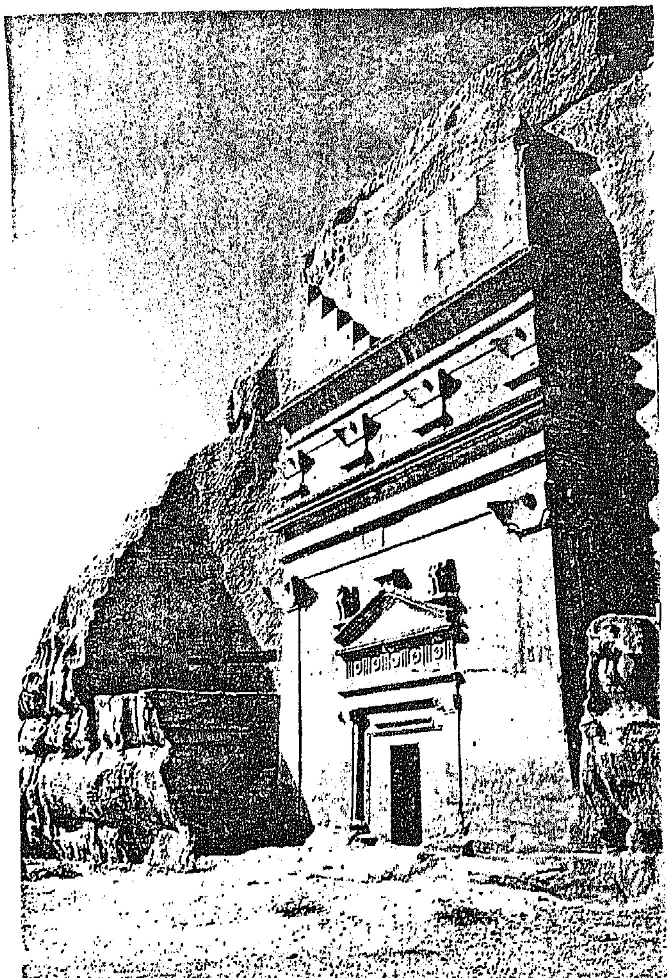




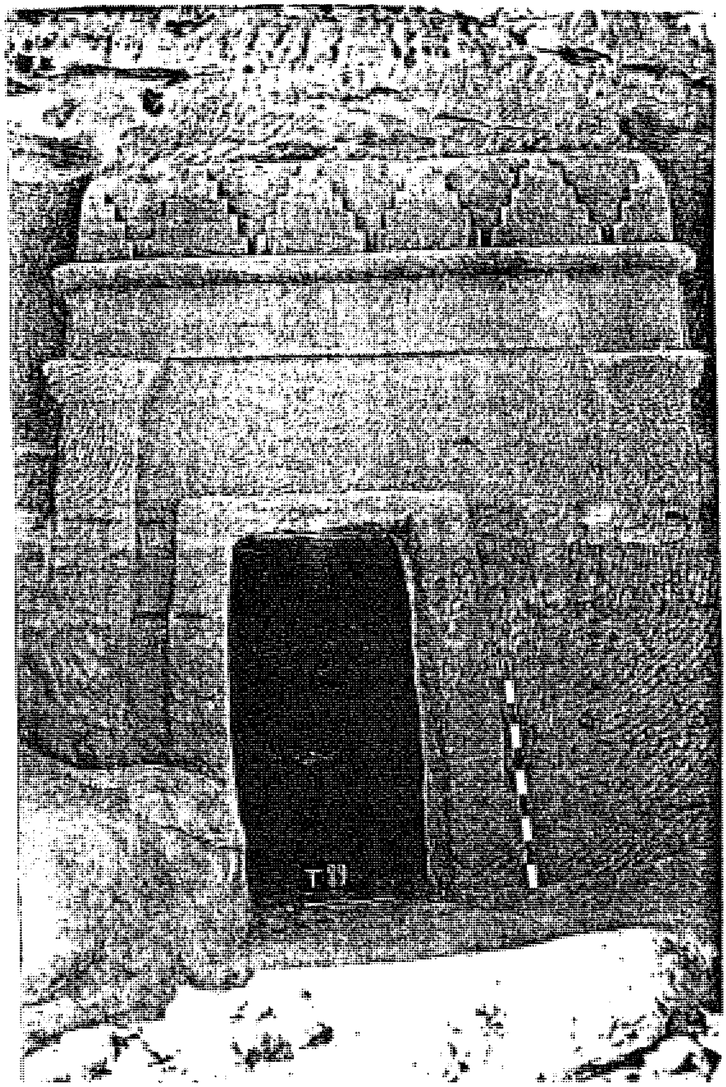




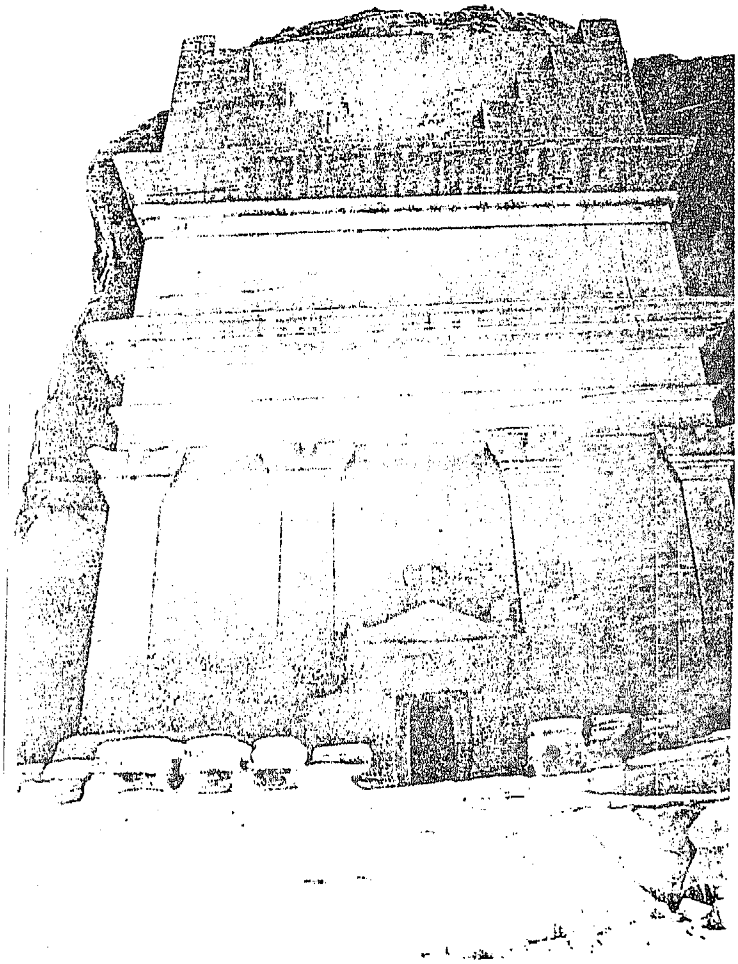
شكل ٣٣٨



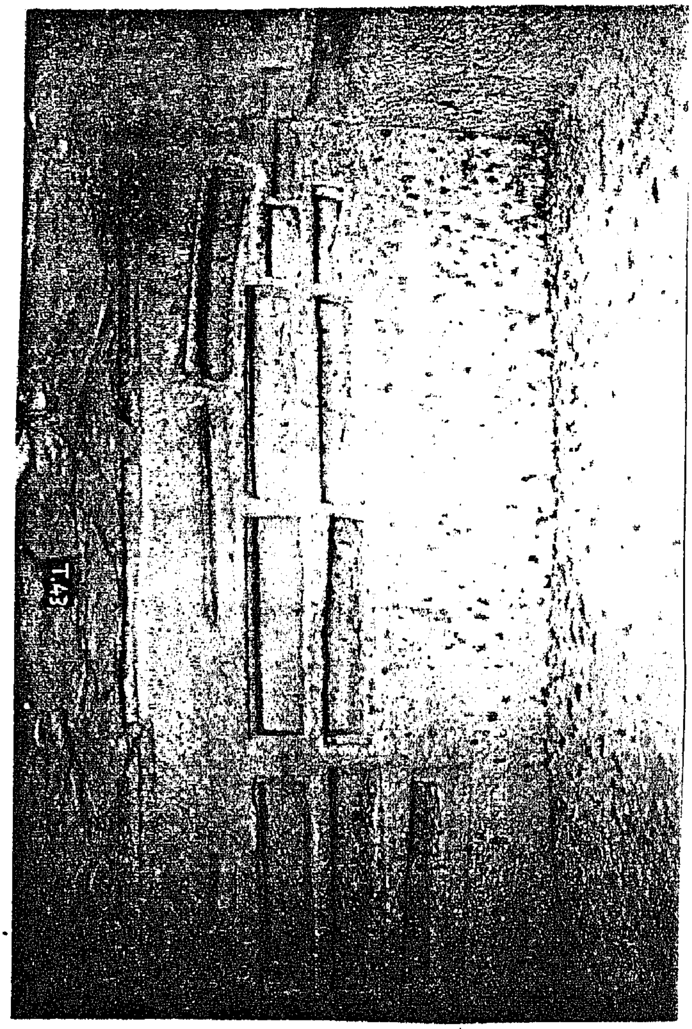
شكل ٣٣٩



شكل ٣٤٠



شكل ٣٤١



شكل ٣٤٢

المحتـــويـــات

آثار العــالم العــربي

في العصرين اليونـانـي والرومانـي

مقــدمة

كثيراً ما تجولت بين أروقة المكتبات وتوقفت عند أرففها أتلمس كتابــاً عن آثار العالم العربي يضم بين دفتيه حديثاً غائباً عن ألف عام قابعة فــي رحم الزمان تحمل البصمة اليونانية الرومانية، ولكن تصفعنــي اللاجــدوى وتبقى في القلب مرارة وأسى تترع النفس سُقماً وألماً لا ينتهي واســـتمرئ مرارتي من كتاب وحيد يعود لأربعين عاماً مضت (١٩٥٨) بمــا لا يليــق وذاكرة تلك الأمة التي تبحث دوماً عن حلمها وسط الألم والعــدم ومرافــئ التيه، أقصد كتاب "بين آثار العالم العربي". ورغم أن مؤلف هذا العمل هــو العالم الجليل "أحمد فخري" قد بذل جهداً واضحاً في جمع مادة هذا الكتــاب آنذاك إلا أن هذا الكتاب اليوم لا يشفي غُلت الباحث نظراً لتوالي الكشــوف الأثرية والتنقيبات والحفائر التي تقوم بها في وطننا العربي بعثات ومراكــز أكاديمية محلية عديدة. فبات لزاماً أن تجمع هذه المادة العلمية فــي كتــاب موسوعي يركز على الفترة الهللينيستة والرومانية في أرجاء الوطن العربــي حيث كانت هذه الفترة بمثابة نقطة تحول ومنعطف تاريخي فــي حضــارة هذه الأمة.

لذا فقد آثرت أن أقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجــزاء يختــص الجــزء الأول منه بالقسم الأسيوي.

أما الجزء الثاني فيختص بدراسة القسم الأفريقي من الوطن العربــي دون مصر التي أفردنا لها الجزء الثالث من هذا الكتاب نظراً لتميز هذه الفــترة اليونانية الرومانية فيها ولا أدل على ذلك من ظهور الإســكندرية ككعبــة للعالم الهللينستي ــ إن جاز لي استخدام هذا اللفظ ــ حيث تمخضت هــذه

المدينة عن ميلاد مكتبة وجامعة ومدرسة فنية وفكرية لا نظير لها غيرت ملامح الفكر الإنساني آنذاك.

فلم تحظ منطقة في العالم باهتمام علمي في مجال الآثار والتاريخ والجغرافيا التاريخية والأنثروبولوجيا مثل الإقليم الذي يضم فيما يضم الوطن العربي في إطار جغرافي عظيم ذو أولوية في إنتاجه المستقر معنوياً ومادياً والذي يمتد من نهر السند شرقاً إلى شمال أفريقيا غرباً، ومن بحر قزوين والبحر الأسود شمالاً إلى اليمن والسودان جنوباً.

حيث تشكلت الحضارة الإنسانية في الفترة الحاسمة من مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي في ذلك النطاق العظيم وعليه فمن الخطأ الجسيم أن ندرس كل إقليم في منطقتنا العربية بصورة مستقلة حيث تتصل أجزاء المنطقة اتصالاً وثيقاً وترتبط بوشائج قوية لا ينفصم عراها في تدخالات وتفعيلات اقتصادية وحضارية وسياسية على أننا نجنح إلى إتباع أو اتخاذ نوع التحليل الموضوعي المقارن بدراسة كل إقليم على حده بحيث لا نغفل المقومات المحلية لكل إقليم ولكن من داخل إطار يجمع تلك الأجزاء حيث أثمر الاتصال بين تلك الحضارات نتائج مباشرة وغير مباشرة ليس في تاريخ المنطقة فحسب بل في تاريخ الإنسانية برمته.

فتاريخ وحضارة سوريا ولبنان وفلسطين على سبيل المثال يرتبط بتاريخ وحضارة القوى المحيطة بها مثل مصر وحاتى بالأناضول والبابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس.

كما ارتبط تاريخ شمال أفريقيا بتاريخ شرق المتوسط على نحو خاص إلا أن المؤثرات مع باقي الأجزاء لم ينعدم أيضاً.

وعلى القارئ ألا يغفل أن المنطقة العربية تشكل وحدة حضارية لها طبيعتها الخاصة فتمثل مجالاً حضارياً يمكن أن يناظر بمجال آخر في



جزء آخر من العالم مع عدم إغفال كون المنطقة محوراً حضارياً في تاريخ الإنسانية جمعاء.

ولم تسلم الحضارة العربية من الزعم الكاذب بأنها ذا أصل هنـــدي أو فارسي وبالطبع فيحكم هذه النظرة تصوراً علمياً مغرضاً فقد من الله علـــى المنطقة خلافة الأنسانية، فعلى تخوم تلك المنطقة العربية من جهة الشـــمال والشرق وفد برابرة رحل، الكاشيون والخوريون والعيلاميون لم يعرفـوا أي نوع من الحضارة في مواطنهم الأصلية، ويعترف الفرس بـــل والإغريـــق بفضل مصر عليهم في مؤلفاتهم العلمية.

وكأنني أرى المنطقة العربية بؤرة حضارية لمناطق التخوم من حولها.

ويذكر سير ليناردو وولي: L. Woolley

الآن وقد تحررنا من العقدة التي كنا نرجع فيها كل أصول الحضارات إلـــى اليونان حيث انبثقت اليونان من عقل زيوس الأوليمبي مثـــل أثينـــا بـــالاس كاملة النمو، ولكن العبقرية المزدهرة قد اســـتمدت قوتـــها مـــن الليديـيـــن والحيثيين والفينيقيين ومصر وبابل وسومر.

L. Woolley, Mesopotamia and the Middle East, 1961.

وأنوه هنا أنه رغم عناء البحث في هذا المضمـــار ونـــدرة المراجـــع واتساع منطقة الدراسة إلا أنني عايشت التاريخ والحضارة في مدننا ولكنـــه على الجانب الآخر يسكن مدننا ونعرفه ويعرفنا منذ أن وعـــت الإنســـانية رسالتها.

وفي النهاية لعلي أكون قد وفقت إلى استجلاء تلك الفترة الزمنية مـــن عمر هذه الأمة الضارب في أعماق التاريخ والتي غـــابت عنـــها الدراســـة طويلاً، ومما يسعدني أن القارئ العربي سوف يجد بين يديه كتابـــاً يجمـــع آثار كل قسم من أقسام المنطقة العربية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بخـــالص شــكري وتقديــري لأخـــي وصديقي الأستاذ / السيد فوزي فوزي البلقيني على مساعدته الصادقة لـــي في مراجعة هذا العمل.

أ.د. عزت زكي حامد قادوس

الإسكندرية في ٢٤ مارس ١٩٩٩